
جمع الجواهر
في الملح والنوادر
لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني
حققه وضبطه وفصل أبوابه، ووضع فهارسه
علي محمد البجاوي
دار الجيل
بيروت



لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني

"وهو الذي طبع قبل باسم ذيل زهر الآداب"

حققه وضبطه وفصّل أبوابه، ووضع فهارسه
علي محمد البجاوي

دار الجيل
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وبيان

بين كتاب « جمع الجواهر » وكتاب « زهر الآداب » وشيجة وثيقة ؛ فمؤلفهما واحد ، ومنهجهما واحد .

ويمتاز هذا بجمعه للنوادر والملح، والفكاهات والطرف ، وهو مع ذلك يستطرد إلى المختار من الشعر، والجيد من النثر ، وينأى دائماً عن كل ما ينهى عنه الدين ، وما تستهجنه العادات الحسنة والأخلاق الطيبة .

ولهذا حرصت دار إحياء الكتب العربية على إخراجه ، فلم أكد أنتهى من تحقيق « زهر الآداب » حتى طلبَتْ إلىّ أن أشرع فى تحقيقه لتلحقه بصِنْوِه .

واستجبتُ إلى رغبة الدار وبحثت فى دور الكتب بمصر عن مخطوطات الكتاب التى تساعد على تحقيقه ، فلم أجد إلا مخطوطتين فى دار الكتب المصرية : إحداهما برقم ٦٣٤٧ ـ أدب، مكتوبة بتاريخ ١٢٧٤ هـ وعدد أوراقها ١٦٤ ، ومسطرتها ١٩ ؛ والأخرى برقم ٧ ـ أدب تيمور، غير مؤرخة ، وعليها تمليك تيمورى وصفحاتها ٢٦٠ .

ووجدتُ بالمخطوطتين تحريفاً كثيراً ، فرجعت إلى كتب الأدب ودواوين الشعراء أستلهمها الصواب فيما وقع فى المخطوطتين من خطأ وتحريف .

وكان كتاب « زهر الآداب » من المنائر التى هدتنى إلى كثير من الصواب ؛ وذلك بعد أن حقّقْتُه على أصول خطية متعددة موثوق بها ؛ إذ رجعتُ إليه فى كل ما أورده المؤلف فى الكتابين .

ويرى القارئ أثر ذلك كله فى هوامش الكتاب .

أما اسم هذا الكتاب فقد كثر حوله الخلاف ، وإليك البيان :

١ ـ جاء فى مقدمة الكتاب[1] :

---

(١) صفحة ١

سألتَ – أطال الله بقاءك ... أن يَجْمعَ لك كتاباً فى جواهر الملح ولمح الملح » .
وكان مقتضى هذا أن يكون اسمُ الكتاب « جواهر الملح » .

٢ – وذكر الزركلى فى كتابه « الأعلام » أن اسم الكتاب « جمع الجواهر فى الملح والنوادر » .

٣ – وطُبِع الكتاب قبلُ فى مصر باسم « ذيل زهر الآداب » أيضا ؛ وقد عُلِّلَ لهذه التسمية بأن مؤلف كتاب زهر الآداب لم يذكر فيه مُلَحاً ونوادر ؛ ولذلك جَعَلَ هذا الكتاب ذيلا له ؛ فجمع فيه هذه الملح .

٤ – ونحن لا نوافق على تغيير اسم الكتاب لأسباب نتمحَّلُها ؛ ولذلك وافقنا على رأى صاحب الأعلام فى تسميته . وخصوصاً أنا وجدنا الكتاب مسمّى بهذا الاسم فى النسختين المخطوطتين .

هذا ، وتمتاز هذه الطبعة – فوق تحقيقها وضبطها وتفصيل أبوابها – باشتمالها على فهارس منوعة ، وضعناها ليرجع إليها القارئ الباحث فتُعِينَه وتهديه .

ذلك هو جهدنا ، وتلك هى سبيلنا ، نرجو أن نكون قد وُفقنا فيهما ، وبالله التوفيق .

يونيه سنة ١٩٥٣ — على محمد البجاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقـــدمة]

الحمد لله الذى أَضحك وأَبكى ، وأمات وأحيا ، فعرّفنا بلذة الفرح شدةَ التّرَح ، وبحلاوة الحياة مرارةَ الوفاة . قال الطائى[1] :

أو ما رأيتَ منازلَ ابنةِ مالكٍ ... رَسَمَتْ لهُ كيف الزفيرُ رسُومُها

والحادثاتُ وإنْ أَصابكَ بؤسُها ... فهو الذى أدراكَ[2] كيف نعيمُها

[وقال[3]] :

إساءةُ دهرٍ أذكرتْ حسنَ فعله ... ولولا الشَّرى لم يعرف الشهد ذائقُهْ

وصلى الله على خيرِ مبعوث ، وأكرم وارث وموروث ، محمد الذى أخرجنا من الضيق إلى الفسحة ، وبُعث إلينا بالحنيفية السمْحَة ، ليضعَ عن ولد إسماعيل أغلالَ بنى إسرائيل ، بل ليرفعَ عن كل من دخل فى السِّلْم ، من جملة العرب والعجم ، ما أضلع حملُه وأظلع ثقلُه[4] ، صلّى الله عليه صلاةً تُزْلِف[5] لديه ، وتصعد فى الكَلِم الطيّب إليه ، وعلى آله وصحبه وسلم .

[سبب تأليف الكتاب]

سألت — أطال اللهُ بقاءكَ ، وحرس إخاءكَ ، من زكا بِسَقْى مودتك زَرْعُه ونما ، وعلا بِرَعْى محبتك فرعُه وسَما ، فانقاد إليك[6] قلبُه بغير زمام ، وصحّ فيك حبُّه بغير سقام — أن يجمعَ لك كتاباً فى جواهر النوادر ولمح المُلَح ، وفواكه

---

(1) ديوانه : ٣١٠ .   (2) فى الديوان : أنباك .   (3) زيادة يقتضيها السياق ، وانظر ديوانه : ١٢١ ، وزهر الآداب : ٨٦٣ ، ورواية الشطر الثانى من البيت فيهما :

* إلىّ ولولا الشرى لم يعرف الشهد *   والشرى — بسكون الراء : الحنظل أو شجره . والشرى — بفتح الراء : رذال المال .   (4) فى ط : ما أصلح حمله وأضلع ثقله .

(5) تزلف : تقرب .   (6) فى ط : إليه .

الفكاهات، ومنازه المضحكات، ترتاحُ إليه الأرواحُ، وتطيب له القلوب، وتُفْتَق فيه الآذان، وتُشحذُ به الأذهان، ويُطلِق النفسَ من رباطها، ويعيدُ إليها عادةَ نشاطها إذا انقبضت بعد انبساطها. فقد قيل: القلبُ إذا أُكرِه عَمِى.

وقال بكر بن عبد الله المزنى: لا تكدُّوا هذه القلوب ولا تهملوها. وخيرُ الكلام ما كان عُقَيب جِمام، ومن أَكره بصَره عشى، وعاودوا الفكرةَ عند نبَوات القلوب، واشحذُوها بالمذاكرة، ولا تيأسوا من إصابةِ الحكمة إذا امتحنتُم ببعض الاستغلاق؛ فإن من أَدْمَن قَرْعَ الباب وَلَج.

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: إنى لأستجمُّ نَفْسى ببعض الباطل ليكون أقوى لها على الحقّ.

وقال الحسن البصرى رحمه الله[1]: حادثوا هذه القلوب [بذكر الله][2]؛ فإنها سريعةُ الدثور، واقدعُوا هذه الأنفس[3] فإنها طُلَعَة؛ وإنكم إن لم تَقْدَعوها تنزع بكم إلى شرِّ غاية.

وقال أردشير بن بابَك[1]: إن للقلوب محبة، وللنفوس مللا؛ ففرّقوا بين الحكمين يكون ذلك استجماما[4].

وقالَ فى حكمة آل داود[1]: لا ينبغى للعاقل أن يُخلِىَ نفسه من أربع؛ من عُدة لمعاد، وإصلاح لمعاش، وفِكْرٍ يقفُ به على ما يُصْلِحه لما يفسده، ولذة فى غير محرَّم يستعينُ بها على الحالات الثلاث.

وقال أبو الفتح كشاجم[1]:

عجبى للمرء تعالَتْ حالُه ... وكفاه الله ذِلاتِ[5] الطلبْ

---

(١) زهر الآداب: ١٥٦. (٢) زيادة من اللسان. (٣) القدع: الكف والمنع. وفى اللسان: إن هذه النفوس طلعة فاقدعوها بالمواعظ وإلا نزعت بكم إلى شر غاية. ونفس طلعة: كثيرة التطلع إلى الشىء. (٤) فى زهر الآدب: إن للأذهان كلالا وللنفوس ملالا، ففرقوا بين الحكمتين. (٥) فى ط: زلات.

كيف لا يقسمُ شَطْرَى عُمرِه بين حالين نعيم وأَدَبْ
ساعة يُمْتِـع فيهـا نفسَه من غذاء وشراب منتخَبْ
ودنو من دُمًى هنَّ له حين يشتاقُ إلى اللعب لعبْ
فإذا ما زال مِنْ ذا حظّه فنشيدٌ وحـــديث وكُتُبْ
ساعةَ جدًّا وأخرى لعباً[١] فإذا ما غسَق[٢] الليلُ انتصَبْ
فقضى الدنيا نهـاراً حقَّـها وقضى لله ليلا ما يَجِبْ
تلك أعمالٌ[٣] متى يعمَلْ بها عاملٌ يسعد ويرشُد ويُصِبْ

[منهج الـكتاب]

فأجبتك إلى ماتمسَك بكتاب كلّلتُ نظامه ، وثقلت أعلامه ، بذهب يروق سَبْك إبريزه ، ويرقّ حَوْكُ تطريزه ، من نوادر المتقدمين والمتأخرين ، وجواهر العقلاء والمجـانين ، وغرائب السقّاط والفضلاء ، وعجائب الأجواد والبخلاء ، وطُرَف[٤] الجهال والعلماء ، وتحَف المغفّلين والفهماء ، ونُتَف الفلاسفة والحكماء ، وبدائع السُّؤال والقصاص ، وروائع العوامّ والخواصّ ، وفوا كه الأشراف والسّفلة ، ومنازِه الطفيليين والأ كَلة ، وأخبار المخابيث والخصيان ، وآثار النساء والصبيان .

وأتيت به على سبيل الاختصار ، وطريق الاختيار ؛ وجعلتُه بتنويع الـكلام ، كالمائدة الجامعة لفنون الطعام ؛ إذ هممُ الناس مفترقة ، وأغراضُهم غير متفقة . ولا أعلم حقيقة ما تستندره ، ولا مَحْض ما تُؤْثِره ؛ إذ لا يحيط بذلك إلاّ علاّمُ الغيوب ، المطّلـِعُ على ما فى القلوب .

البعد عما ينافى الدين

وقد تجنَّبت أن أُهدِى إليك ، وأورد عليك ما يخرج به قائلُه فى الدين عن اتّباع سبيل المؤمنين . فمن أهل الإلحاد والأهواء من يُسِرّ حَسْواً فى ارتغاء[٥] ،

(١) فى زهر الآداب : وأخرى راحة .
(٢) غسق : أظلم .
(٣) فى زهر الآداب : تلك أقسام متى يعمل بها دهره ..
(٤) فى ط : وظرف .
(٥) هذا مثل يضرب لمن يظهر أمرا وهو يريد غيره — اللسان (مادة رغا) . وفى التهذيب : يضرب مثلا لمن يظهر طلب القليل وهو يسر أخذ الـكثير .

ويطلب ما يشفى به من دائه ، ويضحك خاصةَ أودّائه ، ويغرُّ به من ضَعُفَتْ نحيزَتُه ، وهفَتْ غريزته ، بما يكمنه ، بألطف ما يمكنه ، كمون الأفعوان ، فى أصول الريحان ، إذا قابله بشمّه ، قتله بسمّه .

كما حكى الجاحظ عن الشرقى بن القطامى أن ابن أبى عتيق لَقِىَ عائشةَ رضى الله عنها على بغلة . فقال : إلى أين يا أمّاه ؟ فقالت له : أُصْلِح بين حيين تقاتَلا ، فقال : عزمت عليك إلاّ ما رجعت ، فما غسَلْنا أيديَنا من يوم الجمل حتى نَرجعَ إلى يوم البغلة .

وهذه حكاية أوردها الشرقى لغلّه ودَغَلِه[1] على وجه النادرة ؛ لتُحْفَظ ويضحك منها ، ويتعلَّقُ بها مَنْ ضعف عمله ، وقلّ عزمُه ؛ فيكون ذلك أنجعَ وأنفعَ لما أراد من التعرض لعِرْضِ أم المؤمنين رضى الله عنها .

ومثلُ هذا كثير مما لو ذكرتُه لدخلت فيما أنكرته . فقد قيل : الراويةُ أحدُ الشاتمين ، كما قيل : السامعُ أحدُ القائلين .

وقد قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وقد مرّ به عمر بن عبد العزيز والقاسم بن محمد بن أبى بكر فلم يسلما عليه :

مساء تراب الأرضِ منها خُلِقتما ... فيها المعادُ والرجوعُ إلى الحشر
ولا تعجبا أن ترجعا فتسلّما ... فما حشى الإنسانُ شرًّا من الكِبْر

وقال آخر[2] :

إن كنت لا ترهَبُ ذمّى لما ... تعرف من صَفْحِى عن الجاهلِ
فاخْشَ سكوتى إذ أنا مُنْصِت[3] ... فيك لمسموعِ خنَا القائلِ
فسامعُ السوء[4] شريكٌ له ... ومُطعِمُ المأكولِ كالآكل
ومن دعا الناسَ إلى ذمّه ... ذَمُّوه بالحق وبالباطلِ
مقالة السوء إلى أهلها ... أسرعُ من منحدرٍ سائلِ

(١) الدغل : دخل فى الأمر مفسد . (٢) زهر الآداب : ٤٩٧ ، ونسبت الأبيات فيه لمحمد بن حازم الباهلى . (٣) فى زهر الآداب : آذنا منصتا . (٤) فى زهر الآداب : فسامع الشر .

وقد رام ابنُ قتيبة تسهيلَ السبيل فى مثل هذا ، فقال : مهما مرَّ بك من كلام تَنْفِرُ عنه نفسُك ، فلا تُعْرِضْ عنه بوجهك ، فالقولُ منسوبٌ إلى قائله ، والفعلُ عائدٌ إلى فاعله .

قلت : وليت شعرى ما اللذّةُ فيما يضحكُ منه مَنْ هو معرض عنه ، إلاّ أن يدخلَ فى حدّ المستهزئين ، وحيِّزِ المتلاعبين . نعوذ بالله من الحَوْرِ بعد الكَوْر[1] .

وأنشد أبو نواس الجماز شعراً من أعابيثه ومُجونه كفرَ فيه ، وقال للجماز : أين أنتَ من هذا الطراز ؟ قال : أنا لا أتعرَّض لمن أعضائى جُنده يحرِّك علىَّ منها ساكناً أو يسكن متحركا فأهلك .

وقد طرد الجمَّاز أصلَه فى التحرز مما تعلَّق عليه من شناعة ، أو تلزمه فيه تِباعة[2] ، فقال يمدح :

أقولُ بيتاً واحداً أكتفِى ... بذكره من دون أبياتِ
إنَّ على بن أبى جعفر ... أكرمُ أهلِ الأرض من آتِ

فقد سلم مما كاد يقعُ فيه أبو الخطاب عمرو بن عامر السعدى ، وقد أنشد موسى الهادى :

يا خير من عَقَدَتْ كفّاه حُجْزته ... وخير من قلّدَته أمرَها مُضَر

فانقلبت عيناه فى رأسه ، واحمرَّ وجهُه ، وقال : إلاَّ مَن ؟ ويحك ! ولم يكن أبو الخطاب استثنى أحداً ، وإنما جرى على مذهب الشعراء فى تفضيل الممدوح على أهل العصر ؛ فلما رأى ما بوَجْه الهادى من إرادة الإيقاع به قال ارتجالا :

إلاَّ النبى رسول اللهِ إنَّ له ... فخراً وأنت بذاكَ الفخرِ تفتخرُ

فسرى عنه ووصله .

---

(١) معناه : من النقصان بعد الزيادة . وقيل معناه : من فساد أمورنا بعد صلاحها ، وأصله من نقض العمامة بعد لفها . مأخوذ من كور العمامة إذا انتقض ليها . يقال : كار عمامة على رأسه إذا لفها . وحار عمامة : إذا نقضها . (٢) تباعة ككتابة : مثل التبعة .

[تدرج الكتاب ولذة الانتقال من حال إلى حال]

وقد جعلت ما عملت مُدَبَّجاً مدرَّجاً ، لتلذّ النفس بالانتقال من حالٍ إلى حال ، فقد جُبِلَتْ على محبَّةِ التحوّل وطُبِعَت على اختيار التنقل .

النفوس مطبوعة على التحول والتنقل

وقد قيل: إن عبدَ الله بن طاهر لما أَسر نصر بن شبث بكيسوم ، وأنفذه إلى المأمون ، جلس مجلسا أنصفَ فيه من وجوه القوّاد ، ومن أمراء الأجناد ، وضرب الأعناق ، وقطع الأيدى ، وردّ كبار المظالم ، ثم قام وقد دَلَكَت[1] الشمسُ ؛ فتلقّاه الخدَم ، فأخذ هذا سيفه ، وهذا قباءَه ، وهذا إزارَه . فلما دخل دعا بنَعْلٍ رقيقة فلبسها ، ثم رفع ثوبَه على عاتقه وتوجّه نحو البستان وهو يتغنى :

النّشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكُفّ عَنَم

قال عيسى بن يزيد : وكنت جريًّا عليه ، فجذبْتُ ثوبَه من عاتقه وقلت له : أتقعدُ بالغداة قعودَ كسرى أو قيصر أو ذى القرنين ، ثم تعملُ الساعةَ عمل علويه ومخارق[2] ؟ فردّ ثوبه على عاتِقِه وهو يقول[3] :

لا بدَّ للنفس إن كانت مصرّفة من أن تنقَّلَ من حالٍ إلى حال

قال أبو القاسم بن جدار : كأنه ذهب إلى ما فعله أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قام من بعض مجالسه الجليلة التى كان يدوِّن فيها الدواوين ويمصِّر الأمصار ، ويَقْمَعُ الأعداءَ ، ويؤيد الإسلام ، فدخل منزله ثم رفع صوته وهو يقول :

وكيف ثَوائى بالمدينةِ بعد ما قضى وَطراً منها جميلُ بنُ معْمَرِ

فلحقه عبدُ الرحمن بن عوف فاستأذَن عليه ، فقيل : عبد الرحمن ياأمير المؤمنين بالباب . فلما دخل عليه ، قال : ماصوتٌ سمعتهُ منك آنفاً ياأمير المؤمنين ؟ فقال : ياأبا محمد ، إيهاً عنك ! فإن الناس إنْ أُخْلُوا قالوا .

---

(١) دلكت الشمس : غربت ، أو اصفرت ، أومالت وزالت عن كبد السماء .

(٢) مغنيان . (٣) زهر الآداب : ٢ ، وقد نسب هناك إلى أبى العتاهية ، ورواية الشطر الأول فيه : لا يصلح النفس إذ كانت مدابرة .

وقد قلت :

فرّقت فى التأليف معتمداً ... ما كان لو قد شئتُ يأتَلِفُ

والعقد ما اختلفَتْ جواهرُه ... إلّا ليُشْرِقَ حين يختلفُ

إن كان الشىء مع نظيره يذهبُ بنوره ، ويغضّ من بهائه ؛ ويُخْلِق من رُوَائه ، فقد زعموا أن المجرّةَ كواكبُ مضيئة مجتمعة، فكسف بعضُها نورَبعض؛ فصارت طريقاً فى السماء بيضاء . وقال ابن الرومى :

وبيضاء يَخْبُو دُرُّها من بياضها ... ويذكو بها ياقوتها والزبَرْجَدُ

إلا أَن تَنْدَرِجَ الحكايةُ فى الحكايات ، ويتسلسل البيت مع الأبيات ، فيكون الجمع أزين من القَطْع ، والتوصيلُ أَحسن من التفصيل ؛ فأقرِنُها بأشكالها ، وأجملها مع أمثالها .

[لاختيار المطايبات والمداعبات أصول]

ولاختيارِ المطايبات والمداعبات وما انخرط فى سِلْكِها من الملح والمزح أصولٌ لا يُخرج فيها عنها ، وفصول لا يُخرج بها منها . وقد يُستَنْدَر الحار المنضج ، والبارد المثلج ؛ لأن إفراطَ البرد ، يعود به إلى الضد . ولذلك قال أبو نواس[1] :

قل للزُّهَيرى إن حَدَا[2] وشَدا ... أقلِلْ وأَكثِرْ فأنتَ مِهْذارُ

سخنت من شدة البرودة حـ ... ـتى صرتَ عندى كأنك النارُ

لا يعجب السامعون من صفتى ... كذلك الثلجُ باردٌ حار

وفى كليلة ودمنة : لا ينبغى اللجاج[3] فى إسقاط ذى الهمّة والرأى وإزالته ؛ فإنه إما شرسُ الطبيعة كالحية إن وُطِئتْ فلم تلسع لم يغترّ بها فيُعَاد لوطئها ، وإمّا سمح الطبع كالصندل البارد ، إن أفرط فى حكّه عاد حارًّا مؤذيا .

وقالوا: إنما مَلُح القردُ عند الناس لإفراط قبحه . وقد قال ابن الرومى فى الخصيان :

---

(١) ديوانه : ١٩٥ ، يهجو مغنيا ، الشعراء ٧٧٧ . (٢) فى الديوان : إذا اتكا وشدا وفى الشعراء : قل لزهير إذا حد . (٣) اللجاج : الخصومة .

معشراً أشبهوا القرود ولـكِنْ خالفوها في خفّةِ الأرواح

لأن العبد إذا خُصِي استرخت معاقدُ عصبه ، وحدث فى طبعه نشاط فى الخدمة ؛ فيحصل بين حالين متضادين لايطيق المبالغة فيهما فيضيق صدره ، وتثقل روحه . وقد قال أبو تمام[1] :

أمن عمًى نزل الناسُ الربى فنجوا وأنتم نصبُ سيل القنّة[2] العَرِم

أم ذاك من همٍ جاشَتْ و كم صفة[3] حَدَا[4] إليها غلوُّ القوم فى الهممِ

أن تكون النادرة غير فاترة

وكان يقال : من التوقى تَرْكُ الإفراطِ فى التوقى ، وإنما الموتُ المحبَّ والسقم المغيب ، أن تقعَ النادرةُ فاترة فتخرج عن رُتبة الهزل والجدّ ، ودرجة الحر والبرد ، فيكون بها جهد الـكرب على القلب ؛ كما قال أبو بكر الخوارزمى : أثقلُ من عذاب الفراق ، وكتاب الطلاق ، وموت الحبيب ، وطَلْعة الرقيب ، وقدح اللبلاب فى كف المريض ، ونظرة الذلّ إلى البغيض ، وأشد من خَراج بلا غلّة ، ودواء بلا علّة ، وطلعة الموت فى عين الـكافر ، وقد ختم عُمْرَه فى الـكبائر ، وأعظم من ليلة المسافر ، فى عين كانون الآخر ، على إكافٍ[5] يابس ، تحت مطر وبَرْدٍ قارس .

ومن أمثال البغداديين : هو أثقل من مغنّ وسط ، ومن مضحك وسط . وقال ابن الرومى يهجو أحمد بن طيفور[6] :

فقدتك يا بْنَ أبى طافر[7] وأطعمت فقدك[8] من شاعر

فلست بسخْنٍ ولا بارد وما بين ذين سوى الفاتر

وأنت كذاك تُغَثّى[9] النفو سَ تغثية الفاتر الخاثر

---

(١) ديوانه : ٢٧٠ . (٢) فى الديوان : سيل الفتنة .

(٣) فى الديوان : ضمة. جاشت : غلت . (٤) حدا : ساق .

(٥) الإكاف : البرذعة . (٦) ديوانه: ١٠٢؛ وفى هامش الديوان : يهجو ابن أبى طاهر

(٧) فى الديوان : يابن أبى طاهر . (٨) فى الديوان : ثـكلك .

(٩) غثت النفس : جاشت وخبثت .

[شرط المسامر والمنادر]

خفة الإشارة ولطف العبارة

ومن شَرْطِ المسامر والمنادر أن يكونَ خفيفَ الإشارة ، لطيف العبارة ، ظريفاً رشيقاً ، لبقاً رفيقاً ، غير فَدْم(١) ولا ثقيل ، ولا عنيف ولا جهول ؛ قد لبس لكل حالة لباسها ، وركب لكلّ آلة أفراسها ، فطبّق المفاصل ، وأصاب الشواكل ، وكان برائق حلاوته ، وفائق طلاوته ، يضعُ الهِناَء مواضع النَّقْب(٢) ، ويعرف كيف يخرج مما يدخلُ فيه ، إذا خاف ألّا يُستحسن ما يأتيه .

كما ذكر عن الفتح بن خاقان أنه كان مع المتوكّل فرمى المتوكل عصفوراً فأخطأه . فقال : أحسنت يا أمير المؤمنين ! فنظر إليه نظرة منكَرة . فقال : إلى الطائر حتى سَلِم؛ فضحك المتوكل .

وذُكِر لبعض وُلاة البصرة لما وليها حلاوة الجماز، وأن أكثرَ نوادره على الطعام، فأحضره ، وقُدمت المائدة ، فأتى ببنادرة فاخرة وأتبعها بأخرى فلم تُستملح . فقال : لعل الأمير أنكر بَرْدَ ماأتيت به ؟ وإنما احتذيت حَذْوَه فى تقديم البوارد قبل الحوارّ .

لا يطول كلامه فينحل نظامه

ولا يجبّ أن يكونَ كلما طال كلامه انحلّ نظامه ؛ بل يأتى فى آخر ما أحكمه بما يُنْسِى ما تقدمه ، وإلا كان كما ذكر الجاحظ : أنّ الرشيد أحب أن ينظر إلى شعيب القلّال كيف يعمل ؟ فأُدخل القصر ، وأُتِى بكل ما يحتاج إليه من آلةِ العمل ؛ فبينما هو يعمل إذ بصر بالرشيد فنهض قائماً . فقال له : دونك وما دُعِيت له ؛ فإنى لم آتك لتقومَ إلىّ ؛ بل لتعمل بين يدى . فقال : وأنا ـ أصلحك الله ـ لم آتك ليسوء أدبى ؛ وإنما أتيتُك لأزدادَ أدباً ؛ فأُعجب الرشيد به ، وقال له : بلغنى أنك إنما تعرّضت لى حين كسدت صناعتك ؟ فقال : يا سيدى ، وما كسادُ عملى فى خلال وجهك ! فضحك الرشيد حتى غطّى وجهه . وقال : ما رأيت انطقَ منه ولا أعيا منه ! ينبغى أن يكون أعقلَ الناس وأجهلَ الناس . وكذلك كان .

---

(١) الفدم : العيي عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم .

(٢) الهناء ، مثل كتاب : القطران . والنقب : الجرب أو القطع المتفرقة منه .

لا يعربها ولا يمططها

ويجب إذا حكى النادرةَ الظريفة ، والحكمة اللطيفة ، ألّا يُعرِبَها فتثقل ، ولا يُجَمْجِمها[١] فتجهل ، ولا يمططها فتبرد ، ولا يقطعها فتجمد . ولو أن قائلا حكى قول مزْيَد المدنى[٢] ، وقد أكل طعاماً فأثقله . فقيل له : تقيَّأه يذهب مابك . فقال: خبز نقى ، ولحم جَدْى ، والله لو وجدته قياً[٣] لأكلته[٤] . فلو أعطاه حقه من الإعراب فقال : خبز نقى ، ولحم جَدْى ، والله لو وجدته قيئاً لأكلته ، لخرج عن حدّه ، وأفلج من برده .

لا يلحن ما يحتاج إلى الإعراب

وكذلك لو ذهب بما يحتاجُ إلى الإعراب من كلام الفصحاء والأعراب إلى اللحن لاستغثّ واسترثّ . كما ذكروا أن الحجاجَ بعث إلى والى البصرة أن اخترْ لى من عندك عشرة فصحاء ، فاختار رجالا فيهم كثير بن أبى كثير ـ وكان عربياً فصيحاً ـ قال كثير : فقلت : بم أفلت من الحجاج ؟ ثم قلت فى نفسى: باللحن ؛ فلما دخلت عليه دعانى فقال: ما اسمُك؟ قلت: كثير. قال: ابنُ مَن؟ فقلت: إن قلت: «ابن أبو كثير» خِفْت أن يتجاوزها . فقلت : ابن أبا كثير . فقال : اذهب فعليك لعنة الله وعلى من بعث بك ، جرُّوا فى عنقه ! فأخرجت .

وقال رجل للحسن البصرى رحمه الله : ماتقولُ فى رجل مات وترك أبيه وأخيه؟ فقال : أغيلمة إنْ فهمْناهم لم يفهموا ، وإن علّمناهم لم يعلموا ، قل : ترك أباه وأخاه ، فقال له : فما لأباه وأخاه ؟ فقال الحسن : قل لأبيه ولأخيه ، قال : أرى كلما تابعتك خالفتنى .

ولكل صناعة آلة ، ولكل بضاعة حالة . وذمّ رجلٌ رجلا فقال : أقداحه محاجِم ودعواته ملاوم[٥] ، وكئوسُه مَحابِر ، ونوادره بوارد .

وقال الزبير : رؤى الغاضرى ينازعُ أشعب الطمع عند بعض الوُلاة . فقال : أيها

---

(١) يقال : جمجم الكتاب : لم يبين حروفه ، أو غيره وأفسده. (٢) عيون الأخبار : ١ ـ م ، وفى هامشه خلاف شديد فى هذا الاسم ، وارجع إلى تاج العروس مادة «زيد» فقد ضبط فيه كمحدث (٣) فى ط : قيئا . (٤) العبارة فى عيون الأخبار : قيل لمزيد المدينى ، وقد أكل طعاما كظه: قِئ . فقال : ماأقى أقى نقا ولحم جدى؟ مرتى طالق لو وجدت هذا قيا لأكلته . (٥) فى ط : ملايم

الأمير ، إنه يريدُ أن يدخل علىّ فى صناعتى ، ويشاركُنى فى بضاعتى ، وهيئته هيأة قاض ، والأمير يضحك .

وقال عمرو بن عثمان :

واشتياقى إلى أبى الخطاب وأحاديثه الرقاق العـذاب
وإشاراته التى استعارت حركاتِ المهجور عند العتاب

البعد عن الإطالة والإيجاز

ويجب على اللبيب المطرِب ألّا يطيل فيملّ ، ولا يقصر فيخلّ ، فللكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية ، قال[١] أحمد بن الطيب السرخسى تلميذ أحمد[٢] بن إسحاق الكندى : كنتُ يوماً عند العباس بن خالد ، وكان ممن حُبِّبَ إليه أن يتحدث ، فأقبل يحدثنى ، وينتقلُ من حديث إلى حديث ، وكان فى صَحْن منزله ، فلما بلغتنا الشمس انتقلنا من موضع إلى موضع آخر حتى صار الظلُّ فيئاً . فلما أَ كْثَرَ وأَضْجَر ، ومللتُ حسنَ الأدب فى حسن الاستماع ، وذكرت قول الأوزاعى : إنّ حسنَ الاستماع قوةٌ للمحدّث ، فقلت له : إذا كنتُ وأنا أسمع قد عيِيت مما لا كُلْفَة علىّ فيه ؛ فكيف بك وأنت المتكلم؟ فقال : إن الكلام يحلِّل الفُضُول الغليظة التى تعرض فى اللهَوات وأصل اللسان ، ومنابتِ الأسنان ؛ فوثبتُ وقلت : ما أرانى معك إلا أيارج الفيقرا[٣] إذ أنت تتغرغر[٤] بى منذ اليوم ، والله لا أجلِس ، واجتهد بى فلم أفعل .

وقال أحمد بن الطيب[١] : كنا مرّة عند بعض إخواننا ، فتكلّم فأعجبه من نفسه الكلام ، ومنا حُسْن الاستماع ، حتى أفرط ؛ فعرض لبعض مَنْ حضر مَلَلٌ ؛ فقال : إذا باركَ اللهُ فى شىء لم يَفْنَ ، وقد جعل الله فى حديث أَخينا هذه البركة .

وقال عبد الله بن سالم فى رجل كثير الكلام[١] :

---

(١) زهر الآداب : ١٥٩ . (٢) فى زهر الآداب : تلميذ يعقوب بن إسحاق . وفى بعض نسخه : تلميذ أبى يعقوب . (٣) فى ط : إلا أبايم العنقر . والتصحيح من زهر الآداب ، والأيارجة : معجون مسهل وجمعه أيارج معرب : إيارة وتفسيره الدواء الإلهى، والفيقر : الداهية .
(٤) فى ط : إذ أنت تتعرض، وهذا من زهر الآداب، والغرغرة: ترديد الماء فى الحلق كالتغرغر .

لى صاحبٌ فى حديثه بَرَكَهْ　　يزيدُ هذا[1] السكون والحركه

لو قال لا فى قليل أحْرُفِها　　لردّها بالحروف مشتَبِكه

والتحفّظُ فى هذا الباب من أكبر الأسباب ؛ لأن النادر والمهاتِر والمسامر قد تمرُّ له النادرةُ المضحكة ، والطيبة المحركة[2] ؛ فيستغرب المجلسُ ، وتطرب الأنفس ؛ فيدعوه ما استُحْسِنَ منه ، واستُنْدِر عنه . أن يعودَ إلى مثلها فينقص من حيث ظنّ أنه زاد ، ويفسد عليه ما أراد .

شىء من كلام ابن العميد فى التأديب الكلامى

وقد كتب أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد إلى أبى عبد الله الطبرى لمّا استحضره عضد الدولة للمنادمة : وقفت على ما وصفته من بِرِّ الأمير بك ، وتوفّره عليك، وليس العجبُ أن يتناهى مثلُه فى الكرم إلى أبعدِ غاياته ؛ وإنما العجبُ أن يقصر فى مساعيه عن نَيْلِ المجدِ كلّه ، وحيازة الفضل بأجمعه ؛ وقد رجوتُ أن يكونَ ما يغرسه أجدر غَرْسٍ بالزكاء ، وأضْمنه للرَّيْع[3] والنماء ؛ فارْعَ ذلك ، واركب فى الخدمة[4] طريقة تُبعِدك من الملال ، وتوسّطك فى الحضور بين الإكثار والإقلال، ولا تسترسلْ كلّ الاسترسال ؛ فلأن تُدْعَى من بعيد مرات، خيرٌ من أن تُقصى من قريب مرة . وليكن كلامك جواباً تتحرَّز فيه من الخطَلِ[5] والإسهاب ، ولا تُعجبَنّ بتأتّى كلمة محمودة ، فيلجّ بك الإطنابِ توقعاً لمثلها ، فربما هدمَتْ ما بَنَتْه الأولى .

وبضاعتك فى الشرب مزجاة، وبالعقل يزَمُّ اللسان ، ويلزَمُ السداد ؛ فلا تستفزنّك طربة الكرم على ما يفسد تميزك . والشفاعة لا تعرِضْ لها فإنها مخلقةٌ للجاه ، فإن اضطررتَ إليها فلا تهجم عليها حتى تعرفَ موقعَها ، وتطالع موضعها ، فإن وجدتَ النفس بالإجابة سمحة ، وإلى الإسعاف هشّة ، فأظهِرْ مافى نفسك غير محفّف[6] ؛ ولا توهم أنَّ فى الرد عليك ما يوحشك ، ولا فى المنع ما يغيظك . وليكن انطلاق

---

(١) فى زهر الآداب : يزيد عند السكون والحركة .　(٢) فى ط : المتحركة .

(٣) الريع : النماء .　(٤) فى ط : واركب الإكثار فى الخدمة .

(٥) الخطل : الكلام الفاسد الكثير .　(٦) حفف : أحاط .

وجهك إذا دُفِعت عن(١) حاجتك أكثر منه عند نجاحها على يدك ؛ ليخفّ كلامُك ولا يثقل على مستمعيه منك، أقول ماأقوله غير واعظ ولا مرشد ، فقد كمل الله خصالَك وفضّلك على كل حالك ، لـكن أُنبّه تنبيهَ المشارك ، واعلم للذكرى موقعاً لطيفاً .

وذكر لعبد الله بن طاهر رجل يَصْلُحُ للمنادمة ، فأحضره فأقبل يأتى بالأشياء فى غير مواضعها . فقال : ياهذا ، إمّا أقللت فضولك أو دخولك .

[الحاجة إلى الهزل]

وهذه النوادر أكرمك الله وإن وقع عليها اسمُ الهَزْل، وأسقطت من عين العقل، عند من لا يعلم مواقعَ الـكلم ، ولا يفهم مواضع الحـكم ، فليس ذلك بمروّجها ، ولا بمبهرجها(٢) عند أهل العقول وأُولِى التحصيل العارفين بمعاقد المعانى ، وقواعد المبانى، وهل يستندر من المغمورين والمشهورين ، ويستظرف من المغفلين والمعقَّلين(٣) ، إلّا ما خرج عن قَدْرِ أشكالهم ، وبَعُدَ من فـكر أمثالهم . وإنمـا يذكر ما يستظرف ، لخروجه عما يُعْرَف .

ومنها ما يدخلُ فى باب الطيب والاستندار . وقد قال الجاحظ : ليس شىء من الـكلام يسقط البتَّة ، فسخيفُ الألفاظ يحتاجُ إلى سخيف المعانى . وقد قيل : لـكل مقام مقال ، وقيل لبشار بن برد ، كم بين قولك :

أَمِنْ طلَلٍ بالجزْعِ لن يتكلّما وأقفر إلا أن ترى متذمما

فى نظائر هذه القصيدة من شعرك ، ومن قولك :

لَبَابةُ (٤) رَبّةُ البيتِ تبيعُ الخلَّ بالزيت
لهـا سَبْعُ دَجاجات وديكٌ حَسنُ الصوت

فقال : إنمـا القدرةُ على الشعر أن يوضع الجدّ والهزل فى موضعه ، ولبابة هذه

---

(١) فى ط : عند . (٢) البهرجة : أن يعدل بالشىء عن الجادة القاصدة إلى غيرها .
(٣) عقل ــ بالتشديد مثل عقل : أى صار عاقلا، من عقلاء . (٤) فى الموشح : ربابة. وحبابة

جارةٌ لى تنفعنى بما تبعث لى من بيض دجاجها ، وهـذا الشعر أحسن موضعا عندها من[1] :

* قفا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل *

ولما استقرت الخلافةُ للمعتز بالله شخص إليه أبو العبر من ولد عبد الصمد بن على فهنّأه بالخلافة وتعرّض لصلاته بالجد ، وهجا المستعين كما فعل البحترى فى قصيدته التى أولها[2] :

يُجَانِبُنا فى الحبّ من لا نُجانبهْ ... ويبعد منّا فى الهوى من نقاربُهْ

فلم يُقبلْ عليهـا ، فعمل أبو العبر قصيدة مزدوجة كلها هَزْل من غير تقويم ولا إعراب منها قوله :

أيا أحمد الرقيع * ومن أكلك الرجيع * أتنسى متى كان * نصيرك قهرمان * فيأتيك بالسويق * من السوق والدقيق * فصرت الآن فى الدار * على رتبة البزار * أما تعلم يا فار * بأن اللهَ يختار * ويعطى غيرك الملك * عزيزاً يركب الفلك *

وفيها ما لا يذكر من حماقات واختلال ، وبرد وانحلال ، وكلام مرذول ، غثّ مهزول ؛ فضحك المعتزّ منها ، وأمر له بألف دينار ، فألحّ على جعفر بن محمود الإسكافى فى الاقتضاء، وهو حينئذ وزير المعتز ، فألَّط[3] عليه . فقال له جعفر : عهدى ببنى هاشم يأخذون الصلاتِ بشرفهم وعلومهم وجدهم ، وأنت تأخذُ بالمحال والهزل ؛ فأنت عجيبٌ من بينهم !! فقال أبو العبر: صدقت أنا عجيب من بينهم كما أنت عجيب فى أهل إسكاف، كلهم نواصب وأنت من بينهم رافضى، وكان جعفر ينسب إلى ذلك . ثم أنشد أبو العبر قول جميل :

بثينة قالت يا جميـلُ أَرَبْتَنا ... فقلت كلانا يا بُثين مُرِيبُ

---

(١) لامرىء القيس . (٢) ديوانه : ١ـ٨٦ ، يمدح المعتز ويهجو المستعين .

(٣) فى ط : فألح عليه . وألط عليه حقه : جحده .

وأَرْيَبُنا من لايؤدّى أمانةً ومن لايفى بالعهدِ حين يغيبُ

فدفع إليه الألف دينار ، واستعفاه أن يعاوِدَ مثل هذا .

وكانت لأبى العبر مع موسى بن عبدالملك قصةٌ مثل هذه فى أيام المتوكل: رفع إليه كتابا بأرزاقه وأرزاقِ جماعةٍ من أهله ليوقّع فيه ويختمه ؛ فدافعه به موسى مدةً ، فوقف له يوما فلما ركب أنشده :

موسى إلى كم تَتَبَرَّدْ وكم وكم تتردَّدْ

موسىأَجِزْنى كتابى بحق ربك الأَسْوَد

يريد محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم ، والإمامية تزعم أنه إمام وقته ، فجزع موسى وسأله كَتْمَ ما كان عليه ومعاودة مثله .

وأنشد أبو عبادة الوليد بن عُبيد البحترى المتوكل قصيدته(١) :

من(٢) أى ثغرٍ تبتسمْ وبأى طرف تحتكِمْ

حسن يضنُّ بحسنه والحسنُ أَشبهُ بالكرمْ

أفديه من ظلمِ الوُشا ةِ وإن أساءَ وإن ظَلَمْ

وهى حلوة الروىّ ، مليحة العروض ، حسنةُ الطبع ، فكان البحترى فيه كِبر وإعجاب . فإذا أنشد . قال : ما لكم لا تَعجبون ، أما حَسَنٌ ما تسمعون ؟! فقام إليه أبو العنبس الصيمرى وقد قال ذلك فقال :

عن أى سَلْح تلتثِمْ وبأى كفٍّ تلتطمْ

ذقن الوليد البحترى أبى عبادة فى الرّحِمْ

أدخلت رأسك فى الرحم

فولَّى البحترى مغضَبا ، فقال أبو العنبس : وعلمت أَنك تنهزمْ .

---

(١) ديوانه : ١ـ٨ ، المعاهد : ١ ـ ٢٤١ ، الأغانى ١٨ ـ ١٧٣

(٢) فى الديوان : عن .

فضحك المتوكل حتى فحص برجليه وأمر بالجائزة لأبى العنبس .

وقد يحتاجُ العاقلُ المميز، والفاضل المبرّز ، إلى الهزل كاحتياجه إلى الجدّ، ويفتقر إلى الجور كافتقاره إلى القَصْد ؛ وعلم الفتى فى غير موضعه جهل .

وصحب الإمام محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه قوماً فى سفره فكان يجاريهم على أخلاقهم ، ويخالطهم فى أحوالهم ، وهم لايعرفونه ، فلما دخل مصر حضرُوا الجامع، فوجدوه يُفْتى فى حلالِ الله وحرامه ، ويَقْضِى فى شرائعه وأحكامه ، والناسُ مُطْرِقون لإجلاله ، فرآهم فاستدعاهم ، فلما انصرفوا سُئِل عنهم فأنشد :

وأنزلنى طولُ النوى دارَ غُرْبَة ... إذا شئتُ لاقيتُ امرءًا لاأشاكلُهْ
أحامِقُهُ[1] حتى يقال سجيَّة ... ولو كان ذا عقل لكنتُ أعاقِلُهْ

وقد يُخرج الفَطِن اللبيب ، وينتج الطَّبن[2] الأديب ، من الهَزْل السخيف ، غرائبَ الجد الشريف ، فالنار قد تلتظى من ناضرِ السلم .

ولما قال بشار بن برد[3] :

كأن فؤادَه كرة تَنَزَّى[4] ... حذارَ البَيْنِ لو نفع الحذارُ
جَفَتْ عينى عن التغميض حتى ... كأنّ جفونَها عنها قِصَارُ
يروِّعُه السرارُ بكل شىء ... مخافةَ أن يكون به السِّرَارُ

قيل له : من أين أخذتَ هـذا ؟ قال : من قول أشعب الطماع : ما رأيت اثنين يتسارَّان إلا ظننتهما يأمران لى بشىء .

ومَرَّ مزيد المدينى بجرَّة مغطاة ، فقال له بعض جيرانه : ماهذا ؟ فقال له : ياأحمق، فلِمَ سترناه !!

أخذه ابن الرومى ، فقال لمن سأله[5] : لم تلزم العمة ؟

---

(١) حامقته : ساعدته على حمقه . (٢) الطبن : الفطن . (٣) زهر الآداب : ٨٤٦ .
(٤) تنزى : تثب . (٥) زهر الآداب : ٢٥٨ .

يأيها السائلى لأخبره عنى لِم لا أزالُ[1] مُعْتَجِرا
أستر شيئاً لو كان يمكننى تعريفه السائلينَ ما سُتِرا

وكان ابن الرومى أَقْرَعَ الرأس ، وقد أَخبر بعلة ذلك فى قوله[2] :

تعممّت إحصانا لرأسى بُرْهةً من القرّ يوما والحَرُور إذا سَفَعْ
فلما دهى طولُ التعمم لِمَّتى فأَزْرى بها بعد الأصالة والفَرَعْ[3]
عزمت على لُبْس العمامة حيلةً لتستر ما جرَّت علىّ من الصَّلَعْ
فيا لك من جانٍ علىّ جنايةً جعلتُ إليه من جنايته الفَزَعْ
وأعجَب شَىء كان دائى جعلته دَوائى على عَمْدٍ[4] وأعجب بأن نفَعْ

[الهزل من الجد]

وقد يستجلَبُ من الجدِّيات الصريحة ، ظرائف الهزليات المليحة ، فقد قيل على وجه الذم : من حفر لأخيه حُفرة وقع فيها ، وقيل : من سلّ سيف البغى قتل به . وقال ابن المعتز فى الفصول القصار : لم يقع سيفُ حيلته إلاّ على مقاتله .
وأنشدوا لبعض الأعراب[5] :

رمانى بأمرٍ كنتُ منه ووالدى بريّا ومن جَالِ الطوىِّ رَمَانى

والذى أنشده سيبويه : ومن أجل . والجال والجول : الناحية . والطوىّ : البئر . يريد رمانى بما عاد عليه ضرّه وشره ، كمن يرمى من بئر فيعود رَمْيه عليه ، فانظر إلى هذا المعنى كيف أخذه عبادة المخنث لما نـكَب المتوكل محمد بن عبد الملك الزيات ورماه فى تنّور كان ابنُ الزيات اتَّخذه لابن أسباط المصرى ، وجعله كله مسامير ، فإذا وقف الواقفُ لم يقدر يتحرَّك إلى ناحيةٍ إلاَّ ضربته المسامير ، فلا يزالُ قائماً حتى

---

(١) فى زهر الآداب : لم لا أراك . (٢) ديوانه : ٤٥ ، زهر الآداب : ٢٥٨ .
(٣) فى زهر الآداب : فأورى بها بعد الإطالة والفرع . والفرع : تمام طول الشعر .
(٤) فى ط : عهد . (٥) اللسان — مادة جول . زهر الآداب : ٤٠٠ .

يموت . فاطلع عليه عبادة المخنّث فقال له : أردت أن تخبز فى هذا التنور ، فُخبزت فيه ، فضحك المتوكل . فقال عبادة : هذا يا أمير المؤمنين مثل رجل كان حفّاراً للقبور مات ، فمرّت به واحدة من أصحابنا فقالت : أما علمت أنه من حفر لأخيه حفرةً يسقط فيها .

[الظريف من الخطاب يخلص من الهلاك]

وكم ظريفة من الخِطَاب ومليحة من الجواب خلَّصَتْ من الهلاك من نُصبت له الأشراك ، وسلَّمَتْ من الحتوف من أُصلتت له السيوف :

الحجاج وأعرابى

قال الأصمعى : خرج الحجاجُ متصيّداً ، فوقف على أعرابى يَرْعَى إبلا وقد انقطع عن أصحابه ، فقال : يا أعرابى ، كيف سيرةُ أميركم الحجّاج ؟ فقال الأعرابى : غشوم ظلوم لا حيّاه الله ولا بيّاه . قال الحجاج : فلو شكوتموه إلى أمير المؤمنين ؟ فقال الأعرابى : هو أظلمُ منه وأَغشم ، عليه لعنةُ الله ! قال : فبينا هو كذلك إذ أحاطت به [جنوده][1] ، فأومأ إلى الأعرابى فأُخِذَ وحُمِل ، فلما صار معهم قال : مَنْ هذا ؟ قالوا: الأمير الحجاج ، فعلم أنه قد أُحيط به ، فحرّك دابّته حتى صار بالقُرْب منه ، فناداه أيها الأمير ، قال : ما تشاء يا أعرابى ؟ قال : أحبُّ أن يكون السرُّ الذى بينى وبينك مكتوما ؛ فضحك الحجاج وخلّى سبيله .

رجل يشتم الحجاج

وخرج مرة أخرى فلقى رجلا . فقال : كيف سيرةُ الحجاج فيكم ؟ فشتمه أَقْبَحَ من شَتْمِ الأول حتى أغضبه ، فقال : أتدرى من أنا ؟ قال : ومن عسيت أن تكون ؟ قال : أنا الحجاج ، قال : أو تدرى من أنا ؟ قال : ومَنْ أنت ؟ قال : أنا مولى بنى عامر ، أجنُّ فى الشهر مرتين هذه إحداهما . فضحك وتركه .

المهدى ورجل من أهل المدينة

وقدم المهدىُّ المدينةَ ، فخرج ليلةً إلى مسجد رسول الله ﷺ مستَخْفِيا ليصلّى ، فبينما هو كذلك إذ جاء مدنى فقام إلى جانبه يصلِّى ، فلما قضى صلاته قال للمدنى :

---

(١) ليست فى ط .

أَقدمَ خليفتكُم ؟ قال : نعم ! فعل الله به وفعل وأَراحنا منه ، وجعل يدعو على المهدى وانصرف ؛ فدخل عليه الربيعُ ؛ فقال : يا ربيع ؛ جلس إلَى جانبى البارحة مدنى فما ترك دعاءً إلا وَدعا به علىّ . فقال : أتعرفه ؟ قال : نعم ، إذا رأيته ! ثم ركب المهدى واجتمع أهلُ المدينة ينظرون ، فوقعت عينهُ على الرجل ؛ فقال : يا ربيعُ ؛ ألا ترى الرجلَ الذى صِفَتُه كذا وكذا ! هو ذاك صاحبى ، فأمر به الربيع فأُخذ ، فلما رجع المهدى دَعا به . فقال : يا هذا ، هل أسأتُ إليك قط ؟ [قال][1] : لا ؛ قال : فهل لك مظلمة تطالبنى بها ؟ قال : لا ، قال : فما دعاؤُك علىّ حين صليت إلى جانبى ؟ فقال المدنى : فديتك والله ! وعِتْق ما أملك ؛ وامرأتى طالق إن لم أكن أغيّر كنيتى فى اليوم مرتين وثلاثا للملال . فضحك المهدى وأَحسنَ صلته .

تخلص

وخرج ابن أحمد المدنى أيام العصبية [إلى][1] أذربيجان ، فلقيَه فرسان ، فسُقِط فى يده ، فقال : الساعة يسألوننى مَنْ أنا ؟ وأخاف أن أقولَ مضرىّ وهم يمانية ، أو يمانى وهم مضرية فيقتلوننى ؛ فقرُبوا منه ، وقالوا : يا فتى ، ممَّنْ أنت ؟ قال : ولد زنا ، عافاكم الله ! فضحكوا منه ، وأعطَوْه الأمان ، فأخبرهم بنفسه ، فأرسلوا معه من يوصّله إلى مقصده .

من يشبه أبا جعفر

وخرج الربيعُ من عند أبى جعفر عبد الله المنصور فقال : أمير المؤمنين يسألُ من يعرف مَنْ يُشبهه من خلفاء بنى أمية أن يذكرَ ما عنده ، فقال أبو بكر بن عياش المنتوف : أنا أَعرف ذلك ، ولكن لا أقولُ إلاَّ مشافهة ، فدخل ثم خرج فقال : أميرُ المؤمنين يقولُ لك : قد علمت أنك إنما تطلبُ الدخولَ لتتوسَّلَ إلى أموالنا ، فادخل . فدخل فقال له : من أُشْبِهُ من خلفاء بنى أمية ؟ فقال : عبد الملك بن مروان . قال : كيف قلت ذلك ؟ قال : لأنَّ أولَ اسمك عين وهو أولُ اسمِه عين ، وأول اسم أبيه ميم ، وأول اسم أبيك ميم ، وقتل ثلاثة أَوَّلُ أسمائهم عين وكذلك أنت ، قال : ومَنْ قتل ؟ قال : عبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ،

---

(١) ليست فى ط .

وعمرو بن سعيد بن العاص ، وقتلت يا أمير المؤمنين عبد الرحمن بن مسلم ـ يريد أبا مسلم الخراسانى ـ وعبد الجبار بن عبد الرحمن الخارجى ، قال : وأردت أن أقولَ ، وقتلت عبدالله بن على عمّك ، فعرفت أنه يكرهُ ذلك ؛ لأنه أسقط عليه البيتَ الذى كان فيه ، وادّعى أنّ البيت سقط ، وقد كان عيسى بن موسى يُسام فى نَزْعِ البيعة ، وهو مضيَّقٌ عليه ، فقلت : وسقط الحائط على عبد الله بن على . قال : فالحائط سقط عليه فما علينا ؟ فقلت : لا شىء يا أمير المؤمنين . وها هنا حائط آخر مائل على عين أخرى وهو عيسى بن موسى إن لم تَدْعَموه بفَضْلكم خِفْت أن يسقط . فضحك ثم قال : أولى لك .

المأمون والأعرابى

وخرج المأمون منفردا فإذا بأعرابى فسلَّم عليه . فقال : ما أقدمك يا أعرابى ؟ قال : الرجاء لهذا الخليفة ، وقد قلت أبياتا أستَمْطِرُ بها فضلَه ، قال : أنشدنيها ، قال : يا ركيك ، أو يحسن أن أنشِدَك ما أنشد الملوكَ ؟ فقال : يا أعرابى ، إنك لن تصلَ إليه ولن تقدِرَ مع امتناع أبوابه وشدة حُجَّابِه ، ولكن هل لك أن تَنْحَلنيها[1] ، وهذه ألفُ دينار فخذها وانصرف ودَعْنى أتوسّل ، لعلى أتوصل ؟ قال : لقد رضيت ، فبينما هما فى المراجعة إذ أَحْدَقت الخيل به وسلّم عليه بالخلافة ، فعلم الأعرابى أنه قد وقع ، فقال الأعرابى: يا أميرَ المؤمنين؛ أتحفظ من لغات اليمن شيئاً ؟ قال : نعم ! قال : فمن يُبدلُ القاف كافا ؟ قال : بنو الحارث بن كعب ، قال : لعنها الله من لغةٍ لا أعودُ إليها بعد اليوم . فضحك المأمون وأمر له بألف دينار .

غناء غير موفق

وغنّى مخارق بحضرة المأمون أبيات مسكين الدارمى وذهب عنه معناها وفيمَنْ قيلت ، وهى :

على الطائرِ الميمونِ والسعدِ إنَّه ... لكل أناسٍ أنجمٌ وسعودُ
ألا ليتَ شعرى ما يقول ابنُ عامر ... ومروان أم ماذا يقولُ سعيدُ
إذا المنبر الغربىّ خلَّى مكانه ... فَإنَّ أميرَ المؤمنين يزيدُ

(١) نحله القول كمنعه : نسبه إليه .

وابن عامر هو عبد الله بن عامر[1] بن كريز ، ومروان بن الحكم بن أبى العاص ، وسعيد بن العاص ، وهؤلاء شيوخُ بنى أمية والمترشحون للخلافة بعد معاوية ، وعمرو بن سعيد بن العاص هو الأشدق ، وطلب الخروج على عبد الملك ابن مروان فقتله . فلما بلغ مخارق إلى آخر البيت الأخير وهمّ أن يقول يزيد استيقظ ، فقال : مخارق ، فضحك المأمونُ وقال : لو قلت « يزيد » ما عشْتَ .

[الملح تصرف المخاوف وتنقذ الملهوف]

بين عبد الله ابن جعفر ويزيد

وكم صرفت الملح من مخوف ، وأنقذت من ملهوف . قال عيسى بن يزيد بن دأب[2] : أرسل يزيدُ بن معاوية إلى عبد الله بن جعفر فى جاريةٍ له مغنّية يسألُه إياها ؛ فقال له الرسول : أميرُ المؤمنين يقرِئك السلام ويقول لك : فلانة أعجبتنى ، ويجب أن تُؤْثرنى بها . فقال عبد الله لمولاه بديح المليح : أى شىء يقول ؟ قال بديح: فقلت له : يقرئك السلام ، ويقول : كيف بتّ فى ليلتك هذه ؟ قال : يقول عبد الله : أقرىء أمير المؤمنين السلام . فقال الرسول : ليس كذا قلت ولا له جئت . فقال : ما يقولُ ؟ فأعاد بديح القول ، فخرج الرسولُ مغضَباً ومضى إلى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ، بلَّغت ابنَ جعفر رسالتَك وإلى جنبه رجل مجنون ما أدرى كيف هو يحكى خلافَ ما أَقول ! فقال : علىَّ به ، قال بديح : فذُهب بى إليه ، فلما دخلت شتمنى وقال : تصنعُ هذا ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، متى عهدُك بابن جعفر لا يسمع ؟ إقباله علىّ يسألنى منعٌ لجاريته وبخل بها ؛ كره أن يعطيكها لمحبته لها فما ذَنْبى أنا ؟! فضحك يزيد وقال : لعل الشيخ ضَنِينٌ بجاريته .

المأمون يحرم الغناء

وكان المأمون قد حرَّم الغناء وشدّد فيه فلقى علىُّ بن هشام إسحاق بن إبراهيم الموصلى على الجسر، فقال إسحاق لعلى بكلام يخفيه : قد زارتنى اليوم فلانة ، وهى أطيبُ

---

(١) أمير فاتح ولد بمكة وولى البصرة فى أيام عثمان . وتوفى سنة ٥٩ هـ .

(٢) خطيب شاعر عالم بالأنساب ، راوية من أهل الحجاز ، له أخبار مع المهدى العباسى ، وحظى عند الهادى حظوة لم تكن لأحد، توفى سنة ١٧١ هـ .

الناس غناء ، فبحياتى إلّا كنتَ اليوم عندى . فوعده بالحضور وتفرّقا ، وإذا بطفيلىّ يسمعُ كلامَهما فمضى من وَقْتِهِ ، فلبس ثياباً حسنة ؛ واستعار مِنْ بعض إخوانه بغلة فَارِهة[1] بسرجها ولجامها ، فركبها وأتى باب علىّ بن هشام بعد أن نزل من الركوب بساعة ، فقال للحاجب: عرِّف الأمير أن رسولَ صاحبه إسحاق بن إبراهيم بالباب؛ فدخل الحاجب وخرج مسرعاً وقال: ادخل جعلت فداك ، فدخل على علىّ فرحّب به ، فقال له : يا سيدى يقولُ لك أخوك : تعلم ما اتفقنا عليه فلِمَ تأخّرت عنى ؟ فقال له : الساعة وحياتك نزلت من الركوب ، والساعة أُغيّر ثيابى وأوافيه ، فاستوى على دابته ووافى منزل إسحاق ؛ فقال للحاجب : عرّف الأمير أنى رسولُ علىّ بن هشام ؛ فدخل الحاجب وخرج فقال : ادخل ! جعلنى الله فداك ؛ فدخل فسلّم وقال : أخوك يقرئك السلام ويقول لك : الساعة نزلت من الركوب ، وقد غيّرْتُ ثيابى وتأهّبت للمسير فما ترى ؟ فقال قل له : ياسيدى قتلتنا جوعاً ، فبحياتى إلّا ماحضرت . فرجع إلى باب علىّ وقال للحاجب : تعرّفه أن الأميرَ أمرنى ألّا أبرح أو يجىء معى .

فغير علىّ بن هشام ثيابه ، وركب دابّته ، وتبعه الطفيلىّ حتى نزل بباب إسحاق ابن إبراهيم ، ونزل الطفيلى معه ، ودخلا جميعاً فسلّما وجلسا ، وجىء بالطعام فأكلوا، وإسحاقُ لا يشكّ أنه أخصّ الناس بعلى ، وعلىّ لايشك أنه أخصّ الناس بإسحاق، ثم غسلوا أيديهم وقدموا الشراب ، وخرجت جارية من أحسن الناس وجهاً وزياً ، فجلست وأُتيت بعود ، فغنّت أحسن غناء ، ودارت الأقداح فلم يزالوا على ذلك إلى بعد العصر ، وأخذ الطفيلى البول حتى كادَ يأتى على ثيابه فصبرَ جهده ؛ فلما عِيل صبره قام فدخل الخلاء ، فقال على لإسحاق : يا سيدى ، ما أخفَّ روح هذا الفتى وأحلى نوادره ! فمن أَين وقع لك ؟ قال : أو ليس هو صاحبك ؟! قال : لا وحياتك ولا رأيته قبل يومى هــذا ، قال : فإنه جاءنى برسالتك وقصّ قصته ؛ وقصّ إسحاق مثلها ،

---

(١) الفاره : الحاذق .

وداخلَه من الغيظ مالم يملِكْ معه نفسه ؛ وقال : طفيلي يستجرِئ[1] عليّ وعلى النظر إلى حرَمِي والدخول إلى داري ! يا غلمان : السياط والعقابين ، المقارع والجلادين . فقامت في الدار جلَبة ، وأحضروا جميع ذلك ، والطفيليّ يسمعُ وهو في الخلاء ، ثم إنه خرج رافعاً ثيابَه غير مكترثٍ بما فعلوه ، وهو مقبل على تِكَّةِ[2] لباسه يشدّها ، ويتمشّى في صحن الدار وهو يقول : جُعِلت فِداكَ ! إيش بقى من جهدكَ ! فهل عرفتني مع هذا كلّه ؟

فقال إسحاق : ومن أنت ؟ فقال : أنا صاحبُ خبرِ أمير المؤمنين ، وعينُه على سرّه ، والله لولا تحرّمي بطعامك ومُمالحتي[3] لتركتكما في عمى من أمرى حتى كنت تعرف عاقبةَ حالك وإقدامك على مافيه هلاكُك وفسادُ أمركَ !

فقام إليه إسحاق وعليّ يَسْكِتانه وقالا له : ياهذا ، إننا لم نعرفك ولم نعلَمْ حالك، ولك الفضلُ علينا ، وأنت المحسِنُ المجمل إلينا ؛ ولكن تمّم إحسانك بسترك ما نحن عليه .

ثم قال إسحاق: ياغلام ، الخِلَع ! فأتى بثياب فاخرة فصُبّت عليه ، وتقدم بإسراج دابة هِمْلاج[4] بسرج مخفف ولجام حسن ؛ ولم يزالا به حتى طابَتْ نفسُه ووعدهما كتمانَ أمرهما ، وحضر وقتُ الانصراف فودّعهما وانصرف، فأتبعه إسحاقُ بخادمه معه صُرَّةٌ فيها ثلاثمائة دينار ، فأخذها وركب الدابة ومضى .

فلما كان من الغد دخل عليّ بن هشام على المأمون . فقال : يا عليّ ؛ كيف كان خبرُكَ أمس ؟ على حسب مايجرى السؤال عنه ــ فتغيّر لونه ، ولم يشكّ في أنّ الحديث رُفِعَ إليه ؛ فأكبَّ على البساط يقبّله وقال : يا أمير المؤمنين، العفو . يا أميرالمؤمنين، الأمان . قال : لك الأمان . فأخبره بالقصة من أولها إلى آخرها . فضحك المأمون

---

(١) استجرأ مثل اجترأ . (٢) التكة : رباط السراويل .

(٣) المالحة : المواكلة . (٤) الهملاج : من البرازين واحد الهماليج . ومشيها الهملجة . والهملجة والهملاج : حسن سير الدابة في سرعة .

حتى كاد يُغشَى عليه ، وقال : ما فى الدنيا أَمْلَحُ من هـذا . ووجّه خَلْفَ إسحاق ، فلما حضر قال : هيه يا إسحاق ؟ كيف كان خبرك أمس ؟ فأخبره بخبر عليّ بن هشام والمأمونُ يضحك . ثم قال: يا إسحاق؛ بحياتى اطلب الرجل وجئنى به ، فلم يزَلْ يطلبه حتى وجده ، فـكان أحدَ ندماء المأمون .

ظريف يسترد أمواله

ولما ظفر سليمان بن حسن الجنابى[1] يوم الهبير بالحُجَّاج وقتلهم فأخذ أموالهم كان فى جملة ما أخذ أحمالٌ فيها من رفيع البزّ والثّقَل[2] وظريف الوَشْى والمُصْمَت[3] ما أعجبه وأبهته . فقال : عليّ بصاحب هـذه الأحمال . قال صاحبها : فأتيته فقال : ما منعك أن يكونَ ما جئت به أ كثرَ من هـذا ؟ فقلت : لو علمت أن السوقَ بهذا النفاق لفعلت ، فاستظرفنى ودفع إلىّ مالًا وجميعَ ما أخذ لى، وأرسل معى من يحفظنى حتى وصلت .

وكان أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات الوزير المعروف بابن خِنْزابة ـ[4] وخنزابة : أمه رومية ، ولها من العقل والحزم مانوّه باسمها ـ قد اقتطع فى أيام الإخشيد قيمة مائة ألف دينار فى أمورٍ تولّاها له ، فحاسب أبا زكريا النصرانى ، المعروف بجبوسة ، وكان على الخراج ، فألزمه عشرة آلاف دينار وطالبه بها ، فقال : أعزَّ الله الأمير ! وهل قامت علىّ حجةٌ يلزمنى بهـا الأداء ؟ قال : هو ما أقولُ لك يالصّ ! فقال : إنما هو لصيص ، فضحك وتركه .

[الملح تبلّغ المطالب وترفع من لا قدم لقومه]

وكم أفادَتْ[5] من الرغائب ، وبلغت من المطالب ، ورفعَتْ من لا قدم لقومه ، ولا أمس ليومه .

---

(١) فى الأصل : الحنانى مهملة، من الأعجام وهو كبير القرامطة ، خارجى طاغية جبار نسبته إلى جنابه من بلاد الفرس . هاجم البصرة فى سنة ٣١١ هـ . وعاث فيها وانتهب الكوفة ، وأغار على مكة يوم التروية ، فقتل الحجيج وهم محرومون . (٢) كل شىء نفيس فهو ثقل ، وفى ط : مثقل.

(٣) ثوب مصمت : لونه لون واحد لا يخالطه لون آخر .

(٤) ترجم له فى الأدباء ٧ ـ ١٦٣ . (٥) هى الملح .

بضاعة الـكذب .

كما حكى أبو الحسن المدائنى قال : كان بالبصرة ثلاثة إخوان يتعاشرون ولا يفترقون ؛ اثنان شاعران والآخر منجّم لايُحسِنُ شيئا ، ففنى ما بأيديهم، فخرج الشاعران إلى بغداد ، فمدحا مَنْ كان بهامن الأشراف ؛ فرجعا وقداعتقدا [١] أموالا نفيسة ، وبقى صاحبهما فى فقره ؛ فقالا له : لو ذهبت فتَسبَّبْت [٢] ؟ فقال: مالى صناعة ولا عندى بضاعة . فقالا : على كل حال معك ظرف ولك لطف .

فخرج إلى بغداد واتّصل بيقطين بن موسى وقال : ماأتيت إليك بشىء ، غير أنى أكذبُ الناس ، فضحك وخفَّ [٣] على قلبه ؛ فـكان فى جملة حاشيته .

فغضب المهدى على عبد الله بن مالك الخزاعى ؛ فأتاه الرجل وهو من المهدى فى أشدّ السخط ، وقد ألزمه دارَه ؛ فقال للحاجب : استأذِنْ على الأمير ، وقل له : رسولُ الأمير يقطين بالباب ، فدخل وخرج له بالإذن فدخل . وقال : الأميرُ يقولُ لك : اليوم كنتُ عند أمير المؤمنين فذكَّرتُه سالِفَ حقوقك وقديمَ خدمتك ؛ فعفا عنك ، وأمرك بالركوب غدا ليخلعَ عليك ويجدِّد الرضا عنك بمحضر الناس .

فَسُرَّ عبدُالله بذلك، ودفع إلى الرجل مالًا ، وبكّر إلى دار المهدى، فاستأذن عليه. فلما دخل قال : ماجاء بك ؟ قبّحك الله ! وقد أمرناك بلزوم دارك ؟ قال : أو مارضيتَ عنى ياأمير المؤمنين ، وأمرت يقطينا بإحضارى ؟ فقال : إذا لارضى الله عنى ، ولا خطر هذا بقلبى . قال : فرسولُه أتانى بذلك . قال : علىّ بيقطين : فأتى به فقال : أتـكذب علىّ وتحكى علىّ مالم أقلْه ؟ قال : وما ذاك ياأمير المؤمنين ؟ قال : زعمتَ أنى رضيتُ عن هذا . فقال يقطين : وأيمان البيعة ياأمير المؤمنين إن كنت سمعتُ بشىء من هذا أو قلتُه . قال عبد الله : بل أتانى رسولُك فلان . فبعث خَلْفَ الرجل بحضرة المهدى ، فلما حضر قال : ماهذا الذى فعلت ؟ قال : ياسيدى ، هذا بعضُ ذلك [٤]

---

(١) اعتقد مالا : اقتناه . (٢) السبب كل شىء يتوصل به إلى غيره ، وقد تسبب إليه .

(٣) فى ط : وغم . (٤) يشير إلى قوله عند أول اتصاله به : ماأتيت إليك بشىء غير أنى أكذب الناس .

المتاع ، بدأت فى نَشْرِهِ خوفا عليه من السوس . فقال المهدى : مايقول ؟ فأخبره يقطين بأولِ أمرِه معه ، فضحك المهدى وجدد الرضا عن عبد الله بن مالك ، ووصل الرجلَ بصلة جزيلة ، ووصله عبد الله بأوفر صلة ؛ فانصرف إلى صاحبيه واسع النعمة عظيم المال .

[حاجة أهل الأدب إلى ظريف المضحكات]

وهل يستغنى أهلُ الأدب وأولو الأرب [١] عن معرفة ظريف المضحكات ، وشريف المفاكهات ، إذا لاطفوا ظريفا ، أو مازحوا شريفا ؟ فقد قال الأصمعى : بالعلم وصلنا وبالملح نلنا .

وروى [٢] أبو هفّان قال : دخل أبو نواس على يحيى بن خالد فقال له : ياأبا على ؛ أنشدنى بعضِ ماقلت ؛ فأنشده :

كم من حديث مُعْجِب لى عندكا لو قد نبذت به إليك لسركا
إنى أنا الرجلُ الحكيمُ بطَبْعه ويزيدُ فى علمى حكايةُ من حَكَى
أتتبَّعُ الظرفاء أكتب عنهم كيما أحدث من أحِبُّ فيضحكا

فقال له يحيى : ياأبا على ؛ إن زندك ليورى بأوَّلِ قَدْحَة . فقال : ارتجالا فى معنى قول يحيى [٣] :

أما وزَنْدُ أبى علىّ إنه زَنْدٌ إذا استوريْتَ سهل قَدْ حَكَى
إنَّ الإله لِعلْمِه بعبادِه قدصاغ جدَّك للسماح ومَزْحَكَا [٤]
تأبَى الصنائعَ همَّتى وقريحتى من أهلها وتعافُ إلاَّ منحكا [٥]

وحضر الجمازُ مع أبى نواس مجلسَ قينة ، فأقبل الجماز يمالحها ويمازِحُها وأبو نواس ساكت ؛ فمالت إليه ، فقال الجماز :

---

(١) الأرب : العقل والدين . (٢) زهر الآداب : ١٦٢ . (٣) زهر الآداب : ١٦٣ .
(٤) فى زهر الآداب : ومنحكا . (٥) فى زهر الآداب : إلا مدحكا .

أبو نواس جذره شعره ... وجذرنا حسن الحكايات

فجذرنا أَكثرُ من جذره ... مدًّا على أَهْلِ المرُوءَات

فقال أبو نواس :

صدقت لا ننكر هذا كما ... أمك رأس فى المناحات

فأقبلت القَيْنَةَ على أبى نواس وغنَّت ، فقال لها الجماز : ماسمعت والله أحسن من هذا ، فقال أبو نواس : ولا نواح أُمك إلا أن يكونَ عليك فإنه والله أحسن . وكانا يصطبحان وهما حدثان ، وأمه أذين [١] النائحة وله يقول أبو نواس :

اسقنى يابن أذينٍ ... من سُلاَفِ الزَّرَجُونِ [٢]

وقال أبو ذؤيب فى الملح [٣] :

وسِرْبٍ يُطَلَّى بالعبير [٤] كأنه ... دماءُ ظِباءٍ بالنُّحور ذَبِيحُ

بذلتَ لهنّ القولَ إنك واجدٌ ... لِماَ شئته [٥] حلو الكلام مليحُ

فأمكَنَّه مِمّا يقول [٦] وبعضُهم ... شقى لدى خيراتهن نطِيحُ [٧]

يريد أن الملاحة نفعته عندهن حتى أمكنه مما يريد .

وقال أعرابى [٨] :

ألا زعمت عفراء بالشام أننى ... غلام جَوَارٍ لاغلام حروب

وإنى لأهدى بالأوانس كالدمى ... وإنى بأطراف القنا للعوبُ

وإنى على ما كان من عنجهيَّتى ... ولُوثَةِ أعرابيتى لأدِيبُ [٩]

كأنّ الأدبَ غريبة عند العرب [١٠] ؛ فافتخر بما عنده منه ، وأنه يرجو به القُرْبى ويأمل به الزُّلْفَى .

---

(١) ابن أذين : نديم لأبى نواس ، كما فى القاموس . (٢) الزرجون — محركة : الخمر والكرم أو قضبانها . (٣) ديوان الهذليين : ١١٧ . (٤) فى ط : تطلى . والسرب : القطيع من النساء والظباء . والعبير : أخلاط من الطيب . (٥) فى ديوان الهذليين : لما شئت من حلو . (٦) فى ديوان الهذليين : مما يريد . (٧) فى ط : جيرانهن يطيح . (٨) زهر الآداب : ٣ ٤٠ . (٩) العنجهية : الكبر . واللوثة : الحمق ومس الجنون . (١٠) عبارة زهر الآداب : كأن الأدب غريب من الأعراب .

[من فقدت مؤانسته ثقل ظلّه]

ورب مجلس فضَّ فيه ختام النشاط ، ونُشِر بساط الانبساط ، وفيه بغيض لا يفيض بقدح فى مزح ، قد ثَقُل ظِلُّه ، وركد نسيمُه ، وجمد هواه ، وغارت نجومه ؛ فاستثقله من حضر ، وعاد صفوهم إلى كدَر ، وأنكرت مجالسته ؛ إذ فقدت مؤانسته ، ولو كانت له دراية ، أو معه رواية ، أو عنده حكاية ، ما كان كما قال الشاعر (١) :

مشتَمِل بالبُغْضِ لا تَنْثَنِى إليه بغضاً (٢) لَحْظَةُ الرَّامِقِ
يظلُّ فى مجلسنا جالسا (٣) أثقل من واشٍ على عاشقِ

ولا كما قال الحمدونى لبعض الثقلاء (٤) :

سألتك بالله إلّا صدقْتَ وعِلْمى بأنك لا تصدقُ
أتُبْغِضُ نفسَك من بغضها (٥) وإلاَّ فأنت إذاً أحمقُ

وقال أبو على العتّابى (٦) : حدثنى الحمدونى قال : بعث إلى أحمد بن حرب المهلبى فى غداة السماء فيها مغيمة ، فأتيته والمائدةُ مغطّاة موضوعة وقد وافَتْ عجاب المغنية قبلى ، فأكلنا جميعاً وجلسنا على شرابنا ، فما راعنا إلّا داقّ يقرع الباب . فأتاه الغلام فقال : بالباب [فلان . فقال لى : إنه] (٧) فتى ظريف من آل المهلب ؛ فقلت : مانريد غيرَ مانحن فيه ، فأذن له ، فجاء (٨) يخطو وقدّامى قدح فيه شراب فكسره ، وإذا رجل آدم أَدْلَمَ (٩) ضخم ، فتكلم فإذا به أعيا (١٠) الناس ، وتخطى وجلس بينى وبين عجاب ، فدعوت بداوة وقرطاس وكتبت :

كدَّر اللهُ عيشَ من كدّر العيـ ـش وقد كان سائغاً مستطابا

---

(١) زهر الآداب : ٤٤٢ . (٢) فى زهر الآداب : إليه لحظا مقلة الرامق .
(٣) فى زهر الآداب : قاعدا . (٤) الرجع السابق . (٥) فى زهر الآداب : من ثقلها .
(٦) زهر الآداب : ١٠٤٥ . (٧) من زهر الآداب . (٨) فى زهر الآن : يتبختر .
(٩) الأدلم : الآدم ، والشديد السواد منا . (١٠) فى ط : عياء دون .

جاءنا والسماء تؤذن[1] بالغيث وقد طابق السماعُ الشرابا
كسر الكأسَ وهى كالكوكب الدرّى ضمّتْ من المدام لُعَابا
قلت لما رُميتُ منه بما أكره والدّهر ماأفادَ أصابا
عجّل اللهُ غارةً لابنِ حَرْب تدعُ الدارَ بعد شَهْرٍ خرابا

ودفعت الرقعة إلى أحمد ، فقرأها وقال : ويحك ! هلا نفست ؟ فقلت : بعد حول ؟ قال : قلت : إنما أردت أن أقولَ بعديوم ، ولكن خفت أن تلحقنى مضرّته . وفطن الثقيل فنهض ، فقال لى : آذيته ، فقلت : بل هو آذانى .

وهذا لعمرى وإن أساءَ فى قدومه وإقدامه ، فقد أحسن فى نهوضه وقيامه ، وقد قال الشاعر :

ولما تخوفت ولا لوم أن تدبر من ودّك بالمقبل
أقللت من إتيانكم إنّه من خاف أَنْ يثقلَ لم يَثْقل

وكان يجالس أبا عبيدة معمر بن المثنى رجل ثقيل اسمه زنباع ، فكان كالشّجا[2] المعترض فى حلقه يتناكده[3] ويسيء[4] خلقه ؛ فلا يتكلم أبو عبيدة بكلمة إلاّ عارضه بكثرة جهله ، وقلّةِ عقله. فقال رجل لأبى عبيدة : ممّ اشْتُقَّت الزنبعة فى كلام العرب ؟ فقال : من التثاقل والتباغض ، ومنه سمى جليسنا هذا زنباعا.

وامتُحن أبو عبد الرحمن العتبى بمثلِ ذلك من رجل ، فلما طال عليه أنشده :

أما والذى نادى من الطور[5] عَبْدَه وأنزل فرْقَانًا وأَوحى إلى النَّحْلِ
لقد ولدَتْ حوّاء منك بليّة علىّ أقاسيها وثقلا من الثقل

وانحدر خالدُ بن صفوان مع بلال بن أبى بردة إلى البصرة ، فلما اقتربا من البَطِيحة[6] قال بلال لخالد : أتستثقلُ عكابةَ النميرىّ ؟ قال : كدت والله أيها الأمير

---

(١) فى زهر الآداب : تهطل بالغيث . (٢) الشجا : مااعترض فى الحلق من عظم ونحوه .
(٣) تناكدوا: تعاسروا . (٤) فى ط : ويسوء . (٥) الطور : جبل قرب أيلة يضاف إلى سينا . (٦) البطيحة : ماء مستنقع لايرى طرفاه من سعة مابين واسط والبصرة ، وهو مفيض دجلة والفرات .

تصدع قلبي ؛ حين دنونا من آجام البَطِيحة ، وعكر البصرة ، وغثاء البَحْر ، ذكرت لى رجلا هو أثقل على قلبي من شرب الأَيارج (١) بماء البحر بعَقب التخمة ، وساعة الحجامة .

وكان عكابة بن غيلة هذا أَهوج جاهلا ، ودخل على بلال فرأى ثوراً مجلّلاً ناحية الدار فقال : ماأفره هذا البغل إلاَّ أَنَّ حوافره مشققة .

وترك بعضُ الظرفاء النبيـذ ، فتحاماه معاشروه خوفاً أَن يكونَ ما أحدث من الترك دعاه إلى زيادةِ النسك ، وأوجب له الانقباض والإعراض عما كانوا معه فيه يفيضون ويخوضون فقال(٢) :

تحامَوْنى لتركى شُرْبَ رَاح ... وقالوا يشربُ الماءَ القراحا(٣)

وما انفردُوا بها(٤) دونى لفَضْلٍ ... إذا ما كنت أكثرهم مُزَاحا

وأرقصهم على وَتَر وصَنْج ... وأظـرفهم وألطفهم مراحا

إذا شقّوا الجيوبَ شققت جَيْبى ... وإنْ صاحوا علوتُهم صياحا

[الفكاهة من أسباب الاقتراب]

وقال الفتح بن خاقان : ما رأيتُ أَحلَى من ابن أبى دُوَاد ، كنت يوماً ألاعب المتوكل الشطرنج فاستؤذن له ، وهو يومئذ قاضى القضاة ، لم يتغيّر عما كان عليه أيام الواثق بعْد ، وله جلالةُ الشرف والعلم ؛ فأمرنا بعض الغلمان برَفْعِها استحياء منه ، فقال له المتوكل : والله ما تُرْفع ، وما كنت لأَستتر من ابن أبى دُوَاد بشيء لا أستتر به من الله عزّ وجل ؛ فدخل وهى بين أيدينا ، فقال له المتوكل : أيها القاضى ؛ إن الفتح استحيا منك ، فأراد رَفْع الشطرنج ، فقال : ما استحيا منى ؛ إنما كره أن أعلم عليه ، فاستحلاه المتوكل ، وخفَّ على قلبه .

---

(١) الإيارجة ــ بالكسر وفتح الراء : معجون مسهل وجمعه أيارج ، معرب ، وتفسيره الدواء الإلهى . (٢) زهر الآداب : ٤٤٤ . (٣) القراح: الماء الخالص . وفى زهر الآداب: أقمت مكانها الماء القراحا. (٤) فى ط : بما دونى .

ورب مستثقل ازورّ له الجناب ، وطال به الاجتناب ، كانت له الفكاهة من أسباب الاقتراب . وذكر أن رَوْح[١] بن زِنْبَاع بَعُدَ ما بينه وبين عبد الملك بن مروان حتى استثقل جانبه ؛ وأَحَسَّ رَوْح منه التغير ؛ فقال لبعض جلساء عبد الملك : إذا حضرنا مجلسَ الأُنْسِ عند أمير المؤمنين فسَلْنى : هل كان ابنُ عمر يسمعُ المزاح ؟ فلما اجتمعوا سأل الرجل رَوْحا فقال : نعم ! وإن أذن أميرُ المؤمنين تحدّثت . فقال عبد الملك : قل ، فقال : إن ابن أبى عتيق كان صاحب لهو وغَزَل على عفافه وشرفه ؛ وكانت له امرأة من أشراف قريش ، فغاضبته فى بعض الأمر ، فقالت :

ابن عمر يسمع المزاح

ذهب الإله بما تعيش به ... وقَمَرْتَ مالك أيّما قَمْرِ
أنفقت مالك غيرَ متّئد ... فى كل زانيةٍ وفى الخمر

فكتب ابنُ أبى عتيق الشعرَ وخرج به فى يده ، فلقى ابنَ عمر فقال : ما ترى فيمن هجانى فى هذا الشعر ؟ فقال : أرى أن تعفوَ وتصفح ، قال : والله لئن لقيت قائلهما لأ ... فأخذ ابنَ عمر الأَفْكَل[٢]، ولبَطَ به الأرض[٣] ، وقال : لا أكلمك أبدا ، ثم لقيه بعد ذلك؛ فلما أبصره ابنُ عمر أعرضَ عنه ، فقال له : بالقبر ومن فيه إلّا سمعت منى حرفين ، فولاّه قفاه ، وأنصت له ، فقال : علمت ياأبا عبيد الرحمن أنى لقيت قائلَ ذلك الشعر و . . . ؟ فصعق عبد الله وسقط على الأرض ، فلما رأى ابنُ أبى عتيق ما حلَّ به دنا من أذنه ، فقال : إنها امرأتى أعزّك الله . فقام ابن عمر فقبّله بين عينيه . فقال عبد الملك : ما أملحك يا رَوْح ! إنك كلّ يوم لتأتينا بطريفة .

روح بن زنباع وجبنه

وكان رَوْح مُفْرِطا فى الجبن ، فلما ولّى عبد الملك أخاه بشرا على الكوفة أصحبه روحا ، وقال له : يا بنىّ ، رَوْح مثلُ عمك فلا تقطَعْ أمراً دونه لصدقه وعفافه وصحبته لنا أهلَ البيت . وقال لرَوح : اخرُج مع ابن أخيك . فخرج معه وكان بشر

---

(١) أمير فلسطين ، وكان عبد الملك بن مروان يقول : جمع روح طاعة أهل الشام ، ودهاء أهل العراق ، وفقه أهل الحجاز توفى سنة ٨٤ هـ . (٢) الأفكل : الرعدة .
(٣) لبط به الأرض : ضرب .

ظريفا أديبا ، يحبُّ الشعر والسمَر والسماع والشرب ؛ فراقب رَوْحا ، وقال لأصحابه : أخافُ أن يكتبَ بأخبارنا إلى أمير المؤمنين ، فضمن له بعضُ ندمائه أن يكفيَه أمره من غير سخط ولا لائمة ، وكان رَوْح غيورا إذا خرج من منزله أغلقه ثم ختمه بخاتمه حتى يعود فيفضّه بيده ، فأخذ الفتى دواة وقلما ، وأتى مُمْسِيا فقعد بالقرب من دار روح مستخفيا ، وخرج رَوْح إلى الصلاة فتوصل الفتى حتى دخل الدهليز وكمن تحت دُرْجَة[1] فيه وكتب فى الحائط :

يا رَوْح من لبنيَّات وأرملة إذا نعاك لأهل المشرقِ الناعى
إن ابن مروان قد حانَتْ منيَّتُه فاحتَلْ لنفسك يا روح بن زنباع
فلا تغرنك أبكار منعمّة فاسمع هديت مقالَ الناصح الداعى

ثم رجع إلى مكانه من الدهليز ، فلما خرج رَوْح من الغَلَس[2] ، وتبعه غلمانه خرج الفتى فى جملتهم متنكّرا وخلص .

فلما أسفر الصبح دخل روح فتأمّل الكتابة فراعه وقال : ما كتب هذا إنسى ، وما يدخلُ هذه الدار سواى ، ولا حظَّ لى فى المقام بالعراق ؛ ثم نهض من ساعته ودخل على بِشر وقال : يا بْنَ أخى ، أَوْصنى بما أحببتَ من حاجة أو سببٍ عند أمير المؤمنين . فقال له : هل رأيت منّا ما تكْرَه ؛ أو أنكرتَ شيئا من سيرتنا فلم يَسَعْك المقام ؟ فقال : لا والله ، جَزاكَ اللهُ عن نفسك وعن سلطانك خيرا ، ولكِنْ حدث أَمْرٌ لا بدّ لى من الشخوص فيه . فأقسم عليه ليخبرنَّه بالخبر . فقال : إن أمير المؤمنين قد مات أو هو ميّت . فقال بشر : ومن أين علمت ذلك ؟ فأخبره بخبر الكتابة ، وقال : ليس يدخلُ دارى أحدٌ غيرى ، وما كتبه إلا الملائكةُ أو الجنّ . فقال بشر : أَقم فإنى لأرجو ألاَّ يكونَ لهذا حقيقةٌ . فأَبى .

وقدم على عبد الملك فقال له : ما أقدمك ؟ أَنكرتَ شيئا من حال بشر ؟ قال :

(١) الدرجة بالضم ، وبالتحريك وكهمزة ، وتشدد جيم هذه ، والأدرجة كأسكفة : المرقاة .
(٢) الغلس : ظلمة آخر الليل .

لا والله ، وذكر حُسْنَ سيرته ، وقال : إنما جِئْتُ فى أمرٍ لا يمكننى ذِكْرُه إلا خاليا: فقال عبد الملك : إن شئتم ، وخلا برَوْح فأخبره القصة ، وأنشد الأبيات ؛ فضحك عبد الملك حتى فحص برجليه . وقال : ثقلْتَ والله على بِشْرٍ ؛ فاحتال عليك ليخلوَ له أمرُه .

[من مزح الجادين]

قال إسحاق : حدّثنى رجل من قريش قال : قال لى محمد بن خالد القرشى : ذكِرَتْ لى جاريةٌ مغنية عند أبى فلان القاضى ، فامضِ بنا إليه . قال : فصرنا إليه واستأذنَّا فإذا هو يُصَلّى ؛ فلما فرغ من صلاته قال : لأمرٍ ما جئتم ؟ قلت : فلانة . قال لغلامه : ياغلام ؛ علىَّ بفلانة لتخرج ، فخرجت علينا جاريةٌ كأنها مها تتثنى فى مشيتها ؛ فلما قعدت وُضِع عودٌ فى حجرها ، فجسَّته واندفعت تغنّى :

عوجى علىّ وسلّمى جبر كيف الوقوفُ وأنتم سَفْرُ

مانلتقى إلا ثلاث منى حتى يفرّق بيننا النّفر

فقام القاضى على أربعة . قال : انحرونى فإنى بدنة ، أهدونى فإنى بدنة ، والله لا أبيعها بمال يُكَال ، ولا بمال يُوزَن ، ولا بالخلافة ، ولا بالدنيا ، انصرفوا .

وأتى إسحاق بن إبراهيم الموصلى بابَ الفَضْل بن يحيى فحجبه خادمٌ اسمه نافذ مرات ؛ فلقيه الفضل فقال : مالك لا تأتينا يا إسحاق ؟ فقال : أتيتُ أعزَّ الله الأمير فحجبنى نافذ. قال: ف . . . ، قال : لا يمكننى ، فأتى بعد ذلك فحجبه فكتب إلى الفضل :

جعلت فداءك من كل سوء إلى حسن رأيك أشكو أناسا

يحولون بينى وبين السلامِ فلست أسلّم إلا اختلاسا

وأنفذت أمرك فى نافذ فما زاده ذاك إلا شماسا

فلقيه بعد ذلك فقال : يا إسحاق ، أكان ماذكرت ؟ فقال : بعض ذلك أصلح

الله الأمير ، فضحك وتقدم ألّا يحجبَه أحدٌ إن أراد الدخول ، وإنما كان الفضل استثقل إسحاق لِبَأْوٍ [1] كان فيه ، وكان الفضل أكبر الناس كبراً ، وأعظمهم تعاظما . وقال بعض الشعراء :

وما على المرءِ مالم يأت فاحشةً ... فى لذة العيش لاعار ولا حَرج

يأيها اللائمى فيما لهوت به ... عرّج بلومك إنى عنه مُنْعَرِجُ

[بعض من كرهوا المزاح]

فإنْ كرِهَ قوم المزاح فلقولِ أكثم بن صيفى : المُزَاح يُزِيح بهجة الأشراف .

وقال أبو سليمان الدارانى : أنا أكره المزاح لأنه مزاحٌ عن الحق .

وقال الحسن البصرى : المزاح اختراع من الهواء .

وقال زياد : من كثر مزاحه قلّ إلى النباهة ارتياحه .

وقال عمر بن عبد العزيز : إياك والمُزاح فإنه يجر القبيحة ، ويورث الضغينة .

وقال الأحنف : لن يسود مزّاح ، ولن يعَظّم مُفَاكِه .

وقال سعيد بن العاص لابنه : لاتمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا الدنىء فيجترئ عليك .

وقال أبو نواس :

صار جدًّا ما مزحت به ... رب جدّ ساقه اللعب

[متى يكون المزاح مكروها]

وقال ابن المعتز : [2] من كثر مُزَاحُه لم يخْلُ من استخفاف به ، أو حقد عليه . فإنما ذلك إذا كان المزاح [غالبا] على المرء ، وكان المرءُ فيه غالياً يُجْريه فى كل مكان ومع كل إنسان . وقد قال عمر رضى الله عنه للأحنف : من كثرضحكه قلَّتْ هيبته ، ومن أكثر من شيء عُرف به ، ومن كثر مُزَاحه كثر سقَطه ، ومن كثر سقَطه

---

(١) بأى : فخر ، ونفسه : رفعها وفخر بها . (٢) زهر الآداب : ٤٨٦ .

قلّ وَرَعُه ، وذهب حياؤه ، ومن ذهب حياؤه مات قلبه .

أو ينزله [1] المازح تعريضاً بالمعايب ، وتنبيهاً على المثالب ؛ فذلك المكروه الذميم وصاحبه الملوم .

وقد قال خالد بن [2] صفوان : يُبسط [3] أحدُكم أخاه بمثل الخردل ، ويقرعه بمثل الجَنْدَل ، ويُفرِغ عليه بمثل المرجل [4] ، ويقول : إنما كنت أمزح . وقال محمود الوراق :

تلقى الفتى يَلْقَى أخاه وخِدْنَهُ ... فى لحن منطقه بما لا يُذْكر [5]
ويقول كنتُ ممازحاً ومداعباً ... هيهات نارُكَ فى الحشا تتسعَّرُ
أو ما علمت وكان جهلك غالباً ... أنّ المُزاح هو السبابُ الأصغرُ

وقال ابن الرومى [6] :

حبذا حشمة الصديق إذا ما ... حجزَتْ بينه وبين العقوق
حين لاحبّذا انبساطٌ يؤديـــه إلى تركِ [7] واجباتِ الحقوقِ
أين مَنْجاتُنا إذا ما لقينا ... من مُسِيغ الشجا شجى فى الحلوق

[من حَسَّنوا المزاح]

وإلا فقد قالوا : لا بأس فى المزاح بغير ريبة .

وكان يقال : المزاح من أخلاق ذوى الدماثة .

روى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : من كانت فيه دُعَابة فقد برِئ من الكبر . وقد قيل : المازح يقرِّب من ذى الحاجة [8] إليه ، ويمكِّنُ من الدالّةِ عليه . وما زال الأشراف يمزحون ويسمحون بما لم يغضّ من دياناتهم ، ولا يقدح من

---

(١) معطوف على يجريه . (٢) زهر الآداب : ٤٧٤ ، عيون الأخبار : ٤ــ٧٤ .
(٣) فى زهر الآداب : ينشق . . . مثل . (٤) فى زهر الآداب : ويفرغ عليه مثل المرجل، ويرميه بمثل الجندل . (٥) فى زهر الآداب: وعيون الأخبار: بما لا يغفر .
(٦) ديوانه : ١٠١ . (٧) فى الديوان : بخس . (٨) أى القاصد له .

مروءاتهم [١] وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : بعثت بالحنيفية السمحة . وقال عليه الصلاة والسلام : إنى لأمزح ولا أقول إلّا حقًّا .

[من مزاح النبي]

فمن مُزاحه صلى الله عليه وسلم ماروَى أَنس بن مالك قال : كان لنا أخ يُكْنَى أبا عُمير . وكان له نُغَر يلعب به . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزيناً فقال : ماله ؟ قالوا : مات نُغَره [٢] ، فكان إذا رآه بعد ذلك قال : ياأبا عمير [٣] مافعل النُّغَيْر ؟ .

وكان رجل من أشجع يقال له زاهر بن حرام لايزال يأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالهدية من البادية والطُّرْفَة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن زاهرا باديتُنا ونحن حاضِرُوه . فبينما هو فى بعض أسواق المدينة إذ أتاه النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه فاحتضنه وقال : من يشترى منى هذا العبد ؟ فالتفت الرجل فإذا هو برسول الله صلى الله عليه وسلم . فقبَّل يده وقال : تجدنى كاسدا يارسولَ الله . فقال: لا ، لكنك عند الله رَبيح .

وأتت [٤] إليه صلى الله عليه وسلم امرأة فذكرت زوجَها بشىء . فقال : زوجك الذى فى عينه بياض . قال : فمضَتْ فجعلت تتأمَّل زوجَها فقال : مالك ؟ قالت : قال لى النبي صلى الله عليه وسلم : إن فى عينك بياضاً . فقال : بياض عينى أكثرُ من سوادها [٥] .

[سماع النبي للمزاح]

وأما سماعه صلى الله عليه وسلم لذلك فقد روى : أن صُهَيباً دخل عليه وعَيْنُه

---

(١) فى ط : من رواتهم . (٢) النغر — كصرد : البلبل وفراخ العصافير .

(٣) فى ط : ياعمير. (٤) عيون الأخبار : ٣ — ٤ . (٥) العبارة فى نهاية الأرب : فقال : إن فى عينى بياضا لا لسوء .

وجعة وبين يديه تمر ، فأقبل صُهَيب يأكل ؛ فقال : أتأكلُ التمرَ وعينُك وجِعَة ؟ فقال : إنما آكل بحذاء العين الصحيحة . فتبسَّم صلى الله عليه وسلم .

وذكروا أن أعرابيا أتاه فألفاه مغموماً ممتَقِعَ اللون ؛ فقيل له : لاتكلِّمْه وهو على هذه الحالة . فقال : لأدعه أو يضحك . ثم جثا بين يديه فقال : يارسول الله ؛ بأبى أنت وأمى ! إن الدجّال يخرُج وقد هلك الناس جوعا فيأتيهم بالثريد ، فترى أن آكلَ من ثريده حتى إذا تضلَّعت [1] كذبته ؟ فضحك صلى الله عليه وسلم وقال : يغنيك الله بما يغنى به المؤمنين حينئذ .

وقالت أمّ سلمة [2] : خرج أبو بكر رضى الله عنه فى تجارة إلى البصرة [3] قبل وفاةِ النبى صلى الله عليه وسلم ومعه سويبط بن حرملة ـ وكان قد شهد بدراً ـ ونعيمان ، وكان سُوَيْبِط على الزاد ، وكان نعيمان مزّاحاً ، فقال له نعيمان : أطعمنى ، فقال: حتى يجىء أبو بكر ، فقال : أما لأغيظنّك ، فمروا بقوم فقال نعيمان : أتشترون منى عبداً ؟ فقالوا : نعم ! فقال : إنه عبد له كلامٌ وهو قائل لكم : إنه حرٌّ ، فإذا قال هذه المقالة تركتموه فلا تُفسدوا علىّ عبدى . فقالوا : بل نشتريه . قال : فاشتروه منى بعشر قلائص [4] ، ثم أخذوه فوضعوا فى عنقه حبلا ، فقال سويبط : إنى حرّ ولست بعبد وهذا يستهزئ بكم . فقالوا له : قدخبّرنا خبرك ، فانطلقوا به فجاء أبوبكر فأخبروه الخبر ، فاتبع القومَ فردَّ عليهم القلائص وأخذ منهم سويبطا . ولما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر ، ضحك صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله .

وكان سويبط [5] قد كُفَّ بصرُه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقيه نعيمان فى المسجد وهو يقول : من يخرجنى حتى أَبول ؟ قال : أنا ، وأخذ بيده فمضى به إلى زاوية فى المسجد عامرةٍ بالناس ، فقال له : بُلْ ههنا ، فلما كشف ثوبَه صاح الناس عليه

(١) تصلع : امتلأ شبعا . (٢) نهاية الأرب : ٣ ـ ٤ .
(٣) فى نهاية الأرب : إلى بصرى . (٤) القلوص من الإبل : الشابة .
(٥) حكيت هذه القصة فى نهاية الأرب بين نعيمان ومخزمة بن نوفل الزهرى .

من كل ناحية . فقال : من غرّنى ؟ قالوا : نعيمان . فقال : لله علىّ لئن لقيته لأضربنّه بعصاى ؛ فلقيه بعد أيام فقال : أتحب أن أدلّك على نعيمان لتوفّى نَذْرَك ؟ قال : نعم، لله أبوك ! فأخذ بيده حتى أتى عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو يصلّى فقال : هذا هو . فرفع عصاه وضربه ؛ فصاح به الناس وقالوا : أوجعْتَ أميرَ المؤمنين ، فقال : من قادنى ؟ قالوا : نعيمان ، قال : لا يغرنى بعدها .

وابتاع عبد الله بن رَوَاحة[1] جاريةً وكتم ذلك امرأته ؛ فبلغها ذلك فالتمست كَوْنَه عندها فأُخبرت بذلك ؛ فلما جاءها قالت له : بلغنى أنك ابتعْتَ جاريةً وأنك الساعة خرجْتَ من عندها ، وما أحسبك إلا جُنُبا ؟ قال : ما فعلت ، قالت : فاقرأ آيات من القرآن فقال :

شهدت بأنّ وَعْدَ اللهِ حقّ   وأن النارَ مَثْوَى الكافرينا
وأن العرشَ فوق الماء طافٍ   وفوقَ العرش ربُّ العالمينا
وتَحْمِله ملائكةٌ شداد   ملائكة الإله مقربينا

فقالت : أما إذْ قد قرأت القرآن فقد علمتُ أنك مكذوبٌ عليك .

وافتقدته ليلةً أخرى فلم تجده على فراشها ، فلم تزل تطلُبه حتى قدرت عليه فى ناحية الدار ، فقالت : الآن صدّقتُ ما بلغنى فجحَدَها[2] . فقالت : اقرأ آيات من القرآن ، فقال :

وفينا رسولُ الله يَتْلُو كتابَه   كما انشقّ معروفٌ من الفجرساطعُ
أرانا الهُدَى بعد العَمَى فقلوبُنا   به موقنات أنّ ما قال واقع
يبيت يجافِى جَنْبَه عن فراشِه   إذا أثقلت بالمشركين المضاجع
وأَعلمُ علماً ليس بالظنِّ أننى   إلى الله محشورٌ هناك فراجِع

فقالت : آمنتُ بالله وكذّبتُ ظنّى . فأخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم ؛

---

(١) عبد الله بن رواحة : من الخزرج : صحابى يعد فى الأمراء والشعراء الراجزين .
(٢) جحده حقه ، وبحقه : أنكره مع علمه .

فضحك وقال : هـذا لعمرى من معاريض[١] الـكلام ، يغفر الله لك يابنَ رَوَاحة خيارُكم خيرُكم لنسائـكم .

وقال العجاج أنشدت أبا هريرة[٢] :

طاف الخيالانِ فهـاجا سقما　　خيال سلمى وخَيال تـكتما

قامت تُرِيكَ رهبةً[٣] أن تَصْرِما　　سـاقا بَخَنْدَاةً وكعبا أَدْرَمَا

فقال أبوهريرة : قدكان يحدى بها ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكر .

[زعم قوم أن إنشاد الشعر ينقض الوضوء]

وقيل لابنِ سيرين : إن قوماً يرون أن إنشاد الشعر ينقضُ الوضوء ؛ فقال[٤] :

نبِّئتُ أن فتاةً كنت أخطبها[٥]　　عرقوبُهامثلُ شهرِ الصوم ِفى الطُّولِ

ثم قال : الله أكبر ودخل فى الصلاة .

وسُئل عن ذلك مرة أخرى وقد استفتح الصلاة فأَنشد للأعشى[٦] :

وتسخن ليـلة لا يستطيع　　نباحا بها الـكلبُ إلاّ هريرا

وتبرد برد رداء العـرو　　س بالصيف رقرقتَ فيه العبيرا

ثم كبَّر وصلى .

وقال جرير بن حازم : كنتُ فى مسجد الجهاضم فقرضت بيتَ شعر ، فقالوا : ما نراك إلاَّ قد أحدَثْت فتوضَّـأ ، فذَعَرنى قولهم ؛ فأتيت ابن سيرين وقد قام إلى الصـلاة فقلت : رويدك يا أبا بكر ! فقال : مَهْيَم[٧] ؟ فعرفته ، فقال : هلا رددت عليهم :

---

(١) المعاريض : جمع معراض ؛ من التعريض ، وهو خلاف التصريح من القول ، يقال : عرفت ذلك فى معراض كلامه ومعرض ــ بكسر الميم وفتح الراء . ومنه حديث عمر : أما فى المعاريض ما يغنى المسلم عن الـكذب (النهاية ــ عرض) .

(٢) اللسان ــ مادة بخد، ودرم والبخنداة من النساء: التامة القصب الرياء. والـكعب الأدرم : المستوى . (٣) فى اللسان : خشية . (٤) زهر الآداب : ١٦٥ . (٥) فى زهر الآداب : أنبئت أن عجوزا جئت أخطبها . (٦) الأغانى : ٨-١١١ ، الموشح : ٥٥ .

(٧) كلمة استفهام ؛ أى ماحالك ؟ وما شأنك ؟

ديار لِرَمْلَة إذْ عيشُنا ... بها عيشة الأنعم الأفضل
وإذ ودُّها فارغٌ للصديـ ... ـق لم تتغيَّر ولم تبدَّل
كأنَّ الثلوجَ وماء السحا ... ب والقرقَفِيَّة(١) بالفلفل
وماء القرنْفُل والزنجبيـ ... ـل شِيبَ به ثمر السنبل
يصبّ على بَرْدِ أنيابها ... قبيل الصباح ولم يَنْجَل

ثم قال : الله أكبر .

وقيل : لابن سيرين : أنشد القذع من الشعر وأصلّى ؟ فقـال :

وأنت لو باكرت مشمولة ... صفراء مثل الفَرَسِ الأشقَرِ
رحت وفى رجليك ما فيهما ... وقد بَدَا هَنكَ من المِئْزَرِ

[محاورة بين ابن الأنبارى وابن المعتز]

وها هنا مساجلة جرَتْ بين أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى وأبى العباس عبد الله بن المعتز، لها فى هذا الموضع موقع وهى طويلة اختصرت منها موضع الحاجة :

كتاب ابن الأنبارى

كتب ابنُ الأنبارى إليه : جرى فى مجلس الأمير ذِكْرُ الحسن(٢) بن هانىء والشعر الذى قاله فى المجون وأنشده وهو يؤُمّ قوماً فى صلاة ؛ وهو إن لـكل ساقطة لاقطة ، وإنَّ لـكلام القوم رُوَاة ، وكل مَقُول محمول . فـكان حقُّ شعر هذا الخليع ألاَّ يتلقَّاه الناسُ بألسنتهم ؛ ولا يدوِّنونه فى كتبهم ، ولا يحمله متقدمُهم إلى متأخرهم ؛ لأن ذوى الأقدار والأسنان يَجِلُّون عن روايته ، والأحداثُ يُغشُّون بحفظه ؛ ولا ينشد فى المساجد ، ولا يتحمّل بذكره فى المشاهد ؛ فإنْ صُنِـع فيه غِناء كان أعظمَ لبليته ؛ لأنه إنما يظهر فى غَلَبَة سلطانِ الهوى ، فيهيجُ الدواعى الدنيئة ، ويقوِّى الخواطرَ الرديئة ؛ والإنسانُ ضعيف يتنازعُه على ضَعْفِه سلطانُ القوى ؛ ونفسُه الأمَّارة بالسوء ، والنفسُ فى انصبابها إلى لذَّاتها بمنزلة كُوَّة منحدرة

---

(١) القرقف : الخمر يرعد منها صاحبها .
(٢) أبو نواس .

من رأس رَابِية إلى قرار فيه نار ، إن لم تُحبس بزواجر الدِّين والحياءِ أدَّاها انحدارُها إلى ما فيه هَلَكتها .

والحسنُ بن هانىء ومَنْ سلك سبيلَه من الشعر الذى ذكرناه شُطَّار[١] كشفوا للناس عَوَارهم[٢] ، وهتكوا عندهم أسرارهم ، وأبدَوْا لهم مساويَهم ومخازيهم ، وحسَّنوا ركوب القبائح .

فعلى كل متديِّن أن يذمَّ أخبارَهم وأفعالَهم ، وعلى كل متصوّر أن يستقبحَ ما استحسنوه ، ويتنزّه من فعله وحكايته . وقول هذا الخليع : تَرْكُ ركوبِ المعاصى إزراءٌ بعفو الله تعالى حضٌّ[٣] على المعاصى أن يُتقرَّب إلى الله عز وجل بها تعظيما للعفو ، وكفى بهذا مجونا وخَلعاً داعيا إلى التهمة لقائله فى عظم الدين ، وأحسنُ من هذا وأوضح قول أبى العتاهية :

يخافُ معاصيه من يَتُوبُ فكيف ترَى حالَ من لا يتوبُ

ردابن المعتز

فأجابه ابنُ المعتز : لم يقل أبو نواس تَرْكُ المعاصى إزراء بعفو الله تعالى ، وإنما حكى ذلك عن متكلّم غيره ، والبيت الذى أنشد له بحضرتنا[٤] :

لا تحظرِ العفو إن كُنْتَ امرءًا حَرِجا فإنّ حَظْرَكَهُ بالدين إزْرَاءُ

وهذا بيتٌ يجوزُ للناس جميعا استحسانُه والتّمثل به ، ولم يؤسس الشعر بأنيه على أن يكونَ المبرِّز فى ميدانه مَن اقتصر على الصدق ولم يَغْوَ بصبوة ، ولم يُرَخِّصْ فى هفوة ، ولم ينطِقْ بكذبة ، ولم يُغرِق فى ذم ، ولم يتجاوز فى مدح ، ولم يُزَوِّر الباطل ويكسبه معارِضَ الحق ؛ ولو سلك بالشعر هذا المسلك لكان صاحب لوائه من المتقدمين أمية بن أبى الصلت الثقفى ، وعدىّ بن زيد العبادى ؛ إذ كانا أكثرَ تذكيرا وتحذيرا ومواعظَ فى أشعارهما من امرىء القيس والنابغة . فقد قال امرؤ القيس[٥] :

---

(١) الشاطر : من أعيى أهله خبثا . (٢) العوار : العيب . (٣) خبر قول .

(٤) هذا الشعر هومعنى : ولاتيأسوا من روح الله إنه لاييأس من روح الله إلاالقوم الكافرون (هامش ط) . (٥) ديوانه : ٥٢ .

سموتُ إليها بعد ما نام أهلُها ... سُمُوَّ حَبَابِ الماء حالا على حال[1]

فأصبحتُ معشوقا وأصبح بَعْلُها ... عليه القَتَامُ[2] سيِّيء الظنّ والبال

يغطُّ غطيطَ[3] البَكْر شُدَّ خناقه ... ليقتلنى والمرءُ ليس بقتَّال

وقال النابغة[4] :

وإذا لمستَ لمستَ أَخْثَم رابياً[5] ... متحيّزا بمكانه ملء اليــد

وإذا طعَنْتَ طعنتَ فى مستهدف ... رَابِى المجسَّةِ بالعبــير مُقَرْمَدِ

وهل يتناشدُ الناسُ أشعارَ امرىء القيس والأعشى والفرزدق وعمر بن أبى ربيعة وبشار وأبى نواس على تعَيْهُرِهم[6] ومهاجاة جرير والفرزدق إلاَّ على ملأ الناس و [فى] حلَقِ المساجد ؟ وهل يروِى ذلك إلاّ العلماء الموثوق بصدقهم . وقد نفى[7] حسان بن ثابت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فما بلغَنَا أنّ النبى صلى الله عليه وسلم أنـكر ذلك عليه فى هجائه حيث يقولُ[8] :

وأنت ربيط نِيَط[9] فى آلِ هاشمٍ ... كما نيطَ خَلْفَ الراكبِ القدحُ الفَرْدُ

وقد زعم بعضُ الرواة أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال للحارث : أنت من خير أهلى . وما نهى النبىُّ صلى عليه وسلم ولا السلفُ الصالح من الخلفاء المهديين بعده عن إنشاد شعرٍ عاهرٍ ولا فاجر .

ولقد أنشد سعيد بن المُسيِّب وغيرُه من نظرائه تهاجى جرير وعمر بن لجأ فجعل يقول : أ كله أ كله . يعنى أ كله جرير ولم ينكر شيئاً مما سمِعَه .

---

(١) حالا على حال : شيئا بعد شىء . (٢) القتام : الذل .

(٣) الغطيط : صوت يردده الإنسان فى صدره . (٤) ديوانه : ٣٨ ، اللسان خثم وجثم . (٥) فى الديوان واللسان : جاثما . (٦) تعيهر الرجل : إذا كان فاجرا ، وفى ط : تعهرهم . (٧) أى نفى نسبه عن أبيه (هـ . ط) . (٨) ديوانه : ١٦٠ ، واللسان ـ مادة نوط . (٩) فى الديوان : زنيم ، والزنيم : المستلحق فى قوم ليس منهم لايحتاج إليه . وفى اللسان : دعى.

رد ابن الأنبارى

فأجابه ابنُ الأنبارى : قد صدق سيدُنا ـ أيده الله ـ فى كل ما قاله من الأشعار التى عدَل قائلوها عن سَنَنِ المؤمنين المتّقين ، ولم أكُن أجهلُ أكثرَ ذلك ، إلاّ أنه لم يخطر ببالى ذِكْرُ ما كنت أَعْرِفُ منه فى وقت كتابتى ما كتبت به ، وما كلُّ ما يعرف الإنسانُ يحضره ، ولا تتواتى كلّ وقت خواطرُه ؛ على أن الذى جرى فى هذا الأمر إنما هو على سبيل التعلّم والتفهّم . يذكرُ الذاكر شيئا قد تقدّم صوابه ، فيحتجّ له ، وعليه فيه حجّةٌ قد تركها ، فيكشف السامعُ لها غطاءه مستبصراً ومذكّرا ، فإن كان الحقُّ ضالّته وجدَ ما ابتغى ، وغَنِمَ ما وجد ، وإنْ أَنِفَ من الرجوع ، واشتدّ عليه النزوعُ ، جحد ما علم ، واحتجّ لما جهل ؛ لأن كل مطالَب بباطل لا يخلو من جَهْل بما يدَّعى ، أو جهلٍ بما يعرف ، ولم يعقد ـ أعزَّ الله الأمير ـ مجلسٌ لمناظرة فى علم يعطى النظر فيه حقّه إلاّ فاز المرء فيه باستفادة صوابٍ كان يجهله ، ورجوع عن خطأ كان يعتقده .

ولستُ أعز الله الأمير بمعصوم ، ومن لم يكن معصوماً لم يكن صوابُه بمضمون ، ولا زلَلُه بمأمون . وعلى حسب ما جرى تعلّق قلبى بمعرفة ما تضمّنَتْه رقعتى هذه من الأمير ، فإن كان لامتنانه بتعريفى ذلك فى جواب عنها وجيه جرَى فيه على عادة طَوْلِه[1] وفضله إن شاء الله .

إجابة ابن المعتز

فأجابه ابنُ المعتز : إنما أحببتُ ـ أعزك الله ـ أن تكونَ من الإخوان الذين يتجَانَوْن ثمرَ التناصح فيتذاكرُون فيتذكّرون ، ويتدارسون فيفيدون ويستفيدون ، ففتحتُ بينى وبينك هذا الباب آذِنا لك بالولوج علىّ منه ، واثقا بكمال عقلك فى المسارعة إليه ، وصُنْتُ مودتنا عن استحسانٍ مُزَوَّر ، وتعمّد الجحد فى إقراره ، ومَلَق مُكَاشِر[2] يظهر التصديقَ بلا إنكار . ولا يزال الإخوانُ يسافرون فى المودّةِ حتى يلقوا الثقةَ فتلقى عصا التسيار ، وتطمئنّ بهم الدار ، وتقبل وفودُ النصائح ، وتؤمن

(١) الطول : الإنعام . (٢) كاشره : إذا ضحك فى وجهه وباسطه .

خبايا الضمائر ، وتلقى ملابس التخلّق ، وتُحل عُقَدُ التحفظ ، وقد أَبعدكَ اللهُ تعالى من الخطأ لما أشرق نورُ الصواب ، ولم لا وبلى يصطرعان على الحقّ ، وبالتعب وُطِئَ فراشُ الراحة ؟ وبالبحث تُستخرج دفائن العلوم ، ولا فَرْقَ بين إنسان يُقَادُ وبهيمة تنقاد .

ولولا أنّ الناسَ اختلفوا متفرقين لاختلفوا متشاحّين ، ولماقصدوا بالسكنى إلاّ بقعةً من الدنيا يتنافسون فيها ، ويتفانَوْن عليها ؛ وخيرُ الاختلاف مااجتنب معنى التمادى على الباطل فاهتدى فيه بالتبصير . كما روى أن علياً رضى الله عنه حاجّ عمر رضى الله عنه فى المرأة التى وضَعَتْ لستة أشهر ، فأراد عمرُ رَجْمَها فقال له : قد قال الله تعالى : « وحَمْلُه وفِصالُه ثلاثون شهراً ». فرجع عن ذلك عمر وأَمضاه .

وبالتقليد هلك مُتْرَفو الكفار القائلون : « إنا وجَدْنَا آباءنا على أُمَّةٍ وإنَّا على آثارهم مُقْتَدُون » . وقال بعضهم : إذا سرّكَ أن تعرفَ خطأ مؤدِّبك فجالِسْ غيره . وقال عمر رضى الله عنه : ليس شىء أضرّ بالمرء من لجاجة فى جهل . وإنما كان يكرهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسائلَ والبحثَ لشفقته على أُمَّتِه من نزول مُعْتَرِض يثقل عليهم فيما يسألون عنه ، ثم كره عمر وعلىّ رضوان الله عليهما ما كان يجرى على سبيل التعنّت ، ويفارِقُ سبيل التفقّه . ولذلك قال على رضى الله عنه لابن الكوّا [١] : سَلْ تفقّهاً ولا تسل تعنّتًا .

[ظرف أهل المدينة]

وقال مالك : مارأيت أشبهَ بأهل المدينة من ابن سيرين ، وأهل المدينة أرقّ الناس أدباً ، وأحلاهم طرباً ، وأبرعهم شِيَماً ، وأطبعهم كرماً ، ويقال [٢] : دَلٌّ حجازى ، وعشق [٣] يمانى . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

---

(١) ابن الكوا : رئيس الخوارج (هـ . ط) . (٢) زهر الآداب : ٢٤٧ .
(٣) فى ط : وفسق .

إن قلبي بالتل تلّ عزازٍ ... مع ظبي من الظباء الجوازِى [1]
شادن لم يرَ العراقَ وفيه ... مع ظَرْف العراق دَلُّ الحجازِ

وقال أبو تمام [2] :

من شاعرٍ وقف الكلامُ ببابه ... وا كتنّ فى كنفى ذراهُ المنطق
قد ثقفت منه الشآم وسَهّلَتْ ... منه الحجاز ورقّقته المشرِقُ

وكان عبد الملك بن الماجِشُون يقول : لقد كنا بالمدينة وإن الرجل يحدّثنى بالحديث من الفقه فيُمِلّه [3] علىّ ، ويذكر الخبر من الملح فأستعيده فلا يفعل . ويقول : لاأعطيك ملحى ، وأهبك ظَرْفِى وأدبى .

وقال ابن الماجشون : إنى لأسمع الكلمةَ المليحةَ ومالى إلا قميص واحد فأدفعه إلى صاحبها وأستكسى الله عزّ وجل . وقيل لأبى السائب المخزومى: أترى أحدا لايتمنى النسيب ؟ قال : أما مَنْ يؤمن بالله واليوم الآخر فلا .

[أبو السائب وفكاهاته]

وكان أبو السائب كثيرَ الطرب ، غزيرَ الأدب ، وله فكاهات مذكورة ، وأخبار مشهورة . وكان جدُّه يكنى أبا السائب أيضا ، وكان خليطا للنبى صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام ؛ وأقبل الإسلام فكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا ذكره يقول : نعم الخليط كان أبو السائب لايدارِى ولا يمارِى . واسم أبى السائب عبد الله ، وكان أشرافُ المدينة يقدِّمونه ويعظّمونه لشرف منصبه ، وحلاوة طربه . قال الزبير بن بكّار : كانت سليمة المشاوبية عاشقةً لأفلح مولى الزهريين ، فأتاها يوما أبو السائب المخزومى فقال : حدثينى ، هل أتاك من حبيبك رسول ؟ قالت : لا . قال : فهل قلت فى ذلك شعرا ؟ قالت : نعم ، ثم أنشدته :

ألاَ ليتَ لى نحو الحبيب مُبلِّغا ... يبلِّغُه التسليم ثمَّ يقولُ

(١) الجوازى : هى الظباء التى تجتزئ بالعشب عن الماء .

(٢) ديوانه : ٥٠٠ ، زهر الآداب ٢٤٧ .

(٣) أمله : قال له فكتب عنه .

سليمة نضوٌ[1] ماتُرَجَّى حياتها   من الشوق والشوقُ الشديدُ قَتول
تُعالجُ أحزانا وتبكى صبابةً   وأنت لما تلقاه فيكَ جهول

فقال أبو السائب : أنَا واللهِ رسولُك ؛ فحفظ الشعرَ وتوجّه نحو أفلح فى يوم صائف شديد حرُّه ، فلقيه رجلٌ من الأنصار فقال : ياأبا السائب ؛ من أين أقبلت ؟ قال : من عند سليمة المشاوبية . قال : وإلى أين تريد ؟ قال : أريد أفلح مولى الزهريين أبلّغُه رسالتها . قال : أفى مثل هذا الوقت ؟ قال ؟ إليك يابنَ أخى ؟ فإن الجنة حُفَّت بالمكاره ؛ وما عُبِد الله إلا بالصبر على ماترى .

وقال الزبير : حدثنى جدّى قال[2] : أتانى أبو السائب المخزومى فى ليلة بعد مارقد الناس ، فأشرفْتُ عليه وقلت : هل من حاجة ؟ فقال : سهرت فذكرت أخاً لى أستمتعُ به فلم أجد أحداً سواك ، فلو مضيت بنا إلى العقيق فتناشَدْنا وتحدثنا ؟ قلت : نعم ! فنزلت فما زال فى حديث إلى أن أنشدته فى بعض ذلك بيتى العَرْجى :

باتَا بأنعَمِ ليلةٍ حتى بَدَا   صبحٌ تَلَوَّحَ كالأغرِّ الأشقر
فتلازَما عند الفراق صبابةً   أَخْذَ الغريم بفَضْل ثوبِ المُعسِرِ

فقال : أعده فأعدته فقال : أحسنت والله ! وامرأتى طالق إن نطَقْتُ بحرفٍ حتى أرجعَ إلى بيتى غيره ، فمضينا فتلقّانا عبد الله بن الحسن[3] بن على بن أبى طالب وهو منصرفٌ من ماله يريد المدينة . فقال : كيف أنت ياأبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عند الفراقِ صبابةً   أَخْذَ الغريم بفضل ثَوْبِ المعسرِ

فالتفت إلىّ . وقال : متى أنكرتَ عَقْلَ صاحبك ؟ قلت : منذ الليلة ، قال : لله أى كهلٍ أُصِيبَتْ به قريش ، ثم مضينا فلقينا محمد بن عمران التيمى قاضى المدينة يريدُ مالا له على بَغْلة ، وكان أثقلَ الناس جسما ، ومعه غلام له على عنقه مخلاةٌ فيها قَيْدُ البغلة ، فسلّم عليه ثم قال : كيف أنت ياأبا السائب ؟ فقال :

---

(١) النضو : المهزول من الإبل وغيرها .   (٢) الأغانى : ١ـ٣٩٧ .
(٣) فى الأغانى : حسن .

فتلازما عند الفِراقَ صبابة — أَخْذَ الغريم بفَضْل ثوبِ المعسر

فالتفت إلى وقال : متى أنكرتَ عَقْلَ صاحبك؟ قلت : آنفاً؛ فتركنى وانصرف ، فقلت : أَفَتَدعه هكذا ؟ ما آمن أن يتهوَّر (١) فى بعض آبار العقيق ، قال : صدقت ، ياغلام ، هات قيدَ البغلة ، فوضعه فى رجله وهو ينشد البيت ويدافع بيده ؛ فلما أطال نزل الشيخُ عن البغلة وقال : ياغلام ، احمله على بغلتى وأَلْحِقه بأهله ؛ فلما كان بحيث علمت أنه قد فاته أخبرته الخبرَ فضحك . وقال : قبّحك الله ماجِناً فضحتَ شيخاً من قريش وعذّبتنى وأنا لا أقدر [أن] (٢) أتحرك .

وروى مصعب بن الزبير (٣) عن عبد الله . قال : كان عروة بن أذينة نازلا فى دارى بالعقيق فسمعتُه ينشد لنفسه :

إنّ التى زعمَتْ فؤادَكَ ملَّها — خُلِقت هواكَ كما خلِقْت هوًى لها

فيكَ الذى زعمت بها فكلا كما — أبدى لخلته (٤) الصبابة كلَّها

ولعمرُها إن كان حبُّك فوقَها — يوماً وقد ضَحِيَتْ (٥) إذاً لأظلَّها

فإذا وجَدْتَ لها وساوِسَ سَلْوَةٍ — شفع الضميرُ إلى الفؤادِ فسلَّها

بيضاء باكرها النعيمُ فصاغَها — بلباقةٍ فأدقَّها وأجلَّها

لما عرضْتُ مسلّماً لى حاجةً — أخشى صعوبتَها وأرجو ذلَّها

منعتْ تحيّتَها فقلت لصاحبى — ما كان أكثرَها لنا وأقلَّها

فدنا وقال لعلها معذورةٌ — فى بعض رِقْبَتِها (٦) فقلت لعلَّها

فأتانى أبو السائب المخزومى فقلت له ـ بعد الترحيب والبشر : ألكَ حاجة ؟ قال : نعم ! أبيات لعُرْوَة بلغنى أنك سمعته يُنشدها ؟ فلما بلغتُ إلى قوله : فدنا وقال

(١) تهور الرجل : وقع فى الأمر بقلة مبالاة . وتهور فى البئر : سقط .

(٢) من الأغانى . (٣) زهر الآداب : ١٦٦ . (٤) فى زهر الآداب : لصاحبه .

(٦) ضحيت : أصابتها الشمس . (١) الرقبة : التحفظ والفرق .

لعلها معذورة ، طرب وصاح . وقال : هذا والله الصادق العهد ، الدائم الودّ ، لا الذى يقول :

إن كان أهلك يمنعونك رغبةً … عنى فأهلى بى أضنُّ وأرغبُ

أو ليس لى قُرْبَى إذا أقصيتنى … حدبوا علىّ وعندىَ المستعتب

فلئن دنوتِ لأدنونَّ بعفّةٍ … ولئن نأيتِ لَمَا ورائى أَرْحَبُ

يَأْبَى وعيشك أن أكونَ مقصّراً … رأىٌ أعيشُ به وقلب قُلَّبُ

لقد عدا هذا الأعرابى طَوْره ، وتجاوز قَدْرَه ، وإنى لأرجو أن يغفرَ اللهُ لصاحب الأبيات الأولى لحسْنِ الظن بها ، وطلَبِ العذر لها . فعرضت عليه الطعام فقال : سبحان الله ! أو يحسن الظن بمثلى أن يأكلَ طعاماً بعد سماع هذه الأبيات ؟ والله ما كنتُ لأخلط بها طعاماً حتى الليل ، وانصرف .

والأبيات التى أنشدها أبو السائب لبعض الهذليين هى من مليح الشعر وأولها[1] :

طرقَتْك زينبُ والركاب مُنَاخَةٌ … بحطيم مكّة[2] والنَّدَى يتصبَّبُ

بثنيّة العلمين وهْناً بعد ما … خفقَ السِّماكُ وعارضته[3] العَقْرَبُ

وتحية وكرامة لخيالها[4] … ومع التحية والكرامة مرحَبُ

أنى اهتديت ومن هداكِ ودوننا … حمل فقلّة عاذب فالمَرْقَبُ[5]

[ارتياح أهل المدينة إلى المزاح وانقطاعهم إلى السماع]

ولأهل المدينة من الارتياح إلى المزاح ، والانقطاع للسماع ما هو مشهور عندهم ، مأثور منهم . قال عبد الله بن جعفر[6] : أنا لى عند السماع هزّة لو سُئِلت عندها[7] لأعطيت ، ولو قاتلت معها لأبليْت .

---

(١) معجم البلدان — مرقب : ٨—٢٧ .
(٢) فى المعجم : بجنوب خبت .
(٣) فى المعجم : وجاوزته العقرب .
(٤) فى المعجم : فتحية وسلامة لخيالها .
(٥) فى المعجم : وبيننا فلج فقلة منعج فالمرقب .
(٦) زهر الآداب : ١٧٢ .
(٧) فى ط : غيرها .

وقال أبو العيناء[1] : قال الأصمعى مررتُ بدار الزبير بالبصرة ، فإذا بشيخ من من أهل المدينة من ولد الزبير يكنى أبا ريحانة جالسٌ بالباب وعليه شَمْلة[2] تستره ؛ فسلّمت عليه وجلست إليه ؛ فبينا أنا كذلك إذ طلعَتْ علينا سوداءُ تحمل قِرْبة ، فلما نظر إليها لم يتمالك أنْ قام إليها وقال لها : غَنِّنى صوتاً ، فقالت : إنّ موالىّ أعجلونى ، قال : لا بدّ من ذلك ، قالت : أمَا والقِرْبَةُ على كتفى فلا ، قال : فأنا أحملها . فأخذ القربة منها فحملها واندفعت تغنى :

فؤادِى أسيرٌ لا يُفَكُّ ومهجتى ... تقضّى[3] وأحزانى عليك تطولُ
ولى مقلةٌ قَرْحَى لطول اشتياقها ... إليك وأجفانى عليك هُمولُ
فديتك ، أعدائى كثيرٌ وشُقّتى ... بعيد وأشياعى لديك قليلُ
وكنت إذا ما جئت جئت بِعلّة ... فأفنيت عِلاّتى فكيف أقولُ !

فطرب وصرخ ، وضرب بالقِرْبة الأرض فشقّها ؛ وقامت الجاريةُ تبكى ، وقالت : ما هذا بجزائى منك ، شفعتك[4] فى حاجتك ، فعرّضتنى لما أكرهُ من موالى ! فقال : لا تغتمّى فالمصيبةُ علىّ حصلَتْ ، ونزع الشّمْلَة ، ووضع يداً من قدّام ويداً من خلف ، وباعها وابتاع لها قِرْبة وقعد بتلك الحال ؛ فاجتاز به رجلٌ من ولد على رضى الله عنه . فعرف حاله فقال : يا أبا ريحانة ؛ أحسبك من الذين قال الله عزوجل فيهم : «فما ربحَتْ تجارتهم وما كانوا مهتدين». قال : لا، يابْنَ رسول الله ، ولكنى من الذين يقول الله لهم : « فبشِّرْ عبادى الذين يستمعون القولَ فيتبعونَ أحسنَه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » . فضحك وأمر له بألف درهم .

وقال رجل لابن جُعْدُبة : يا أبا الحكم ؛ الرجل الذى يَشْدُو بالأصوات ما ترى

(١) المرجع السابق . (٢) الشملة : كساء يشتمل به . (٣) فى زهر الآداب : تفيض .
(٤) فى زهر الآداب : أسعفتك بحاجتك .

فيه ؟ قال : سبحان الله ! كنَّا إذا أتت على الرجل أربعون سنة لا يحسنُ عَشْرَةَ أصوات عدَدْناه من أهل بقيع الغرقد ـ يعنى الموتى .

ومر بالأوقص المخزومى ـ وهو قاضى المدينة ـ يتغنّى بليل فأشرف عليه ، وقال : يا هذا ؛ شرِبْتَ حراماً ، وأيقظت نياماً ، وغنّيت خطأ ، خُذْ عنى ـ وأصلَح له الغناء .

يتغنيان فى مسجد الرسول

وقال أبو العباس[1] محمد بن يزيد المبرد : حُدّثت أن مَدَنِيًّا[2] كان يصلّى مذ طلعت الشمسُ إلى أن قارب النهار [أن][3] ينتصف ، ومن ورائه رجل يتغنّى ، وهما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا برجل من الشُّرَط قد قبَض على الرجل[4] فقال : أترفَعُ عَقِيرتَك بالغناء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأخذه ؛ فانفتل المدنِيّ[5] ، من صلاته ، فلم يزل يطلب [إليه][6] فيه حتى استنقذه ، ثم أقبل عليه فقال : أتدرى لِمَ شفَعْتُ فيك ؟ قال : لا ، ولكنى إخالُك رحمتنى ، قال : إذاً فلا رحمنى الله . قال : فأحسبك عرفتَ قرابةً بيننا . قال : إذاً قطعَها الله ، قال : فلِيَدٍ تقدّمَتْ منى إليك ، قال : والله ولا عرَفْتُكَ قبلها . قال : فأخبرنى . قال : سمعتك تغنّيت آنِفاً فأقمتَ واوات مَعْبَد ، أما والله لو أسأتَ التأديةَ لكنتُ أَحدَ الأعوان عليك .

واوات معبد

قال : والصوت الذى يُنسب إلى واوات معبد شعرُ الأعشى الذى يعاتِب فيه يزيد بن مُسْهِر الشيبانى وهو :

هريرةَ ودِّعْهَا وإنْ لاَمَ لائمٌ   غداةَ غدٍ أم أنت للبين واجمُ
لقد كان فى حولٍ ثواء ثويتُهُ   تُقَضَّى لُبَانَاتٌ ويَسْأَمُ سَائِمُ

ويروى أن معبداً بلغه أن قتيبةَ بن مسلم فتح خمس مَدَائن ؛ فقال : لقد غنيتُ بخمسة أصوات هن أَشدُّ من فتح المدائن التى فتحها قتيبة . والأصوات ـ قال المبرد :

---

(١) الكامل للمبرد : ١ـ٣٩٦ . (٢) النسبة إلى مدينة الرسول : مدنى وإلى غيرها مدينى.
(٣) من الكامل . (٤) فى الكامل : على المغنى . (٥) فى ط : المدينى .
(٦) من الكامل ؛ أى يشفع إليه .

أحدها ، للأعشى يعاتب يزيد بن مسهر الشيباني : هريرة ودِّعْها وإن لام لائم. فأنشد البيتين . والثانى ، قوله[١] يعاتبه :

ودِّعْ هريرةَ إنَّ الركبَ مرتحل ... وهل تطيقُ وداعاً أيها الرَّجُلُ
غَيْدَاء فَرْعاء مصقولٌ عوارضُها ... تمشى الهوينا كما يمشى الوَجِى الوَحِلُ[٢]

والثالث ، للشماخ بن ضرار بن مُرَّة بن غَطَفان يقوله لعرَابة بن أوس[٣] :

رأيتُ عَرابةَ الأوسى ينمى[٤] ... إلى الخيرات منقطِعَ القرينِ
إذا ما رايةٌ رُفِعتْ لمجد ... تلقَّاهــا عَرابةُ باليمــينِ
إذا بلَّغْتِنى وحملْتِ رَحْلِى ... عرابةَ فاشْرَقِى بدمِ الوتينِ

والرابع ، لعمر بن أبى ربيعة[٥] :

ودِّعْ أمامة[٦] قبل أن تَترحَّلَا ... واسأل فإنّ قليلةً أن[٧] تسألا
امكُثْ لعمركَ ساعةً فتأنَّهَا[٨] ... فعسى الذى بخِلَتْ به أن يُبْذَلا
لسنا نُبالى حين ندرِكُ حاجة ... إن باتَ[٩] أو ظلَّ المطىُّ معقَّلا

قال أبو العباس[١٠] : والشعر الخامس لا أعرف قائله . قلت : وهو لعروة بن أذينةَ الليثى :

غرابٌ وظبىٌ أعضب القَرْن نادبا ... ببين وصُردانُ العشىّ تصيحُ
لَعَمْرِى لئن شطَّتْ بعَثمةَ دارُها ... لقد كنتُ من خوفِ الفراق أَلِيحُ[١١]

وكتب سليمان بن عبد الملك إلى عثمان بن حيان المرى[١٢] : أَحْصِ المخنّثين ،

---

(١) أى الأعشى ، المعلقات : ٢٨٨ . (٢) الوجى : الذى يشتكى حافره ولم يحف ، وهو مع ذلك وحل فهو أشد عليه . (٣) ديوانه : ٩٦ . (٤) فى الكامل والديوان : يسمو . (٥) ديوانه : ٨٧ . (٦) فى الكامل والديوان : لبانة .
(٧) فى ط : فإنه قليل أن لا تسألا . وهذا من الكامل . (٨) فى الديوان : وتهنها .
(٩) فى ط : إن بان، وهذا من الكامل والديوان . (١٠) أى المبرد .
(١١) ألاح الرجل : خاف وحاذر . (١٢) الكامل ١ـ٣٩٦، الأغانى ٤ـ٢٦٩ .

فوقعت فوق الحاء نقطة فأخذهم وخصاهم وفيهم الدَّلال ؛ فبلغ ذلك ابنَ أبي عتيق وقد قام إلى الصلاة فقال : أو قد خُصِي الدلال ؟ إنا لله ! لقد كان يحسن أن يغنّي[١] :

لِمَنْ طَلَلٌ بذات الجيْشِ أَمْسَى دارساً خَلَقا

ثم دخل فى الصلاة ؛ فلما فرغ من قراءة أمّ الكتاب قال : السلام عليكم ، وكان يحسِنُ خفيفَ هذا الشعر ولا يحسن ثقيلَه .

[من طرف ابن أبي عتيق]

ابن أبي ربيعة لم يرتكب محرما

ولابن أبي عتيق عجائبُ ظريفة أذكرُ لك منها ما يصلح ويملح ؛ منها أنه سمع وهو بالمدينة قول ابنِ أبي ربيعة[٢] :

فما نلتُ منها مَحْرَما غيرَ أنّنا كلانا من الثوبِ المَطَارِفِ لابِسُ[٣]

فقال : أَبِنَا يلعب ابنُ أبي ربيعة ؟ فأىّ محرم بَقِى ؟ فركب بغلته متوجّها إلى مكة ، ودخل أنصاب الحرم ، وقيل له : أَحْرِم ! قال : إنّ ذا الحاجة لا يُحْرِم . فلقى ابنُ أبي ربيعة ؛ فقال : أما زعمتَ أنك لم تركب محرّما قط ؟ قال : بلى ! قال : فما قولك : كلانا من الثوب ... البيت ؟ فقال له : إنّى أخبركَ ؛ خرجت بعلَّةِ[٤] المسجد [وخرجت زينب تريده ، فالتقينا فاتّعَدْنا][٥] ، فصِرْنَا إلى بعض الشّعاب ، فأخذَتْنَا السماء ، فأمرت بمطرفيّ فسترنا الغلمان لئلا يروا بها بِلَّة فيقولوا لها : هلاّ استترتِ بسقائفِ المسجد ؟ فقال له ابنُ أبي عتيق : يا عاهرُ ! هذا البيت يحتاج إلى حاضنة ؟

ابن أبي عتيق يصلح الثريا

وابنُ أبي عتيق الذى سمع قول ابن أبي ربيعة[٦] :

قال لى صاحبى ليعلمَ ما بى أتحبُّ القتول[٧] أختَ الرَّبابِ

(١) نهاية الأرب ٤ـ٣١٥ . (٢) ديوانه: ١٠٤ ، الأغانى: ١ـ٩٩ ، الكامل : ١ـ٣٧٨ .
(٣) فى الديوان ، والأغانى: الموردلامس، وفى ط والكامل: المطرف. (٤) فى الأغانى : أريد .
(٥) من الأغانى . (٦) الأغانى : ١ـ٢٤١ ، ديوانه: ١١٧ ، الكامل : ١ـ٣٨٢ ، زهر الآداب : ٢٤٧ . (٧) فى الأغانى : البتول .

قلتُ وَجْدِى بها كوجدِكَ بالما ء إذا ما فقدت[1] بَرْدَ الشرابِ
أَزْهَقَتْ أمُّ نوفلٍ إذْ دَعتْها مُهجتى ، ما لقاتلى من مَتَابِ
أَبرزُوها مثل المهاة تَهادَى بين خمسٍ كواعبٍ أَترابِ
وهْىَ[2] مكنونةٌ تحيّرَ[3] منها فى أَديم الخدَّيْنِ ماءُ الشبابِ
ثم قالوا تحبُّها قلت بَهْراً عددَ الرمل والحصى والترابِ
مَنْ رسولى إلى الثريا بأنى ضِقْتُ ذَرْعاً بهجْرِها والكتَابِ

فلما سمع هذا البيت قال : إياى أراد وبى هتف ونوَّه ؛ والله لا ذقْتُ طعاما أو أَشخص إليها وأُصلح بينهما .

قال مولى لبنى تميم[4] : فنهض ونهضتُ معه حتى خرج إلى سوق الضمرتين ، فأتى قوما من بنى الديل من حنيفة يكْرُون النجائب ، فقال : بكم تكرونني راحلتين إلى مكة ؟ قالوا : بكذا وكذا ، فقلت لبعض التجار : استوضِعُوا شيئاً ؛ فقال ابنُ أبى عتيق : ويحك ! إنَّ المِكَاسَ[5] ليس من أخلاق الناس ، ثم ركب واحدة وركبت الأُخرى وأَجدَّ السير ، فقلت : ارفق[6] بنفسك . فقال : ويحك : * أبادِرُ حَبْلَ الوصلِ أن يتقضَّبَا[7] * وما أملح الدنيا إذا تمّ الوصلُ بين عمر والثريا . فقدمنا مكة ، وأتى باب الثريا ، فقالت : والله ما كنت لنا زوّارا . قال: أجل ! ولكنى جئتُ برسالة ؛ يقول لك ابنُ عمك عمر : ضقت ذرعا بهجرك والكتاب . فلامه عمر . فقال ابن أبى عتيق : إنما رأيتك مبادرا تلتمسُ رسولا فخففْتُ فى حاجتك ، فإنما كان ثوابى أن أُشْكَر .

وسمع ابن أبى عتيق قول العرجى[8] :

وما ليلةٌ عندى وإنْ قيل ليلة ولا ليلةُ الأَضْحَى ولا ليلة الفِطْرِ

(١) فى الأغانى والديوان : إذامامنعت . وفى ط : إذا فقدت . (٢) فى ط : ومنى .
(٣) فى زهرالآداب : تحدر . (٤) الأغانى : ١ ــ ٢٢٢ . (٥) المكاس : المشاحة .
(٦) فى الأغانى : أبق على نفسك . (٧) فى ط : يتقصبا . وتقضب : تقطع .
(٨) زهر الآداب : ٥٥٨ .

معادلة الإثنين عندى وبالحرى يكون سواءً مثلَها ليلةُ القَدْرِ
وما أنس مِ الأشياء لا أَنس قولها لخادمها قومى سَلِى لى عن الوِتْرِ
فجاءت تقولُ الناس فى تسع[1] عشرة ولا تَعْجَلِى عنه فإنك فى أَجْرِ

فقال : هذه أفقَهُ من ابنِ شهاب ، وهى حرّةٌ لله عزّ وجل من مالى إن أجاز أهلها ذلك .

ابن أبى عتيق وبغلة الحسن

وقال له مروان بن الحكم يوما : إنّى مشغوف ببغلة للحسن بن على ، قال له : فإن دفعتها إليك أتَقضِى لى ثلاثين حاجة ؟ ومروانُ يومئذ أميرُ المدينة ، قال : فإذا اجتمع الناسُ عندك فى العشية فإنى آخذٌ فى مآثر قريش ، فأُمسك عن الحسن فلُمْنِى على ذلك . فلما أخذوا فى مجالسهم أفاضَ فى أوليّة قريش ؛ فقال له مروان : أما تذكر أوليّة أبى محمد ، وله فى هذا ماليس لأحد ؟ فقال : إنما كنّا فى ذكر الأشراف ولو كُنَّا فى ذكر الأنبياء لقدّمنا لأبى محمد . فلما خرج الحسنُ ليركب البغلة تبعه ابنُ أبى عتيق : فقال له الحسن وتبسَّم : ألك حاجة ؟ قال : نعم ! ذكرتُ البغلة ؟ فنزل الحسن ودفعها إليه .

ابن أبى عتيق وتحريم الغناء بمكة

ومن ظريف أخباره أنَّ عثمان بن حيّان المرى[2] لما دخل المدينة واليا عليها اجتمع إليه الأشرافُ من قريش والأنصار . فقالوا : إنك لاتعملُ عملا أجدى ولا أولى من تحريم الغناء والرثاء[3] . ففعل وأجَّلهم ثلاثا ، فقدم ابنُ أبى عتيق فى الليلة الثالثة فحطَّ رحْلَه بباب سلاّمة[4] الزرقاء ، فقال لها : بدأتُ بك قبل أن أَصيرَ إلى منزلى . فقالت : أو ماتدرى ماحَدث ؟ وأخبرَتْه الخبر . فقال : أقيمى إلى السّحَر حتى ألقاه ، ولا بأسَ عليك . ثم مضى إلى عثمان بن حيان فاستأذنَ عليه ، وأخبره أنَّ أجلَّ ماأقدمه حبُّ التسليم عليه ، وقال له : مِنْ أفضلِ ماعملت به تحريمُ الغناء والرثاء[3] . فقال :

---

(١) فى زهر الآداب : فى ست عشرة (٢) الأغانى: ٨ ـ ٣٤٣ ، الكامل: ١ ـ ٣٨٠ .
(٣) فى ط : والزنا . (٤) سلامة : من مولدات المدينة ، وكانت قد قرأت القرآن وروت الأشعار وأخذت الغناء من جميلة مولاة بنى سليم .

إن أهلك أشاروا عليّ بذلك . قال : فإنك قد وُفِّقتَ ، ولكنى رسولُ امرأة إليك تقولُ : كانت هذه صناعتى فبنت [١] منها ، وأنا أسألُك أيها الأمير ألاّ تحولَ بينى وبين مجاورة قَبْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عثمان : إذًا أَدعها لك . قال : إذا لاتدعُك الناس . ولكن تَدْعوها [٢] فتنظر إليها فإن كانت ممن يُترْك تركتَها . قال : فادْعُ بها . فأمرها ابنُ أبى عتيق فتقشّفَتْ وأخذت سبْحَة فى يديها ، وصارت إليه ، فحدّثَتْه عن مآثر آبائه، ففكِه [٣] لها . فقال ابنُ أبى عتيق : اقرئى للأمير ، ففعلتْ فأُعجب بذلك . فقال لها : فاحْدِى للأمير ففعلت ، فأُعجب بحُدائها . ثم قال لها : غبِّرى [٤] للأمير ، فجعل يُعجَب بذلك ، فقال له ابنُ أبى عتيق : فكيف لو سمعتَها فى صناعاتها ؟ فقال : قل لها فلتقل ! فأمرها فغنّت :

سدَدْنَ خَصاصَ الخَيْم [٥] لمادخَلْنَه ... بكلِّ بنَانٍ واضِحٍ وجَبِينِ

فنزل عثمانُ عن سريره حتى جلس بين يديها ، ثم قال : والله مامثلُك يخرج عن المدينة . فقال له ابنُ أبى عتيق : يقول الناس أَذِن لسلّامة فى المُقَام ومنع غيرها ! فقال عثمان : قد أَذِنتُ لهم جميعا .

ابن أبى عتيق

وابن أبى عتيق : هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم ، وكان أجلَّ أهل زمانه . وذكر أنه دخل على عائشة وهى لما بها [٦] ، فقال : كيف أنت ياأماه ؟ جعلت فداك ! قالت : فى الموت ، قال : فلا إذاً ، إنما ظننت أن فى الأمر فُسحة ، فضحكت وقالت : ماتدع مَزْحَك بحال ! !

---

(١) فى الكامل : فتبت إلى الله منها . (٢) فى الكامل : تدعو بها .

(٣) فكه لها : طابت نفسه. (٤) التغبير: ضرب من الغناء، اتخذه المتصوفة يتواجدون على أنغامه.

(٥) الخصاص : خروق واسعة فى الخيم قدر الوجه . الواحدة خصاصة ، وهو يصف نساء تطلعن منها، والخيم : أعواد تنصب فى القيظ وتجعل لها عوارض وتظلل بالشجر فتكون أبرد من الأخبية . (٦) أى إنها متألمة من مرضها .

[معاوية يداوى أذنه بالغناء]

غناء عند عبد الله بن جعفر

وقال ابن جريج (١) : كان عبد الله بن جعفر إذا قدم على معاوية أنزله دارَه وأظهر له من إكرامه وبرّه مايستحقّه ؛ فكان ذلك يغيظ فاخِتَة بنت قرظة بن عبد بن عمرو ابن نوفل بن عبد مناف زوج معاوية ، فسمِعَتْ ذات ليلة عند عبد الله غناء ، فجاءت إلى معاوية فقالت : هلّم فاسمع مافى منزل هذا الذى جعلته بين لحمك ودمك ، وأنزلتَه مع حرمك !

قال : فجاءمعاوية فسمع وانصرف ، فلما كان آخر الليل سمع معاوية قراءةَ عبد الله ، فجاء فأيقظ فاختة وقال : اسمعى مكان ماأسمعتِنى ! ! ثم إنه أرِقَ ذات ليلة فقال لجريج خادمه : اذهب فانظر مَنْ عند عبد الله وأخبره أنى فى أثرك ، فأتاه فأعلمه ذلك ، فأقام عبدُ الله مَنْ عنده ، ثم دخل معاوية فلم يرَ فى المجلس أحداً ، فقال لعبد الله : مجلس مَنْ هذا ؟ قال : مجلس فلان ، قال : فمره أن يرجعَ إليه ، ثم قال : مجلِسُ مَنْ هذا ؟ قال: مجلس فلان ، قال : فمُرْه أن يرجعَ إليه؛ فرجعوا حتى لم يبقَ إلا مجلِسٌ واحد ، قال : مجلس من هذا ؟ قال : مجلس واحد يُداوِى الآذانَ . قال : مُرْه فليرجع فإنَّ بأُذنى علَّة ، فأمر عبد الله بديحا المليح فخرج؛ فأدناه معاويةُ منه وأراه أذنه . وقال : انظر ماترى فيها ؟ قال : هى مسدودة وتحتاجُ إلى فتح وتنقية ، قال : شأنك أمكنتك منها ، ولا تَضَع يدكَ عليها إن كنت غير حاذق بعلاجها . قال عبد الله : ياأميرالمؤمنين ؛ هو حاذق، مايعالجُ مَنْ فى دارنا غيرُه . فقال معاوية : وشهد شاهد من أهلها ، فاندفع يغنّى من شعر زهير بن أبى سلمى (٢) :

أمن أم أو فى دمنةٌ لم تكلَّم   بحَوْمَانَةِ الدرّاج فالمتثلَّم

فجعل عبدُ الله بن جعفر يلحظ معاوية وهو يحرِّكُ يديه ورجليه ، فقال : يُعيِّرُكَ الجهل ياأميرَ المؤمنين ، فقال : إن الجهلَ منى لعلى بُعدٍ يابْنَ جعفر ، قبّحَ اللهُ ضيافة

---

(١) الأغانى: ٤ ـ ٢١٢ ، المستطرف: ٢ ـ ١٤٩ ، العقد الفريد : ٢ ـ ٤٩ .

(٢) المعلقات .

يكون الضيفُ فيها بحيث لايساعِدُ المضيف على أخلاقه ، ثم قال لبديح : لقد فتحت جارحة لاتألم أبدا ؛ ثم نهض وخرج .

[من طرف بديح]

أمانى بديح

وكان بديح أَحلى الناس وأذكاهم ، وهوالذى قال له الوليد بن يزيد : يابديح ؛ خُذْ بنا فى الأمانى ، فإنى أغلبك فيها فقال : ياأمير المؤمنين : انا أغلبك لأنى فقير وأنت خليفة ، وإنما يتمـنّى المرء ماعسى أن يبلغَ إليه وأنت قدبلغتَ الآمال . قال : لاتتمنى شيئا إلا تمنيت ماهو أكثر منه . قال : فإنى أتمنى كِفْلَين [1] من العذاب وأن يلعننى اللهُ لعنا وبيلا ، فقال : اعزُبْ لعنك الله دون خَلْقِه .

بديح ورقية عبد الملك

ودخل عبدُ الله بن جعفر [2] على عبد الملك بن مروان وقد اشتـكى عرق النَّسَا [3] ، فقال : ياأمير المؤمنين ؛ إن مولاى بديحا أحذق الناس برُقْيته ، قال : أتجيئنى به . فجاءه بهفرقاً ؛ فبات تلك الليلة هادئاً ، فلماأصبح سأله عبدُ الله بن جعفر عن حاله ، فأخبره بماوجد من العافية ؛ ثمقال لبديح : اكتب لنا هذهالرقية لتـكون عندنا ، قال : لا أفعل ، قال : أقسمت عليك لتفعلنّ ، قال اكتب :

أَلَا إنَّ أيامى وأيامك التى ... مضَيْنَ لنا لم أَدْر ما أَلَمُ الهَجْرِ
مضَيْنَ وما شىء مضى لكِ عائدٌ ... فهل لك فيها إن تولَّـيْنَ من عُذْرِ
دَعِى مامضى واستقبلى العيشَ إننى ... رأيت ُلذيذَ العيشِ مستقبلَ العُمْرِ
فمانازعَ الدهر امرءا فى انقلابه ... فأَعتبَه إلاَّ بقاصمة الظَّـهْرِ

فقال عبدالملك : فأى شىء هذا ؟ قال : امرأتىطالقٌ إن كنت رقيتك إلابهذه ! قال : ويحك ! استُرْ علينا ، قال : كيف أستر ماسارت به الرُّكْبَان !

---

(١) الكفل : النصيب والحظ . (٢) المستطرف : ٢ - ٢٣٢ .

(٣) النسا : عرق من الورك إلى الكعب ، ولا يقال : عرق النسا ؛ لأن الشىء لايضاف إلى مثله .

[يتغنى فى مسجد الأحزاب]

قال أبومسلم الهلالى المكّى: حدثنى أبىعن أبيه قال : أتيت عبد العزيز بن المطلب أسأله عن بيعة الجنّ للنبى صلى الله عليه وسلم بمسجد الأحزاب وما كان بدؤها ؟ فوجدتُه مستلقياً يتغـنّى [١] :

فما رَوْضَةٌ بالحَزْن مُعْشبة [٢] الثرى ... يمجُّ الندى جَثْجَاثُها وعَرارُها [٣]

بأطيبَ من أردانِ عَزَّة مَوْهِنًا ... إذا [٤] أوقِدَتْ بالمندل الرطْبِ نَارُها

من الخفراتِ البيضِ لم تلق شقوة ... وفى الحسب المـكنون صَافٍ نجارها [٥]

إذا خفيت كانت لعينك قُرَّةً ... وإن تبد يوماً لم يعمَّـك عَارُها

فقلت له : مثلُك أصلحك الله يتغـنّى ؟ أما والله لأحدونَّ بها رُكبانَ نجد ، فعاود يتغنى :

فمـا ظَبْيَةٌ أَدْماء خفّاقة الحَشَا ... تجوب بطفليها مُتُونَ الخمائل

بأحسنَ منها إذ تقولُ تدلُّلا ... وأدمعها يجرين حَشْو المـكاحِلِ

تمتّع بذا اليوم القصير فإنه ... رهينٌ بأيام الشهور الأطاول

فندمت على قولى وقلت : أتحدثنى فى هذا بشىء ؟ قال : نعم ! حدثنى أبى أنه دخل على سالم بن عبد الله وأشعب الطماع يغنيه :

مغيريَّة كالبَدْر سنة وَجْهها ... مطهرة الأثواب والدينُ وافرُ

من الخفرات البيض لم تلق ريبة ... ولم يستزلها عن تُقَى الله شاعِرُ

لها حسبٌ زَاكٍ وعِرْض مهذّب ... وعن كل مكروهٍ من الأمر زَاجِرُ

---

(١) الشعر لـكثير عزة كما فى الأغانى ٩ ـ ٣٨ والشعراء : ٤٨٧ ، والبيتان الأولان فى اللسان ـ مادة جث غير منسوبين . (٢) فى الشعراء : طيبة الثرى . (٣) الجثجاث : شجر أخضر له زهرة صفراء طيبة الريح . (٤) فى اللسان : من فيها إذا جئت طارقا وقد أوقدت بالمجمر اللدن . (٥) فى الأغانى :

من الخفرات البيض ود جليسها ... إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

وفى ط : وبالحسب المـكنون ضاق نجارها .

فقال سالم : زدنى ، فغنى :

أَلَمَّتْ به والليل داجٍ كأنه جناحُ غراب عند مانفض القَطْرَا
فقلت أعطَّار ثَوَى فى رحالنا وما حملَتْ ليلى سوى نَشْرِها عِطْرَا

فقال له سالم : أما والله لولا أن تداولَه الرواة لأحسنْت جائزتك ؛ لأنك من هذا الأمر بمكان .

[غناء ومزاح فى مسجد رسول الله]

وقال إبراهيم الحرَّانى : حججت مع أمير المؤمنين الرشيد فدخلت مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فبينا أنا بين القَبْرِ والمنبر إذ أنا برجل حسن الهيئة خاضب ، ومعه رجلٌ فى مثل حاله ؛ فحانَتْ منى التفاتة فإذا هو يقوِّسُ حاجبه ويفتح فاه ، ويَلْوِى عنقه ويشير بعينه ، فتجوزت فى صلاتى ثم سلّمت فقلت : أفى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تتغنى ؟ ! فقال : قنعك الله خزية . ماأَجهلك ! أما فى الجنة غِنَاء ؟ قلت : بلى لعمرى فيها ماتشتَهِى الأنفسُ وتَلَذُّ الأعين ، قال : أمانحن فى روضة من رياض الجنة ؟ قلت : لا ! قال : واحرباه ! أتردُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : بين قبرى ومنبرى رَوْضَةٌ من رياض الجنة ! فنحن فى تلك الروضة . قلت : قبح الله شيخاً ماأسفهه ! قال : بالقبر والمنبر لما أنصتَّ إلىّ ؟ فتخوفت ألاَّ أُنْصِتَ ؛ فاندفع يغنى بصوت يخفيه :

فليست عشياتُ الحِمَى برواجع إليك ، ولكنْ خَلِّ عينيك تدمعا
بكْت عينى اليسرى فلما زَجَرْتُهَا عن الجهل بعد الحلم أَسبلتا معا

الشعر للصمة بن عبد الله القشيرى .

فوالله إنْ قمتُ إلى الصلاةِ لما دخل قلبى ؛ فلما رأى مانزل بى قال : يابنَ أم ، أَرى نفسك قد استجابَتْ وطابَتْ ، فهل لك فى زيادة ؟ قلت : ويحك ! فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ! قال : أناوالله أعرَفُ بالله ورسوله منك ، فدَعْنَا من جهلك ؛ ثم تغنى :

فلو كان واش بالمدينة دارُه ودارى بأقصى حَضْرَ مَوْتَ اهتدى لِيَا
وماذا لهم لاأَحْسنَ اللهُ حِفْظَهم من الشأن فى تصريم لَيْلَى حِبالِيَا ؟

الشعر لمجنون بنى عامر الملوح .

فقال له صاحبه : يابن أمّ ؛ أحسنتَ والله ، وعتق ممالك ، لو كان أميرُ المؤمنين الرشيد فى هذا الموضع لخلعَ عليك ثيابه طرَباً. قال : فقمت وهما لايعلمان مَنْ أنا ، فدخلتُ على أمير المؤمنين فأعلمتُه الخبر ؛ فقال : أدرِكهما لايفوتانك .

فوجّهت مَنْ جاء بهما ، فلما دخلا عليه دخلا بوجوهٍ قد ذهب ماؤُها ، وأناقائم على رأسه ، فقال : ياإبراهيم ؛ هذان هما ؟ قلت : نعم . فنظر إلىّ المغنِّى منهما وقال : سِعَاية[١] فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فسُرِّى عن أمير المؤمنين بعضُ غضبه ، وتبسَّم فقال : ما كنتما فيه ؟ قالا : فى خير . قال : فماذا الخير ؟ فسكتا . فقال للمغـنّى منهما : من أنتَ ؟ فابتدره جماعةٌ فقالوا : يا أمير المؤمنين ، هذا ابن جُرَيج[٢] فقيهُ مكةفقال : فقيه مكةيتغـنّى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

قال : يا أمير المؤمنين ؛ لم يكن ذلك منى بالقَصْد للغناء ولـكنى كنتُ أَسْمعت هذا المخزومى ـ يعنى صاحبه ـ صوتين ، فلم يزالا فى قلبى حتى التقينا ، فأحببتُ أن يأخذَها عنى ، فأخذها ، وحلف أنى قد أحسنتُ ، وأنه لو كان فى الموضع أميرُ المؤمنين لخلع علىّ وسكت .

فقال الرشيد : تركتَ من الحديث شيئاً ؟ قال : ما تركت شيئاً يا أمير المؤمنين . قال : والله لتقولنّ . قال : يا أمير المؤمنين ، زعم أنك لو كنتَ فى موضعه لخلعتَ علىّ ثيابا مشقوقة طرباً .

فتبسّم وقال : أمّا هذا فلا ، ولـكن نخلعُها عليك صحيحة فهى خيرٌ لك . ثم دعا بثياب فلبسها ونبذ إليه ثيابَه ، وأمر له بعشرين ألف درهم ولصاحبه بعشرة

---

(١) سعاية : وشاية . (٢) ابن جريج : هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ويكنى أبا الوليد .

آلاف درهم . وقال : لاتعودَنَّ لهذا . فقال صاحبه : إلا أن يحجَّ أميرُ المؤمنين ثانية . فضحك وقال : ألحقوه بصاحبه فى الجائزة .

[فى سوق القسى]

قال إبراهيم الحرانى : ثم قدمنا مكة فإنى لفى سوق القسىّ أُساوم بقوسٍ عربية بكنانتها ، إذا بإنسانٍ عن يمينى يقول : نِعْمَ القوسُ فى يدك . قلت : أريد أبسط منها قليلا ؟ قال : فعندى بغيتك إئت المنزل ، فصرتُ إليه ، فأخرج إلىّ قوساً جيدةً لينةً حسنةَ الصنعة ، قلت : نعم ! هذه أُريد ، فكم ثمنها ؟ قال : عشرة دنانير ، قلت : يا هذا ، أغرَقْتَ فى النزع[1] ، قال : هذا سَوْمى ، فهات سَوْمَك أنت . قلت : بدينارين . فأحدَّ النظر ، وقال : وآتيك ؛ فالذى كان يجبُ للطبيعة أن تأتى به تحوّل فصار ضحكا . فقلت : غضِبَ الله عليك ، تُطْلِقُ لسانَك فى حَرَم الله وأَمْنِه فى أيامٍ عظيمة ؛ فأنت بمثل هذه السن تتكلم بهذا الكلام ! ! فقال : هو ماقلتُ لك ، إنما هو بيعٌ وشراء ، فلا تغضَبْ ؛ فإنى لم أغضَبْ من عطيتِك .

قال : ففارقته ، ودخلتُ علىأمير المؤمنين ، فقلت : ياسيدى ؛ ههنا خبر أَعجبمن خبر ابن جريج ! ! وحدَّثتُه الحديث ، فقال : ارجع وجئنىبه ، فوجَّهتُ غلاماً كان معى وأنا أُساومه ومعه أعوانٌ ؛ فجاءوا به ، فلما دخل عليه قال : هذا صاحبُك ياإبراهيم ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ! فقال الرشيد : ماذا قلتَ لهذا حين ساومك بالقوس؟ قال : قد دار بينى وبينه كلام . قال : أخبرنى به . قال : لستَ منى علىسَوْم فأخبرك . قال : فماذا قالك ؟ قال : هوأعلمُ بماقال . فقال إبراهيمُ : ياأمير المؤمنين ؛ أَخْرَج إلىّ قوساً عربية بكنانتها ، فقلت : بكم هذه ؟ قال : بعشرة دنانير . قلت : أسرفتَ فخُذ منى دينارين . قال : وآتيك . قال الرشيد : كذا كان ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين ؛ إنما هذا شراءٌ وبيع ولم يتمّ لى بيعها بما أعطانى ، وظننتُ أن بضاعته قليلة فقلت : آخذ دينارين وعروضاً بالباقى .

---

(١) أى فى المنازعة : أى الأخذ والعطاء ، والمراد المساومة أى زدت فى الثمن المطلوب (هـ ط).

فضحك الرشيد حتى تبسّط . ثم قال : قاتلك الله ! فما أقبح مجونك ! ووصله .

قال إبراهيم : فلما انصرفنا خارجين عن مكّة مررتُ به ، فوقفتُ عليه وسلّمت عليه . فقال : ماترى فى تيك القوس ؟ أَلك فيها رأى ؟ قلت : أما على شريطتك الأُولى فلا . قال : فلا بأس فخُذْها منى بدينارين وغَنِّ لى ثلاثة أصوات ، أو خُذْها بخمسة وأُغنّيك أربعةَ أصواتٍ ، ثلاثة لمعبد ، وواحد لابن عائشة كان يفعل فيه ماأحلَّ الله وحرّم ، قلت : هذا وحده . فاندفع يغنى [1] :

وخُطًّا بأَطراف الأَسنَّة مَضْجَعى ... ورُدَّا على عينىَّ فَضْلَ رِدائيا

الشعر لمالك بن الريب [2] المازنى ـ فأجاده [3] ماشاء وحسنه . فقلت : لولا أن أميرَ المؤمنين قد قُدّمت له دابته لوقفت عليك . فقال : امض عليك السلام وإن كان فى القلب مافيه ؛ إذبخِلْتَ على أخيك بضمَّة أو ضمتين . قلت [4] : مالك لعنك الله ! ! وفارقته ، وحدَّثت أمير المؤمنين بما قال فقال : ياإبراهيم ، تجدُ بالعراق ـ طولا وعرضاً ـ واحداً له مالأهل الحرمين [5] من الذكاء والظرف ؟ قلت : لاأعرف موضِعَه .

[الأشراف تعجبهم الملح]

وقال الأصمعى [6] : أنشدت محمد بن عمران قاضى المدينة ـ وكان أعقلَ مَنْ رأيته :

يأيها السائلُ عن منزلى ... نزلْت بالخان [7] على نفسى

يغدو علىّ الخبزُ من خابزٍ ... لايقبلُ الرهن ولا يُنْسِى [8]

آكل من كيسى ومن كسوتى [9] ... حتى لقد أَوجعنى ضِرْسِى

فقال : اكتب لى الأبيات . فقلت : أصلحك الله ؛ هذا لايُشْبِه مثلَك ، إنما يَرْوِى مثل هذا الأحداث ، قال : اكتبها لى ، فالأشراف تعجبهم المُلَح .

---

(١) الأمالى : ٣ ـ ١٤٦ . (٢) فى ط : بن الذئب .
(٣) فى ط : فأجازه . (٤) فى ط : قال . (٥) فى ط : الحمير .
(٦) زهر الآداب : ١٦٠ . (٧) فى زهر الآداب : فى الخان . (٨) ينسى : ينسئ ، أى يؤخر . (٩) فى زهر الآداب : ومن كسرتى .

وقد قال الطائى فى عمرو بن طوق التغلبي [١] :

الجد شيمتُه وفيه فكاهة ... سمحٌ ولا جدٌّ لمن لم يلعب

شرسٌ ويُتْبِعُ ذاك لين خليقةٍ ... لاخيرَ فى الصهباء مالم تُقْطَبِ [٢]

وقال فى الحسن بن وهب [٣] :

لله أيامٌ خطبنا لينَها ... فى ظله بالخندريس السلْسَلِ

بمدامةٍ نغَمُ السماع خفيرُها ... لاخيرَ فى المعلول غيرَ معلَّلِ

يعشو عليها وهو يجلو مقلتى ... بازٍ ويغفُل وهوغيرُ مغفلِ [٤]

لاطائشٌ تهفو خلائقُه ولا ... خشِنٌ الوقارِ كأنه فى محفلِ

فكهٌ يجمُّ الجدَّ أحياناً وقد ... ينضى ويهزلُ عيشُ مَن لم يهزلِ

وقال أبو الفتح على بن محمد البستى [٥] :

أفِدْ طبعك المكدود بالهمِّ راحةً ... براح وعلّله بشىء من المَزْحِ

ولكن إذا أعطيته [٦] ذاك فليكن ... بمقدار ماتُعْطِى الطعامَ من الملحِ

[بدء الكتاب]

ماشتمل عليه الكتاب

وهذا حين أَبتدِئُ متصرِّفا بك من بلاغة خطاب ، إلى براعة جواب ، وصريح منادرة ، إلى مليح مهاترة ، وغريب مراجعة ، إلى عجيب منازعة ، وتشبيه واقع ، إلى مثل صادع ، وغير ذلك ممايُحْيِى مَوَاتَ القلوب ، ويَشْفِى نجىّ الكروب ، مما تجذل له الخواطر ، وترتاح إليه السرائر ، وتنفتح به الأسماع ، وتنشرح له الطباع .

لانعرض عن النوادر

فما مرَّ به [٧] من هذه النوادر فلا تنظر إليها نظر المنكِر فتعُرِض عنها صفحاً ، وتطوى دونها كَشحاً ، إذا وقعت فيها كلمة قَذْف ، أولفظة سُخْف . وتقول : قد قال

---

(١) ديوانه ١٣ ، زهر الآداب : ١٦٤ . (٢) تقطب : تمزج بالماء .

(٣) ديوانه : ٢٣٤ ، زهر الآداب ١٦٤ . (٤) فى ط : بازق ينقل وهو غير منقل ، والتصحيح من الديوان ، وزهرالآداب . (٥) زهرالآداب : ١٦٥ ، نهاية الأرب : ٤ ـ ٧٤ .

(٦) فى زهر الآداب : أعطيته المزح . (٧) بالكتاب .

عمر بن عبد العزيز رحمه الله لغلامه ورأى رَوْثَ دابة : نَحِّ ذلك النَّقِيل [١] تصوناً عن اسم الرَّوْث. وقال : عرضت لى دُمَّل تحت يدى فآلمتنى، ولم يقل تحت إبطى .

بعض الكنايات

وكان الحجاج على قُبْح أفعاله ، وسوءِ أحواله ، يتنزَّه عن أن ينطِقَ بلفظة سخيفة . وقد قال لمن اتهمه بمال ابنِ الأشعث : لو خبأته تحت ، حتى قال : تحت ذيلك ، لم يكن بُدٌّ من إخراجه . وإنما أراد أن يقولَ تحت اسْتِك .

وأكثر القاذورات وردت بالكِنايات ؛ كالغائط وهو المطمئنّ من الأرض . وكانوا إذا أرادوا قضاءَ الحاجة ذهبوا إلى ذلك الموضع ؛ فسُمِّى ما يخرجُ من الإنسان باسم موضعه . وكذلك الاستنجاء أيضاً مأخوذ من النَّجْو ، وهو المكان المرتفع ؛ لاستتارهم وراءه . والحشّ [٢] : البستان . والعَذِرة : فناء الدار . وكذلك وصفهم لطيب الأَرْدَان ، وهى الأكام ، وإنما يُرَاد ما تحتها ، وإنما ذلك كله للفرار من النُّطْق بأسماء الأقذار .

لا تحسن الكنايات فى كل موضع

وليس فى كلّ موضع ـ أعزّك الله ـ تحسُن الكنايات عن لفظ فَحُش ، ولا بكل مكان يجمل الإعراض عن معنى وحش [٣] . فيكون كما حكى الجاحظ : أن رجلا بعث غلامَه إلى غريمٍ له ، فأساءَ الغلامُ خطابَه ، فخرق الغريمُ ثيابَه ؛ فرجع إلى مولاه ، فقال: مالك ؟ قال : شتمك يامولاى ، فلم أحتمل الصبر ، فردَدْت عليه ، فحلَّ بى ماترى قال : وما كان شَتْمُه ؟ قال قال لى : أَدْخِل هن الحمارِ فى حر أمِّ مَنْ أَرسلك . فقال له مولاه : دعنى عنك مما جرى ، ولكن لِمَ لَمْ تجعل لى من الوقار ماجعلته لأير الحمار حين كنيت عن ذا ولم تكن عن ذا !

فلو صرح بالجميع لكان أَسلم له من الذنب ، وآمن من العَتْب .

وقد قال أبو فراس الحمدانى لرسول أرسله إلَى مَنْ يَهْوَاه ، فجفا فى جوابه ، فلطف الرسول رسالته فتبيَّن أبو فراس ذلك فأنشده :

---

(١) أصل النقيل : الحجارة التى تنقلها قوائم الدابة من موضع إلى موضع . وفى ط : النفيل .
(٢) الحش مثلثة : المخرج لأنهم كانوا يقضون حوائجهم فى البساتين . (٣) من المكان الوحش ، وهو القفر ، أوهى مصحفة عن وخش بالخاء ، والوخش : الردىء من كل شىء .

وكَنَى الرسولُ عن الجواب تظرُّفا ولئن كَنَى فلقد علمنا ما عَنَى
قل يارسولُ ولا تَحَاشَ ، فإنه لابدَّ منه أساء بنا أم أحسنا
الذنْبُ لى فيما جَنــاهُ لأننى مكّنته من مُهْجَتِى فتمكّنَا

أخذه بعض المتأخرين فقال :

يارسولى خلِّ عنك الظرف إنْ كنتَ رسولَا
لاتقُلْ مالم يقُلْه واشْفِ بالصدق الغليلا

وهذا وإن لم يكن من مَحْضِ هذا الباب، إذ كان إنما يُستطاب ، لأنه من الأحباب ، كقول الآخر :

أتانى عنك شتْمُك لى وسَبِّى أليس جرى بفيك اسمى فحسبى

وكما قال منصور النمرى [١] :

لايطيبُ الهوى ولا يحسن الحبّ لخَلْقٍ [٢] إلاَّ بخَمْس خصال
بسماع [٣] الهوى وعَذْل نصيحٍ وعتــابٍ وهجرةٍ وتقَالِ [٤]

وكقول الآخر [٥] :

دع الحِبَّ [٦] يَصْلَى بالأذى من حبيبه فإنَّ الأذى ممن يُحَبُّ سرورُ
غُبارُ قطيع الشاء فى عين ربِّها [٧] إذا ماتلا آثارَهن ذرُورُ [٨]

وقول الآخر [١] :

لولا طراد [٩] الخيلِ لم تَكُ لذّةٌ فتطارَدِى لى بالوصال قليلا
هذا الشرابُ أخو الحياة ومالَه من لذةٍ حتى يصيبَ غليلا

---

(١) زهر الآداب : ١١ . (٢) فى زهر الآداب : اصب .
(٣) فى ط : لسماع . (٤) التقالى : التباغض . (٥) المختار من شعر بشار : ٥٩
(٦) فى المختار : الصب . (٧) فى المختار : فى عين ذئبها . (٨) الذرور : مايذر فى العين . (٩) فى زهر الآداب : لولا اطراد الصيد .

فهو يلمّ ببعض جهاته ، ويتطرف بإحدى جنباته .

وفى مثل التهاتر يمكن قول العتبى فيما سَهُلَ سبيله من ترْكِ الإعراض عما كان مَثَلُه بالقول لقائله كالولد لِنَاجله [١] : ماعلى مبصره أَنْ يَراه شريراً فاتِكاً دُون أَنْ يراه وقوراً ناسكا . وإنما تلزم عمدته ، وتعود عهدته ، فى سخفه وجهله ، على نفسه وأهله .

وقد قال بعض الظرفاء :

إنما للناسِ منّا حُسْنُ خلقٍ ومُزَاحِ
ولنا ماكان فينا من فسادٍ أو صَلَاحِ

ولو كنت هنا إنما آتى بما فيه ركانة [٢] وأصالة دون مافيه سخافة ورذالة ، لزال [٣] عن الملح اسمها ، وارتفع عنها وَسْمُها ، وخرجَتْ عن حدودها ، وأُفلِتت من قيودها . ولابدمن توشيحه بلطائفَ من الجد ، وظرائف من القَصد ، تتعلق بأغصانه ، وتتشبَّثُ بأفنانه ؛ ليكونَ استراحةً للناظر ، وإجماماً للخاطر ؛ وكمايملّ الجد ، فيدخل فيه الهزل ؛ كذلك يملّ الرقيق فيُحتاج إلى الجَزْل . والله أستغفرمما شُغِل به الخاطر ، وأتعب له الناظر ، وصرف إليه الفكر ، واستخدم فيه السر ، مما غيرُه أَعمّ فائدة ، وأتمّ عائدة ؛ فهو الرءوف الرحيم ، والجوادُ الكريم .

[من ملح أشعب]

قيل لأشعب الطماع [٤] : لقد لقيتَ التابعين وكثيراً من الصحابة ، فهل رَوَيْتَ مع علوّ سنّك حديثاً عن النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : نعم ، حدّثنى عِكْرِمَة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خَلَّتان [٥] لاتجتمعان فى مؤمن . قيل : وما هما ؟ قال : نسيتُ واحدةً ، ونسى عكرمة الأخرى .

---

(١) نجله : ولده . (٢) الركين : الرزين ، ومن الجبال : العالى الأركان ، وقد ركن كـكرم ركانة وركونة . وقد تـكون محرفة عن الزكانة . والإزكان أن تزكن شيئا بالظن فتصيب ، والاسم الزكانة . (٣) فى ط : لأزال .
(٤) انظر الأغانى : ١٧ـ٨٣ـ١٠٥ ، والعقد الفريد : ٦ـ٤٣١ . (٥) الخلة : الخصلة .

وقيل له : كم كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر رطلا .

وهذا كما قيل لطفيلي : كم اثنين فى اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة .

وسَأَلَتْه صديقةٌ له خاتماً وقالت له[1] : أذكرك به . قال : اذكُرى أنك سألتنى فمنعتك .

وساوم[2] بقَوْس بندق ، فقال صاحبها : بدينار ، فقال : والله لو كنتُ إذا رميتُ بها طائراً وقع مشوياً بين رغيفين مااشتريتها بدينار .

وأهدى رجل من ولد عامر بن لؤى إلى إسماعيل الأعرج فالوذجة وأَشعبُ حاضر فقال : كُلْ ياأشعب ، فأكل منها ، فقال له : كيف تراها ؟ قال : الطلاق يلزمه إن لم تكن عُملت قبل أن يُوحِي ربُّك إلى النحل . أى ليس فيها حلاوة .

وبأشعبٍ هذا يضرب المثل فى الطمع . قال الشاعر :

إنى لأَعجبُ من مطالك[3] أعجب   من طول ترددى إليك وتَكْذِبُ
وتقول لى تأتى وتَحْلِفُ كاذباً   فأجىء من طَمَعٍ إليك وأَذهبُ
فإذا اجتمعت أنا وأنت بمجلس   قالوا مسيلمة وهــذا أَشْعَبُ

وقيل له[4] : أرأيت أطمعَ منك ؟ قال : نعم كلبةُ آل أبى فلان ، رأَتْ شخصاً يمضغ عِلْكا[5] ، فتبعَتْه فرسخاً تظنّ أنه يرْمِى لها بشىء من الخبز .

ومرّ[6] أشعب برجل يعمل طبقاً من الخيزران ؛ فقال له : أريدُ أن تزيدَ فيه طوقاً أو طوقين . قال : فما فائدتك ؟ قال : لعل أحداً من أشراف المدينة يُهْدِى لنا فيه شيئاً .

وكان أشعب[7] يعشق امرأة بالمدينة ويتحدّث فيها حتى عُرِف بها ، فقال لها

---

(١) زهر الأداب : ١٦٢ .   (٢) العقد الفريد : ٦ـ٤٣١ .
(٣) المطال : التسويف بالعدة .   (٤) زهر الآداب : ١٦٢ .   (٥) العلك : مايمضغ .
(٦) العقدالفريد: ٦ـ٤٣٣ .   (٧) الأغانى: ١٧ـ٩١ .

جاراتها : لو سألته شيئاً ؟ فأتاها يوماً فقالت : إن جاراتى يقُلْنَ ما يصلكِ بشىء . فخرج عنها ولم يقربها شهرين . ثم أتاها فأخرجَتْ له قدحا فيه ماء ، فقالت له : اشرب هذا للفزع ! فقال : بل أنت اشربيه للطمع . ومضى فلم يَعُدْ إليها .

وأشعب هذا[١] : هو أشعب بن جبير مولى عبد الله بن الزبير ، وكان أَحلى الناس مفاكهة .

قال الزبير بن بكّار : أهل المدينة يقولون : تغيَّر كلّ شىء من الدنيا إلا مُلَح أشعب ، وخُبْز أبى الغيث ، ومِشْية برّة . وكان أبو الغيث يعالج الخُبْزَ بالمدينة ؛ وبرّة بنت سعد بن الأسود ؛ وكانت من أَجمل النساء وأحسنهن مِشية .

وكان أشعب قد نشأ فى حجر عائشة بنت عثمان بن عفان رضى الله عنه مع أبى الزناد[٢] . قال أشعب : فلم يزل يَعْلُو وأسفل حتى بلغنا الغاية .

قال : وأسلمته عائشة إلى مَنْ يعلمه البزّ ؛ فسألته بعد سنة أين بلغت ؟ قال : نصف العمل وبَقِى نصفه ، قالت له : كيف ؟ قال : تعلمْتُ النَّشر وبقى الطىّ .

وكان أشعب أطيبَ الناس غناء ، وأكثرهم ملحاً ، ونَسُك فى آخر عمره ومات على ذلك رحمه الله تعالى . وكان يوم قُتِل عثمان غلاماً يسقى الماء وبقى إلى خلافة المهدى .

وخرج سالم بن عبد الله متنزهاً إلى ناحية من نواحى المدينة ومعه أهلُه وحرمه ، فبلغ أشعب الخبر ، فوافاهم يريدُ التطفيل ؛ فصادف البابَ مُغْلقاً ، فتسوَّر الحائطَ عليهم . فقال له سالم : ويلك يا أشعب ! معى بناتى وحرمى ! فقال له أشعب : لقد علمت ما لنا فى بناتك من حقّ ، وإنك لتعلم ما نريد . فضحك منه وأمر له بطعام أكله وحمل منه إلى منزله .

---

(١) زهر الآداب : ١٦١ ، وارجع إلى ترجمة له فى نهاية الأرب : ٤-٢٦ .

(٢) هو عبدالله بن ذكوان المدنى. قال الليث: رأيت أباالزناد وخلفه ثلاثمائة تابع من طالب فقه وعلم وشعر وصرف . وكان ثقة فى الحديث عالما بالعربية فصيحا . توفى سنة ١٣١ هـ (الأعلام للزركلى).

وكان يقول : ما أحسست قطّ بجارٍ لى يطبخ قدرا إلا غسلتُ الغَضَارَ[1] ، وكسرت الخبز ، وانتظرته يَحْمِل إلىّ قِدْرَهَ .

وقال له بعض أصحابه[2] : لو صرت إلىّ العشية نتحدَّث؟ فقال : أخاف أن يجيءَ ثقيل ، قال : ليس معنا ثالث فمضى معه . قال : فلما صلّينا الظهرَ ودعونا بالطعام إذا بشخص يدقّ الباب ، فقال أشعب : ترى أنا قد صِرْنا إلى ما نكره ؟ قال فقلت له : إنه صديق وفيه عشر خصال إنْ كرهت واحدةً منهن لم آذَنْ له . قال : هات . قلت : الأُولى أنه لا يأ كل ولا يشرب ، قال : التسع لك ، إيذن له .

وهذا نظيرُ حديث الغاضرى[2] وقد أتى الحسنَ بن زيد وهو أميرُ المدينة . فقال: جعِلتُ فداكَ ! إنى عصيت الله ورسولَه ، قال : بئس ما صنعت ! وكيف ذاكَ ؟ قال : لأن الله عز وجل يقول : وما آتا كم الرسول فخذوه وما نها كم عنه فانتهوا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يُفلِحُ قومٌ ولَّوْا أمرهم امرأة . وأنا أطعتُ امرأتى فاشتريت غلاما فأَبَق[3] ، فقال الحسن : اختر واحدةً من ثلاث ؛ إنَ شئتَ ثمن الغلام ، فقال : بأبى أنت ! قفْ عند هذه فلا تجاوزها . قال : أعرِضُ عليك الخصلتين ؟ قال : لا ، حسبى هذه .

وغاضبت مصعب بن الزبير زوجه عائشة بنت طلحة ، فاشتدَّ ذلك عليه وشكا أمره إلى خاصّته . فقال له أشعب : فمالى إذا هى كلّمَتْك ؟ قال : عشرة آلاف درهم ؛ فأتى إليها فقال : يابنةِ عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تفضّلى بكلام الأمير ؛ فقد استشفع بى عندكِ ، وأَجْزَل لى العطية إن أنتِ كلّمتِه . قالت : لا سبيل إلى ذلك يا أشعب ؛ وانتهرَتْه . فقال : جُعلت فداكِ! كلِّميه حتى أقبض عشرة آلاف درهم ، ثم ارجعى إلى ما عوَّدكِ الله من سوء الخلق . فضحكت فقامت فصالحَتْه .

***

---

(١) الغضار : الطين الحر ، والغضار : الصفحة المتخذة منه . وفى ط : الغضارة .

(٢) زهر الآداب : ١٦١ (٣) هرب .

استطراد عاتكة وعبد الملك ابن مروان

والشيء يُذكَر بالشيء ، أى بما قاربه . كان عبد الملك بن مروان محبًّا لعاتكة بنت يزيد بن معاوية ؛ فغاضَبَتْه يوماً ، وسدَّت الباب الذى بينها وبينه ؛ فساءه ذلك وتعاضله ، وشكا إلى مَنْ يأنَسُ به من خاصّته ؛ فقال له عمر بن بلال الأسدى : إنْ أنا أَرْضيتها لك حتى ترضى فما الثّواب ؟ قال : حُكْمُك . فأتى إلى بابها ، وقد مزّق ثوبَه وسوّده ؛ فاستأذن عليها وقال : أَعلِموها أنَّ الأمرَ الذى جئتُ فيه عظيم . فأذِنَت له ؛ فلما دخل رمى بنفسه وبكى . فقالت : مالك ياعمّ ؟ قال : لى ولدان هما من الإحسان إلىّ فى الغاية ، وقد عَدَا أحدُهما على أخيه فقتله ، وفجعنى به ؛ فاحتسبْتُه وقلت : يبقى لى ولد أتسلَّى به ؛ فأخذه أميرُ المؤمنين وقال : لابدَّ من القوَد ، وإلّا فالناسُ يجترئون على القتل ، وهو قاتلُه إلا أن يُغيثنى الله بك ! ففتحت الباب ودخلت على عبد الملك وأكبَّت على البساط تقبِّله وتقول : يا أميرَ المؤمنين ؛ قد تعلم فضلَ عمر بن بلال ، وقد عزمتَ على قَتْلِ ابنه؛ فشفِّعنى فيه ؟ فقال عبد الملك : ما كنتُ بالذى أفعل ؛ فأخذت فى التضرّع والخضوع حتى وعدها العفوَ عنه وصَلح مابينهما ؛ فوفّى لعمر بما وعدَه به .

المنصور ودليله فى المدينة

وعلى ذكر عاتكة بنت يزيد ، قال المدائنى [1] : لما حجّ أبو جعفر المنصور قال للربيع : ابغنى [2] فتى من أهل المدينة أديبا ظريفاً عالما بقديم ديارها ، ورسومِ آثارها ، فقد بَعُد عهدى بديار قومى ، وأريدُ الوقوفَ عليها ؛ فالتَمس له الربيعُ فتى من أعْلَمِ الناس بالمدينة ، وأعرفهم بظريف الأخبار ، وشريف الأشعار ؛ فعجب المنصور منه ؛ وكان يسايرُه أحسنَ مسايرة ، ويحاضِرُه أزينَ محاضرة ، ولا يبتدئه بخطاب إلّا على وجه الجواب ؛ فإذا سأله أتى بأوضح دلالة ، وأفصح مقالة؛ فأعجب به المنصور غايةَ الإعجاب ، وقال للربيع : ادْفعْ إليه عشرة آلاف درهم ؛ وكان الفتى مُمْلقا [3] مضطرّا؛ فتشاغل الربيعُ عنه واضطرته الحاجةُ إلى الاقتضاء ، فاجتاز مع المنصور بدار عاتكة ؛

---

(١) زهر الآداب : ٢٠١ ، اللآلىء : ٢٥٩ . (٢) فى ط : ابغى .

(٣) أملق : افتقر .

فقال : ياأمير المؤمنين ؛ هذا بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية الذى يقول فيه الأحوص ابن محمد :

يابيت عاتكة الذى أتعزَّلُ (١) حذَرَ العِدَا وبه الفؤادُ موكَّلُ

فقال المنصور : ماهاج منه ماليس هو طبعه : من أن يُخبِرَ بما لم يستخبَرَ عنه ، يجيب بما لم يُسأل عنه ؟ ثم أقبل يردّدُ أبياتَ القصيدة فى نفسه إلى أن بلغ إلى آخرها وهو :

وأراك تفعلُ ماتقولُ وبعضُهم مَذِقُ (٢) اللسان يقولُ مالا يفعلُ

فدعا بالربيع وقال له : هل دفعتَ المدِنى (٣) ماأَمَرْنَا له به؟ فقال: أخّرته عِلَّة كذا ياأمير المؤمنين ، قال : أَضْعفها له وعجِّلْها .

وهذا أَحسنُ إفهام من الفتى ، وأدقُّ فهمٍ من المنصور ، ولم أسمع فى التعريض بألطف منه .

ولقول الأحوص هذا سببٌ ذكره عبد الله بن عبيدة بن عمار بن ياسر . قال : خرجت أنا والأحوص بن محمد مع عبد الله بن الحسن إلى الحج ، فلما كنا بقُدَيد قلنا لعبد الله بن الحسن : لو أرسلت إلى سليمان بن أبى دُبَاكِل الخزاعى ، فأنشدَنا من رقيق شعره ؟ فأرسل إليه ، فأنشدنا قصيدةً له يقول فيها :

يابيتَ خَنْسَاء الذى أَتجنَّبُ ذهب الزمانُ وحبُّها لايذهَبُ

أصبحت أمنحك الصدودَ وإنما قسما إليك مع الصدودِ لأَجْنُبُ (٤)

مالى أحِنُّ إذا جمالك قُرِّبَتْ وأصُدُّ عنك وأنتِ منى أقربُ

لله درّك هل إليك معوَّل لمتيَّم أم هل لودِّك مَطْلَبُ ؟

فلقد رأيتكِ قبل ذاك وإننى لموكَّل بهواك لو يُتَجَنَّبُ

إذْ نحن فى الزمن الرجىّ وأنتمُ متجاورون ، كلا كما لايرقب

(١) تعزل الشىء ، وتعزل عنه : تنحى . وفى ط : أتغزل . (٢) مذق الحديث : كذب فيه أو مزج الجد بالهزل . (٣) فى ط : للمدينى . (٤) فى ط : لأخيب ، تجانبه : بعد عنه ، وجنبه إياه وجنبه كنصره ، وأجنبه .

تبكى الحمامةُ شَجْوَها فتهيجنى ... ويروح عازِبُ همِّىَ المتأوِّبُ
وتهبُّ ساريةُ الرياح بأرضكم ... فأرى البلادَ بها تُطَلُّ وتخصب[1]
وأرى السميّة[2] باسمكم فيزيدنى ... شوقاً إليك سميُّك المتقرب
وأَرَى العدو[3] يودّكم فأوَدّه ... إن كان ينبىء عنك أو يتنسَّبُ[4]
وأحالف الواشين فيك تجمُّلا ... وهمُ علىّ ذوو ضغائن دُوّب
ثم اتخذتهم علىّ وَليجةً ... حتى غضبت[5] ومثل ذلك يغضب

فلما كان من قابل حجَّ أبو بكر بن عبدالعزيز، فلما مرَّ بالمدينة دخل عليه الأحوص ابن محمد فاستصحبه ففعل. فلما خرج الأحوص قال له بعضُ من عنده: ما تريدُ بنفسك؟ تقدم الشام بالأحوص وفيها مَنْ يَنِمك من بنى أبيك وهو من السَّفَه على ما علمت!

فلما رجع أبو بكر من الحجِّ دخل عليه الأحوص متنجزاً ما وعده من الصحابة، فدعا له بمائة دينار وأثواب وقال: يا خال؛ إنى نظرت فيما ضمنت لك من الصحابة، فكرهتُ أن أهجم بكَ على أمير المؤمنين. فقال الأحوص: لا حاجةَ لى بعطيتك، ولكنّى سُعِيت عندك، ثم خرج، فأرسل عمر بن عبد العزيز إلى الأحوص ــ وهو أمير المدينة ــ فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار وكساه ثياباً، ثم قال له: يا خال؛ هَبْ لى عِرْض أخى، قال: هو لك، ثم خرج الأحوص وهو يقول فى عروض قصيدة سليمان بن أبى دباكل يمدح عمر:

يا بيت عاتكةَ الذى أتعزَّل ... حذَر العِدَا وبه الفؤادُ موكّل
هل عيشُنا بكَ فى زمانكَ راجعٌ ... فلقد تفاحش بعدك المتعلِّلُ
أصبحتُ أمنحك الصدودَ وإننى ... قسماً إليك مع الصدودِ لأَميلُ

---

(١) فى ط: تظل وتحسب. (٢) أى المسماة باسمكم. (٣) فى ط: الصديق.
(٥) تنسب: ادعى أنه نسيبك. وهذا الشطر فى ط: إن كان ينبو منك أو يتنيب.
(٤) فى ط: قضبت.

فصددت عنك وما صددت لبغْضَة ... أَخشى مقالةَ كاشح لا يَغْفُلُ
وتجنُّبى بيت الحبيب أزوره ... أُرْضِى البغيضَ به حديثٌ معضلُ
إنَّ الزمانَ وعيشنا ذاكَ الذى ... كنّا بلذته نُسَرُّ ونجـــذلُ
ذهبت بشاشتهُ وأصبح ذكره ... أسفا يُعَلُّ به الفؤادُ وينهلُ

حتى انتهى إلى قوله :

فسموتُ عن أخلاقهم وتركتهم ... لنَدَاكَ ، إنّ الحازم المتوكّل
ووعدتنى فى حاجتى فصدقتنى ... ووفيتَ إذ[1] كذبوا الحديث وبَدَّلُوا
ولقد بدأت أُرِيدُ وُدَّ معاشر ... وعدوا مواعد أخلفت إذ حصَّلوا
حتى إذا رجع اليقينُ مطامعى ... يأساً وأخلفنى الذين أؤمّلُ
زايَلْتُ ما صنعوا إليك برِحْلَة ... عَجْلَى وعندكَ عنهم المتحوَّلُ
وأراكِ تفعلُ ما تقولُ ، وبعضُهم ... مَذِقُ الحديثِ يقولُ ما لا يفعلُ

فقال عمر بن عبد العزيز : ما أراكَ أعفيتنى مما استعفيتك .

والأحوص[2] وإن كان ممن أغار على قصيدةِ سليمان ، فقد أَربى عليه فى الإحسان ، وكان كما قال ابن المرزبان ؛ وقد أنشد لابن المعتز قصيدته فى مناقضة ابن طباطبا العلوى التى أولها[3] :

دَعُوا الأُسْد تسكنس[4] فى غابِها ... ولا تدخلوا بين أنيابهـــا

[قال : قد أخذه من قول بعض العباسيين :

دعوا الأسد تسكن أغيالها ... ولا تقربوها وأشبالهـــا[5]]

أخذ ساجاً ورده[6] عاجاً ، وغَلّ قطيفة ، ورد ديباجا .

***

(١) فى ط : إن . (٢) زهر الآداب : ٧٧٩ . (٣) ديوانه : ٢ـ١٢٠ .
(٤) فى زهر الآداب : تسكن . (٥) من زهر الآداب . (٦) فى زهر الآداب : ورد .

[طُرَف متفرقة]

قال سذابة[1] المغنّى لأبى العباس المبرد : صِرْ إلىَّ اليوم لنأنسَ بك . قال: أى شىء عندك آكُل ؟ قال : أنت وأنا عليك . يريد لحماً مبرداً وعليه سذاب .

ولقى برد الخيار الكاتب أبا العباس المبرد على الجسر فى يوم بارد . فقال : أنت المبرد ، وأنا برد الخيار ، واليوم بارد ؛ اعبُرْ بنا لئلا يصيبَ الناسَ الفالجُ .

وقال عون بن محمد : لقيت باذَرُوجة[2] المغنّى وسِكْباج الراقص بسرّ من رأى ، فصِحْت : يا غلام ، المائدة ؛ فقد وافت الألوان ، فضحكوا ؛ وأقسم علينا باذَرُوجة ؛ فكنّا يومنا عنده فى أطيبِ عيش .

[من طرف ابن جدار وشعره]

وكان ابن جدار كاتب العباس بن أحمد بن طولون بارد المشاهدة ، فعاد أبا حفص ابن أبى أيوب ابن أخت الوزير ، فوافاه وقد أصابَتْه قشعريرة . فقال : ما تجد ؟ جعلت فداك ! قال : أجدك .

وكان أبو حفص أديباً شاعراً بليغاً ولها ، وقد رأى ورداً قريباً من أقحوان فقال :

أرى أقحوانات يطفْنَ بناصع ... من الورد مخضرّ النباتِ نَضِيدِ

يُميِّله ريحُ الصبا فكأنه ... ثغور دنَتْ شوقاً لَلَثْمِ خدودِ

وكان ابن جدَار[3] : ينقل أخبارَ أبى حفص إلى العباس بن أحمد بن طولون ، فصار إليه[4] يوماً فقال : أعزَّك الله ؛ إنما مجلسُ المُدَام حرمة أنس ، ومسرح لُبانة ، ومَذَادُ[5] همٍّ ، ومرتَع لهو ، ومَهْد سرور ؛ وإنما توسطته عند من لا يُتَّهَم غيبُه ، وقد بلغنى ما تُنهيه إلى أميرنا أبى الفضل من أخبار مجالسى . وأنشد :

---

(١) فى ط : سدابة بالدال . والسذاب . بقل . (٢) الباذروج ــ بفتح الذال : بقلة ، وفى ط : بالدال . (٣) زهر الآداب : ٤٤٩ ، واسمه فى الأدباء ٧ ــ ١٨٢ أبو القاسم جعفر محمد بن حذار ــ بضم الحاء . (٤) الفوات : ٥٥ . (٥) فى ط : ومزاد .

ولقد قلت للأخلاَّء يوماً قولَ ساعٍ بالنصح لو سمعوهُ
إنما مجلسُ المُدَام بساطٌ للمودَّاتِ بينهم وضعوهُ
فإذا ما انتهوا إلى ما أرادوا من نعيم ولذةٍ رفعوهُ

فاعتذر إليه وحلف أنه ما فعل ، وقام عن مجلسه . وأنشد :

كم من أخ أوجستُ منه خيفة (١) فأنِسْتُ بعد ودادِه بفراقهِ
لم أحمَدِ الأيامَ منه خليقةً فتركتُه مستمتعاً بخلاقهِ

وكان ابن جدار قبل تعلّقه بالعباس يتكسَّب بالشعر ويقنع باليسير ، فصار إلى دار إسحاق بن دينار بن عبد الله وامتدحه ، فلم يهب له شيئاً ؛ فقال فيه :

عجب الناس أن مدحت ابن دينا ر فلم يُجِزْنى على مدحيهِ
قلت لاتعجَبوا فما قِدَمُ اللؤْ م عجيباً منه ولا مِنْ أخيهِ
إن ديناره أبوه ، ومَنْ جا د مِنَ الناس لامرئ بأبيه ؟

وهو القائل فى القلم (٢) :

وعاشق تحت رواق الدجى أغرى به الحيرةَ فقدان
أهيف، ممشوق بتحريكه يحلُّ عقد (٣) السرّ إعلانُ
يحُوكُ وشْياً لم يُحَكْ مثلُه بلاغةٌ تُحْكَى وبرهان
وربما أحيا وأَهْدَى الرَّدَى ففيه ماذِىٌّ وخُطْبَان (٤)
وفيه للناظر أُعجوبة يكسو عراة (٥) وهو عُرْيانُ
تَجْرِى به خمسٌ مطايا له مختلفات القَدِّ (٦) أقرانُ
له لسانٌ مرهَفٌ حدُّه من ريقةِ الكُرْسُف (٧) ريَّان
فى دقة المعنى إذا أغرقت للقول فى التدقيق أذهان
إذا احتسى كأساً كلون الدُّجا حرَّك منه الرأسَ نشوانُ

---

(١) فى زهر الآداب : سجية . (٢) زهر الآداب : ٤٣٣ . (٣) فى ط : بجد ، وهذا من زهر الآداب . (٤) الخطبان : الحنظل . (٥) فى ط : عداه . (٦) فى ط : العد .
(٧) الكرسف : القطن .

كأنما يُنثَر من لفظه درٌّ وياقوتٌ ومَرْجَانُ
ترى بسيطَ الفكر فى نظمه شخصا (١) له حدٌّ وجُثمانُ
كأنما يسحَب فى إثرهِ ذَيلا من (٢) الحكمة سَحْبَانُ
لولاه ماقام منارُ الهدى ولا سما بالملك ديوان

[بين ابن مكرم وأبى العيناء]

قدم محمد بن مكرم من الجبل ؛ فقال له أبو العيناء : مالك لم تُهْدِ إلينا شيئاً ؟ فقال : واللهماقدمت إلّا فى خِفّ ، قال : كذبت ، ولوقدمت فى خف خفّت روحك .

وأكثر عليه أبو العيناء من المهاترة . فقال : إن زدت علىّ قمت ، قال : أراك تتهدّدنا بالعافية .

وكانا يشربان يوماً عند صديقٍ لهما ، فقال ابن مكرم لصاحب الدار : أقوم إلى الخلاء ؛ فقال أبو العيناء : إذاً لايعود إلينا منك شىء .

وولد لأبى العيناء مولود فأتاه ابن مكرم مهنّئاً ، فوضع بين يدىأبى العيناء حجَراً وانصرف . فجسّه أبو العيناء فوجده حجراً . فقال : مَنْوضع هذا ؟ فقالوا : تركه ابن مكرم لمّاقدم ، قال : لعنهالله ؛ إنما عرض بقولالنبى صلى اللهعليه وسلم : الولدللفراش وللعاهر الحجر .

وأتى محمد بن مكرم شاعر فقال : إنى قد هجوتك بشعر ؟ فقال : قل ، فوالله لئن أحسنت لأخلعنّ عليك خلعة ، فأنشده :

يا فتى مكرم تَنَحَّ عن الفَخْـ ـرِ فما مكرم وما دينار
لاتفاخِرْ إذا فخرت بهذيْـ ـنِ فذا كَودَن وذاك حِمَار (٣)

فقال: أحسنت، ولكنى أكسوك من ثيابنا ، ياغلامُ، ارم عليهجلاّ و بِرْذَعة (٤) .

---

(١) فى ط : شخص، وهذا من زهرالآداب . (٢) فى ط : على .

(٣) الكودن : الفرس الهجين ، والفيل ، والبغل، والبرذون. (٤) البرذعة : الحلس يلقى تحت الرحل ، وجمعه براذع .

[رجع إلى الطرف المتفرقة]

دخل بعض أبناء الملوك على المبرد وعنده سلّة حلوى قد أعدَّها لبعض إخوانه ، فوجد ابنه الفرصة فى اشتغال أبيه فأقبل يأكلُ منها . فنظر إليه المبرد فأنشده :

الناس فى غفلاتهم ورَحَى المنيةِ تَطْحَنُ

ودخل أبو الحارث جمیز على بعض الملوك فرأى بين يديه سلّة حلوى . فقال : مافى هذا أيها الأمير؟ قال : باذنجان . وكان أبو الحارث يكره الباذنجان كراهية شديدة .

وأصلح محمد بن يحيى بن خالد دعوة ، وأمر الطباخ أن يجعل الباذنجان فى جميع الطعام ، وحضر أبو الحارث فكلما قُدِّمَ لون وهمَّ بالأكل منعه ما يراه إلى أن ضاق ، فأقبل يأكلُ بدُقَّةِ المائدة فعطش فقال : اسقونى ماء لا باذنجان فيه .

ودخل على محمد بن يحيى وبين يديه مزورات وكان محمياً ، فأكل معه وخرج من عنده ، فلقيه بعضُ إخوانه ، فغطى رأسه منهم واستخفى فقالوا: مالك ياأبا الحارث؟ قال : أكلت عند محمد بن يحيى بقولا كثيرة . قالوا : فما تخافُ ؟ قال : أخاف أن يمرّ المساح فيَمْسَحني خضراء فلا يقبلوا منى مَظْلمَة .

وهذا كما حكى عن الحسين بن عبد السلام المصرى المعروف بالجمل : أنه مرَّ ببعض إخوانه بعقبة النجارين ، وهو يَعْدُو بأكثرَ مما يقدر عليه ، فقال له : قِفْ علىّ ، نخاف أن تكون نزَلَتْ به نازلة ، فأتاه إلى الدار فخرج مستخفيا . فقال : مالك ياأبا عبد الله ؟ قال : أما علمت أن السخرة وقعت فى الجمال ؟ فما يؤمننى أن يُقال هذا الجمل ، فأوخذ فلا أتخلَّص إلّا بشفاعة . وكان الجمل حلوا ظريفاً .

[ابن المدبر يجيز بالصلاة]

وكان (١) أبو الحسن أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعرٌ فلم يحسن وكّل به من يَمْضى معه إلى الجامع فلا يفارقه حتى يُصلِّى مائة ركعة ؛ فتحاماه الشعراء ، فأتاه الجمل فأنشده :

---

(١) زهر الآداب : ٤٩٢ .

أَرَدْنَا فى أبى حسَن مديحاً ... كما بالمدح تُنْتَجعُ الولاةُ
فقلنا أكرمُ الثقلين طُرّاً ... ومن كفّاه دجلةُ والفراتُ
فقالوا يقبل المِدْحَاتِ لكِنْ ... جوائزُه إلى الناس[1] الصَّلاةُ
فقلت لهم : وما تُغنى صَلاتى ... عيالى ! إنما الشأنُ الزكاةُ
فأمّا إذْ أبى إلاّ صَلاَتى ... وعاقَتْنِى الهمومُ الشاغلاتُ
فيأمر لى بكَسْرِ الصاد منها ... لعلى أن تنشطنى الصِّلات[2]
فيصلح لى على هذى حياتى ... ويصلح لى على هذِى المماتُ

فأمر له بمائة دينار .

وقيل له : من أين اهتديت إلى هذا ؟ قال: من قول أبى تمام[3] :

هن الحمام فإنْ كَسَرْتَ عِيافَةً ... من حائِهنَّ فإنهن حِمَامُ

[برمكى بخيل]

وكان محمد بن يحيى البرمكى يُبَخَّل[4] ، ولم يكن بخيلا إلا بالإضافة إلى أخويه الفضل وجعفر ؛ وكان أبو الحارث جمير يكثِرُ وصفَه بذلك ، فقيل له يوماً : كيف مائدةُ محمد ؟ فقال : أما خوانُه فعدسة ، وأما صِحَافُه فمنقورة من خشب الخشخاش ، وبين الرغيف والرغيف فترة . قيل : فمن يحضرها ؟ قال : أكرم الخلق وألأمهم — يريد الملائكة عليهم السلام والذباب . وقد ذكر غير هذا والحكايات تختلف .

وقيل له : كيف كنت عنده ؟ قال : عليه الطلاق إن لم يكن أقام ثلاثة أيام وبطنه يظن أن رأسه قطع ؛ لأنه لم يدخل إليه آثارُ طعامٍ ولا شراب.

---

(١) فى زهر الآداب : جوائزه عليهن. (٢) فى زهر الآداب : فتصبح لى الصلاة هى الصلات . (٣) ديوانه : ٢٧٩ ، زهر الآداب : ٤٩٣ . (٤) بخله : رماه بالبخل .

[من مستجاد ماقيل فى البخل]

ومن مستجاد ماقيل فى البخل مما جمع إلى الخلاعة براعة قول أبى نواس فى إسماعيل ابن نيبخت [١] :

على خبز إسماعيل واقية البُخْل   فقد حلَّ فى دار الأمان من الأكلِ
وما خبزه إلا كآوى يرى ابنها   ولسنا نراها فى الحزونِ ولا السَّهْلِ [٢]
وما خبزه إلاّ كعنقاء مغرب   تصوَّرُ فى بُسْطِ الملوك وفى المثل
يحدث عنها الناسَ من غير رُؤْيَة   سوى صورة [٣] ماإن تمر ولا تحلى
وماخبزه إلا كليبُ بنُ وائل   ليالِى يحمى عزه منبت البَقْلِ
وإذ هو لايستبُّ خصمان عنده   ولا الصوت مرفوع بجدّ ولا هزل
فإنْ خبز إسماعيل حلّ به الذى   أصاب كليباً لم يكن ذاك عن [٤] ذُلّ
ولكن قضاء ليس يُسْطاع ردُّه   بحيلة ذى دَهْى ولا مكر [٥] ذى عقل

قال الجاحظ : وأبيات أبى نواس على أنه مولد شاطر أشعر من شعر المهلهل فى إطراق المجلس بكليب أخيه إذ يقول [٦] :

نبئت أن النارَ بعدك أوقدت   واستَبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ
وتحدَّثوا فى أمرِ كلِّ عظيمة   لو كنت حاضرَ أمرِهم لم يَنْبِسُوا

وكان كليب إذا جلس فى ناديه لم يَرْفَعْ أحدٌ طَرْفه ، ولا ينطق بكلمة إجلالا له .

وقال أبو نواس [٧] :

رأيت قدور الناس سُودًا من الصَّلَى [٨]   وقِدْرُ الرقاشيِّينَ زَهْرَاءُ كالبدرِ

---

(١) ديوانه ٢٧٨ ، النويرى : ٣-٣١٢ .   (٢) هكذا فى الأصل ، وفى الديوان :

وما خبزه إلا الأكارى يرى ابنه   ولم ير آوى فى حزون ولا سهل

وفى النويرى :

وما خبزه إلا كآوى يرى ابنه   ولم ير آوى فى الحزون وفى السهل

(٣) فى الديوان : سورة .   (٤) فى الديوان : من .
(٥) فى الديوان : بحيلة ذى مكر ولا فكر ذى عقل .   (٦) زهر الآداب : ٩١٤ .
(٧) ديوانه : ١٩٤ ، يهجو الفضل بن العميد الرقاشى ، البخلاء : ٢-٢٠١ .
(٨) الصلاء : كـكساء : الشواء والوقود أو النار ، كالصلى فيهما . والزهراء : البيضاء .

يضيقُ بحَيْزُومِ البعوضة صَدْرُها ويخرج ما فيها على طَرَفِ الظفر[1]
يبيّنهـا[2] للمعتفى بفِنـائهم ثلاثٌ كَخَطِّ[3] الثاء من نقط الحِبْر
إذا ما تنادَوْا للرحيل سعَى بها أمامهم الحوليُّ من وَلَدِ الذَّرِّ

وهذا القِدْر ضد قدر القائل[4] :

وبوَّأتِ قِدْرِى موضعاً[5] فوضعتُها برابيةٍ ما بين مِيثٍ وأجْرَعِ[6]
جعلتُ لها هَضْبَ الرِّجامِ وَطِخْفَةَ[7] وغَوْلاً أثافِى دونها[8] لم تُنزع
بقِدْرٍ كأنَّ الليل شِحْنَةُ قعرِها[9] ترَى الفيلَ فيها طافياً لم يقطَّعِ

ويجب أن يأكل ما فى هذا القدر مَنْ ذكر الفرزدق فى قوله[10] :

لعمركَ ما الأرزاقُ حين[11] اكتيالها بأكثرَ خَيْراً[12] من خِوَانِ العُذَافِر[13]
ولو ضافه الدَّجَّالُ يلتَمِسُ القِرَى وحلّ على خبّازِه بالعساكر
بعدّةِ يأجوج ومأجوج كُلّهم[14] لأشبعهم يوماً غَدَاءُ عُذَافِر[15]

[طرف متفرقة]

ودخل رجل على المتوكّل فقال له : ماسْمُك ؟ قال : قطّان . قال : وماصناعتُك ؟ قال : حمدان . قال : لعل اسمك حمدان وصناعتك قطان ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ولكنى دهشت لهيبتك .

---

(١) البيت فى البخلاء :

ولو جئتها ملأى عبيطا مجزلا لأخرجت مافيها على طرف الظفر

(٢) فى البخلاء : يثبتها . (٣) فى الديوان : كنقط . (٤) البخلاء : ١٩٨ .

(٥) فى البخلاء : وبوأت قدرى للورى . (٦) الميثاء : الأرض السهلة ، وجمعه ميث. والأجرع : الأرض الطيبة المنبت أو ذات الحزونة (٧) فى ط : وطحه .

(٨) فى ط : وهو لازما فى قدرها ، وهذا من البخلا . (٩) الشحنة : ماملأت به الشىء . وفى ط : فدرها . (١٠) البخلاء : ٢-١٩٩ ، عيون الأخبار : ٣-٢٤٠ .

(١١) فى البخلاء : يوم . (١٢) فى ط : خبزا . (١٣) العذافر : الأسد ، والعظيم الشديد من الإبل . (١٤) فى البخلاء : جوعا . (١٥) فى البخلاء : العذافر .

وقال رجل لآخر معه كلب : ما اسمك ؟ قال : وثّاب . قال : وما اسم كلبك ؟ قال: عروة ، قال : واخلافاه !

وقال ابن قادم : كنا نماشي ابن المغتاب القاضي، فمررنا بمقبرة ، فإذا عليها مكتوب: بركة من الله صاحبها . وكنّا في إملاك[1] فإذا على مَنَارة مكتوب : كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت . فقلت : هذه بتلك .

وممن وقع له هذا على الغلط فأحسن الاستدراك مطيع بن إياس الحارثى ، فإنه دخل على الهادى فى حياة المهدى وهو ولىُّ عهد . فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقيل له : مَهْ ! فقال : بعد أمير المؤمنين .

[يتعمدان المقلوب]

وأما أبو العبر ومحمد بن حكيم الكنتجى فقد كانا يتعمَّدَان المقلوب رقاعة ومجانة ، وأبو العبر هو الذى كتب لبعض أصحابه : أمَّا قبل فأَحْكِم بُنْيَانك على الرمل ، واحبس الماءَ فى الهواء ، حتى يغرق الناسُ من العطش ؛ فإنك إذا فعلتَ ذلك أمرتُ لك كلَّ يوم بسبعة آلاف درهم ينقصُ كلُّ درهم سبعة دوانيق[2] .

وكتب يوم إلا تسعاً لخمس وأربعين ليلةً خلت من شهر ربيع الأوسط سنة عشرين إلا مائتين . وله مثل هذا كثير من منظوم ومنثور . وهو القائل :

الخوخ يعشق وكْنَةَ[3] الرُّمَّانِ ... والطيلسان قرابة الخفّـــان

يا مَنْ رمى قلبي فعَرْقَبَ أذنه ... فشممت منه حموضةَ الكتَّانِ

وقال أبو العبر : كنا نختلف ونحن أحداث إلى رجل يعلِّمنا الهَزْل ، فكان

[من ملح أبى العبر]

يقول : أول ما تريدون قَلْبَ الأشياء ، فكنا نقول إذا أصبح : كيف أمسيت ؟ وإذا أمسى: كيف أصبحت ؟ وإذا قال : تعال نتأخر إلى خلف ؛ وكانت له أرزاق تُعمل كتابتها

(١) الإملاك : التزويج . (٢) يعنى لاشىء (هـ . ط) . (٣) الوكنة : عش الطائر .

فى كل سنة ، فعمل مرة وأنا معه الكتابَ ، فلما فرغ من التوقيع وبقى الختم . قال : أَتْرِبْهُ[١] وجئنى به ، فمضيت فصببت عليه الماءفبطل ، فقال : ويحك! ماصنعت ؟ قلت : مانحن فيه طول النهار من قاب الأشياء ! قال : والله لا تصحبنى بعد اليوم فأنت أُستاذ الأستاذين .

وكان نقش خاتم أبى العبر توفى جُحى يوم الأربعاء .

وتعرض للمتوكل ـ والمتوكلُ مشرفٌ على مظهر فى قصره الجعفرى ، وقد جعل فى رجليه قلنسوتين وعلى رأسه خفًّا ، وقدجعل سراويله قميصاً، وقميصه سراويل ، فقال : علىّ بهذا المُثْلَة ؛ فدخل عليه فقال : أنت شارب ؟ قال : ماأنا إلا عَنْفَقة[٢] . قال ؛ إنى أضع الأدهم فى رجليك وأَنْفِيكَ فى فارس ، قال : ضَعْ فى رجلى الأشهب وانفِنى إلى رَاجل[٣] ! قال : أترانى فى قتلك مأثوم ؟ قال : بل ماء بصل ياأمير المؤمنين ، فضَحِك ووصَله .

وأبو العبر القائل فى الجد[٤] :

ليس لى مال ولى[٥] كرم	فبـه أقوى على عدمِى
لاأقولُ الله يظلمنى	كيف أشكو غير متّهم
قنعَتْ نفسى بما رزقت	وتمشَّتْ فى العُلَا هممى[٦]
ولبست الصبر سابغة	فهى من فرقى إلى قدَمِى
فإذا ما الدهرُ عاتبنى[٧]	لم تجِدْنى كافِرَ النعمِ

وله فى الرقيق :

---

(١) أتربه : اجعل عليه التراب .
(٢) العنفقة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن .
(٣) الراجل : الذى ليس له ظهر يركبه .
(٤) الفوات : ٢١٨ ، الأغانى ٢٠ــ٩٠ .
(٥) فى الأغانى : سوى كرمى وبه أمنى من العدم .
(٦) فى الفوات :

قنعت نفسى بما ظفرت ... وتناهت فى العلا هممى

(٧) فى الفوات والأغانى : ضعضعنى .

رقَّ حتى يكاد خدُّك يجرى ‏ ‏ رقة والجفونُ ترْنُو بسحر
ياقليل الشبيه مستظرف الشكـ ‏ ‏ ـل بديع الجمال مُغْرًى بهَجْرِ
كفّ عنى الصدود ياواحد الحسـ ‏ ‏ ـن فقدعِيلَ من صدُودِك صَبْرِى

وله أيضاً (١) :

أَبكى إذا غضِبَتْ حتى إذا رضِيَتْ ‏ ‏ بكيتُ عند الرضا خوفاً من الغَضَبِ
فالموتُ إن رضيت والموت إن غضبت ‏ ‏ أَنى يرجى (٢) سلوٌّ ، عِشْتُ فى تَعَبِ

وهذا قريب من قول فَضْل الشاعرة ، وقيل سعيد بن حميد (٣) :

ما كنتُ أيام كنتِ راضية ‏ ‏ عنى بذاك الرضا بمغتَبِطِ
عِلْماً بأنّ الرضا سيتبعُه ‏ ‏ منك التجنّى وكثرة السَّخَطِ
فكلُّ ما ساءنى فعَنْ خُلق ‏ ‏ منك وما سرنى فعَنْ غَلَطِ

هذا البيت الأخير كقول أبى العيناء وقد سأله المتوكل عن ميمون بن إبراهيم صاحب ديوان البريد وكان يبغضه فقال : يد تسرق ، مثله مثل يهودى سرق نصف جِزْيته ، فله إقدام بما أدّى ، وإحجامٌ بما بقى ، إساءته طبيعة ، وإحسانه تكلّف .

[أبو محجن الثقفى ، وطرف من أدبه]

ولما مات أبو مِحْجَن الثّقفى وقف رجلٌ على قبره . فقال : رحمك الله أبا محجن ! فوالله لقد كنت قليل المراء ، جيّد الغناء ، غير نعّاس ، ولا عبّاس ، ولا حابس للكاس .

واسم أبى محجن عروة بن حبيب ، وكان فارساً شاعراً ، وكان مشتهراً بالشراب كثيراً يقول فيه ؛ فحدَّه عمرُ رضى الله عنه مرات ، ثم أخرجه إلى العراق ، فشرب ، فحدّه سَعْدُ بن أبى وقاص وسجنه فى قصر العُذَيْب ، وكان سعد مريضاً فى القصر ،

---

(١) ذيل اللآلى : ٤٣ ، زهر الآداب : ١٠٣٤ .
(٢) فى زهر الآداب : إن لم يرجنى سلو . ‏ ‏ (٣) زهر الآداب : ١٠٣٤ .

وأقام المسلمون فى حرب القادسية أياما ، فوجهتِ الأعاجمُ قوما إلى القصر ليأخذوا مَنْ فيه ، فاحتال أبو محجن حتى ركب فرس سَعْدٍ من غير علمه فخرج فأوقع بهم ؛ فرآه سعد ، فلما انصرف بالظفر خلّى سبيله . وقال : لاأضربك بعدها فى الشرب ، قال : فإنى لاأذوقها أبداً .

ودخل ابنُ أبى محجن على معاوية فقال له : أبوك الذى يقول[1] ؟

إذا متّ فادْفِنِّى إلى جَنْبِ[2] كَرْمَةٍ — تروِّى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننِّى فى الفَلَاةِ[3] فإننى — أخافُ إذا ما مِتُّ أَلاَّ أذوقها

فقال: ياأمير المؤمنين ؛ لوشئت لذكرت مِنْ شعره ماهو أحسن من هذا وأنشد[4] :

لاتسألى القومَ[5] عن مالى وكَثْرَتِه — وسائلى القوم عن بأسى[6] وعن خلقى
القومُ أعلم أنى من سراتهم — إذا تطيش يد الرِّعْدِيدة الفَرِقِ[7]
أُعْطِى السنانَ غداة الروع حِصَّته — وعاملُ الرمح أُروِيه من العَلَقِ
وأطعن الطعنةَ النَّجْلَاء عن عرضٍ — وأكتمُ السرَّ فيه ضَرْبَةَ العُنُقِ

فقال : لئن كنّا أسأنا المقال ، لانسىء الفعال ؛ وأمر له بصِلَةٍ .

[الحجاج يضحك فى جنازة رجل من أهل الشام]

وقال أبو عائشة : مات رجل من أهل الشام، فحضر الحجاجُ جنازته، وكان عظيم القَدْرِ ، وله عزٌّ وجاه ؛ فصلّى عليه وجلس على شَفِير قبره . وقال : لينزل قبره بعضُ إخوانه ، فنزل نفر منهم ، فقال أحدُهم ـ وهو يسوّى الترابَ عليه : رحمك الله ياأبافلان؛ فإن كنت ـ ماعلمت ـ لتُجيد الغناء ، وتسرع ردّ الكأس ، ولقد وقعت بموضع سوء لاتخرجُ منه إلا يوم الدكّة .

---

(١) الأغانى : ٢٠ ـ ١٤٠ . (٢) فى الأغانى : إلى أصل . (٣) فى الأغانى : بالفلاة . (٤) الأغانى ٢٠ ـ ١٤٢ . (٥) فى الأغانى : الناس . (٦) فى الأغانى : وسائلى الناس ما فعلى وماخلقى . (٧) الرعديد : الجبان كالرعديدة . ورجل فرق : شديد الفزع .

قال : فما تمالكَ الحجاجُ أن ضحك ، وكان لا يضحكُ فى جدّ ولا فى هزل ، ثم قال للرجل : هذا موضع هذا الأمر . ويلك ؟ قال : أصلح اللهُ الأميرَ ، فرسى حبيس فى سبيل الله لو سمعه الأمير يتغـنّى :

يا لُبيني أوقدى النارا إن من تَهوين قد جارا
رُبّ نارٍ بِتّ أرمقُها تقضم الهندىّ والغارا[1]
عنـــدها ظبى يؤججها عاقدٌ فى الخصر زُنّارا[2]

وكان الميت يسمى سعنة . فقال : أخرجوه من القبر يأهل الشام ، ما أَبْيَنَ حجة أهل العراق فى جهلـكم ! وكان الميت أَقْبَحَ خلق الله وجها ، فلم يبق أحد ممن حضر إلا استغرقَ ضَحِكا .

[أهل الشام]

وأهلُ الشام غايةٌ فى الجهل والغباوة . ودخل رجلٌ من أهل العراق الشام فى أيام عبد الملك فى حوائجَ له، فحُجب عنه ، فدخل فى غُمَارِ النـاس ، فقال عبد الملك لجلسائه : ما معنى قول الشاعر[3] :

إذا ما المواشِطُ باكَرْنَها وأَتبعْنَ بالظُّفْر[4]. وَحْفاً طويلا
تَخِذْنَ[5] القرونَ فعقّلْنَهـا كعَقْلِ العسيفِ غرابيبَ مِيلا[6]

يصف شعر امرأة ، والوَحْف : التام[7] ، والعسيف : الأجير . والغرابيب الشديدة السواد ؛ يريد عناقيد الـكرم . وروى — عراجين ميلا ، فسكتوا عن آخرهم.

---

(١) الغار : شجر عظام له دهن . (٢) الزنار : ماعلى وسط النصارى والمجوس .

(٣) اللسان — عقل . المخصص ١ — ٦٧ . (٤) الظفر : ضرب من العطر أسود .

(٥) فى اللسان : أتخن . (٦) العقل : ضرب من المشط . والقرون : خصل الشعر .

(٧) فى ط : البشام كسحاب : وهو شجر عطر الرائحة وقد يسود الشعر ويستاك بقضبه . وفى اللسان : الوحف : الشعر الأسود.

فقال العراقى لرجل من أهل الشام له بزّة وهيئة : أرأيتك إن أخبرتك بمعناه وحصل لك الحظّ عند أمير المؤمنين أتقرّبنى منه حتى أسأله حاجتى ؟ قال : لك ذلك . قال : إنما يصِفُ البطيخ ، فوثب الشامىّ ، وقال ذلك ، فافتضح وانقلب المجلس ضحكا . فقال له عبد الملك : من أين لك هذا العلم ؟ قال : هذا العراقى ابن اللخناء قال لى ذلك . فقال عبد الملك : ماأدخلك ؟ اذكر حاجتك ؟ فذكرها فقضاها له وقال: اخرج من الشام لا تفسدها علىّ بمجاورتك .

[مما جمع التصرف فى الإحسان]

ومما جمع التصرف فى الإحسان وبديع الافتنان ، قول مسلم بن الوليد الأنصارى[1] :

أجدّكَ ما تدرِينَ أَنْ رُبَّ ليلةٍ كأنَّ دُجاها من قرونِك يُنْشَرُ
نصَبْت لها حتى تجلّتْ بغرَّةٍ كغرَّةِ يحيي حين يُذْكَرُ جعفرُ

يريد يحيى بن خالد بن برمك وجعفر ابنه . وقال ابن المعتز[2] :

سقتنىَ فى ليل شبيهٍ بشَعْرِها شبيهة خدَّيْها بغير رقيبِ
فأمسيت فى ليلين بالشَّعْر والدُّجى وشمسين من خمر[3] وخَدِّ حبيب

وقال أبو الطيب[4] :

نشرت[5] ثلاثَ ذوائبٍ من شَعْرها فى ليلةٍ فأَرَتْ ليالِىَ أربعا
واستقبلت قمرَ السماء بوجهِها فأرتنىَ القمرين فى وقتٍ معا

***

---

(١) زهر الآداب : ٤٩٧ ، اللآلىء : ٥٢٠ ، الأمالى : ١ـ٢٣١ .

(٢) زهر الآداب : ٥٩٦ ، التبيان : ٢ـ٢٦٠ ، الأمالى : ١ـ٢٢٧ .

(٣) فى زهر الآداب : وخمرين من راح . (٤) ديوانه : ٢ـ٢٢٦.

(٥) فى الديوان : كشفت .

[من أعجب ما قيل فى وصف الشعر]

ومن أَعجب ما قيل فى وصفِ الشعر ما جمع فيه وصف سواده وتمامه ، وأتى بالتشبيه الواقع ، والوصف الرائع ؛ قول أبى الحسن على بن العباس الرومى[1] :

وفاحِمٍ واردٍ[2] يُقَبِّلُ مَمْ ... شاه إذا اختال مُسْبِلاً غُدَرَهْ

أَقبل كالليلِ من[4] مَفَارِقهِ ... منحدرا لا يُذَمّ[3] مُنْحَدَرُهْ

حتى تناهَى إلى مواطئِه ... يَلْثَم من كلِّ موطئٍ عفَرَهْ

كأنه عاشقٌ دَنا شَغَفاً ... حتَّى قَضى مِنْ حبيبه وَطَرَهْ

يغشى غَوَاشى قرونه قَدَماً ... بيضاءَ للناظرين مُقْتَدِرهْ

مثل الثريَّا إذَا بدَتْ سَحَراً ... بعد غَمامٍ وحاسرٍ حَسَرهْ

وقد أخذه منه بعض أهل العصر وهو محمد بن مطران[5] فقاربه فى الإحسان :

ظِباءٌ أعارَتْها المَهَا[6] حُسْنَ مَشْيِها ... كما قد أعارتْها العيونُ الجآذرُ

فمن حُسْنِ ذاك المشى جاءت[7] فقبّلت ... مواطئَ من إقدامهنَّ الضفائرُ[8]

[بنو أمية وأهل العراق]

وكان بنو أمية يكرهون أهلَ العراق لفِطْنَتهم ورقّتهم ؛ إذ سياسةُ الأغبياء أسهلُ عليهم؛ فقد قال الإسكندر لأرسطاطاليس : قد أَعيانى أهلُ العراق ، ما أجرِى عليهم حيلةً إلاَّ وجدتهم قد سبقونى إلى الخلاص ، فتخلَّصوا قبل إيقاعها بهم ؛ وقد عزمتُ على قَتْلهم عن آخرهم . فقال : إذا قتلتهم فهل تقدِرُ على قتل الهواء الذى غذّى طباعهم وخصّهم بهذا الذكاء ؟ فإنْ ماتوا ظهر فى موضعهم مَنْ يشاكِلُهم . فقال : ما الرأى ؟ قال : مَنْ كان فيه هذا العقل كانت فيه أَنَفَة وحَمِيّة وشراسة خلق ، وقلّة

---

(١) زهر الآداب : ٥٩٦ ، اللآلى : ٥١٩ ، وارجع إلى هذه الأبيات هناك .
(٢) فى زهر الآداب : مارد . (٣) فى زهر الآداب : فى .
(٤) فى زهر الآداب : لايرام . (٥) فى ط : أبو محمد، وهذا عن زهر الآداب : ٥٩٦ ، واللآلئ: ٥١٩، والأمالى . (٦) فى زهر الآداب : الظبا . (٧) فى زهر الآداب : قامت .
(٨) فى زهر الآداب : الغدائر ، وفى ط : الظفائر .

رضا بالضّيم ؛ فاقْسِمها طوائف ، وولِّ على كل طائفة أميرا فإنهم يختلفون ، فإذا اختلفوا فُلَّت شوكتهم فغفلوا . فأقاموا مختلفين أربعمائة عام حتى جمعهم أردشير بن بابك وقال : إنَّ كلمةً فرَّقت بيننا أربعمائة سنة لمشئومة .

[إياس بن معاوية أمام القاضى]

ودخل إياس[1] بن معاوية بن قرة الشام وهو صغير ؛ فخاصم شيخاً إلى القاضى وأقبل يَصولُ عليه ، فقال القاضى : اسكُتْ يا صبىّ . فقال : فمَنْ ينطقُ بحجّتى ؟ قال : إنه شيخ كبير ، قال : إن الحقَّ أكبرُ منه . قال القاضى : ما أراك تقول حقًّا ؛ فقال : لا إله إلا الله . فركب القاضى من وقته إلى عبد الملك فأخبره فقال : عجِّل بقضاء حاجته وأَخْرِجه من الشام لئلا يُفسْدها ؛ وبإياس يُضرب المثل فى الذكاء قال الطائى[2] :

إقدامُ عمرٍو فى سماحةِ حاتمٍ فى حِلْم أحنفَ فى ذكاء إياسِ

[أحزم الملوك]

خرج بعضُ ملوك الفرس متنزها ، فلقيه بعضُ الحكماء فسأله عن أَحْزَمِ الملوك ؟ فقال : مَنْ ملك جدَّه وهَزْلَه[3] ، وقهر لبّه هواه ، وأَعرب لسانُه عن ضميره ، ولم يختدعه رضاه عن سخطه ، ولا غضبُه عن صدقه . فقال الملك : لا ، بل أحزم الملوك مَنْ إذا جاع أكل ، وإذا عطش شرب ، وإذا تعب استراح . فقال له : أيها الملك ؛ قد أجَدْتَ الفطنة ، أهذا لك علم مستفاد أم غريزى ؟ قال : كان لى معلّم من حكماء الهند ، وكان هذا نقش خاتمه . قال : فهل علّمك غير هذا ؟ قال: ومن أين يوجدُ هذا عند رجل واحد . ثم قال الملك : علِّمنى من حكمتك أيها الحكيم . قال : نعم! احفظ عنى ثلاث كلمات ؛ قال ؟ صدقت ، فهات ، قال : صَقْلُك لسيفٍ ليس له جوهرٌ من

---

(١) قاضى البصرة يضرب به المثل فى الذكاء والفطنة ، وكانت وفاته ١٢٢ هـ .

(٢) ديوانه : ١٧٤ . (٣) فى زهر الآداب : من ملك جده هزله .

طبعه خطأ[١] ، وبذرُك الحبَّ فى الأرض السبخة ترجو نباتَه جَهْل ، وحملُك الصعبَ السير على الرياضة عَناء . ومن هنا أخذ أبو تمام قوله[٢] :

فى دولة غَرّاء[٣] معتصميَّة ميمونة الإدبارِ والإقبالِ
فتعمَّقُ الوزراء يَطْفُو فوقَها طفوَ القَذَى وتعقُّبُ العذَّال
والسيفُ ما لم يُلفَ فيه صَيْقَلٌ من طَبْعِه[٤] لم ينتفع بصِقَال

***

[من نوادر الملوك والعمال والقضاة]

وكان القلهمان أحد حكماء الهند وفيلسوف أطبائهم وترجمان علومهم ، وكان ترجمان ملك من ملوكهم يقال له يا كهتر بن شبرام ، وكان ركيكا إلا أنه من أهل بيت المملكة ، فقال يوماً للقلهمان : ما العلمُ الأكبر ؟ قال : معرفة الطبّ . قال : فإنى أعلمُ من الطبّ أكثرَه . قال : فما دواء المُبَرْسَم[٥] أيها الملك ؟ قال : الموت حتى تقلّ حرارةُ صدره ثم يعالَجُ بعد بالأدوية الباردة . قال القلهمان : أيها الملك ، من يحييه بعد الموت ؟ قال : ليس هذا من الطب ، هذا علم آخر يوجَدُ فى كتاب النجوم . ولم أنظر فى شىء منه إلاّ فى باب الحياة ، فإنّى وجدتها خيراً للإنسان من الموت . قال القلهمان : أيها الملك ، على كل حال خير للجاهل . قال : لو نظر الجاهلُ فى باب الموت لعلم أنّى قلتُ الحق .

وسأل أبو عون رجلا عن مسألة فقال : عَلَى الخبيرِ سقطْتَ ، سألت عنها أبى فقال سألت أبى فقال : لا أدرى .

قال أزهر : استعدَتْ امرأةٌ على زوجها عند ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك وهو قاضٍ فادّعَتْ مهرَها ألفَ درهم ، فقال : ألك بيِّنة ؟ قالت : لا ، قال : أفأحلفه

---

(١) فى ط : فهو خطأ . (٢) ديوانه : ٢٦٥ . (٣) فى ديوانه : وعزيمة فى الروع . (٤) فى الديوان : من سنخه ، والسنخ : الطبع . (٥) البرسام : علة يهذى فيها ، برسم — بالضم — فهو مبرسم .

لك ؟ قالت : إنه فاجر يحلفُ ؛ ولـكن ابعث إلى إسحاق بن سويد الفقيه فسَلْهُ أن يحلفَ لى عنه . قال فأرسلَ إلى إسحاق بن سويد فلما حضر . قال له : احلِفْ لهذه المرأة ما لها على زوجها ألف درهم ؟ قال إسحاق : ما أنا وهذا ! قال : فيبطل حقُّ هذه المرأة ؟ لتحلفَنَّ لها أو لأحبسنّك ، فلم يحلف فحبسه . فأتاه ابنُ سيرين فقال : لا ألومك على حبسك إسحاق ، ولـكِنْ لم وُليت القضاء ؟ قال : أكرَهنى عليه السلطان . قال : كنت تُعْلِمُه أنك لا تحسنه[1] . قال : كنتُ أنا أكذب ؟

وكان نصر بن مقبل بن الوزير على الرقة عاملا لهارون الرشيد ، فأخذ بعضُ أصحابه رجلا ينكحُ شاة ، وأجمعوا[2] الذهابَ به إلى نَصْر ، وكان الرجل ظريفاً فقال : ياقوم ؛ إنها والله مِلْكُ يمينى . فضحكوا منه وخَلّوا سبيله ، وذهبوا بالشاة إلى نصر ؛ فأمر أن تضرب الحدّ ، فإن ماتت تُصْلَب . قالوا : إنها بهيمة ؟ قال : وإن كانت بهيمة ؛ فإنّ الحدودَ لا تُعطّل ، وإنْ عطّلْتُها فبئس الوالى أنا .

فانتهى حديثُه إلى الرشيد ولم يكن رآه ، وكان نبيلَ القدّ ، حسنَ المنظر ، جليلَ القدر ؛ فدعا به فوقف بين يديه ، فقال : من أنت ؟ قال : مولى لبنى الـكلب ياأمير المؤمنين ، فضحك . ثم قال : كيف بصرُك فى الحكم ؟ قال : البهائم يا أميرَ المؤمنين والناس عندى سواء ، ولو وجب الحكم على بهيمة وكانت أمى أو أختى لحدَدْتُها ، ولم تأخذْنِى فى الله لومةُ لائم . فأمر هارون ألّا يستعمل ، فلم يزل معطّلا حتى ولى المأمون ، فرفع يسألُهُ الاستعانةَ به ، فولّاه طبرناباذ ، وأمره أن يكونَ على العصير بها ، فلم يزَلْ على ذلك حتى مات .

وكان مقاتل بن حسّان على قضاء البصرة ، فسأله رجلٌ عن مسألة . فقال : لاأعرف الجواب ، فقال : أنت قاضٍ ولا تحسِنُ المسألة ؟ قال : نعم ! لأنّ الثورَ أعظمُ من الحمار ولا يُحسِن أن يركض رَكْضَ الحمار . قال: أيها القاضى ؛ فهذا مثلك ؟ قال : بل هذا مثلى ومثلك . قال : فأيهما أنت ؟ قال : أنبلهما وأعظمهما ــ يعنى الثور .

---

(١) فى ط : لاتحسن . (٢) عزموا .

[حسن مظهر وسوء مخبر]

قال أبو الهذيل العلاف : كان يختلف إلىّ فتى من أهل الموصل حسن السَّمْتِ ، نيّر الوجه ، نقىّ الثياب ؛ فكان يصمت فى المجلس ، وإذا أتاه النهوض قال : أستغفر الله لى وللمتكلم، ثم يمضى . قال : فَنَبُل فى عينى ، ولاط[١] بقلبى، وحلا فى صدرى ؛ فذكرت قول الحكيم فى كتاب جاودان خرد[٢] : يَحْرُمُ على السامع تكذيبُ القائل إلاَّ فى ثلاث هنّ غير الحق ؛ صَبْر الجاهل على مضَضِ المصيبة ، وعاقل أبغضَ مَنْ أحسنَ إليه ، وحماة أحبّت كَنَّة[٣] .

فقال الفتى : لولا حِفْظى لنظير هذه الكلمات وسماعهنّ من ثقة ! فاشرأبَبْنَا إليه وقلنا : ماذا ذاك ؟ يرحمك الله ! وظننا أنه سيأتى بأحسنَ منهن . فقال : حدثنى أبى عن جدّى أنه قرأ فى بعض كتب الحكماء : ليس الجائع كالشبْعَان ، ولا المكسى[٤] كالعُرْيان ، ولا النائم كاليقظان .

فطأطأت رأسى ، وجعل أصحابى ينظرون إلىّ وإليه ، وكرهتُ أَنْ أسأله عن شىء بعد هذا . فقال له بعضهم : مَنْ أَنت يافتى ؟ قال : من فوق الأرض ومن تحت السماء . قال : فمن العرب أم من الموالى ؟ قال : من أوسطهما ، قال : فما الاسم ؟ قال : لجام ، قال : فما الكُنْيَة ؟ قال أبو السراج ، قال : فما بالُك لاتنهض ؟ فوالله ماأنت إلاحمار ، فوثب قائماً . وقال : ليس البحث منكم ، ولكن منّى حيث أجلِسُ إلى أمثالكم ولا تعرفون ماطَحَاها[٥] .

[من كتب الفرس]

وكتاب جاودان خرد من أَجلِّ كتب الفرس ، وكان سببُه على ماذكر الجاحظ أنَّ بعضَ الأكاسرة كان زاهداً فى كتب الأدب ، راغباً فى التكبّر عن النظر فيها ،

---

(١) لاط بقلبى : لصق . (٢) فى ط : جاودان جرد . (٣) الكنة ـ بالفتح : امرأة الابن أو الأخ . (٤) كسوت فلانا : إذا ألبسته ثوبا أوثيابا . وقيل : كسى ـ مثل رضى : إذا لبس الكسوة (اللسان ـ مادة كسا) . (٥) طحامثل سعى : بسط .

والتعظّم عن الاشتغال بشيء منها ، وكان له وزير يقال له كنجور بن اسفنديار ، فصنَع ترجمة لـكتاب لم يعلمها أحدٌ ، وجعلها فى ورقة ، وألقاها إلى الملك وكانت الترجمة : هذا كتابُ تَصْفِية الأذهان ، ونقاءِ الفـكر ، وسرج القلوب ، من كتاب واضح عمود الحـكمة .

فلما نظر الملك إلى هذه الترجمة شغفه حسْنُها ، فقال لـكنجور : لقد غلبَتْ هذه الترجمة على هواى ، وقادت عَزْمى ، وبعثَتْ رأيى على هذا الـكتاب ؛ فسَلْ عنه سؤالا حَفِيًّا[1] يرجع بجليّة الخبر ، وابْعَث الحـكماءَ الأدِلاّء على تفتيش منازل الحـكماء ، فإنْ وجدتَه فى شيء من مملـكتى كنت أَوْلَى الناسِ باصطناع صاحبه ، وإن وُصِف أنه فى شيء من أقاليم الهند كتبت إلى ملك ذلك الإقليم وسألته المنّ علىّ بدفع نسخة منه وكافأتهُ بهدية مكافأةَ مِثْلى على وجود طلبته .

فقال كنجور : أيها الملك ، لستُ أفزع باستفراع مجهودى والله المعين . وصار إلى منزله ولم يخرج منه حتى صنع كتابَه المعروف بجاودان خرد .

قال الجاحظ : حدّثنى الواقدى قال : قال الفضلُ بن سهل : لمـا دُعِى للمأمون بكُوَر[2] خراسان بالخلافة جاءتنا هدايا الملوك سروراً بمكانه من الخلافة ، ووجّه ملِك كابلستان شيخاً يقال له ذوبان ، وكتب يذكر أنه وجّهَ بهديّة ليس فى الأرض أَسْنَى ولا أرفع ولا أنبل ولا أفخر منها . فعجب المأمون وقال : سل الشيخ ما معه من الهديّة ؟ فقال : ما معى شيء أكثر من علمى ، فقلت : وأىّ شيء علمك ؟ قال : رأىٌ ينفع ، وتدبيرٌ يقطع ، وجلالة تجمع . فسُرَّ المأمونُ به وأمر بإنزاله وإكرامه وكِتمان أمره ؛ فلما أجمع على التوجّه إلى العراق لقتال محمد الأمين أخيه دعا بذوبان ، فقال : ما ترى فى التوجّه إلى العراق ؟ قال : رأى دقيق ، وحَزْم مصيب ، وملك حَريب[3] ، والسبب ماض ، فاقْضِ ما أنت قاض . قال : فمن نوجِّه ؟ قال : الفتى

---

(١) الحفى : الملح فى سؤاله .
(٢) الـكورة : بضم الـكاف : الصقع ، والمدينة ، وجمعه كور .
(٣) حربه ماله : سلبه فهو حريب ومحروب . وفى ط : خريب .

الأعور ، الطاهر الأطهر ، الظاهر الأظهر ، يستر ولا يفتر ؛ قوىٌّ مرهوب ، مقاتل غيرُ مغلوب .

قال : فمن نوجِّه معه من الجند ؟ قال : أربعة آلاف ، صوارِم الأسياف ، لا ينقُصْنَ فى العدد ، ولا يحتَجْنَ إلى مَدد . قال : فما رأيتُ المأمون سُرَّ كسروره ذلك اليوم .

فوجّه بطاهر ؛ فلما تهيّأ له الخروج سأل ذوبان : فى أى وقت يخرجُ من النهار ؟ قال : مع طلوع الفجر يجمع لك الأمر ، وتصير إلى النصر .

فخرج فى ذلك الوقت ، فلما كتب بذكر مقدمه الرى دعا المأمون بذوبان فقال : قد قَرُب صاحبُنا من العدوّ وقربوا منه ، فما عندك دلالة أو بينة تكونُ لنا أو علينا ؟ قال : قد تعرّفت شانه ، إذ أتى فسطاطه[1] كان نصرٌ سريع ، وقَتْلٌ ذريع ، وتفرقت تلك الجموع ، والنصر له لا عليه ، ثم يرجعُ الأمرُ إليك وإليه .

فكتبَ المأمونُ بذلك إلى طاهر ليقوّى عَزْمَه ، فلما كتب بقتله على بن عيسى ابن ماهان[2] واستيلائه على عسكره وأمواله ، وخبرِ ما أولى اللهُ المأمون فى أوليائه ؛ من النصر والظَّفَرِ بأعدائه ، دعا ذوبانَ وأمر له بمائة ألف درهم فلم يقبلها . وقال : أيها الملك ؛ إن مَلِكى لم يوجِّهنى إليك هدية لينقصَك مالَك ؛ فلا تجعل رَدِّى نعمتك سخطًا ؛ فليس عن استخفاف بقَدْرها ؛ وسوف أَقبل ما يفى بهذا المال ويزيد ، وهو كتاب يوجد فى العراق فيه مكارِمُ الأخلاق ، وعلوم الآفاق ، وهو كتابُ عظيم للفرس ، فيه شفاء النفس ، به من صنوف الآداب ما لا يوجدُ فى كتاب ، عند عاقلٍ لبيب ، ولا فَطِنٍ أريب ، يوجد فى خزائن ، عند الإيوان بالمدائن .

فلما قدم المأمون بغداد ، واستقرَّ بها مُلْكه اقتضاه ذوبان حاجتَه ، وأمر أن

---

(١) فى ط : فسطانه . (٢) من كبار القادة فى عصر الرشيد والأمين ، وهو الذى حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد ، وسيره الأمير لقتال المأمون بجيش كبير فقتله طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون سنة ١٩٥هـ.

تُكْتَبَ القصة والموضع الذى يشير إليه ، فكتب : سِرْ إلى وسط الإيوان من غير زيادة ولا نقصان ، واجعل القسمة بالذُّرْعَان[١] ، ثم احفر المَدَر[٢] ، فاقْلَع الحجَر ؛ فإذا وصلت إلى السَّاجَة[٣] ، فاقتلِعْها تجد الحاجة . فخُذْها ولا تعرِضْ لغيرها ، فيلزمك غِب ضَيْرِها[٤] .

فوجّه المأمونُ فى ذلك رسولا حصيفاً ، فسار إلى الموضع ، ففعل ما قيل له ؛ فوجد صندوقاً صغيراً من زجاج أسودَ عليه قُفُل منه ، فحمله وردّ الحفرة إلى حالها الأول .

قال عمرو بن بحر : فحدّثنى الحسنُ بن سهل قال : إنى لعند المأمون إذ وصل ذلك الصندوق فجعل يتعجَّبُ منه ، ثم دعا بذوبان فقال له : هذه بغيتك ؟ قال : نعم ! أيها الملك ، لست ممن تنقضُ رغبتُه ذِمامَ عهده ، ولا يحلُّ طمَعه عقدة وفائه ، ثم تكلّم بلسانه ، ونفخ فى القُفْل فانفتح ، فأدخل يده وأخرج منه خرقة ديباج فنشرها فسقط منها أوراق ، فردَّ الأوراقَ فى الخرقة ونهض . ثم قال : أيها الملك ، هذا الصندوق يصلح لرفيع خبيات خزائنك ، فأمر به فرُفع .

قال الحسن بن سهل : فقلت : ترى ياأمير المؤمنين أن أسألَه مافى هذا الكتاب ؟ قال : ياحسن ، أَفِرّ من اللؤم ثم أرجع إليه ؟ أمرته ألّا يفتحه بين يدىّ قطعاً للطمع فيه ، وصمتة بالمسألة عنه ، وتحرّياً للرغبة فيه ، والله لا كان هذا أبدا .

فلما خرج صِرْتُ إلى منزله فسألته عنه مسألةَ راغب فيه . فقال : هذا كتابُ جاودان خرد تأليف كنجور ملكسبرا شهرا[٥] ، فقلت : أَعْطنى ووقةً منهأنظر فيها . فأعطانى فوقعت عليها عينى ، وأسرجت لها ذهنى ، وأَجَلْتُ فيها فكرى ؛ فلم أَزْدَدْ

---

(١) جمع ذراع كالأذرع . (٢) المدر : قطع الطين اليابس .

(٣) فى اللسان : الساجة : الخشبة الواحدة المشرجعة المربعة كما جلبت من الهند .

(٤) الصير : الضر . (٥) تقدم فى صفحة أن كنجور بن اسفنديار وزير لبعض الأكاسرة وهو واضع الكتاب .

منه إلاَّ بعدا ؛ فدعوتُ بالخضر بن على ، وذلك فى صَدْرِ النهار ، فلم ينتصف حتى فرغ من قراءتها بينه وبين نفسه ؛ ثم جعل يفسِّرُها وأنا أكتب ، ثم رددت الورقةَ وأخذت منه نحو ثلاثين ورقة ، فدخلتُ عليه يوماً فقلت : ياذوبان ؛ يكون فى الدنيا مَنْ يحسِنُ مثل هذا الكتاب ؟ قال : يجوزُ أن يكونَ فيها من يُحْسِن ترجمةَ هذا الكتاب ، ولا يجوز أن يكونَ فيها مَنْ يحسن مثل هذا الكتاب . قلت : فهل تعرف مَنْ يترجمه ؟ قال : نعم ، وأصِفُه لك ، هو طُوَال أَنْزع[١] ، إن تكلَّم تَتَعْتَع[٢] ، يفوق أَهلَ زمانه ، بما يكون من شأنه ، اسمه خضر يقوم بأمر خطر ، لو كان له عمر . ولولا أنّ العلمَ سبيلُ الدنيا والآخرة ، وهو الكرامة الفاخرة ، ومن معرفة قدره الضنُّ به ، لرأيت أن أَدفعَه إليك بتمامه ، ولكن لاسبيلَ إلى أكثر مما أخذت .

ولم تكن الأوراقُ التى أخذتها على التأليف ؛ لأنَّا أصبنا ورقة فيها علامات فيها الكنوز ، وآخر الورقة مكتوب : دليلُ هذا الباب فى الورقة التى تليها ؛ ولم نجدْ غير هذا بتًّا[٣] ؛ غير أنا وجدنا أبوابا من الحِكْمَة تشهد لها القلوبُ بحقيقة الصحة ، وتحلف طيّها الألسن بغايةِ النهاية .

هذا من كلام الحسن بن سهل كقول أبى تمام يصف شعره[٤] :

ومحلفة لَمّا تَرِدْ أذْنَ سامعٍ   فتصدر إلّا عن يمينٍ وشاهدِ

قال الجاحظ : وحدثنى الحسن بن سهل قال قال لى المأمون : أىُّ كتب العرب أنبل ؟ قال قلت المبتدا ؟ قال : لا . قلت : فالتاريخ ؟ قال : لا ، فسكت فقال : تفسير القرآن ؛ لأنه لا شبه له ، وتفسيره لا شبه له . ثم قال : أى كتب العجم أنبل ؟ فاستعرضتها فقلت : كتاب جاودان خرد أنبلُ كتابٍ لهم ، فدعا بفهرست كتب العجم فجعل يلتمسه فلم يرَ لهذا الكتاب ذِكْرا . فقال : كيف سقط هذا الاسم عن

---

(١) طوال : طويل . أنزع : انحسر شعره من جانبى الجبهة .

(٢) التعتعة فى الكلام : أن يعيا بكلامه ، ويتردد من حصر أو عى .   (٣) قطعا .

(٤) ديوانه : ١٢٠ .

الفهرست ؟ فقلت : هذا كتاب ذوبان ، وقد كتبت بعضَه ، فقال : إيتنى به معجّلا : فوجَّهتُ فى حَمْله ، فوافانى الرسولُ وقد نهض يريدُ الصلاة . فقال : فلما رآنى مقبلا والكتابُ معى انحرفَ عن القبلة ، وأخذ الكتابَ وجعل ينظر فيه ، فإذا فرغ من باب قال : لاإله إلا الله ، فلما طال ذلك عليه قعد وجعل يقرأ ؛ فقلت : الصلاة تفوت وهذا لايفوت. قال : صدقت غيرَ أنى أخافُ السهو فى الصلاة لاشتغال قلبى بلذيذ ما فى هذا الكتاب ، وما أجدُ للسهو حائلا غير ذكر الموت فجعل يقرأ : « إنك ميت وإنهم ميتون » . ثم وضع الكتاب ، وقام فكبّر ؛ فلما فرغ من صلاته نظر فيه حتى أتى على آخره . ثم قال : أين تمامُه ؟ قلت : عند ذوبان لم يدفعه إلىّ . فقال : لولا أنّ العهدَ حبلٌ أحدُ طرفيه بيدِ الله والآخر بأيدينا لأخذته منه . فهذا والله الكلام لا ما نحن فيه من لَىِّ ألسنتنا فى فجواتِ أشداقنا .

[من الحكم]

قال الحسن بن سهل : قرأتُ فى هذا الكتابَ : ثلاث لا يُصْلَح فسادهن بشىء من الحيل : العداوة بين الأقارب ، وتحاسُدُ الأكفاء ، والركاكة فى العقول . وثلاث لا يُستفسد صلاحُهنّ بنوعٍ من المكر : العبادة فى العلماء ، والقنوع فى المستبصرين ، والسخاء فى ذوى الأخطار . وثلاث لا يشبع منهن ؛ الحياة ، والعافية ، والمال . وثلاث تبطلُ مع ثلاث ؛ الشدة مع الحيلة ، والعجَلة مع التأنّى ، والإسراف مع القَصْد .

وهذا كما قال الخضر بن على : رأيت بعدَن حجراً مكتوباً[1] عليه بالحميرية : يأيها الشديد ؛ احذر الحيلةَ ، ويأيها العجول ؛ احذر التأنى ، ويأيها المحارب ؛ لا تأمن من التفكّر فى العاقبة ، ويأيها الرائد موجوداً لا تقطعْ أملكَ عن بلوغ مثله .

أما قوله للمحارب . فقد قال علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه : من فكَّر فى العواقب لم يشجع .

(١) فى ط : مكتوب .

[شجاعة وحسن بلاء]

من قول سعد ابن ناشب

وقال سعد بن ناشب الغنوى[١] :

عليكم بدارى فاهدموها فإنها تراث[٢] كريم لا يخاف العواقبا
إذا هَمَّ أَلْقَى بين عينيه هَمَّهُ[٣] ونكَّبَ عن ذكْرِ العواقب جانبا
ولم يستشر فى رأيه غيرَ نفسه ولم يرضَ إلاَّ قائمَ السيف صاحبا

من قول ابن الإطنابة

وقد قال[٤] معاوية رضى الله عنه : هممت مرات كثيرة بصِفّين أن أخيس[٥] فلم يردّنى إلا أبيات ابن الإطنابة :

أبَتْ لى عِفّتى وأَبَى بلائى وأَخْذِى الحمدَ[٦] بالثمنِ الربيحِ
وقولى كلما جَشَأَتْ وجاشَتْ[٧] مكانك[٨] تُحْمَدِى أو تستريحى
وإقدامى[٩] على المكروه نَفْسِى وضَرْبِى هامةَ البطلِ المشيحِ[١٠]
لأَدْفَعَ من مآثِرَ صالحات وأمنعَ بَعْدُ عن نَسَبٍ[١١] صريحِ

ابن الإطنابة

وابن الإطنابة هو عمرو[١٢] بن عامر بن زيد مناة بن مالك بن الأغر الخزرجى ، وهو فارس مشهور معروف ، والإطنابة أمه .

من قول قطرى

وقد أحسن قطرى بن الفجاءة فى هذا المعنى حيث قال :

وقولى كلما جاشت لنفسى من الأعداء ويحك لا تراعى
فإنك لو سألتِ مزيد يومٍ أَبَى الأجلُ المقدَّرُ أن تُطَاعِى

---

(١) زهر الآداب : ٢١٣ ، المختار من شعر بشار : ١٠١ ، الأمالى : ٢ ـ ١٧٥ ، الشعراء : ٤٣٨ ، اللآلى : ٧٩٤ . (٢) فى ط : بدات ، وهذا من زهر الآداب . (٣) فى زهر الآداب : عزمه .
(٤) الأمالى : ١ ـ ٢٥٨ ، اللسان ـ مادة جشأ . (٥) فى ط : أحبس .
(٦) فى الأمالى : الحمد . (٧) جشأت : يريد تطلعت ونهضت جزعا وكراهة .
(٨) فى الأمالى : رويدك . (٩) فى الأمالى : وإعطائى .
(١٠) المشيح : المبادر . (١١) فى الأمالى : وأحمى بعد عن عرض صحيح .
(١٢) فى ط : عمر .

قول بعض الغزاة

وقال بعض الغُزَاة: فتحنا حِصْناً من بلاد الروم، فرأينا فيه صورةَ أسد من حجر عليه مكتوب: الحيلةُ خيرٌ من الشدّة، والتأنّى أفضلُ من العجلة، والجهل فى الحرب أحزمُ من العقل، والتفكّر فى العاقبة من أمارة الجزع.

ووجَّهَ ملك الروم إلى الرشيد بثلاثة[1] أسياف مع هدايا كثيرة، على سيفٍ منها مكتوب: أيها المقاتل؛ احمِلْ تَغْنَم، ولا تفكّر فى العاقبة تُهزم. وعلى الثانى: التأنّى فيما لا تخافُ عليه الفَوْت أفضلُ من العجلة إلى إدراك الأَمَل. وعلى الآخر: إن لم تَصِلْ ضَرْبةُ سيفك فصِلْها بإلقاء خَوْفِك.

قول كعب ابن مالك

وهذا كقول كعب بن مالك الأنصارى[2]:

نَصِلُ السيوفَ إذا قصرن بخَطْوِنا ... قدُماً ونلحقها إذا لم تلحقِ

قول نهشل ابن حرى

وكقول نهشل بن حَرِّى[3]:

إذا الكماةُ تأبّوا[4] أن ينالهَم ... حَدُّ السيوفِ وصَلْنَاها بأيدينا

وأعطى بعضُ الأمراء سيفاً لرجل فقال له: صِلْهُ بخطواتك. فقال له: الصبرُ أقربُ من تلك الخطوة.

وأعطى آخرُ لرجل سيفاً فسأله بدلَه، وقال: هو غيرُ ماض. قال: خُذْه، فالسيوفُ مأمورة. قال: فهذا أُمِرَ ألاَّ يقطع.

وانهزم رجل، فدخل على أميره فشتمه وقال: أعطَيْتَ بيدك وهَرَبْتَ، ولم توغل ولا صَبَرْتَ! فقال: لَئِنْ تشتمنى ـ أصلحك اللهُ ـ وأنا حىّ خيرٌ من أن تترحَّم علىَّ وأنا ميت.

---

(١) المعروف أن السيف مذكر، ولكن العبارة فى ط: بثلاث أسياف.

(٢) الشعراء: ٢٧٩، ونسبه إلى ربيعة بن مقروم؛ وهو فى الخزانة ٣ـ٢٢، والحماسة: ١ـ١٠٦ منسوب إلى كعب بن مالك. (٣) الشعراء: ٦٢٠، الحماسة ١ـ٩٧، اللآلئ: ٢٣٥

(٤) فى الحماسة: تنحوا أن يصيبهم حد الظبات.

وقيل لأعرابى : اخْرُجْ إلى الغَزْوِ ! فقال : أنا والله أكرهُ الموتَ على فراشى ، فكيف أمشِى إليه ركضاً ؟ !

من قول ابن أبى فنن

أخذ هذا المعنى أحمد بن أبى فنن فقال مستطرِداً يمدحُ أبا دُلف القاسم بن عيسى العجلى ـ والاستطراد أَنْ يُرِيكَ الفارسُ أنه ولّى ، وإنما ولّى لتتبعه فيكرّ عليك . كذلك الشاعر يُرِيك أنه يصفُ شيئاً ثم يعنُّ له معنًى فيأتى به ؛ وكأنه ليس من قصده ولم يقصد غيره[1] :

مالى ومالك قد كلفتنىَ شطَطا ... حملَ السلاحِ وقول الدارِعِينَ[2] قفِ

أمِنْ رجالِ المنايا خِلْتَنى رجلا ... أُمْسِى وأُصْبِح مشتاقا إلى التلَفِ

أَرَى المنايا على غيرى فأكرهها ... فكيف أمشِى إليها بارزَ الكتفِ ؟

أخِلْتَ أنَّ سوادَ الليل غيَّرَنى ... أو أنَّ قلبىَ فى جَنْبَىْ أبى دُلَفِ ؟

لأنه كان شديدَ السواد .

ولما دخل على المعتزّ قال : هذا الشاعر الأسود ؟ قال : لا يضره سواده ، أعزكم الله تعالى ؛ فإنّ بيضَ أياديكم عنده .

وقال المنصور لبعض الخوارج ـ وقد أُتِى به أسيرا : أخبرنى أىُّ أصحابى كان أشدَّ إقداما فى مبارزتكم ؟ فقال : ما أعرِفُ وجوهَهم مقبلين ، وإنما أعرف أَقفاءهم ؛ فمُرْهم أن يُدْبِروا لأعرِّفَك أشدَّهم إدبارا .

من قول ابن الرومى

أخذه ابن الرومى فقال فى سليمان بن عبد الله بن طاهر وكان قد خرج فى بعض الوجوه فهزم[3] :

قِرْن سليمان قد أضرّ به ... شوقٌ إلى وجهه سيُدْنِفهُ[4]

أعرض عن قرنه وفرّ فما ... أصبح شىء عليه يعطفه

كم يَعد القرن باللقاء وكمْ ... يَكْذِب فى وعده ويُخْلِفهُ

(١) زهر الآداب : ١٠١٢ . (٢) رجل دارع : عليه درع .
(٣) زهر الآداب : ٦٨٦ . (٤) أدنفه : دنف المريض ثقل ، وأدنفه المرض . وفى زهر الآداب : سيتلفه .

لا يعرف القِرْنُ وجهه ويرى قفاه من فَرْسَخٍ فيعرِفُهُ

وله فى هذا المعنى أهاجٍ كثيرة فمن ظريفها :

سليمان ميمون النقيبة حازم ولـكنّـه حَتْمٌ عليه الهزائم

ألاَ عوّذوه مِن توالىْ فتوحه عسى أن تَرُدَّ العينَ عنه التمائم

وقال[١] :

جاء سليمان بنى طاهر فاجْتَاح معتزّ بنى المعتصمْ

كأنّ بغداد لدن[٢] أبصرت طلعته نائحـــة تلتدِمْ[٣]

مستقبل منـــه ومستدبر وجه بخيلٌ وقفا منهزِمْ

[من ملح أبى دلامة]

وقال رَوْح بن حاتم[٤] لأبى دلامة : اخرجْ معى وهذه عشرة آلاف درهم .

فقـال[٥] :

إنى أعوذُ برَوْح أَن يقرِّ بَنى إلى الحمام فتشقَى[٦] بى بنو أسدِ

إنّ المهلَّبَ حبّ الموتِ أورَثَـكم وماورِثْتُ اختيارَالموتمنأَحدِ

وكان أبو دلامة شاعرا فصيحا ، وماجِناً مليحا ، واسمه زَنْد بن الجَوْن الأزدى ،

ودخل على أبى جعفر المنصور فأنشده وذكر زوجته :

أبو دلامة والمنصور

فاخرَ نْطَمَتْ[٧] ثم قالت وهى مُغضَبَةٌ أأنت تتلو كتابَ الله يالـكع ؟ !

قمْ كى تبيعَ لنا نخلا ومزدرعا كما لجارتنا نخلٌ ومزدَرعُ

---

(١) زهر الآداب : ٦٨٦ ، ديوانه : ٢٨ . (٢) فى زهر الآداب : وقد .

(٣) تلتدم : تضرب وجهها . (٤) روح بن حاتم : أمير من الأجواد الممدوحين ولاه المهدى السند ثم نقله إلى البصرة ثم إلى الـكوفة ، وولاه الرشيد على القيروان سنه ١٧١ فلم يزل واليا عليها إلى أنمات فيها سنة ١٧٤هـ . (٥) الأغانى: ١٠ـ٢٤٤، المعاهد : ٢ـ٢١٨، نهاية الأرب : ٤ـ٣٧ . (٦) فى الأغانى : أن يقدمنى إلى البراز فتخزى .

(٧) اخرنطم : رفع أنفه واستكبر وغضب .

خادِعْ خليفَتنا عنها بمسألة ... إنّ الخليفةَ للسؤال ينْخَدِعْ

قال : قد أمرنا لك بمائة جريب[١] عامر ، ومائة جريب غامر . فقال : وما الغامرُ يأمير المؤمنين ؟ قال : الذى لا يُنبِت ، قال : فإنى أقطعك عشرةَ آلاف جريب من فيافى بنى أسد . فضحك وأمر له بالجميع عامرا ، فقال : ائذن لى فى تقبيل يدك ياأمير المؤمنين ؟ فقال : أمَّا هذه فَدَعْها ، فقال : مامنعتَ عيالى شيئا أسهلَ عليهم من هذه .

ودخل أبو دلامة يوما على أبى جعفر المنصور فأنشده :

إنى رأيتك فى المنا ... م وأنتَ تعطينى خيارَه

ممـــلوءةً بدراهم ... وعليك تأويلُ العبارَهْ

فقال له المنصور : امض فأْتِنى بخيارة أملؤها لك دراهم . فمضى فأتى بأعظم دُبَّاءَة[٢] توجَد . فقال : ماهذا ؟ قال : يلزمنى الطلاق إن كنتُ رأيت إلّا دُبَّاءة ، ولـكنى نسيت ، فلما رأيت الدبّاءة فى السوق ذكرتُها .

***

من النقد

وهذا إنما أخذه من ابن عبدل الأسدى ، وقددخل على بعض بنى مروان ، فقال : تأذن لى أصلحك الله أنْ أقصَّ عليك رؤيا رأيتها ؟ فقال : هات؛ فأنشد[٣] :

أغفيْتُ قبل الصبح نوْمَ مسهَّد ... فى ليلة ما كنتُ قبل أنامُها

فرأيت أنك رُعْتنى بوليدةٍ ... فتّانة حسن علىّ قيامُـها

وببَدْرَة[٤] حملت إلى وبغلة ... دهماءَ ناجية يصلُّ لجامُها

فدعوتُ ربى أن يُثيبك جنَّةً ... عوضا يصيبك بَرْدُها وسلامُها

فقال : عندى كلّ شىء إلّا البغلة فإنها عندنا شهباء . فقال : امرأتى طالق إن كنت رأيتها إلا شهباء ، ولـكنى غلطت .

استطراد : ابن عبدل وبشر

ولابن عبدل[٥] ظريفة مع بشرِ بن مروان : وذلك أنه كان متّصِلاً به ، منقطعا

(١) الجريب : المزرعة . (٢) الدباء : القرع . (٣) الأغانى : ٢–٤٠٧ .
(٤) البدرة : كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف ، أو سبعة آلاف دينار كما فى القاموس .
(٥) الأغانى : ٢–٤٠٧ ، زهر الآداب : ١١٦ .

إليه ، فأغفله ، فغاب عنه أياما ثم أتاه فقال : أين غِبْتَ ، فقد طلبتك فلم أَقدِرْ عليك ؟ قال : خرجت أيها الأمير إلى البادية أطلب التزوّج بابنة عمٍّ لى أَيِّمٍ [١] فقالت : لى أموالٌ متفرقة على الناس ، وأنا امرأةٌ لاقيِّم لى ، فاقتضها لى وأنا أتزوّجك ؛ فاقتضيت لها جميعَ أموالها ، فلما فرغت كتبت إلى [٢] :

سيخطئك الذى أمّلتَ منى ... بقطع حبال وصلك من [٣] حبالى

كما أخطاك معروفُ ابن بِشر ... وكنت تَعُدُّ ذلك رأسَ مالِ

فضحك وقال : ماأحسنَ ماتلطَّفْتَ .

***

رجع إلى أبى دلامة

ودخل أبو دلامة يوما على المنصور وبين أصبعيه خرقة ، فقال له: ماهذا ياأبادلامة ؟ فقال : ولدت لى البارحة صبيّة وقد قلت فيها :

فما ولدتْكِ مريمُ أُمُّ عيسى ... ولم يَكْفُلْكِ لقمانُ الحكيمُ

ولكنْ قد ولِدْتِ لأمٍّ سوء ... يقومُ بأمرها بَعْلٌ لئيمُ

فضحك المنصور وقال : ماتريد ؟ قال : ملء هذه الخرقة أَستعِينُ بها على تربيتها . فقال المنصور : املئوها دراهم ، ففتحوها فإذا هى رداء رقيق كبير ، فملئوه ؛ فأخذ عشرة آلاف درهم .

وكان المنصور بخيلا ، وإنما كان أبو دلامة يستنزله بالمُلَح لشدة بخله ، فقد كان يتجاوزُ الغايةَ فى ذلك .

[بخل المنصور]

المنصور وأزهر

وكان [٤] المنصور قَبْلَ أن يَلِىَ الخلافة ينزل على أزهر السمّان [٥] ، فلما استخلف صار إليه أزهر . فقال : ماأَقدمَك ؟ قال : حاجةٌ ياأمير المؤمنين ؛ علىّ أربعةُ آلاف

(١) الأيم : من لازوج لها بكرا أوثيبا . (٢) أغانى : ٢ــ٤١٥ ، زهر الآداب : ١٠١٦ .
(٣) فى زهر الآداب : إذا انقضت عليك قوى حبالى . (٤) المسعودى : ٢ــ٢٣٧ ، ثمرات الأوراق : ١ــ١٢٦ مع اختلاف فى بعض العبارات . (٥) هو أزهر بن سعد الباهلى : عالم بالحديث من أهل البصرة ، وتوفى سنة ٢٠٣ هـ .

درهم ، ولى دارٌ متهدمة ، وأريدُ البناءَ لابنى محمد . فأمر له باثنى عشر ألف درهم . وقال : ياأزهر ؛ لاتأتِنا طالبَ حاجة . قال : أفعل .

فلما كان بعدَ قليل عاد فقال : ياأزهر ؛ ماجاء بك ؟ قال : جئت مسلّما على أمير المؤمنين ، قال : إنه ليَقَعُ فى نفسى أَن ماأتيت إلا لما أتيتَ له فى المرة الأولى ، وأمر له باثنى عشر ألف درهم . وقال: لاتأتِنَا طالبَ حاجة ولا مسلّما . قال : نعم ! ثم مالبث أن عاد فقال : ياأزهر ؛ ماجاء بك ؟ قال : دعاء كنتُ سمعتُ أميرَ المؤمنين يدعو به فجئت مستمليا لآخذه عن أمير المؤمنين . فقال : لاتكتبه فإنه غيرُ مستجاب ، لأنى دعوتُ اللهَ به أن يُريحنى منك فلم يستجبْ لى . ثم صرفه ولم يُعْطِه شيئا .

[ابن هرمة يمدح المنصور فيجيزه]

ولما دخل عليه إبراهيم بن على بن هرمة أَنشده قصيدته التى يقول فيها[1] :

له لحظات فى حفافى سريره ... إذا كرَّها فيها عقابٌ ونائلُ

فأمّ الذى أمَّنت آمِنة الردى ... وأمّ الذى حاولت بالثكل ثاكِلُ

فرفع الحجاب له ، وأقبل عليه وأمر له بعشرة آلاف درهم . ثم قال : ياإبراهيم : لا تُتْلِفها طمعاً فى مثلها ، فما كلُّ وقتٍ تصلُ إلينا ، ولا يصلك منّا مثلها . فقال : ألقاكَ بهاياأمير المؤمنين يوم العَرْض بختم الجهبذ[2] . فضحك. وقال : اذكر حوائجك ؟ فقال : تكتبُ لى إلى عامل المدينة ألاَّ يحدّنى إذا أُتى بى إليه وأنا سكران ، فقال : هذا حَدٌّ من حدود الله لايمكنُ تعطيلهُ . فقال : تحتالُ لى ياأمير المؤمنين ، فكتب إلى عامل المدينة ؛ من أتاك بابْنِ هرمة وهو سكران فاضْرِبْه الحدَّ ، واضرب الذى يأتيك به مائة . فتحاماه الشرط . فكانوا يمرّون به مطروحا فى سكك المدينة فيقولون: من يشترى ثمانين بمائة ؟ !

(١) نهاية الأرب : ٣ـ٣٠٦ . (٢) الجهبذ : النقاد الخبير .

[مدحة وعطاء]

وقال المُؤَمَّل بن أُمَيل[١] : قدمت[٢] على المهدى وهو إذْ ذاكَ ولىُّ عهد أبيه ، فامتدَحْتُه فأمر لى بعشرين ألف درهم ، فكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور – وهو بمدينة السلام – يخبره أنَّ الأمير أمرَ لشاعرٍ بعشرين ألف درهم ، فكتب إليه يَعْذُله[٣] ويلومه ، ويقول : إنما كان ينبغى لك أن تعطِىَ الشاعرَ إذا أقام ببابك سنة أربعة آلاف درهم ، وكتب إلى كاتبه أن يوجِّه إليه بالشاعر ، فطُلِب فلم يقدر عليه ، فكتب إليه أن قد توجّه إلى مدينة السلام .

فأجلس قائداً من قوّاده على جسر النَّهروان ، وأمره أن يتصفَّح الناسَ رجلا رجلا ، فجعل لا يمرُّ به قافلةٌ إلا تصفَّحهم ، فمرّت القافلة التى فيها المؤمّل ، فقال له : مَنْ أنت ؟ قال : المؤمل بن أميل من زوّار المهدى ، قال : إياكَ أردت ، قال المؤمل : فكاد والله قلبى ينصدعُ خوفا من أبى جعفر ، فقبض علىّ ، وقال : سِرْ ، فسرت معه فسلّمنى إلى الربيع ، فدخل الربيع على المنصور فقال له : هذا الشاعر قد ظفرنا به . قال : أدخلوه . قال : فدخلت عليه فسلّمت فردّ السلام . فقلت : ليس ههنا إلا الخير ، فقال : أنت المؤمل بن أميل ؟ قلت : نعم أصلح الله أمير المؤمنين ، أنا المؤمل ، فقال : أتيتَ غلاما غِرًّا فخدعتَه فانخدع ! ! فقلت : بل أتيتُ كريما فخدعته فانخدع ، والكريم يُخدع ، قال : فكأنّ ذلك أعجبه ، فقال : أنشدنى ماقلت فيه ، فأنشدته[٤] :

هو المهدىّ إلاّ أنَّ فيه ... مَشَابِهَ[٥] صورةِ القمر المنيرِ
تشابهَ ذا وذا فهما إذا ما ... أنارا يُشْكِلان[٦] على البصيرِ

---

(١) شاعر من أهل الكوفة أدرك العصر الأموى واشتهر فى العصر العباسى وانقطع إلى المهدى قبل خلافته وبعدها ، توفى نحو سنة ١٩٠ هـ . (٢) نهاية الأرب : ٣–٣٠٧ ، مهذب الأغانى ٤–١٣٥ ، أمالى الزجاجى ٢٦٢ المحاسن والمساوى ٢٧٠ ، معجم الأدباء ١٩–٢٠٣ الأغانى : ١٩–١٤٧ ، والضبط من الأعلام للزركلى . (٣) يعذله : يلومه . (٤) الأغانى : ١٩–١٤٧ . (٥) جمع شبه ، على غير قياس . (٦) فى الأغانى : مشكلان .

فهذا فى الضياءِ سراجُ عَدْلٍ ... وهذا فى الظلام سِراجُ نورِ (١)
ولكن فضَّل الرحمنُ هذا ... على ذا بالمنابِرِ والسريرِ
وبالمُلْكِ العزيزِ فذا أميرٌ ... وما ذَا بالأمير ولا الوزيرِ
ونَقْصُ الشهر يُخْمِدُ ذا ، وهذا ... منيرٌ (٢) عند نُقْصَانِ الشهورِ
فيابنَ خليفةِ الله المصفَّى ... به تَعْلُو مُفَاخَرَةُ الفَخُورِ
لئن فتَّ الملوكَ وقد توافَوْا ... إليك من السهولة والوعُورِ
لقد سبق الملوكَ أبوكَ حتى ... أتوا (٣) مابين كابٍ أو حسيرِ
وجئتَ وراءه (٤) تجرى حثيثاً ... وما بك حين تجرى من فُتورِ
فقال الناسُ ماهذان إلاّ ... كما بين الخليقِ من (٥) الجديرِ
لئن فات الكبير مدى الصغير (٦) ... فذا فضلُ الكبير على الصغيرِ
وإنْ بلغ الصغيرُ مدَى الكبيرِ ... فقد خُلِق الصغيرُ من الكبيرِ

فقال : والله لقد أحسنت ، ولكن لاتساوى عشرين ألف درهم ، فأين المال ؟ قلت : هو ذا ، قال : ياربيع ، انزل معه فأعطه عشرة (٧) آلاف درهم وخذ الباقى .

فلما صارت الخلافة إلى المهدى وولِّى ابن ثوبان المظالم، وكان يجلسُ للناس بالرّصَافة فإذا ملأ ثوبه رِقَاعا دفعها إلى المهدى ؛ فدفعتُ إليه رقعةً ، فلما دخل بها ابن ثوبان وجعل المهدى ينظرُ فى الرقاع حتى نظر فى رقعتى ضَحِك ، فقال له ابنُ ثوبان : أصلح الله أميرَ المؤمنين ، مارأيتك ضحكتَ من شىء إلاّ من هذه الرقعة ؟ فقال : هذه رقعةٌ أعرِفُ سببها . ردّوا عليه العشرة آلاف (٨) ، فردَّدت .

***

---

(١) فى الأغانى : فهذا فى الظلام سراج ليل ... وهذا فى النهار ضياء نور .

(٢) فى الأغانى . أمير . (٣) فى نهاية الأرب : تراهم بين . . . وفى الأغانى : بقوامن بين . . . (٤) فى الأغانى : مصليا . (٥) فى الأغانى : إلى .

(٦) فى نهاية الأرب : لئن فات الكبير فأهل سبق له فضل . . . وفى الأغانى : لقد سبق الكبير فأهل سبق له فضل ... (٧) فى الأغانى : أربعة آلاف درهم .

(٨) فى ط : العشرة آلاف. وفى الأغانى : ردوا إليه عشرين ألف درهم .

أخذ قوله فى القمر على بن الجهم فقال :

رأيتُ الهلالَ على وجهه ... فلم أدرِ أيّهما أنْوَر
سوى أنَّ ذاك بعيد المحلِّ ... وهذا قريبٌ لمن يَنْظُرُ
وذاك يغيبُ وذا حاضر ... وما مَنْ يغيبُ كمن يحضر

وقال إبراهيم بن العباس[١] :

وعابكِ أقوامٌ فقالوا شبيهة ... لَبدْرِ الدجى حاشاكِ أَنْ تُشْبِهى البدرا
لئن شبّهوكِ البدرَ ليلة تِمِّه ... لقد قارفوا الشنعاءَ واقترفوا[٢] الوِزْرَا
أيشبه بدرٌ آفِلٌ نصف شهره ... ضياءً منيرا يطلُع الشهر والدهرا ؟

وإنما نقل المؤمَّل فى موازنة المهدى بالمنصور قولَ زهير بن أبى سلمى : قال الربيع ابن يونس الحاجب[٣] : كنّا وقوفاً على رأس المنصور فى يوم عيد وقد طُرِحت وسادةٌ بين يديه ؛ فجلس المهدىُّ عليها ، والناس سِماطان[٤] على مَراتبهم ، إذْ أقبل صالح ابن المنصور الملقّب بالمسكين ـ وهو حَدَث ـ فوقف بين السماطين فسلَّم وأحسن ، ثم استأذن فى الكلام فأذِنَ له فتكلّم . قال الربيع : فلم يبلُغْه ذلك اليوم خطيب ؛ فمدَّ المنصورُ يده فقال : إلىّ يابنى . فلما دنا منه اعتنقه وأقعده قدَّامَه ، ثم نظر فى وجوه القوم هل منهم أحدٌ يصِفُ كلامه وما كان منه ! فكلُّهم هاب المهدى ، فقام عقال ابن شبة[٥] فقال : لله درُّ خطيبٍ قام عندك ياأمير المؤمنين ، ماأَفصحَ لسانه ، وأَبْيَنَ بيانه ، وأمضى جَنانه ، وأبلّ ريقه ، وأغمض عروقه ، وأسهل طريقه ! وحقَّ لمن كان أميرُ المؤمنين أَباه ، والمهدىّ أخاه ، أن يكون كما قال زهير[٦] :

هو الجوادُ فإن يلْحَقْ بشَأْوِهما ... على تكاليفه[٧] فمِثْلُه لحقا

---

(١) ديوانه : ١٤٥ . (٢) فى الديوان : واحتقبوا . (٣) زهر الآداب : ٧٠٤ .
(٤) السماط : الصف . (٥) فى ط : بن شيبة . (٦) ديوانه : ٥١ .
(٧) فى ط : تخاليفه، وهذا من الديوان .

أو يسبقاهُ على ما كان من مَهَلٍ فبالذى قدَّما من صالح سبقا

قال الربيع : فقال لى أبو عبد الله ـ وكان إلى جانبى ـ مارأيتُ مِثلَ عقال بن شبة قطّ ؛ أَرْضَى أميرَ المؤمنين ، ومدَح الغلام ، وسَلِم من مذمَّة المهدى .

فقال المنصور للربيع : لاينصرف التميمى إلا بثلاثين ألف درهم .

قال أبو بكر الصولى : وأبياتُ المؤمل حِسانٌ لاأعرفُ لهخيرًا منها ، ولو قلت : إنه لايعدُّ شاعراً إلا بها ماأبعدت . وما كان يعرفُها الناسُ ، وإنما شُهِر بقصيدته التى أوّلُها :

شفّ المؤمل يوم الحيرة النظر ليت المؤملَ لم يخلق له بَصَرُ

ويقال : إنه لماقال هذا عمى ، فرأى فى منامه إنساناً يقول له : هذا ماتمنيتَ فى شعرك .

ومن أحسن ماقاله المؤمَّل قوله :

أبهار قد هيجْتِ لى أوجاعا وتركْتِنى صبًّا بكم مِطْوَاعَا
بحديثك الحسن الذى لو حُدِّثَتْ وحْشُ الفَلاَةِ به لجئنَ سِرَاعَا
واللهِ لو علم البهارُ بأنها أضْحَتْ سميَّتَه لطال ذراعا

[رجع إلى أبى دلامة]

وكان المنصور(١) قد أخذ الناسَ بلباس قلانس طوال ، وأن يكتبوا فى ظهور ثيابهم : « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم »، وأن يُطيلوا حمائلَ سيوفهم . فدخل أبو دلامة عليه فى ذلك الزّى . فقال : كيف حالك ياأبا دلامة ؟ فقال : ماحالُ مَنْ صار وجهه فى وسطه ، وسيفه فى استه ، وقد نبذ كتابَ الله وراءَ ظهره ! ! فأمر المنصور بتغيير ذلك الزى .

ودخل(٢) أبو دلامة على أم سلمة بنت يعقوب بن مسلمة المخزومية زوجة أبى العباس السفاح يعزّيها عنه فبكى وأنشد قصيدة منها :

(١) المعاهد : ٢ــ٢١١ . (٢) الأغانى : ١٠ــ٢٤٠ ، معاهد التنصيص: ٢ــ٢١٥ مهذب الأغانى: ٩ــ٢١، النويرى: ٤ــ٣٩ .

أمسيتَ بالأنبار يابْنَ محمد لاتستطيعُ من البلادِ حَوِيلا[1]
ويلى عليك وويل أهلى كلِّهم وَيْلاً[2] وهَوْلاً فى الحياة طويلا
فلتبكِينّ لك النساءُ بعَبْرَة وليبكِينَّ لك الرجالُ عويلا
مات الندى إذْ متَّ يابْنَ محمد فجعلته لك فى التراب عديلا
إن أجملوا فى الصبر عنك فلم يكن صبرى ولا جَلَدِى عليك جميلا
يجدون منك خلائفاً وأنا أمرؤ لو عِشْتُ دَهْرِى ماوجَدْتُ بديلا
إنى سألتُ الناسَ بعدك كلَّهم فوجدتُ أسمحَ من وجدتُ بخيلا
ألشقوتى أُخِّرْت بعدك للذى يدَعُ[3] العزيز من الرجال ذليلا
ألشقوتى أُخِّرْتُ بعدك للذى يدع[3] السمين من العيال هَزِيلا

فقالت له أم سلمة : يازَنْد ، ماأُصيب أحدٌ بأمير المؤمنين غيرى وغيرك ؟ قال : ولا سواى ، أنت لك ولدٌ منه تتسلّين به ، وأنا لاولدَ لى منه . فضحكت أم سلمة ولم تكن ضحكت منذ مات أبو العباس وقالت : يازَنْد ، ماتدع أحدا إلا أضحكته !

وأنشد أبو دلامة المنصور هذه القصيدة فأبكى الناس جميعاً ، وغضب المنصورُ غضباً شديداً . وقال : لئن سمعتُك بعد اليوم تنشدها لأقطعنّ لسانك ، فقال : ياأمير المؤمنين ؛ إن أبا العباس كان لى مكرماً وهو الذى جاء بىَ من البَدْو كما جاء يوسف صلى الله عليه وسلم بإخوته ، فقل كما قال عليه الصلاةُ والسلام ؛ لاتثريبَ عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحمُ الراحمين .

فسرّى عن المنصور وضحك . وقال : قد أقلناك فسَلْ حاجتك ؟ فقال : ياأميرَ المؤمنين ، إن أبا العباس قد كان أمر لى بعشرة آلاف درهم وهو مريض ولم أقبِضْها . فقال المنصور : ومَنْ يعلم ذلك ؟ قال : هؤلاء كلُّهم ، وأشار إلى جماعةٍ ممَّنْ حضر .

---

(١) فى الأغانى : لم تستطع عن عقرها تحويلا . (٢) فى النويرى : وعولا .
(٣) فى النويرى : للتى تدع .

فوثب سليمانُ بن مجالد وأبو الجهم . فقالا : نحن نعلمُ ذلك. فقال المنصور لأبى أيوب الموريانى[١] : ادفعها إليه وسيِّره إلى هذا الطاغية ـ يعنى عبد الله[٢] بن على ، وكان قد خرج وأظْهَر الخلافَ عليه بناحية الشام ، وجمع جمعاً كثيراً من بقايا بنى أميّة وقوّادهم ، وأهل البأس والنجدة .

فقال أبو دلامة : ياأمير المؤمنين ؛ إنى أعيذك بالله أن أخرجَ معهم ، فإنى والله مشئوم . فقال المنصور : إنّ يُمْنى يغلبُ شؤمَك ، فاخرج مع الجيش . فقال : والله ماأحبُّ ياأمير المؤمنين ، ولا أَرى أن تجرِّب ؛ فإنى لاأدرى على أى المنزلتين تكون . فقال : دَعْنى فلابد من مسيرك . فقال : ياأمير المؤمنين ؛ والله لأصدقنك ، إنى حضرت تسعة عسا كرهزمتها كلها[٣] ، وإن شئت بينتها لك ؛ فاستفرغ المنصور ضحكا ، وأمره بالتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

وأراد[٤] موسى بن داود[٥] الخروجَ إلى الحجّ ، فقال لأبى دلامة : تأهَّبْ حتى تخرجَ معى فى هذا الوجه ، وأعطاه عشرةَ آلاف درهم ، وقال له: خَلِّفْ لعيالك مايكفيهم واخرج ؛ وإنما أراد أن يأنَس به فى طريقه بحديثه وأشعاره ونوادره .

فلما حضر خروجُ موسى هرب أبو دلامة إلى سَوادِ الكوفة . فجعل يشربُ من خمرها ويتمتّع فى نُزهها ، فسأل عنه فأخبروه باستتاره ، فطلبه فلم يقدر عليه ، وخاف أن يفوته الحج ؛ فلما يئس منه قال : دعُوه إلى النار وحَرّ سَقَر وأَليم عذابه . فلما شارف القادسية إذا هو بأبى دلامة قد خرج من قرية يريدُ أخرى ، فبصر به .

فقال : ائتونى بعدوِّ الله الفاجر الكذاب ، فرَّ من الحق إلى الباطل ، ومن الحجِّ

---

(١) فى ط : المرزبانى ، وهذا من الأغانى ١٠ــ٢٤٦ . (٢) هو عبد الله بن على عم الخليفة المنصور خرج عليه ودعا لنفسه فوجه إليه المنصور أبا مسلم . (٣) أى كنت سببا فى هزيمتها ، وعبارة الأغانى : شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلها هزمت ، وكنت سببها .

(٤) الأغانى: ١٠ــ٢٤٦ . (٥) هو ابن عم السفاح ، كان أبوه داود أمير مكة والمدينة ، واستخلف حين احتضر على عمله ولده موسى فاستعمل السفاح خاله زيادا على مكة ، وموسى بن داود على إمرة المدينة .

إلى حانات الخمارين ، قيّدوه وألقوه فى بعض المحامل . ففُعِل [ذلك][1] به ، فلما ولّت الإبل ، صاح أبو دلامة بأعلى صوته[2] :

يأيها الناس قولوا أجمعين معى[3] ... صلَّى الإله على موسى بن داود
كأنّ ديباجَتَىْ خَدَّيْهِ من ذهب ... إذ تَشَرَّفَ[4] فى أثوابه السودِ
أما أبوكَ فعَيْنُ الجودِ نعرفهُ ... وأنت أشبهُ خَلْقِ اللهِ بالجود
نبِّئتُ[5] أنَّ طريقَ الحجّ مَعْطَشَةٌ ... من الطلاء[6] وماشُرْبى بتصريدِ[7]
والله مافىّ[8] من خير فتطلبه ... فى المسلمين وما دِينى بمحمود[9]
إنى أعوذُ بداودٍ وتُرْبَتِه[10] ... من أن أحجَّ بكُرْهٍ يابن داود

فقال موسى : القوه عن المَحْمِل ، فعليه لعنةُ الله ، ودعُوه يذهب إلى سقَر وحرِّ نارها ، فألقوه .

ومضى موسى لوجهه ، فما زال أبو دلامة يتمتّع بالنّزه ، ويشربُ الخمر حتى أتلف العشرة آلاف[11] درهم ، وانصرف موسى من حجِّه ، فدخل أبو دلامة يهنّئه ، فلما رآه قال : أتدرى ما فاتك من الخير ؟ فقال : والله مافاتنى خيرٌ ليلا ولا نهارا ـ يريد الشرب والقَصْفَ ـ فضحك ووصله .

أبو دلامة يطلب كلب صيد

ودخل أبو دلامة[12] على المهدى وعنده عيسى بن موسى ، والعباس بن محمد ، وناسٌ من بنى هاشم ، فقال المهدى : ياأبا دلامة . قال : لبيك ياأمير المؤمنين . قال : اهْجُ مَنْ شئت ممن ضمَّه هذا المجلس ولك الجائزة ؛ فنظر فى القوم فلم يرَ إلا شريفاً قريباً من المهدى ، فقال : أنا أحدُ من فى المجلس ثم أنشد[13] :

---

(١) من الأغانى . (٢) المعاهد : ٢ ـ ٢١٩ . (٣) فى الأغانى والمعاهد : معا .
(٤) فى الأغانى : إذا بدالك وفى ط : تشرق . وتشرف المربأ : علاه كما فى اللسان.
(٥) فى الأغانى : خبرت . (٦) فى الأغانى : من الشراب .
(٧) صرد شربه : قطعه . (٨) فى ط : مابى . (٩) فى الأغانى : ولا الثناء على دينى بمحمود . (١٠) فى المعاهد : وأعظمه . (١١) اللغة : أن نعرف الجزأين ، أو الجزء الثانى . (١٢) الأغانى : ١٠ ـ ٢٥٨ . (١٣) المعاهد : ٢ ـ ٢٢٢ ، النويرى : ٤ ـ ٤٤ .

أَلَا أَبلغْ إليكَ(١) أَبا دُلَامَهْ ... فليس من الكرام ولا كرامَهْ

إذا لبس العِمامةَ قلت قِردٌ(٢) ... وخنزيرٌ إذا نزعَ العِمامَهْ

فإن تَكُ قد أصبتَ نعيمَ دُنيا ... فلا تفرحْ فقد دَنَتِ القيامَهْ

قال : فضحك المهدى ، وسُرّ القوم ، إذ لم يسوّد بأحد منهم ، فقال له المهدى : تمنَّ . فقال : (٣)يا أمير المؤمنين ؛ تأمرُ لى بكَلْبِ صيد ، فقال : يابنَ الفاعلة؛ وماتصنع به ؟ فقال : إن كانت الحاجةُ لى فليس لك أن تعرَّضَ فيها . فقال : صدقت أعطوه كلبا ، فأعطى . فقال : يا أمير المؤمنين ، لا بدّ لهذا الكلب من كلاّب(٤) . فأمر له بغلام مملوك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أو يتهيَّأُ لى أَنْ أصيدَ راجلا ؟ فقال : أعطوه دابّة ، فقال : ومن يَسُوسُ الدابّة ؟ فقال : أعطوه غلاماً سائساً . فقال : ومن ينحر الصيد ويُصْلِحُه ؟ فقال : أعطوه طبّاخاً . فقال : ومن يَأْوِيهم ؟ فقال: أعطوه داراً ، فبكى أبو دلامة وقال : ومن يمون هؤلاء كلهم ؟ فقال : يكتب له إلى البصرة بمائة جريب عامرة ، ومائتى جَريب غامرة . فقال : وما الغامرة ؟ قال : التى لا نبات فيها . قال : فأَنا أعطيك مائتى ألف جريب من فيافى بنى أسد ، فضحك وقال : ما تريدُ ؟ قال : بيت المال . قال : على أن أُخْرِجَ المالَ منه . قال: فإذاً يصير غامراً ، فاستفرغ ضحكا وقال : اذهب فقد جعلناها لك كلها عامرة . فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ ائذَنْ لى أنْ أقبّلَ يدك ، قال : أمّا هذه فَدَعْها . فقال : والله ما تمنعُ عيالى شيئا أهون عليهم من هذا ، فناوله يده فقبّلها . وقد تقدم له بعضُ هذا حكاية مع المنصور والرواةُ يختلفون، وهو أدب لا يخطب أبكاره بالنسب .

المهدى يصيد ظبيا

وخرج أبو دلامة(٥) مع المهدىّ وعلىّ بن سليمان إلى الصيد ، فعنّ لهم ظَبْىٌ ؛

---

(١) فى المعاهد : والنويرى لديك . (٢) فى الأغانى : كان قردا .

(٣) الأغانى : ١٠ ـ ٢٣٦ . (٤) رجل كالب وكلاب : صاحب كلاب ، أو سائس كلاب . (٥) الأغانى : ١٠ ـ ٢٥٨، النويرى : ٤ ـ ٤٤ .

فرماه المهدىّ فأصابه ، ورمى علىّ بن سليمان فأصاب كلْب الصيد ، فضحك المهدى وقال لأبى دلامة : قل فى هذا شيئاً فأنشد :

قد رَمَى المهدىّ ظبياً شكَّ بالسهم فؤادَهْ
وعلىُّ بن سليما ن رمى كلباً فصادهْ
فهنيئاً لهما كـ ـلُّ امرِئ يأكل زَادَهْ

فاستفرغ المهدى ضحكا وأمر له بجائزة .

السفاح يأمره بملازمة المسجد

وكان أبو العباس السفاح مولعاً بأبى دلامة[1] ، لا يفارقهُ ليلا ولا نهاراً لكثرة نوادره وجَوْدَةِ شعره ، ومعرفته بأيّام الناس وأخبارهم ؛ وكان أبو دُلامة يهرب منه جهْده ، ويأتى حاناتِ الخمارين فيشرب مع إخوانه من الشعراء ، وكان يحبُّ مجالستَهم لما فيه من الراحة له ، وطَرْح الكلفة . فقال له السفاح : مالَك تحِيدُ عن مجالستنا وتهربُ من مؤانستنا ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ؛ إنّ الفضلَ والشرف والعزّ والخيرَ كلّه فى الوقوف ببابك ولزوم خدمتك ، ولكن نكره أن تملّونا ، فتتنغّص أنفسنا من أجل ذلك . فقال أبو العباس : لا والله ما ذلك كما ذكرت ، ولا مللتك قطّ ، وإنّك لتعلمُ ذلك . ولكنك قد اعتدْتَ حانات الخمارين ، ومجالسة أهل المجون. ثم أمره بلزوم قَصْره ، ووكّل به من يمنعه الخروج ، وأمره بملازمة المسجد الذى يصلّى فيه السفاح ، حتى أضرَّ به فقال :

ألم تعلموا أنَّ الخليفةَ لزَّنى[2] بمسجده والقَصر ، مالى وللقَصْر!
أُصَلِّى به الأولى مع العصر آيساً[3] فويلى من الأولى وويْلى من العصر
ويحبسنى عن مجلسٍ أستلذُّه أعلّل فيه بالسماع وبالخمر
ووالله ما لى نيّة فى صلاته ولا البرُّ والإحسانُ والخيرُ من أمرى
وما ضرَّه ، والله يصلح أمره[4] لو أنّ ذنوبَ العالمين على ظَهْرى

---

(١) الأغانى : ١٠ - ٢٤٧ . (٢) لزه بكذا : ألزمه إياه .
(٣) فى الأغانى : أصلى به الأولى جميعا وعصرها . (٤) فى الأغانى : والله يغفر ذنبه .

فلما بلغت الأبياتُ السفاح قال : دعوه وشأنه ، فوالله ما أفلح قطّ .

أبو دلامة يحبس فى بيت الدجاج

وشرب أبو دلامة مع حماد عجرد ، فأتى المهدىّ بأبى دلامة فقال : استنكهوه[١] ؛ ففعلوا فوجدوا رائحةَ الخمر ، فأحبَّ أن يَعْبَثَ به ؛ فأمر الربيعَ أن يحبسه فى بيتِ الدجاج ويطين[٢] عليه الباب ، ففعل ؛ ثم أمر به بعد يومين فأُخرج ملبّباً بطيلسانه ، فأُقِيم بين يديه ، فقال : يا عدوَّ الله ؛ أتشرب الخمر ؟ أما إنى لأقيمنَّ عليك الحدّ ، ولا تأخذنى فيك لومةُ لائم ، فأنشأ أبو دلامة[٣] :

أميرَ المؤمنين ، فَدَتْك نفسى ... علامَ حبستنى وخَرَقْتَ سَاجِى[٤]

أُقادُ إلى السجونِ بغير جُرْم ... كأنى بعضُ عمَّال الخراجِ

ولو معهم حُبِسْتُ لكان خيراً[٥] ... ولكنى حُبستُ مع الدَّجاجِ

أَمِنْ صهباء ! رِيحُ المِسْكِ فيها ... ترقرقُ فى الإناءِ لدى المزاج

عقار مثلُ عينِ الديك صِرْف ... كأنّ شعاعَها لهبُ السِّراجِ

وقد طُبِخَتْ بنار الله حتى ... لقد صارَتْ من النُّطَف[٦] النِّضَاج

وقد كانت تحدِّثنى[٧] ذنوبى ... بأنّى من عقابكَ غيرُ ناجِى

على أنى وإن لاقيتُ شرًّا ... لخيركَ ، بعدَ ذاك الشرّ ، راجِى

فأمر به فأقيم عليه الحدّ ، ثم أمر له بأربعة آلاف درهم ، فلما ولّى قال الربيع : يا أمير المؤمنين ، أما سمعت قوله :

وقد طُبخت بنار الله حتى ... لقد صارت من النُّطَفِ النضَاجِ

قال : بلى ، فما يعنى بذلك ؟ قال : يعنى به الشمس . قال : ردّوه نسأله عن ذلك . فلما حضر قال له المهدى : ما تَعْنى بنار الله ؟ أتعنى بها الشمس ؟ قال: لا ياأمير المؤمنين،

---

(١) استنكهه : شم ريح فمه. (٢) طينه : وضع عليه الطين. (٣) الأغانى : ١٠ـ٢٠١ المعاهد : ٢ ـ ٢٢٠ ، النويرى : ٤ ـ ٤٣ . (٤) الساج : الطيلسان الأخضر . وقيل : الأسود . وقيل : المقور ينسج كذلك . (٥) فى الأغانى : لكان سهلا .
(٦) النطفة : الماء الصافى قل أو كثر . (٧) فى الأغانى : تخبرنى .

ولكن: نارُ الله الموقدة ، التى تطلَع على فؤادِ الربيع مؤصَدة[١] ، وعلى مَنْ أخبرك أنى عنيت بها الشمس مطبقة ؛ فضحك المهدىّ وجلساؤه وعفا عنه ، فذهب .

أبو دلامة وبديع

وخرج الربيعُ إلى أصحاب المنصور وهُمْ بالباب ، وقد هرب منه سلم غلامه ، فقال لهم : أمير المؤمنين يُقرئكم السلام ، ويقول لكم : إن غلامى سلما قد هرب ، ومحال أن يهرب أحدٌ من غلمانى إلّا وقد أسند أمره إلى واحدٍ منكم .

فقام أبو دلامة فقال : بلّغ عنّا أميرَ المؤمنين كما بلغتنا عنه . قال : نعم ! قال : أما سلم فلانعرِفُ خبره ولا قصّته، ولكن هذا بديع يريدُ الهروب، فرأى أميرالمؤمنين فى أخذه ، وكان بينه وبين بديع تباعد ، فبلّغ ذلك المنصور فهرب .

ماأعد أبو دلامة للقبر

وماتت حمادة بنت علىّ بن عبد الله بن عباس ، فصار المنصورُ إلى شفير قبرها ينتظر الجنازة ، وكان أبو دلامة حاضراً فقال : ما أعدَدْت لهذه الحفرة يا أبا دلامة ؟ فقال : عمة أمير المؤمنين يُؤْتَى بها الساعة .

أُخذت امرأة فى زنا وطِيفَ بها على جمل ، فمرَّتْ ببعض المُجَّان فقال لها : كيف خلّفت الحاجّ ؟ قال : بخير ، وقد كانت أمُّك معنا ، فخرجت فى النفر الأول .

[من ملح الجماز]

من أجوبته

وقال رجل للجماز : أشْتهى أن أَرى الشيطان . فقال له : انظر فى المرآة فإنك تراه .

وقال له رجل : أنا وجع من دُمَّل فىَّ . قال له : وأينَ هى ؟ قال: فى أخس موضع منى . قال : كذبت ؛ لأنى لا أرى فى وجهك شيئاً .

وقال له رجل : يا أبا عبد الله ؛ أنا رجلٌ جامدُ العين ، لو مات أبى ما بكيت ، ولكن إذا سمعتُ الصوتَ الفريح من الوجه المليح ، بكَيْتُ حتى أغمى [علىّ][٢] . فعلامَ يدلُّ هذا ؟ قال : على أنك لا تُفْلح أبدا .

---

(١) مؤصدة : مطبقة . (٢) غمى على المريض ، وأغمى : غشى عليه ثم أفاق .

وقال له رجل : أردت أن أحمِل أمّى إلى بغداد ، فخِفْتُ إن حملتها فى البحر أن تعطب ، وإن حملتُها فى البرّ أن تتعب . قال . فخذها فى سُفْتَجة[١] .

دخول الجماز على المتوكل

قال بعضُ جلساء المتوكل[٢] : كنا نكثر عنده ذكر الجماز حتى اشتاقه، فكتب فى حَمْله من البصرة . فلما دخل عليه أُفْحِم . فقال له المتوكل : تكلم فإنى أحبّ أن أَستبرئك . فقال : بحيضة أم بحيضتين يا أمير المؤمنين؟ فضحك المتوكل . ثم قال له الفتح : قد ولّاكَ أميرُ المؤمنين على الكلاب والقردة . قال: فاسمع لى وأَطِعْ ، فأنتَ من رعيّتى . فقال له : إذا وهب لك أميرُ المؤمنين جارية ، فما تصنعُ بها ؟ فقال : أنا أعرف من نفسى ما تحتاجُ ـ والله ـ جارية إلا أن أقودَ عليها . فضحك المتوكل ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فمات فرحاً ولم يصل إلى البصرة .

الجماز وضيفه

وكان الجمّاز لا يُدْخِلُ بيته أكثر من ثلاثة لضيقِه ، فدعا ثلاثةً من إخوانه فأتاه ستة ، ووقف كلٌّ واحد على رِجْل وقرعوا الباب ، فنظر من كُوَّةٍ أسفل الباب ـ وكذلك كان يعمل ـ فعدَّ ستةَ أرجل ، فلما فتح الباب دخلوا ؛ فقال : اخرجوا عنى فإنى دعوتُ أناساً ولم أدع كراكى[٣] .

الجماز

والجماز[٤] هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر، وكانوا يزعمون أنهم من حِمْير صليبية نالهم سِباءٌ فى خلافة أبى بكر وهم مواليه ، وسَلْم الخاسر عمه . وكان الجماز صاحباً لأبى نواس حتى ماتا ، ووصَف أبا نواس[٥] ، فقال : كان أظرفَ الناس منطقاً ، وأغزَرَهم أدبا ، وأقدرَهم على الكلام ، وأسرعَهم جوابا ، وأكثرهم حياءً ؛ وكان أبيض اللون ، جميلَ الوجه ، مليحَ النغمة والشارة ، ملتفّ الأعضاء ، بَيْنَ الطويل والقصير ، مسنونَ الوجه[٦] ، قائمَ الأنف ، حسن العينين والمضحك[٧]

---

(١) السفتجة : أن يعطى مالا لآخر وللآخر مال فى بلد المعطى فيوفيه إياه ثم ؛ فيستفيد أمن الطريق. (٢) زهر الآداب : ١٦٤ . (٣) الكركى : طائر ، وجمعه كراكى .

(٤) فى ذيل اللآلىء : ٢٤ : هو محمد بن عبد الله بن حماد. (٥) زهر الآداب : ١٦٣.

(٦) رجل مسنون الوجه : مملسه حسنه سهله ، أو فى وجهه وأنفه طول .

(٨) فى ط : والضحك .

حلو الصورة ، لطيف الكفّ والأطراف ، وكان فصيحَ اللسان ، جيّد البيان ، كثير النوادر ؛ وكان راويةً للأشعار ، وعلّامة بالأخبار ، وكان كلامُه شعراً غير موزون .

وأقبل أبوشُراعة ــ والجماز فى حديثه ، وكانت يد أبى شُراعة كأنها كَرَبة نَخْل[١] وكان أقبحَ الناس وجهاً ، فقال الجماز : فلو كانت أطرافُه على أبى شراعة لتمَّ حسنه .

فغضب أبو شراعة ، فبصق الناسُ فى وجهه .

[من أدب أبى شراعة]

وأبو شراعة شاعر مجيد وهو القائل[٢] :

بنى رباح[٣] أعاد الله نِعْمَتكم ... خير المعادِ وأسقى رَبْعَكم دِيَماَ

فكم بهِ من فتًى حلو شمائلُه ... يكاد ينهلُّ من أعطافه كَرَما

لم يلبسوا نعمةً لله مذ خلقوا ... إلا تَلَبّسها إخوانُهم نِعما

قال أبوالعباس المبرد : وكان أبو شراعة حليما مألوفاً ، جميل الخلق ، كريم العشرة ، وكان يقول من الشعر ما يجانِبُ به مذاهبَ المحدثين ، ويقترف طريق الماضين وأهلَ البادية ؛ فشِعْره عربىّ مَحْض ، واسمه أحمد بن محمد بن شراعة القيسى ومن شعره[٤] :

تقول[٥] ابنةُ البكرىّ حين أؤوبها ... هزيلا وبعضُ الآيبين سَمِينُ

لكَ الخير لا يدخل لأهلك رحله ... فإنك فى القومِ الكرامِ مَكِينُ

ذَرِينى أمتْ من قبل حلِّى محلّةً[٦] ... لها فى وجوهِ السائلين غضون

وأَفدِى[٧] بمالى ماءَ وجهى فإننى ... بما فيه من ماءِ الحياة ضَنِينُ

فقالت : لحاكَ الله لا تَنْأَ جانباً ... فقلت : لإخوانى الكرامِ عيونُ

---

(١) كرب النخل: أصول السعف الغلاظ العراض التى تيبس فتصير مثل الكتف واحدتها كربة.

(٢) زهر الآداب : ٦٥٦ . (٣) فى زهر الآداب . بنى رياح . (٤) الأغانى : ٢٠ ـ ٣٧ .

(٥) فى الأغانى : تلوم ابنة البكرى . (٦) فى الأغانى : قبل احتلال محلة .

(٧) فى الأغانى : سأفدى بمالى ماء وجهى لاننى .

وله يهجو أحمد بن المدبر وأخاه إبراهيم :

حجابُ ابنِ المدبّر كِسْرَوِىّ كذاكَ حجابُ كِسرى أردشير
شهدت بأنه من آلِ كسرى سَلُوه هل شهدت له بِزورِ
كفاكَ شهادتى بالحقّ لولا تضاحُكُ مَنْ أرى حول السرير
فإن يكن المدبّر جُرْمُقِيًّا[1] فلستُ بذاكرٍ أهلَ القبور

وكتب إلى سعيد بن موسى بن سعيد بن سلم[2] الباهلى ، يستهديه نبيذا ، ووجه إليه بقرابة فى غلاف :

إليك ابن موسى الخير[3] أَعْمَلْتُ ناقتى مجلّلة يَضْفُو عليها[4] جلالها
كتوم الوجى[5] لاتشتكِى ألم السرى سواء عليها مَوْتُها واعتلالها
إذا سقِيَتْ[6] أبصرت ماجوف بطنها وإن تركت[7] لم يَبْدُ منها هزالها
وإنْ حملت حملا تحمّلت[8] حِمْلها وإن حطّ عنها لم أُبَلْ[9] كيف حالها
بعثْنا بها تَسمُو العيونُ وراءَها إليك وما يُخْشَى عليها كلالها
وغَنَّى مغنّينا بصوتٍ فشاقَنِى متى راجعٌ منْ أُمِّ عمرو خيالها
أحب لكم قيس بن عيلان كلها ويعجبنى فُرْسانُها ورِجالها
ومالى لا أهوى بقاءَ قَبيلةٍ أبوكَ لها بَدْرٌ وأنتَ هِلالها

[رجع إلى الجماز]

وللجماز مقطعات مِلَاح ، فى ضروب الهجاء والامتداح ، منها قوله فى خصى كان يكايده على قَيْنة ؛ يسمى رباح :

(١) يريد أنه ليس بعربى فإن الجرامقة قوم من العجم صاروا إلى الموصل فى أوائل الإسلام ـ القاموس المحيط . (٢) فى الأغانى : بن مسلم بن قتيبة ، ولهذا الشعر قصة طويلة فى الأغانى : ٢٠ـ٤٠ . (٣) فى الأغانى : الجور . (٤) فى ط : أثناء خوص جلالها ، وهذا من الأغانى.
(٥) فى ط : الدعا ، وهذا من الأغانى . (٦) فى الأغانى : إذا شربت
(٧) فى الأغانى : وإن ظمئت . (٨) فى الأغانى : تكلفت . (٩) فى ط : لم تقل ، وهذا من الأغانى .

ما للخصىّ رَباحِ ولِلْغَوانِي المِلَاحِ
أليس زانٍ خصى غازٍ[(١)] بغير سلاحِ

وفى مثله يقول ابن الرومى :

معشر أشبهوا القرودَ ولكِنْ خالفوها فى خفَّةِ الأرواحِ
نمشة فوق صفرة فتراه كونيم[(٢)] الذباب فى اللُّفَّاحِ[(٣)]

قال الجاحظ : فى الخصى عشرة أحوال متضادّة ؛ لم يخرج من ظهره مؤمن ، ولا خرج من ظهر مؤمن ، وهو أكثرُ الناس غيرة ، وأشدهم قيادة ، وهو أضعفُ الناس معدة ، وأشرههم على طعام ، وهو أَسْوَأُ الناس أدباً ، وهو يعلِّم الأدب ، وهو أغزر الناس دمعة ، وأقساهم قلباً ، وما خلا قطّ مع امرأة إلا حدّثته نفسه أنه رجل ، ولا خلا مع رجل إلا حدثته نفسه أنه امرأة .

وقال الجماز لبعض المسجديّين :

تركت المسجدَ الجامع والتَّرْكُ له رِيبَه
فلا نافــلة تأتى ولا تَشْهَد مكتوبه
وأخبــارك تأتينا على الأعلام منصوبَه
فإن زِدْتَ من الغيب زِدْناك من الغيبه

ومثله قول أبى القاسم إسماعيل بن عباد ، فى مغن يعرف بابن عذاب[(٤)] :

أقولُ قولًا بلا احتشام يقبله[(٥)] كل من يَعِيهِ[(٦)]
ابن عَذَابٍ إذا تغنّى فإننى منه فى أبيهِ[(٧)]

---

(١) هكذا بالأصل . (٢) الونيم : خرء الذباب . (٣) اللفاح ــ كرمان : نبت يشبه الباذنجان . (٤) زهر الآداب : ٤٣٩ . وفى ط : ابن غراب ، والتصحيح من زهر الآداب .
(٥) فى زهر الآداب : يعقله . (٦) فى ط : يعيبه ، وهذا من زهر الآداب .
(٧) فى ط : دبيبه . وهذا من زهر الآداب .

وقال الجماز فى المتوكل :

قالوا امتدحت الإمام قلت لهم ... أخاف ألا أحدَّه بِصِفِه
وكيف يعطى على المدائح من ... كان أبو السمط عنده طرَفه
كأنّ إنشادنا مدائحه ... أنصاف كتب ليست بمؤتلفه

أخذه من قول أبى تمام(١) :

أذكَتْ عليك شهابَ نارٍ فى الحشا(٢) ... بالعَذْلِ وَهْناً أختُ آل شهابِ
عذلًا شبيهاً بالجنونِ كأنما ... قرأتْ به الورهاءُ نِصفَ كتابِ(٣)

[بين على بن الجهم وأبى السمط]

وكان أبو السِّمط(٤) بن أبى حفصة أثيراً عند المتوكل ؛ وكان علىّ بن الجهم يقعُ فيه لمنزلته عنــد المتوكل وحَسَدِه له ؛ فأغرى بينهما يوماً فقال لحمدون النديم : أيهما أشعر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ طرحتنى بين لَحيي أَسدَين(٥) . قال : لتقولنّ . قال : أَعرفهما(٦) بالشعر أَشعرُهما . فقال المتوكل : يا علىّ ، قد حكم حمدون عليك . قال : عَلِمَ رَأْيك فيه فساعَدَك . فقال المتوكل : تهاجيَاَ . فقال علىّ : قد كظّنى(٧) الشراب ، فإذا أفقْت قلت ؛ فقال أبو السّمط بديهاً :

إنَّ ابنَ جَهْمٍ فى المغيب يسبُّنى ... ويقول لى حسَناً إذا لاقَانِى
إنَّ ابنَ جَهْمٍ ليس يرحَمُ أمَّه ... لو كان يرحَمُها لما عادانِى

فضحك المتوكل ، وانخذل ابنُ الجهم ؛ فقال أبو السِّمط :

لعمرُكَ ما جَهْمُ بنُ بَدْرٍ بشاعرٍ ... وهذا علىٌّ بعده يصنَعُ الشِّعْرَا
ولـكن أَبى قدكان جاراً لأمِّه ... فلما تعاطى الشعرَ أوهمنى أَمْرَا

---

(١) ديوانه : ١٩ . (٢) فى ط : فى الهوى . (٣) فى الديوان : صدر كتاب . والورهاء : الحمقاء المتعجرفة . (٤) هو مروان بن أبى حفصة . (٥) اللحى : منبت اللحية . (٦) فى هامش الأصل : الصواب أعرقهما — بالقاف . (٧) كظه الطعام : ملأه حتى لا يطيق النفس .

ولما أفاق علىّ بنُ الجهم من سكره قال :

بَلاءٌ ليس يشبهه بَلاء عداوةُ غيرِ ذى حسَبٍ ودينِ
يُبيحك منه عِرْضاً لم يَصُنْه ويرتَعُ منك فى عِرْضٍ مَصُونِ

[العجم والشعر]

ودخل[1] الضبىّ على عبد الله بن طاهر ، فأنشد شعراً حسناً وبحضرته أعرابى ؛ فقال الأعرابى : ممَّن تكون ؟ قال : من العجم . قال: وما للعجم والشِّعر وإنما الشعرُ للعرب ، وكل مَنْ قاله من العجم فإنما نزَا على أمّه أعرابى . فقال : وكذلك مَنْ لا يقول الشعرَ منكم ، فإنما نزَا على أمه عجمىّ إذاً ؟ فأفحمه .

[من شعر الجماز]

ودخل الجماز على بعض وُلاةِ البصرة فأنشده :

أثكَلْتَنى البِرَّ وعنَّيْتنى ما كان هذا أملى فيكا
لا تنتفنى بعد ما رِشْتَنى فإننى بعضُ أيادِيكا

فضحك ، ثم قال : ثم ماذا ؟ فقال : ثوب سمرقندى هو، أنشدك إياه مزارعة .

***

المقلون من الشعراء

وقيل لعقيل بن علّفة[2] : لِمَ تقصر شِعْرَك ؟ فقال : يكفى من القِلادةِ ما أحاط بالعنق . وقيل لآخر مثل ذلك . فقال : لم أرَ المثل السائرَ إلّا بيتاً واحدا .

ولم يكن للجماز حظٌّ فى التطويل ، وإنما كان يقول البيتين والثلاثة ، وإنما قال بيتاً واحدا :

وقعنا من أبى خِزْىٍ على خِزْىٍ من الخِزى

من شعر المنصور الفقيه

لم يقل غير هذا ، وكذلك ابن بسّام ، ومنصور بن إسماعيل الفقيه . والمصريون

---

(١) هذه الفقرة قبل أبيات ابن الجهم فى الأصل . (٢) فى الأصل : علقمة : وهذا من زهر الآداب .

يقولون : احذر منصورا إذا رمح بالروح . وهو القائل لمّا ذهب بصرُه وجفاه الإخوان والرفقاء[١] :

مَنْ قال مات ولم يستوفِ مُدَّتَه … بعظم نازلة نالته مضرور[٢]

وليس فى الحق أن يحيا فتى بلغتْ … به نهاية ما يَخْشَى المقاديرُ

فقل له غَيْرَ مرتابٍ بفعلته[٣] … أو سوء مذهبه قد عاش منصورُ

ومن ظريف شعره[٤] :

تكادُ تضِيقُ الأرضُ عنه برُحْبِها[٥] … إذا نحن قُلنا خيرُنا الباذِلُ السَّمْحُ

فإن قيل مَنْ هذا البغيض[٦] أَقُلْ لكم … على شَرْطِ كِتمانِ الحديث هو الفَتْحُ

وقال منصور :

يا مَنْ يرى المتعةَ فى دينه … حِلاًّ وإن كانت بلا مَهْرِ

ولا يرى تسعين تطليقةً … تَبِينُ منها ربَّةُ الخِدْرِ

من ههنا طابَتْ مواليكم … فاجتهدوا فى الحَمْدِ والشكرِ

وقال :

أَبَى الناسُ أن يَدَعُوا موسرا … سليمَ الأديمِ سليمَ النسَبْ

وقد خبَّروك فإن لم تَطِبْ … بعِرْضِك نفساً فطِبْ بالذهبْ

وقال :

يا مَنْ تولَّى فأَبْدَى … لنا الجَفَا وتَبَدَّلْ

أليس منك سمعنا … من لم يمت فسيعزل

وأتى باب بعض الأشراف الرئيسيين ، فحجبه خادمٌ اسمُه شقيف فقال :

إذا وقع الضرير على خصيٍّ … فقد وقع المصاب على مُصَابِ

(١) زهر الآداب : ٨٢٦ . (٢) فى زهر الآداب : نالته معذور .

(٣) فى زهر الآداب : بغفلته . (٤) زهر الآداب : ١٠٣٠ .

(٥) فى زهر الآداب : تضيق به الدنيا فينهض هاربا . (٦) فى زهر الآداب : من هذا الشقى .

وكانت أم هذا الشريف أمَة ثمنها ثمانية عشر ديناراً ؛ فعتب على منصور فقال[١]:

من فاتنى بأبيــه ولم يَفُتنى بأمّهْ
ورام شَتْمِى ظلماً سكتُّ عن نصف شَتْمِهْ

فدفع إليه مائة دينار . وقال : اسكت عن الجميع .

* * *

من النقد

فانظر ـ أعزك الله ـ البليغ إذا شاء كيف يجعل الجد هزلا ، والمعرَّى مُحَلَّى . هذا المعنى إنما اهتدى إليه من قول عنترة بن شداد العبسى وأمه أمة سوداء اسمها زبيبة[٢] :

إنى امرؤ من خَيْرِ عَبْسٍ منصباً شطرى وأحمى سائرى بِالْمُنْصُلِ

وسأستقل إن شاء الله ، ذكر ابن بسام ، ونقل ظريف ماله فى غير هذا الموضع .

[طرف متفرقة]

المتوكل وصاحب الخبر

وكتب ابن الكلبى صاحب الخبر إلى المتوكّل أن المعروف بابن المغربى القائد اجتاز البارحة بالجسر سَكْرَان ، فشخر ونخر ، وبَرْبَرْ وزَمْجَر وجَرْجَر ، وبأبأ بفيه ، وخرق الشريحة ، ومرَّ منصلتاً ، وقال : أنا السكركدن فاعرفونى .

فضحك المتوكل حتى استلقى . وقال : قد عرفنا ما كتب به البغيضُ إلاّ حرفاً واحداً فعلىّ به .

فلما جاء قال : ما معنى قولك بأبأ بفيه ؟ قال : يا مولاى ؛ لما توسّط الجسر قال بفيه : بب بب . فقال له المتوكل : انصرف فى غير حِفْظِ الله .

المأمون وثمامة بن أشرس

وركب المأمون ليلا فإذا بثمامة بن أشرس سَكْران، فلما علم بالمأمون توارَى عنه، فقصده المأمون حتى وقف عليه . فقال : ثمامة ؟ قال : إى[٣] والله . قال : أسكران ؟

---

(١) زهر الآداب : ٨٢٧ . (٢) ديوانه : ١٠٠ . (٣) إى بمعنى نعم .

قال : لا والله . قال : فمن أنا ؟ قال : لا أدرى والله . قال : عليك لعنة الله . قال : تَتْرَى إن شاء الله . فضحك وتركه .

المهدى ورجلان فى قصره

ولما فرغ المهدى من قَصْرِه بعيساباذ ركب فى جماعة للنظر إليه ، فدخله مفاجأة، وأخرج كلَّ مَنْ هناك من الناس ، وبقى رجلان خَفِياَ عن أبصار الأعوان ؛ فرأى المهدى أحدَهما وهو دهش لا يعقل . فقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا أنا أنا أنا . فقال : من أَنْت ؟ ويلك ! قال : لا أدرى لا أدرى لا أدرى لا أدرى . قال : ألك حاجة ؟ قال : لالا لالا . قال : أخرجوه ، أَخْرج الله روحه . فلما خرج قال المهدى لغلامه : اتْبَعْه إلى منزله ، وسَلْ عنه ، فإنى أراه حائكا ، فخرج الغلام يَقْفُوه .

ثم رأى الآخرَ فاستنطقه فأجابه بقلب جرىء ، ولسان طَلْق ؛ وقال : رجل من أبناء دعوتك . قال : فما جاء بك إلى هنا؟ قال : جئتُ لأنظر إلى هذا البناء، وأتمتَّعَ بالنظر إليه ، وأُكثِر الدعاءَ لأمير المؤمنين بطول البقاء ، وتمام النعمة ، ونماء العز ، والسلامة . قال : أفلك حاجة ؟ قال : نعم ! خطبت ابنةَ عمى فردَّنى أبوها وقال لى : لا مالَ لك ، والناسُ إنما يرغبون فى الأموال ، وأنا لها وامِق وإليها تائق [1] . قال : قد أمرتُ لك بخمسين ألفاً . قال : يا أمير المؤمنين ؛ قد وَصَلْتَ فأجزلْتَ الصِّلَة ، وأعظَمْتَ المِنَّة ؛ فجعل اللهُ باقيَ عمرك أكثرَ من ماضيه ، وآخرَ أيامك خيراً من أولها ، وأَمْتعَك بما أنعم به عليك ، وأَمتع رعيَّتَك بك .

فأمر بتعجيل صِلَته ، ووجَّه بعض خدمه فقال : سَلْ عن مهنته ، فإنى أراه كاتبا ، فرجع الرسولان بصحَّةِ ما تفرَّسه المهدى .

مدينى وقبيح الوجه

وأَخذ رجلٌ من لحية مدينى شيئاً ، فانتظر أن يقولَ له : قطع الله عنك القَذَى ، فقال له : لِم لمْ تَقُلْ لى قلَع الله عنك الأسواء ؟ قال المدينى : بأبى أنت وأمى ! إنى

---

(١) تاق : اشتاق .

نظرتُ فلم أرَ شيئا أقبحَ من وجهك ، فكرهتُ أن أقولَ : قلع الله عنك الأسواء ؛ فأكونَ قد دعوتُ عليك فيتركك الله بدنا بلا رَأس .

وديعة وتلميح

قال أبو العيناء : استودع رجلٌ عند إمامِ مَحَلَّته قارورة زنبق فجحده إياها ، وقام يصلِّى بهم شهر رمضان وقرأ : « قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون » وكرَّرها . فقال الرجل : قارورة زنبق .

[المهدى ينفرد عن عسكره]

انفرد المهدىُّ من عسكره فاجتاز برجلٍ على ماء ، فقال : ألك طعام ؟ قال : نعم ! وقدَّم إليه سُفْرة كانت معه ، فأكل المهدى ثم غسل يدَه . فقال له الرجل : أصلحك الله ! معى شرابٌ فهل لك فيه؟ قال: نعم ! فشرب ، فلما انتشى قال للرجل: أتعرفنى ؟ قال : لا . قال : أنا صديقٌ لوزير أمير المؤمنين ، وسأسأله فى أن يسبِّب لك أسبابا تنتفعُ بها ؛ ثم شرب قدحاً ثانياً ، وقال : أتعرفنى من أنا ؟ فقال : لقد قلتَ إنك صديقٌ لوزير أمير المؤمنين . فقال : أنا وزيرُ أمير المؤمنين . ثم شرب ثالثا . وقال : أتدرى مَنْ أنا ؟ فقال : قل لكى أرى . قال : أنا أمير المؤمنين . فسدَّ الرجلُ رِكْوَته (١) ونحَّاها ناحية ، فقال له المهدى : مالك عجَّلْتَ برَفْعِها ؟ قال : شربت ثلاثة أقداح فادَّعيتَ الخلافة ؛ فإن شربتَ الرابعة ادّعيتَ النبوة ، فليس بينى وبينك عملٌ . فضحك المهدى وأدركته الخَيْلُ فجعلوا يترجَّلون ويسلِّمون عليه بالخلافة ، ثم ركب المهدىُّ وأمرهم بالتحفّظ على الرجل؛ فلما تيقَّنَ الرجلُ الأمرَ سألهم أن يقرِّبوه من أمير المؤمنين ، فقرَّبوه منه . فقال : يا أمير المؤمنين ، نصيحة ، فأدناه ، فقال : ما رأيت أصدق منك فى دعواك ، وإن ادَّعَيْتَ الرابعة ، فأنا أولُ مؤمن بك . فضحك المهدىُّ منه وأمر له بصِلَةٍ وضمَّه إلى ندمائه .

---

(١) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

[من شعر إسماعيل بن جامع]

قال سفيان بن عيينة ـ وقد رأى إسماعيل بن جامع السهمى وعليه بزّة وأثواب حسان ؛ فقال : لقد أثرى هذا الفتى ، فعلام يحيا ويُعْطَى ؟ قالوا : إنه يغنّى هؤلاء الملوك قال : بماذا يغنيهم ؟ أتحفظون شيئا مما يقول ؟ فأنشده بعضهم :

أطوف نهارى مع الطائفين　　وأرفعُ من مِئْزَرِى المُسْبَلِ

قال : أحسن ، ثم ماذا ؟ فأنشدوه :

وأسجدُ بالليل حتى الصباح　　وأتلو من المُحْكَم المُنْزَلِ

قال : أجاد والله . ثم ماذا ؟ فأنشدوه :

عسى فارج الكرب عن يوسفٍ　　يُسخِّرُ لى رَبَّةَ المَحْمِلِ

فقال : آه آه آه ! أمسك عليك، اللهم لا تسخِّرها له .

[ابن جامع أطيب الناس غناء]

وكان ابنُ جامع أطيبَ الناس غناءً ، فاعتقد بغنائه عُقَدًا نفيسة[١] ، وأموالا جزيلة . حكى عن نفسه قال : ضمّنى الدهرُ ضماً شديداً وأنا بمكة . فانتقلت بعيالى إلى المدينة ، فأصبحتُ يوماً وما أملكُ إلاّ ثلاثة دراهم ، فهى فى كُمِّى، وأنا جالس مع بعض أهل المدينة على مناقشة ومذاكرة إذ قال بعضنا : إنه ليبلغنا أنّ الرشيدَ يتشوّقُ إليك وأنت ضائعٌ فى بلدنا . قال : فمالى من نهوضٍ . قالوا : نحن نُنْهِضُك. فقمتُ مولّياً فإذا بجارية حميراء[٢] على رأسها جرة تريد الرّكىّ[٣]، وهى تسعى بين يدى وتترنّم بصوت شج فى غنائها وتقول :

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا　　فقالوا لنا ما أقْصرَ الليلَ عندنا

---

(١) اعتقد ضيعة ومالا : اقتناهما. والعقدة : الضيعة . والحائط الكثير النخل . وكأن الرجل إذا اتخذ ذلك فقد أحكم أمره عند نفسه واستوثق منه ثم صيروا كل شىء يستوثق الرجل به لنفسه ويعتمد عليه عقدة . (٢) فى ط : خصراء . (٣) الركية : البئر ، جمعه ركى .

إذا أقبل الليلُ المضرُّ بذى الهوى ... جزِعْنَا وهم يستبشرون إذا دَنَا
وذاك لأنَّ النوم يَغْشَى عيونَهم ... سريعاً ولا يَغْشَى لنا النومُ أعيُنَا
فلو أنهم كانوا يلاقُونَ مِثْلَمَا ... نُلَاقِى لـكانوا فى المضاجع مِثْلَنا

فأخذ غناؤها بمجامع قلبى ، ولم أُدرِكْ منه حرفاً . فقلت : ياجارية ؛ ما أدرى أوجهك أحسن أم صَوْتك ؟ فلو شئتِ أعَدْتِ علىّ الصوت . قالت : حبًّا وكرامة . ثم أسندَتْ ظهرها إلى الحائط ثم غنَّته ، فوالله مادار لى منه حَرْف . فقلت: ياجارية ؛ فلو شئت أعَدْت علىَّ الصوت مرة أخرى . قالت : حبًّا وكرامة ، ثم أسندت ظهرها إلى الجدار ووضعت الجرّة ثم غنته؛ فوالله مادار لى منه حرف . فقلت : ياجارية ؛ لقد أحسنت وتفضّلت ، فلو شئت أعَدْتِ الصوت مرة أخرى ؛ فغضبت وكَلَحَت [1] وقالت : ما أعجب أحدكم يأتى إلى الجارية عليها غَلّة فيقول : أعيدى علىَّ ، فضربتُ بيدى إلى الثلاثة دراهم فدفعتُها إليها فأخذَتْها شبيهة المتكرهة ؛ وقالت : أنت تريدأن تأخذَ منى صوتا أحسبك تأخذُ عليه ألفَ دينار وألفَ دينار وألفَ دينار .

فقلت : أرجو أن يؤول الأمرُ إلى ماتحسبين ، فانبعثت تغنّى ، وأعمَلْتُ فكرى فى غنائها حتى دار لى الصوتُ وفهِمْتُه ، فانصرفت مسروراً إلىمنزلى أردِّدُه حتى خفَّ على لسانى ، ثم أقبلت أُريد بَغْداد ، فنزل بى المكارى على باب المُحَوَّل[2] أوّلا ولا أدرى أين أتوجَّه ، ولا مَنْ أَقصد ؟ حتى انتهى بى السير إلى الجسر ، فرأيت الناسَ يعبرون ؛ فعبَرْتُ معهم ، حتىانتهيت إلى شارع الميدان ، إلى باب الفضل بن الربيع . فرأيت هناك مسجداً مرتفعاً . فقلت : هذا مسجدُ قوم سراة ، وحضر المغرب فلم أَلبَثْ أن جاء المؤذّن ، فأذَّن وأقام الصلاة فصلَّيت ، ثم أقمتُ مكانى حتى عاد المؤذّن للعشاء ، فأقام الصلاةَ فصلَّيْتُ على تعَبٍ وجوع ، ثم انصرف الناس وبقى فى المسجد رجل ، فصلَّى خَلْفَه جماعة، وجماعةٌ من الخدم جلوس ، وقوم ينتظرون فراغَه ، فصلَّى

---

(١) كلح ، كمنع : تكشر فى عبوس . (٢) فى القاموس : المحول : غربى بغداد .

ملياً ثم انصرف إلىّ بجمع جسده ، وقال لى : أحسبك غريباً . قلت : أَجَلْ ، وليس لى بهذا البلد معرفة ، وليست صناعتى من الصنائع التى يُتَيَمَّم بها إلى أهل الخير .

قال : وما صناعتك ؟ قلت : الغناء . فوثب مبادِراً ووكَّلَ بى بعضَ من معه ، فقلت للموكَّل بى : مَنْ هذا ؟ قال : سلام الأبرش . ثم انتهى إلى دارٍ من دور الخلافة ؛ فمشى بى فى دهليزها ساعةً ، حتى انتهى إلى مقصورة من مقاصيرها ، فأدخلنى فيها ، ودعا لى بطعامٍ ؛ فأُتينا بمائدةٍ عليها من كل طعام ، فأقبلتُ على الأكل حتى ترادَّتْ نفسى إلىّ ؛ ثم سمعت رَكْضاً فى الدهليز ، وإذا إنسانٌ يقول : أين الرجل ؟ فقيل : هو ذا . فقال : ادْعُوا له بغسول وطيب وخِلْعة حسنة ، فَفُعِل ذلك بى وخُلِّقْتُ . وأخذ بيدى الرجل وحملنى على دابته ، وأتى بى إلى دار الخلافة ، فلم يزل يجاوز بى داراً بعد دار ، حتى انتهى إلى دارٍ قَوْرَاء[1] ، فيها أسرّة منصوبة بعضها إلى بعض ، فلما انتهى بى إلى تلك الأسرة ، أمرنى بالصعود فصعدت ، وإذا رجلٌ جالس وعن يمينه ثلاثُ جَوارٍ فى حجورهنَّ العيدان ، وفى حِجْرِ الرجل عود ، فرحَّب بى ذلك الرجل ، وإذا مجالس قد كان فيها قومٌ فقاموا عنها ، ثم لم أَلْبَثْ أن خرج خادمٌ من وراء الستر ؛ فقال للرجل : تغنَّ ؛ فغنَّى بصوت فوالله ما أحسن الغناء ولا أحسنَ الصوت ، وهو هذا :

لم تَمْشِ ميلا ولم تَرْكَبْ على جَملٍ   ولم تَرَ الشمسَ إلاَّ دونها الكِلَلُ

فقام الخادم إلى الجارية التى تلى الرجل . فقال: تغنَّىْ ؛ فغنّت بصوتٍ لَيْن كانت فيه أحسنَ من الرجل حالا ، ثم قال للثانية فغنّت ، وللثالثة فغنّت بصوت لحُنَيْن ؛ ثم عاد الخادم فقال لى : تغنّ رحمك الله ! فغنّيت بصوتِ الرجل على غير ماغنّاه ، فإذا نحوٌ من خمسين خادماً يحضرون إلى الأسرة ، فقال لى : ويحك ! لمن هذا الغناء ؟ قلتُ : لى ، فانصرفوا وخرج الخادم فقال : كَذَبْتَ ، هذا الغناء لإسماعيل بن جامع . قال : فسكتّ ، ثم دار الدور ، فلما انتهى إلىّ خرج الخادمُ فقال : تغنَّ رحمك الله ! فقلت فى نفسى : أى شى أنتظر ، فاندفعت أغنى بصوتٍ لايُعرَف إلاّ لى :

---

(١) فى ط : فعدا ، والقوراء : الواسعة .

عُوجِى علىّ فسلمى جبرُ   كيف الوقوفُ وأنتم سَفْرُ
مانلتقى إلا ثلاث منى   حتى يفرِّقَ بيننا الدَّهْرُ

قال : فزلزلت عليهم الدار ، وخرج الخادم فقال : لمَنْ هذا الغناء ؟ فقلت : لى . فقال: كذبت ، هذا غناء إسماعيل بن جامع ، فما شعرتُ إلا وأميرُ المؤمنين وجعفر بن يحي قد أقبلا من وراء الستر الذى كان يخرج منه الخادم . فقال لى الربيع : هذا أميرُ المؤمنين قد أقبلَ عليك .

فلماصعد السرير وثَبْتُ على قدم أميرالمؤمنين أقبِّلها، فقال: ابنَ جامع ؟ قلت : ابن جامع ، جعلنى اللهُ فداك . قال : اجلس يابْنَ جامع ، وجلس أميرُ المؤمنين وجعفر فى المواضع الخالية . فقال لى : يابْنَ جامع ؛ أَبْشِر وابسط أملك ؛ فدعوت له . ثم قال لى : غَنِّ يابْنَ جامع ، فخطر ببالى صوتُ الجارية المدنية فغنَّيْتُه ، فنظر أمير المؤمنين إلى جعفر . وقال: أسمعت كذا قط ؟ قال : لاوالله ياأميرالمؤمنين ، ماخرق سَمْعِى مثل هذا . فرفع الرشيدُ رأسه إلى خادم وقال له : كيس فيه ألفُ دينار ، فمضى الخادم فلم يلبَثْ أن جاء بكيس فيه ألفُ دينار ، فصيرَّتُه تحت فخذى . ثم قال : ياإسماعيل ؛ غَنِّ ماحضرك ؛ فأقبلْتُ أقصِدُ إلى الصوت بعد الصوت ، فلم أزل كذلك إلى أن عَسْعَس الليل . فقال : ياإسماعيل ، قد أتعبناك هذه الليلة للسرور بغنائك ؛ فأَعِدْ على أمير المؤمنين الصوتَ الذى تغنّيت أولا ، فغنَّيته ؛ فرفع رأسه إلى الخادم . فقال له: كيس فيه ألفُ دينار ، فذكرت قولَ الجارية لى : إنى أحسبك تأخذ فيه ألف دينار وألف دينار وألف دينار . ثم قال : انصرف ، فبقيت لاأَدرِى أين أَقْصِدُ فى ذلك الوقت ؛ فما هو إلا أن نزلت عن الأسرة حتى وثب إلى فراشان فأخذ أَحدُهما بيدى ، فمضيا بى ولا أدرى إلى أينَ يتوجّهان، حتى وقفا على باب دارى هذه ، فإذا أميرُ المؤمنين قد أمر سلاماً الأبرش فابتاع دارا ، وحشاها بالجوارى والخدم والوصفاء والفرش والطعام والشراب . ورفع إلىّ أحدُهما إضْبَارة[1] مفاتيح . فقال : ادْخُل ، باركَ الله لك . هذا مفتاحُ بيتِ مالك

---

(١) الإضبارة : الحزمة .

وهذا مفتاح حُجَر جواريك ، وهذا مفتاح بيت فرشك وآنيتك ؛ فدخلتُ الدار وأنا أيْسرُ أهل بغداد وأحسنهم حالا ، والحمد لرب العالمين .

[من مليح ما جاء فى المغنيات والغناء]

من قول بشار .

ومن مليح ما جاء فى المغنيات والغناء قول بشار بن برد [1] :

وصفراء مثل الزعفرانِ شرِبْتُها ... على وجهِ صفراء الترائبِ رُودِ

حسدْتُ عليها كلَّ شىء يمسُّها ... وما كنت لولا حُسْنُها[2] بحسُودِ

كأنَّ مليكا جالساً فى ثيابها ... تؤمِّلُ رؤياه عيونُ وفودِ[3]

من البيض لم تسرح على أهْلِ ثَلَّةٍ ... سَوَاماً ولم ترتفع حِدَاجَ قَعُود

إذا نطقَتْ صِحْنَا وصاحَ لها الصَّدَى ... صِياحَ جنودٍ وُجِّهَتْ[4] لجنودِ

تُميتُ به ألبابَنَا وقلوبَنا ... مِراراً وتُحييهنَّ بعد هُمودِ

ظَلِلْنا بذاك الديْدَنِ اليومَ كُلَّه ... كأنَّا من الفردوس تحتَ خلود

ولا بأسَ إلاَّ أننا عند أهلها ... شهودٌ وما ألبابُنا بشهود

وقال :

لعمر أَبى زوَّارها الصَّيدُ إنّنا ... لفى منظرٍ منها وحُسْنِ سَمَاعِ

تصلِّى لها آذانُنا وعيونُنا ... إذا ما التقينا والقلوبُ دواعى

وقال [5] :

وصفراءَ مثل الخيزرانة لم تَعِشْ ... ببؤسٍ ولم تركبِ مَطِيَّةَ راعِى

جرى اللؤلؤُ المكنونُ فوق لسانِها ... لزوَّارها من مِزْهَرٍ[6] ويرَاعِ

---

(١) المختار من شعر بشار : ٢٥٥ . (٢) فى المختار : حبها .

(٣) فى ط : عين رقود ، وهذا من المختار . (٤) فى ط : واجهت ، وهذه رواية المختار .

(٥) المختار من شعر بشار : ٢٦٠ . (٦) المزهر : العود يضرب منه .

إذا قلَّدَتْ[١] أطرافها العودَ زلزلَتْ ... قلوباً دعاها للوساوس[٢] داعِ
كأنهمُ فى جَنَّةٍ قد تلاحقَتْ ... محاسنُها من روضة ويفاع
يرُوحون من تغريدها وحديثها ... نَشَاوى وما تسقيهم بصواع
لعوبٌ بألباب الرجال إذا رَنَتْ[٣] ... أُضيعَ التقى والغىُّ غيرُ مُضَاعِ

من شعر كشاجم

والشعر فى هذا المعنى واسع الذَّرْعِ سابغ الدِّرْع ؛ ولأبى الفتح كشاجم فيه كل شىء مليح، فمن ذلك قوله[٤] :

جاءت بعودٍ كأنّ الحبَّ أَنحلَه ... فما يُرَى فيه إلاّ الوهمُ والشبَحُ
فحرَّكَتْه وغنَّتْ فى الثقيل لنا ... صوتا بِه النار[٥] فى الأحشاء تنقدِحُ
بيضاء[٦] يحضر طيب العيشِ إنْ حضرَتْ ... وإن نأَتْ عنك غاب اللهوُ والفرَحُ
كل اللّباس[٧] عليها مَعْرِضٌ حسن ... وكلٌّ ما تتغنّى فيه مقتَرَحُ

من شعر ابن المعتز

وهذا مقول عبد الله بن المعتز[٨] :

وغنَّتْ فأغنت عن المسمعيـ ... ـنَ وارتجَّ بالطربِ المجلسُ
محاسنُها نزهةٌ للعيونِ ... ومعرِضها كُلّ ما تَلْبَسُ

ومن شعر كشاجم

ولأبى الفتح[٩] :

جاءت بعودٍ كأنّ نَغْمَته ... صوتُ فتاةٍ تشكو فِراق فتى
محفّف حفَّت النفوسُ[١٠] به ... كأنما الزهرُ حولَه نبتا
دارَتْ مَلاَوِيهِ فيه واختلَفَتْ ... مثل اختلاف اليدين[١١] شُبِّكَتا

---

(١) فى المختار : قلبت . (٢) فى المختار : للصبابة .
(٣) فى هامش الأصل : دنت بالدال أحسن . (٤) زهر الآداب : ٦١٢ ، ديوانه : ٣٨ .
(٥) فى زهر الآداب : به الشوق . (٦) فى الأصل : طيبا . (٧) فى الديوان : كل الليالى . (٨) زهر الآداب : ٦١٢ . (٩) زهر الآداب : ٦١١ ، ديوانه: ١٧، نهاية الأرب : ٥ — ١٢٠ . (١٠) فى الديوان : مخفف خفت النفوس .
(١١) فى زهر الآداب : مثل اختلاف العيون .

لو حركْته وراءَ منهزمٍ ... على بريدٍ لعاجَ والتفتَا
يا حُسْنَ صوتيهما كأنهما ... أُختانِ فى صنعةٍ تراسَلتَا
تراه عنهـا ينوبُ إن سكَتتْ ... طوراً وعنه تنوبُ إن سكَتَا

وله [١] :

آه من بحَّةٍ بغـير انقطاعِ ... لفتاةٍ موصولة الإيقاع
أتعبَتْ صوتَها [٢] وقد يُجْتَنَى من ... تعبِ الصوت راحَةُ الأسماعِ
فَغَدَتْ تُـكـثِر الشجاج [٣] وحَطَّتْ ... طبقاتِ الأوتار بعـد ارتفاعِ
كأنين المحِبِّ ضعّف منه ... صوتَ شكواه، شدَّةُ الأوجاعِ

وله [٤] :

أشتهى فى الغناء بحَّةَ حَلْق ... ناعمِ [٥] الصوت متعبٍ مكدودِ
لا أُحِبُّ الأوتارَ تعلو كما لا ... أشتهى الضربَ لازماً للعمودِ [٦]
وأحب المجنبات كحُبِّى ... للمبادِى موصولةً بالنشيدِ
كهبوب الصبا توسَّط حالا ... بين حالين شدةٍ وركودِ

وله أيضاً [٧] :

غنَّتْ فخِلْتُ أُظُنّنِى [٨] طرباً ... أَسمو إلى الأفلاكِ أو أَرْقَى [٩]
لو لم تحرِّكْه أناملُها ... كان الهــواءُ يعيده [١٠] نُطْقَا
جسَّتْه عالمـةً بجسَّتِها [١١] ... جسَّ الطبيبِ لمدنَفٍ عِرْقا

---

(١) ديوانه : ١٢٣ ، زهرالآداب : ٦١٣ . (٢) فى الديوان : أتعبت حلقها .
(٣) فى ط : السجاح ، وفى الديوان : البحاح .
(٤) ديوانه : ٣٩ ، زهر الآداب : ٦١٢ ، نهاية الأرب : ٥ — ١١٤ .
(٥) فى زهر الآداب : ناغم . (٦) فى الأصل : للعود ، وهذا عن زهر الآداب .
(٧) زهر الآداب : ٦١٠ . (٨) فى ط : فظلت حالتى، وهذا من زهر الآداب .
(٩) فى ط : حين رقا، وهذه رواية زهرالآداب. (١٠) فى ط: بقيده .
(١١) فى زهر الآداب : بحالته .

فحسبتُ يمناها ، وقد ضربت[1] ، رَعْداً وخِلْتُ يسارَها بَرْقَا

* * *

أبو الفتح كشاجم

وأبو الفتح كشاجم هذا اسمه محمود[2] بن الحسن بن السندى ، من أهل هذه الصناعة ، وله فى الغناء كتابٌ مليح . وقد دلّ على فعاله بمقاله[3] :

أفدى التى كلف الفؤاد من اُجلها[4] بالعود حتى شفَّنى إطرابا

باهتْ[5] بجَمْعِ صناعتين فأظهرتْ كِبْراً لذاك وأُعجبت إعجابا

قالت فضَلْتُكَ بالغناء وأنت لا تَشْدُو ، وكنّا مثلكم كتّابا

فعبثت[6] بالأوتار حتى لم أَدَعْ نغماً ولم أعقلْ لهنّ حسابا

وألفتُها فأغار ذاكَ على يَدِى قلمى وعاتَبها عليه عِتابا

فجعلت للقرطاس جانِبَ صَدْرِه وجعلتُ جانبَ عجزه مضرابا

وكان كاملَ آلات الظرف ، جامعاً لخلال الأدب واللطف ، وله تآليفُ مِلاَح ، تدلّ على معرفته وتوسّعه . وقد ذكروا أنه سمى نفسه كشاجم لما يعلمه ؛ فالكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من منجم ، والميم من مغنّ .

* * *

وقال أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم :

لقد جاد من عابث ضَرْبُها وزادَ كما زاد تغريدُها

إذا نوت الصوتَ قبل الغنا ء أنشدَنا شِعْرَها عودُها

من قول ابن الرومى

وقد قال أستاذه ابن الرومى فى نحوه[7] :

ضَرْبُك فى عودك لم يخرجا عن حاله، والعود فى الضرب[8]

---

(١) فى زهر الآداب : فحسبت يمناها تحركه . (٢) فى الأعلام : هو محمود بن محمد بن الحسين الرملى . (٣) ديوانه : ٨ ، زهر الآداب : ٦١٢ .

(٤) فى الديوان : لأجلها . وفى ط : مزاجها . (٥) فى زهر الآداب : تاهت .

(٦) فى زهر الآداب : فعنيت . (٧) ديوانه : ٤٣٣ .

(٨) راوية البيت فى الديوان : ضربك فى صوتك لاخارج عن حده والصوت فى الضرب

كأنما وَقْعُهما فى الحشا ... وقعُ الحيا فى زمن[١] الجَدْبِ

أخذ هذا أبو الحسن المنجم بن يونس المصرى فقال[٢] :

غنَّتْ فأَخْفت صوتَها فى عودها ... فكأنما الصوتان صوتُ العودِ

غَيْداء تأمرُ عودَها فيُطِيعُها ... أبدا ويتبعُها اتباعَ وَدُودِ[٣]

أنْدَى من النُّوّار صُبْحًا صوتُها ... وأَرقُّ من نَشْرِ الثنا المعهودِ

فكأنما الصوتان حين تمازجا ... ماء الغمامةِ وابنةُ العنقودِ

ومثل هذا :

سلامة بن سعيد ... يجيد حَثَّ الراحِ

إذا تغنّى زمَرْنَا ... عليه بالأقداح

ومن شعر كشاجم

وقال الناجم[٤] :

تأتى أغانى عابث ... أبدا بأفراحِ النفوسْ

تَشْدُو فترقص الرءو ... س لها وتزمر الكئوس[٥]

وقال[٦] :

وما صدحتْ عابث[٧] ومزهرها ... إلاَّ وثقِنا باللهو والفرح

لها غناء كالبرء[٨] فى جسد ... أضناه طول السقام والتَّرحِ

تعبدُها[٩] الراح فهى ماصدحَتْ ... إبريقَنا ساجداً إلى[١٠] القدح

وقال :

---

(١) فى الديوان : فى الزمن الجدب . (٢) فى نهاية الأرب : ٥ ــ ١١٧ ، قال على ابن عبد الرحمن بن يونس المنجم فى عوادة . (٣) فى نهاية الأرب : اتباع ورود .

(٤) نهاية الأرب : ٥ ــ ١٧ ، وهما منسوبان فيه إلى أبى عون الكاتب .

(٥) فى نهاية الأرب : فيرقص بالرءوس ويزمر بالكئوس . (٦) نهاية الأرب: ٥ ــ ١١٦ .

(٧) فى نهاية الأرب : عاتب . (٨) فى ط : كالدعاء ، وهذا من نهاية الأرب .

(٩) فى ط : تعبيره . (١٠) فى نهاية الأرب : ساجد على القدح .

إذا أنت ميزت بين الغنا ء ميزتها الأحذق الأطيبا
تهز القريضَ بألحانها كما هزَّتِ الغصنَ ريحُ الصَّبا

وقال[١] :

ما تغنّت إلاّ تكشَّفَ همٌّ عن فؤادٍ وأقلعت[٢] أحزانُ
تفضُلُ المسمِعين حسناً وطيباً مثل ما يفضُلُ السماعَ العَيانُ

وقال :

ما نطقَتْ عابث ومِزْهرها إلاّ ظللنا للراح نعملُها
تطلبُ أوتارها الهموم بأو تارِها فما تستفيق تقتلها

وقال :

لها غناء مطرب معجب يفعل ما تفعله الخمره
تشوق الأذن إلى شَدْوِها تشوّق العينِ إلى الخضره
كأنما فَرْحةُ مَنْ زارها فرحةُ مَنْ طارت له القمره
لو أن إسحاق شدا شَدْوَها لخلت من يسمع فى سحره
مندرة[٣] فى كل ألحانها لا كالتى تحسنَ فى النُّدْرَه

وقال :

لقد برعت عابث فى الغنا وزادت فأرْبَتْ على البارعِ
يُسبّحُ سامعها معجبا وأصواتُها سبحةُ السامعِ

وقال[٤] :

شدوٌ ألذُّ من ابتدا ء العينِ فى إغفائها
أحلى وأشهى من مُنَى نفسٍ وصدق رجائها

---

(١) نهاية الأرب : ٥ ـ ١١٦ .
(٢) فى نهاية الأرب : وأقشعت .
(٣) فى زهر الآداب : ٣٩٤ : محسنة .
(٤) نهاية الأرب : ٥ ـ ١١٤ .

ومن قول ابن الرومى

وقال ابن الرومى فى بستان جارية أم على بنت الراسبى :

واهاً لذاك الغناء من طبق ... على جميع الأنام مقتدر
أضحت من الساكنى حفائرهم ... سكنى الغوالى مداهن السرر
يامشرباً كان لى بلا كَدَر ... يا سَمَراً كان لى بلا سَهَر
أصبحت بالترب غير راجحة ... عنه وقد ترجحين بالبدر

ومن قول الناجم

وتبعه الناجم ، فقال فى عجاب جارية أبى مروان :

أضحى الثرى بجوارها ... عطر المسالك والمسارب
حلّت حفيرتها حلو ... ل المسْكِ فى سرر الكواعب
يا درّة كانت تضى ... ء لناظرى من كل جانب

ومن قول بشار

وهذا من قول بشار :

درة حيثما أديرت أضاءت ... ومشم من حيث ما شمّ فاحا
وجِنَان قال الإله لها كو ... نى فكانت رَوْحا ورُوحا وراحا

ولهُ (١) :

تُلْقَى بتسبيحةٍ من حُسْنِ ما خُلِقَتْ ... وتستفزّ حشا الرائى (٢) بإرعاد
كأنما صوِّرت من ماء لؤلؤة ... فكلُّ جارحةٍ وجهٌ بمرصادِ

والبيت الأول من هذين قد تقدم نظيره من قول الناجم .

[من ظن به خير فانكشف عن شر]

رجع ما انقطع : مِمَّن ظن به خير فانكشف عن شر ، قال يزيد بن هارون : كنت بالحيرة فرأيتُ شيخا عليه طيلسان ، وعلى رأسه طويلة ، وله سَمْتٌ حسن ، فرجوت أن يكونَ عنده حديث فقلت : يا شيخ ؛ عندك حديث ؟ فقال : أما حديث

---

(١) زهر الآداب : ٤٢٠ . (٢) فى ط : الورى حتى ، وهذا من زهر الآداب .

فلا ، ولكن عندى قديم طيب ؛ فإذا هو خَمَّار .

وسال العقيق فى بعض السنين ، فخرج الناس إلى الصحراء وفيهم سفيان الثورى ؛ فلما كثر الناس انكفأ يريدُ منزله . فبصر بشيخ ضرير قد أهدف[1] على المائة وبيده عصا يخترق صفوفَ النساء ، وهو يبكى بكاء شديدا ؛ فظنّ سفيانُ أنّ بكاءه لِمَا فرط له معهن . فنظر إليه حتى إذا صار فى آخر الصفوف جنح على محجَّته واستقبلهن بوجهه ، وكفكف عن عبرته وأنشأ :

عليكنّ السلام فليس منى ... لكُنّ فدعننى غير السلام

تحالفت العصا لتشدَّ ظهرى ... ونجبر عَثْرتى عند القيام

فقال له سفيان : أمَا كان لك فيما مضى من عمرك عِظَة عن معاصى الله عزّ وجل ؟ فقال : بأبى أنت ! تمنعنى من تلك الحوراء الطِّرْف[2] ، الوافية الرِّدْفِ ، الحسنة التبختُر ، الوانية[3] التكسر ، كالظبى الغرير ، والمهاة عند الغدير ، التى يقول فى صويحباتها الشاعر :

يأخذن زينتهن أحسن ما يُرى ... فإذا عطلن فهنّ خَيْرُ عواطلِ

يرمينى لايستَتِرْنَ بجُنّة ... إلّا الصِّبا وعلِمْنَ أَيْنَ مقاتلى

يلبسن أردية الشبابِ لأهلها ... ويجرُّ باطلهنّ حَبْلَ[4] الباطل

فمضى سفيان يستعيذ بالله منه .

ومثل قوله قول كشاجم :

يقولون تُبْ والكاسُ فى يدِ أغيد ... وصوتُ المثانى والمثالث عالِى

فقلت لهم لو كنت عاينت توبة ... وعاينت هذا فى المنام بَدَا لى

---

(١) أهدف : أشرف . (٢) امرأة طرف الحديث : حسنته يستطرفه من سمعه .

(٣) فى ط : الوافية . (٤) فى ط : جيد .

[من ظريف الصفات]

وما جرى ههنا شوطا فى ظريف الصفات ، يطيب مغناه ويحسن معناه . قال أشجع بن عمرو :

وماجَتْ كموج البحر بين ثيابها ... يميلُ بها شَطْرٌ ويعدلُها شَطْرُ

إذا وصفت مافوقَ مَجْرى وشاحها ... غلائلُها رَدَّتْ شهادتَها الأُزرُ

البحترى[1] :

رددْنَ ماخفقت منها[2] الخصور إلى ... مافى المآزر فاستثْقَلْن[3] أرداقا

إذا نضَوْنَ شفوف الريط آونةً ... قشرن عن لؤلؤ البحرين أصدافا

ابن الرومى :

النار فى خديه تتّقِدُ ... والماء من بُرْدَيْهِ يَطّرِدُ

ضِدَّان قد جُمِعا كأنّهما ... دمعى يَسحُّ[4] ولوعتى تقِدُ

وقال :

صدور فوقهنّ حِقَاقُ عَاج ... ودرٌّ زانه حسْنُ اتّساق

يقول القائلون إذا رأوه : ... أهذا الدر من تلك الحقاق ؟

أخذه من قول عبد الله بن السمط :

كأنّ الثدى إذا مابَدت ... وزان العقود بهنّ النحورا

حِقَاقٌ من العاج مكنونة ... حملن فى الدرّ شيئا يسيرا

أبو النجم الكاتب :

فيا عجبى من صورة آدميّة ... علاها بياضُ الشمس فى صفرة القَمَرْ

فجاءت كمثل الدرّ يشرق لونها ... وريحانة البستان للشمّ والنظَرْ

يذكرنى رؤياك ريحاً مريضة ... جرت بنسيم الروض فى غلَس السَّحَرْ

---

(١) ديوانه : ١ ـ ٢١٨ .   (٢) فى ط : رددت ماخفقت .   (٣) فى ط : فاستقللن .

(٤) فى ط : يسيح .

ابن الرومى :

فالعينُ لاتنفكُّ مِنْ نَظَرٍ والقلبُ لا ينفكُّ من فكر
ومحاسنُ الأشياء فيكَ معا فَملاَلَتيكَ ملالتى بَصَرى

وقال :

لاشىء إلاّ وفيه أحسنه فالعينُ منه إليه تنتقل
فوائدِ العَيْن فيه طارفة كأنما أخرياتها الأول

وقال عبد القادر بن شعيب السلمى :

ياحصن مسلمة الذى أهدى لنا حُور الظباء سُقِيتَ صَوْبَ الماطرِ
قد كان يبلغنى فكنت مكذباً عن حسن أهلك فى الزمان الغابر
حتى رأيت الشمسَ أشرق نورُها فى الحى بين خلاخل وأساور
ورأيت غزلان الخدور سوافرا يبسمن عن كالأقحوان الزاهر
فجنيت من ثمر الصبابة والهوى وشممت من ورق السرور الناضر
فرمينَ منى مَقْتَلا فقتلننى يامن رأى ليثاً قتيل جآذِرِ

ومر أعرابىٌّ بأبى نواس وهو ينشد بعض الأمراء :

وَيْلى على نُجْلِ العيو ن النّهدِ والقبّ البطون
الكاتبات عن الضمير ر لنا بألسنة الجفون

فقال أعرابى : ويلك أنتَ وحدَكَ مِنْ هذا ؟ بل وَيْلى أنا وويل أبى وأمى وبنى عمى ، وهذا الفاعل القائم بين يديك .

[التقعّر فى الكلام]

ولد يغرب وأبوه مريض

كان رجلٌ من التجار له ولد يتقعَّرُ فى كلامه ، ويستعملُ الغريبَ ؛ فجَفَاه أبوه استثقالا له وتبرُّماً به ، ومما كان يَأْتى بِه ، فاعتَلَّ أبوه عِلّةً شديدة أَشرفَ منها على الموت . فقال : أَشْتَهى أن أَرى ولدِى ، فأَحضروهم بين يديه وأُخِّر هذا ثم أُخّر حتى

لم يبقَ سواه ، فقالوا له : نَدْعو لك بأخينا فلان ؟ فقال : هو والله يقتلنى بكلامه ، فقالوا : قد ضمن ألاَّ يتكلمَ بشىء تكرهه ؛ فأَذِن لهم. فلما دخل قال : السلامُ عليك يا أبت ، قل أشهد أنْ لا إلهَ إلا الله ، وإن شئت قل أشهد أنَّ لا إله إلا الله ؛ فقد قال الفراء : كلاهما جائز ، والأولى أَحَبُّ إلى سيبويه . والله يا أبتى ما شغلنى غيرُ أبى علىّ ، فإنه دعانى بالأمس : فأَهْرَس وأَعْدس ، وأرزز وأوزز ، وسكبج وسبج ، وزربج وطَبْهَج ، وأَبصل وأمصر ، ودجدج وأفلوذج ولوزج .

فصاح أبوه العليل : السلاح السلاح ، صِيحُوا لى بجارنا الشماس لأُوصِيَه أن يدفننى مع النصارى وأستريح من كلام هذا البندق .

أبو علقمة يغرب على حجام

وهاج بأَبى علقمة النحوى[1] دم فأتوه بحجَّام؛ فقال له: اشدد قصب المحاجم[2]، وأَرْهف ظُبَاتِ المشارط ، وأَسْرِع الوَضْعَ ، وعجِّل النَّزْع ، وليكن شرطك وَخزاً ، ومصُّك نهزاً ، ولا تكرهنَّ أَبيّا ، ولا تردنَّ أتيا .

فقال الحجام : ابعث خلف عمرو بن معديكرب ، وأما أنا فلا طاقةَ لى بالحرب.

وهاج به مرار[3] فسقط فأقبل قوم يعضّون إبهامه ، ويؤذّنون فى أذنه ؛ فقام من غمرات غشيته ، فقال[4] : مالكم تتكأكئون على كتكأكئكم على ذى جِنَّة ؛ افرنقعوا عنى . فقال بعضهم : اتركوه فإن جنيته تتكلّم بالهندية .

أبو العباس وابن النحاس

وقال أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن بن اليتيم : كنت أُمَاشِى أباجعفر بن النحاس حتى وقفنا على بائع تمر ، فقال له أبو جعفر : كيف تبيعنى ؟ قال : ثلاثة ونصّ بدرهم . قال له : قل ثلاثة ونصف بدرهم . قال : ثلاثة ونَصف بدرهم . فقال له : قل ثلاثة ونصف بالكسر ، فضجر وقال : ونصف ، افرغ لسانك فنحنُ فى بيع وشراء لسنا

---

(١) الصناعتين : ٢٧ . (٢) فى الصناعتين : الملازم ، والملازم : جمع ملزم ، خشبتان تشد أوساطهما بحديدة . (٣) المرة : مزاج من أمزجة البدن ، وفى البيان والتبيين : مرة . (٤) الصناعتين : ٢٧ ، البيان والتبيين : ١-٢٠٢ .

فى نحو . قال: فاجعله أربعة ؟ قال : أفعل يا بغيض ، فوزن له بدرهم؛ فقال له أبو جعفر: أدر الصنجة من الكفّة إلى الكفّة ، فقال: أنا أعرف ابن النحاس فإنه أحمقكم . قال ابن اليتيم فقلت له : أبيت أن تنصرفَ إلاَّ مصفوعا .

* * *

من شعر أبى العباس

وكان أبو العباس مليح الشعر وهو القائل :

لا لأنى أنساك أكثر ذكرا ‌ ‌ ‌ ك ولكن بذاك يَجْرِى لسانى
أنت فى القلب والجوانح والرو ‌ ‌ ‌ ح وأنت المنى وأنت الأمانى
كل عضو منى يراك من الشو ‌ ‌ ‌ ق بعينٍ غنيةٍ عن عيانى

ودخل بستان حسين بن الماذرانى فعَلِق بثوبه غصنُ ورد فقال :

عِلِق الوردُ بى وقال إلى أيـ ‌ ‌ ‌ ن وعندى روائحُ الأحباب
قلت آليتُ لا أشمُّكَ حتى ‌ ‌ ‌ أتروَّى من الثنايا العذاب

وقال :

يا زائرى فى ظلمةِ الْـ ‌ ‌ ‌ لَيْـلِ البهيم على وجَلْ
حافٍ وقد جعل القِنـا ‌ ‌ ‌ عَ على النهار من الخجَلْ
هلاّ انتعلت بوجْنَتَـ ‌ ‌ ‌ ىَّ فكان يُضرَبُ بى المَثَلْ
سبحان من جعل الخدو ‌ ‌ ‌ د عَذابَ قلبى والمُقَلْ

[طرف متفرقة]

بين خالد بن صفوان والفرزدق

قال خالد بن صفوان للفرزدق : يا أبا فراس ، لو رأتك صويحبات يوسف لما أكبرنك ولاقطّعنَ أيديهن ؟ فقال : وأنت يا خالد، لو رأتكَ صاحبةُ موسى لما قالت: يا أبتِ استأجره إنّ خير من استأجرتَ القوىُّ الأمينُ .

لابن سيابة

ووهب رجل لابن سيابة ديناراً ، ثم بعث إليه ليأنس به ، فكتب إليه : شغلتنا أموالُنا وأهلونا .

وجاور ابنُ سيابة قوماً فأزعجوه . فقال : ولِمَ تخرجوننى من جواركم ؟ قالوا : أنت مريب ، قال : فمن أذلّ من مريب وأحسن جواراً .

وفيه يقول عتبة الأعور :

يابنَ الذى عاش غيرَ مهتضمٍ ... يرحمه اللهُ أيّما رجلِ
له رقابُ الملوك خاضعةٌ ... ما بين حافٍ منهم ومُنْتَعِلِ
أبوك أوهى النِّجَادُ عاتِقَه ... كم من كمىّ أردى ومن بطلِ
يأخذ من ماله ومن دمه ... لم يُمْسِ من دائر على وَجَلِ
فى كفِّه صارمٌ يقلِّبه ... يقدُّ أعناقَ سادةٍ نبلِ

وهذا بديع فى وصف حجام.

[وصف حجام]

وقال آخر يصف حجاماً :

له جَوْنة فيها ثلاثون مخلباً ... مناقيرُها بيضٌ وأجوافُها حُمْرُ
إذا عَوّج الكتّابُ يوماً سطورَهم ... فليس بمعوجٍّ له أبداً سَطْرُ

[وصف بعض المزينين]

وقد قال بعض المزينين :

قصَصْت بمُوسَى الغَدْرِ ناصيةَ العهد ... وأجريت شرط البين فى جبهة الودّ
قطعت بمقراض الجفا طُرَّة الوفا ... فجبهةُ وَجْهِ الودِّ مكشوفةُ الجِلْدِ
وما زِلْتُ مصّاصاً بجمجمة القِلَى ... أخا النأى فى العُتْبَى على القرب والبُعْدِ

[كلام مستطرف لأهل الصناعات من طريق صناعاتهم]

ولأهل الصناعات من طريق صناعاتهم كلامٌ مستظرف ؛ وربما اتفقت الاستعارة مطّردة للشاعر على معنى فى صناعة حتى كأنه عَانَى تلك الصناعة بما جرى على لسانه من

البراعة ، فى وصف حقائقها ، ونعتِ طرائقها ؛ كقول عبد الله بن العباس بن الفضل ابن الربيع :

لعبدالله بن العباس

غرستُ الهوَى حتى إذا أورقَ الهوى ... فأَيْنَعَ فى أغصانه ثمرُ الوَصْلِ
وحفَّتْ به أنهارهُ فى غِيَاضِه ... فأصبح ملتفَّ الحدائِق بالحمل
ولم يبقَ إلا المجتنى من ثماره ... سرورِ[1] التصافى والمودة والبَذْلِ
أطاف بنا ريحُ الوُشَاةِ فهيّجَتْ ... سحابةَ هجران تـكفُّ على رسل
فمالت عَزَاليها[2] عليه فأحرقَتْ ... غصونَ الهوى والودّ مِنّا بلا دخل
ودبّت سيولُ الهجر حَوْلَ أصولِه ... فأغصانِه فاستقلعته من الأصلِ

لعلى بن هشام

وقال على بن هشام :

حصد الحبيبُ وصالَنا بمناجلٍ ... طبع المناجل من حديدِ البينِ
والشوقُ يطحَنُه بأَرْحِيَةَ الهوى ... والعينُ تَعجِنُه بماء العينِ
والقلبُ يخبزه بنيرانِ الأسى ... والنفسُ تأكلُه بلَوْنٍ لَوْنِ

لوراق

قال الجاحظ[3] : سألت ورّاقا عن حاله ؟ فقال : عيشى أضيق من مَحْبَرَة ، وجسمى أدقّ من مِسْطرة ، وجاهى أرقُّ من الزجاج ، ووجهى عند الناس أشدُّ سواداً من الحبر بالزاج ، وحظِّى أخفى من شقّ القلم ، وجسمى[4] أضعف من قصبة ، وطعامى أمضُّ من الحبر ، وشرابى أمرّ من العفْص[5] ؛ وسوء الحال ألزم بى من الصَّمْغ . فقلت : لقد عبّرت ببلاء عن بلاء .

رسالة للجاحظ فى ذلك

وللجاحظ فى هذا النوع رسالة كتب بها إلى المعتصم ، وقيل إلى المتوكل فى الحضِّ على تعليم أولادِه ضروبَ العلوم وأنواعَ الأدب وهى :

---

(١) بالجر بدل من الثمار (هـ . ط). (٢) العزلاء : مصب الماء من الراوية ونحوها ، وجمعه عزالى. (٣) زهر الآداب :٢ : ٥١٢ ، ديوان المعانى : ٨٢ ، وفى زهر الآداب : قال أبو هفان.
(٤) فى زهر الآداب : وبدنى . (٥) فى زهر الآداب : وطعامى أمر من العفص وشرابى أحر من الجمر . وفى ديوانه المعانى : وشرابى أسود ...

يا أمير المؤمنين ؛ علّم بنيك من أنواع الأدب ما أمكن ؛ فإنك إن أفردتهم بشىء واحد ثم سُئلوا عن غيره لم يعرفوه ؛ وذلك أنّ حزاما صاحب خيلك حين سألته عن الوقعة ببلاد الروم . قال : لقيناهم فى مقدار الإصطبل ، فما كان إلاّ بمقدار مايحسّ[1] الرجل دابّته حتى قتلْنَاهم ؛ فتركناهم فى مثل نثير السّرْجين ، فلو طرحت روثة لما سقطت إلاّ على ذنب بِرْذَون .

وكان قد أنشد فى الغزل :

إنْ يهدم الصدُّ عن قلبى مَذَاوِده[2] فإنَّ قلبى بقَتِّ الصبرِ معمورُ
وَيْحَ امرىءٍ فى وثاق الحب يكْبَحُه لجام هَجْرٍ على الأسقام مَقْرورُ
أَنِلْ خليلكَ نيلا من وصالك أو حسن الرقاد فإنّ النومَ مأسور
أمنت فَتْلَ شكالى حين ودّعنى ومبضع الحب فى كفيه مطرور[3]
لبسْتُ برقع هَجْر بعد ذلك فى إصطبل ود فرَوْثُ الحبّ منثور

وسألت بختيشوع الطبيب عن مثـل ذلك فقال : لقيناهم فى مقدار ساحة البيمارستان ؛ فما كان إلاّ بمقدار مايختلف الرجل مقعدين حتى تركناهم فى محقنة ثم قتلناهم ، فلو طرحت مبضعا لما وقع إلا على أَكحل[4] رجل .

وكان قد قال فى الغزل :

شرب الوصل بجنح[5] الهجر فاستط لق بَطْنُ الوصالِ بالإسهال
ففؤادُ المحبّ ينحله السُّهْ د وقلبى معلّق بالمطـال
وفؤادى مُبَرْسَم ذو زحيرٍ[6] يابن ما سوَيْه ضاقَ احتيالى

---

(١) الحس : نفض التراب عن الدابة بالمحسة .

(٢) المذود : كمنبر ، معتلف الدابة . (٣) الطر : تحديد السكين وغيرها .

(٤) فى ط : مكحل ، وقد تكون محرفة عن مكحال ، والمكحلان : عظمان شاخصان فيما يلى باطن الذراع ، أو هما عظما الوركين من الفرس . أو عن الأكحل ؛ والأكحل عرق فى اليد ، أو هو عرق الحياة . (٥) هكذا بالأصل ، وربما كانت محرفة عن حنظل .

(٦) الزحير : الصوت والنفس بأنين ، أو استطلاق البطن بشدة .

لو يبقراط بعض مابى وجاليـ نوس ماتا منه بأسوأ حال

وسألت جعفر الخياط عن مثل ذلك فقال : لقيناهم فى مثل سوقِ الخُلْقان[١] ؛ فما كان إلاّ بقَدْرِ ما يخيط الرجل دَرْزاً ، حتى تركناهم فى أضيق من جِرُبّان[٢] ، فلو طرحت إبرة لما وقعت إلا على دَرْز رجل .

وكان قد قال فى الغزل :

فتقت بالهجران دَرْز الهوى ياإبرة من إبَرِ الصدّ
فالقلبُ من ضيق سراويله يعثر بى فى تِكَّةِ الجهد
حَسَدْتنى ياطيلسانَ الهوى منه على سوء شقا جَدِّى
أزرارُ عينى فيك موصولةٌ بعُرْوَةِ الدَّمْع على خَدِّى
يادستبان القلبِ يازِيقَه[٣] عذبنى الدركنز[٤] بالوعدِ
قد قصّ ماأعرف من وصلِه مِقْرَاضُ بَيْنٍ مُرْهَفِ الحدّ
ياحُجْزَةَ[٥] النفسِ وياذَيْلَها مالى من وصلك من بُدّ
وياجُربّان[٦] سرورى ويا جيبَ غرامى حلْتَ عن عهدى

وسألت إسحاق بن إبراهيم عن ذلك — وكان زارعاً — فقال : لقيناهم فى مثل جريب[٧] من الأرض ؛ فما كان إلا بقَدْرِ ما يسقى الرجل مَشَارَة حتى قتلناهم عن آخرهم ، فلو طرحت منجلا لما سقط إلا على رأس رجل ؛ فصاروا مثل أكوام التّبن إذا خرج عن الحبّ . وكان قد قال فى الغزل :

زرعتُ هواه فى جريبٍ[٧] مثلَّثٍ وأسقيته ماءَ الدوام على العَهْدِ
فلما تعالى النبتُ واخضرّ يانعاً وأفرك[٨] حبّ الحُبّ فى سنبل الوُدّ

---

(١) الخلق : البالى ، وجمعه خلقان . (٢) جربان القميص : جيبه .

(٣) زيق القميص : ما أحاط بالعنق منه . (٤) هكذا بالأصل ولم نقف على صوابه .

(٥) الحجزة : معقد الإزار ، ومن السراويل موضع التكة . (٧) الجريب : المزرعة والوادى .

(٧) أفرك الحب : حان له أن يفرك .

أتته أكُفُّ الهجر فيها مناجل فأسرعْنَ فيه حين أدرك بالحَصْدِ
فياشؤم مالى إذ يعطل للشقا ويا ويح ثورى صار مَعْلَفُه كبدى

وسألت فرجا الرخجى عن مثل ذلك ـ وكان خبَّازاً ، فقال : لقيناهم فى مثل مقدار جَفْنَة ، فما كان إلاّ بقدر ما يعجنُ الرجل قفيزاً أو يخبز أرغفة، حتى صيّرناهم فى أضيق من جحر التنّور ؛ فلو طرحت جرْدَقاً[1] لما وقع إلا فى خوان الخبز على كَثْرَةِ القتلى ، وقد كان أنشد فى الغزل :

قد عجن الهَجْرُ دقيقَ الهوى فى جَفْنَة من خشَبِ الصدّ
فاختمر البينُ فنارُ الهوَى تُزْجى بشَوْك الهجر من بعدى
وأقبل الصدّ بهجْرانِه يفحص عن أرغفة الوَجْدِ
جَرَادقاً للوَعْد مسمومة مثرودةً فى قَصْعَة الجهد

وسألت عبد الله بن عبد الصمد عن مثل ذلك ـ وكان مؤدبا . فقال : لقيناهم فى مقدار كَنف ، فما كان إلاّ بمقدار ما يقرأ الصبىُّ إمامة[2] ، حتى تركناهم فى أَضْيق من فم الرقم[2] ، فلو طرحت دواةً لما سقطت إلا على حجر قتيل . وقد كان قال فى الغزل :

قد أمات الهجران صبيان قلبى ففؤادى موَلَّهٌ ذو خبال
كسر البين لَوْحَ وصلى فما أط مع ممن هويته فى وصال
وقع الرقم عن دواتى فمذ أطلـ ـق مولاى حَبْلَه من حبالى
مشق[3] الحب من فؤادى لَوْحَيـ ن فأَغْرَى جوانحى بالسلال
لاق كبدى دواته فمداد الـ ـعين مذ صدَّ مالكى ذو انهمالِ

(١) الجردق ــ بالدال والذال : الرغيف . (٢) هكذا بالأصل .
(٣) المشق : الجذب .

وسألت الجهم بن بدر عن مثل ذلك ـ وكان صاحب حمّام . فقال : لقيناهم فى مثل بيت الابتذال[١] ، فقاتلناهم بقدر ما تخلّف النورة[٢] ، ثم ألجأناهم إلى أضيق من الأبزن[٣] ، فهزمناهم بقدر ما يغسل الرّجل وجهَه ؛ فلو طرحت ليفة لما وقعت إلا على ظهر رجل . وقد كان قال فى الغزل :

يانُورَةَ الهَجْرِ غلفت[٤] الصفا بما بدا من ليفة الصدّ
يامبذر الأسقام حتى مَتى تنقع فى حَوْضٍ من الجهد
انقل ذيول الوصل لى مرة منك بِزنبيل من الودّ
فالبين مذ أوقد حمّامه هيج قلبى مُشَلِّح الوَجْد
أفسد خطمى الهوى والصفا بحاله الناقِض للعَهْدِ

وسألت الحسن بن أبى قماش ـ وكان أبوه كنّاساً . فقال : لقيناهم بقدر مايكنس الرجل زنبيلا ، حتى تركناهم فى أضيق من جحر المخرج ، فلو رميت بنت وردانة لما وقعَتْ إلا على ظهر قتيل . وكان قد قال فى الغزل :

أصبح قلبى للهوى مخرجا تسلَحُ فيه فَقْحَةُ[٥] الهَجْرِ
خنافس الهجران أثكلننى نَوْمِى فولّى معرضاً صَبْرِى
وبنت وردان الهوى تيمّتْ عقلى فما أعقِل ماأمرى

وسألت أحمد الشَّرَابى . فقال : لقيناهم فى مقدار بيت شراب ، فلم يكن إلاّ بمقدار مايبزل[٦] الرجل دنًّا ، حتى تركناهم فى أضيق من رطلية ، ثم سالت دماؤهم كالدردى[٧] ، فلو طرحت كأساً لما وقع إلاّ فى كفّ رجل . وكان قد قال فى الغزل :

شربت بكأس اللَّهو من راحة الهوى ورقرقت خَمْرَ الوصل فى قدح البين
فسالت دنان الحبِّ يدفقُها الصبا وكرت قرابات دمعى على عينى

---

(١) فى ط : الابتذار . (٢) فى هامش ط : لعها تحاق . (٣) الأبزن : حوض يغتسل فيه ، وقد يتخذ من نحاس . (٤) النورة : الهناء ، وغلف الشىء : جعله فى غلاف ، وفى ط : علفت .
(٥) الفقحة : حلقة الدبر . (٦) بزله : شقه ، والخمر : ثقب إناءها .
(٧) فى ط : كالدرداى . ودردى الزيت : مايبقى أسفله .

وسألت عبد الله الطاهرى ـ وكان طبّاخا ، فقال : لقيناهم فى مقداز مطبخ أمير المؤمنين ، فما كان إلا بمقدار مايَشْوى الرجلُ حَمَلا أو جَدْيا ، أو يفرغ من طبخ ثلاثة ألوان ، أويعقد فالوذجة ، حتى تركناهم فى أضيق من أثافِى القِدْرِ ، فلو طرحت ملعقة لما وقعت إلاّ على بطن قتيل .

وكان قد قال فى الغزل :

شبه الفالوذج فى حمرة الخـدّ ولو زينج النفوس الظباء
أنت جوزينج الفؤاد وفى الليـن كلينِ الخبيصةِ الصفراء
أنت مستهترٌ بسكباج وُدّ بعد جوزابة بجَنْبِ شواء
ياقُتَار[1] القدور فى يوم عرس وشبيها بشهـدة بيضاء
أنت أشهَى إلى الفؤاد من الزبـد مع البرسيان وَقْتَ الغذاء
أطعم الحاسدين ألوان غمٍّ فى قصاع الأحزان والضراء
قدغلا[2] القلبُ مُذْخَلَتْ منك دارى غلَيان القدور بعد الصِّلاء
هامَ لمّـا كسرت فيك غضارا ت سرورى مفارق الشّحْناَء
إن اسفيداج وجهك يشفى من رقيق الأحزان أى شفاء
فتفضل على العميدِ بمـاء ورد يكبت قلوب العداء[3]

وسألت داود الفراش عن مثل ذلك قال : لقيناهم فى مثل تربيع الفسطاط ، فما كان إلاّ بقدر مايفرش الرجل بيتاً أو بيتين ، حتى تركناهم فى أضيق من صاريات[4] ، ثم قتلناهم ، فلو رأيت نجار[5] التراب عليهم وقدسالت دماؤهم فى حمرةالأرمنى[3] .

وكان قد أنشدنى فى الغزل :

كنس الهجر ساحةَ الوصل لمّا عثر البين فى وجوه صفائى
فلقد بتّ فى فراش همومى تحت خدّى وسائد لضنائى
حين هيأت بيت حسن من الوصْـلِ لأثوابه ستور إخاَءِ

---

(١) القتار : ريح القدروالشواء . (٢) فى ط : لغلا . (٣) هكذا فى الأصل .
(٤) فى ط : صايربات. والصارية : الركية البعيدة العهد بالماء . (٥) النجار : اللون .

فرش الهجرُ لى بيوتَ مسوحٍ   متكاها مطارح الحصباء
رقّ للصب من بواعث وجد   قد تخالسنه صباح مساء

يأمير المؤمنين : إنما ينطق اللسان بما يتصوّر الجنان ، ويظهر فى الكلام مايخطر على الأوهام ، فمن لم يعرف إلاّ شيئا واحداً لم يتكلّم إلاّ عليه ، ومن كثر علمه كثرت خواطرُه ، واتسعت مذاهبه ، ورب هزل أنفع من جد ؛ إذا أصيب به موضع الحاجة إليه ، ووضع بحيث تقع همم النفوس عليه ، والسلام .

***

شعر الجاحظ

والجاحظ صنع هذه الأشعار لمّا وضع هذه الأخبار ، وكان قديراً على الشعر سرّاقا له . روى أبو مسلم الكشّى قال : حدثنى إبراهيم بن رباح قال : مدحنى حماد بن أبان اللاحقى بشعر فيه هذان البيتان :

بدا حين أثرى بإخوانه   ففلّل فيهم شباةَ العَدَمْ
وذكّره الحَزْمُ غِبَّ الأمور   فبادرَ قبل انتقالِ النعَمْ

فروى هذا الشعر وعرف بالبصرة ، ثم جاءنى الجاحظ فمدحنى بشعر أدخل فيه هذين البيتين ، فاحتملت ذلك وأثبته ؛ فبينما أنا جالس يوما فى مجلس أحمد بن أَبى دواد والجاحظ فى مجلسه ، إذ قال لى أحمد ما وصفت بشىء أحسن مما مدحنى به أبو عثمان ، وأنشدنى البيتين . فقلت : إن مادحك — أعزك الله — يجد فيك مقالا — والجاحظ ملأ عينيه منى ولا يستحى منى .

وله فى رسالة إلى أبى الفرج محمد بن نجاح قصيدة مستحسنة أولها :

أقام يداً والخفض راضٍ بحظّه   وذوالحظّ يسرى حيث لاأحد يسرى
يظن الرضا بالقوت شيئا مهوّنا   ودون الرضا كأس أمرّ من الصبر

رأى البديع فيه

وقد طعن أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذانى بديع الزمان على بلاغة الجاحظ[1] فقال : هو فى أحد شقى البلاغة يقف ، وفى الآخر يقتطف[2] ، والبليغ من لم يقصر

---

(١) مقامات البديع : ٨٩ ، زهر الآداب : ٤٩٩ . (٢) فى زهر الآداب : فى أحد شقى البلاغة يقطف ، وفى الآخر يقف .

نَظْمُه عن نثره[١]، ولم يُزْرِ كلامُه بشعره ، أفترون للجاحظ شعرا رائقا[٢]؟ قالوا : لا .
قال : فهلموا إلى نثره تجدوه قريب العبارات ، بعيد الإشارات[٣] ، قليل الاستعارات، منقاد لعريان الكلام يستعمله[٤] ، نفور من بديعه يهمله[٥] .

وليس هذا موضع الكلام على بلاغته ، وإلا فكنت أنبه على معايب كلامه ومقابحه ، ومحاسن خطابه وممادحه .

وهذه أوصاف بليغة فى البلاغات ، على ألسنة قوم من أهل الصناعات[٦]

اجتمع قوم من أهل البلاغات ، فوصفوا بلاغاتهم من طريق صناعاتهم :

فقال الجوهرى : أحسن الكلام نظاما ما ثقبته يدُ الفكرة ، ونظمته الفِطْنَة ، ونضد جوهرُ[٧] معانيه فى سموط ألفاظه ، فاحتملته نحورُ الرواة .

وقال العطار : أطيبُ الكلام ما عجِنَ عنبرُ ألفاظه بمسك معانيه ؛ ففاح نسيم نَشقِه[٨] ، وسطعت رائحة عبَقِه ؛ فتعلّقت به الرواة ، وتعطّرت به السراة .

وقال الصائغ : خيرُ الكلام ما أحميتَه بكور[٩] الفكرة، وسبكْتَه بمشاعل النظر، وخلّصته[١٠] من خَبَث الإطناب ، فبرز بروزَ الإبريز فى معنى وجيز .

وقال الصيرفى : خيرُ الكلام ما نَقَدَتْهُ يدُ البصيرة ، واجتلته[١١] عين الروّية ، ووزَنْتَه بمِعْيَارِ الفصاحة ، فلا نظر يزيّفه ، ولا سماع يُبهْرِجه .

وقال الحداد : خيرالكلام مانصبت عليه منفخة الروية، وأشعلت فيه نار البصيرة، ثم أخرجَته من فحم الإفحام ، ورققته بفطّيس[١٢] الإفهام.

---

(١) فى ط : من يقصد نظمه بنثره . (٢) فى زهر الآداب : رائما . (٣) فى ط : قريب الإشارات بعيد العبارات . (٤) فى ط : ينقاد العبريات . (٥) فى ط : بنقد من بديعه يهمله . وفى زهر الآداب : نفور من معتاصه يهمله . (٦) زهر الآداب : ١١٤ .
(٧) زهرالآداب : ووصل جوهر معانيه . (٨) نشقه : شمه . (٩) فى زهر الآداب : بكير ؛ والكير : زق ينفخ فيه الحداد .وأما المبنى من الطين فكور . (١٠) فى ط : وحططته.
(١١) فى زهر الآداب : وحلته (١٢) الفطيس : المطرقة العظيمة .

وقال النجار : خيرُ الكلامِ ما أحكمتَ نَجْرَ معناه بقَدُوم التقدير ، ونَشرْتَه بمنشار التدبير ، فصار بابا لبيت البيان ، وعارضةً لسقف اللسان .

وقال النجاد : أحسنُ الكلام ما لطُفَتْ رفارفُ ألفاظه ، وحسُنت مطارح معانيه ؛ فتنزهت فى زرابىّ محاسنه عيونُ الناظرين ، وأصاخت لنمارق بهجته آذان السامعين .

وقال المائح : أبينُ الكلام ما علقت وَذَمُ(١) ألفاظِه بكرب معانيه ، ثم أرسلته بقليب الفطن ، فمتحت به سقاءً يَكشِفُ الشبهات ، واستنبطت به معنى يروى من ظمأ [المشكلات](٢) .

وقال الخياط : البلاغة قميص فجُرُبّانه البيان ، وجَيْبُه المعرفة ، وكُمَّاه الوجازة ، ودخاريصه(٣) الإفهام ، ودروزه الحلاوة(٤) ، ولابسه جسد اللفظ ، وروحه المعنى .

وقال الصباغ : أحسن الكلام مالم تنصل بهجة إيجازه ، ولم تكشف صبغة إعجازه ، وقد صقلَتْه يدُ الروّية من كُمودِ(٥) الإشكال ، فراع كواعب الآداب ، وألفَ عذارى الألباب .

وقال البزاز(٦) : [أحسن الكلام ما صدق رقمُ ألفاظه ، وحسن نَشْرُ معانيه، فلم يستعجم عنك نشر ، ولم يستبهم عليك طىّ](٧) .

وقال الحائك : أحسن الكلام مااتصلت لحمة ألفاظه بسَدَى معانيه، فخرج مفوفا منيرا ، [وموشى](٧) محبّرا .

وقال الرائض : خيرُ الكلام مالم يخرج عن حدّ التخليع إلى منزلة التقريب إلا بعد الرياضة ؛ وكان كالمهر الذى أطمع أولُ رياضته ، فى تمام ثقافته .

---

(١) الوذم : آذان الدلو ، والكرب : الحبل يشد فى وسط العراقى ليلى الماء .

(٢) من زهر الآداب ، وفى الأصل : من ظمأ .

(٣) جربان القميص : جيبه . والدخاريص : مايوصل به البدن ليوسعه .

(٤) الدرز : زئبر الثوب وماؤه ، وجمعه دروز . (٥) الكمدة : تغير اللون وذهاب صفائه . (٦) فى الأصل : القزاز . (٧) من زهر الآداب .

وقال الجَمّال[١] : البليغ من أخذ بخطام كلامه فأناخه فى مَبْرك المعنى، ثم جعل الاختصار له عِقَالا ، والإيجاز له مَجَالا ، لم يندّ عن الأذهان ، ولم يشذّ عن الآذان .

وقال المخنث : خيرُ الكلام ما تكسَّرَتْ أطرافُه ، وتثنت أعطافه ، وكان لفظه حُلَّة ، ومعناه حِلْية .

وقال الحمار : أبلغ الكلام ماطبَخَتْه مراجلُ العلم، وصفّاه راوُوق الفهم ، وضمَّنْته دِنَان الحكمة ، فتمشَّتْ فى المفاصل عذوبتُه ، وفى الأفكار رقّته ، وفى العقول حدّته .

وقال الفقاعى : خير الكلام ما رَوَّحَتْ ألفاظُه غباوة الشك ، ورفعت رِقّته فظاظَةَ الجهل ، فطاب حساء فطنته[٢] ، وعذب مَصّ جرعه .

وقال الطبيب : خيرُ الكلام ما إذا باشر بيانه سقم الشبهة استطاقت طبيعةُ الغباوة ؛ فشفى من سوءِ التفهّم ، وأورث صحة التوهم .

وقال الكحال : كما أن الرمد قذَى الأبصار ، فالشبهة قذى البصائر ، فاكْحَل عينَ اللّكنة بمِيلِ[٣] البلاغة ، واجْلُ رمَص الغَفْلة بمِرْوَدِ اليقظة . ثم قال : أجمعوا[٤] [كلهم على أنّ أبلغ الكلام ماإذا أشرقَتْ شمسُه ، انكشف لَبْسُه ، وإذا صدقت أنواؤه اخضرّت أحماؤه[٥]] .

وهذا المعنى كثير وإنما آخذ من كلِّ فن اليسير .

[ملح متفرقة]

وقال رجل لغلامه : التمس لى داراً لا تكون بجوار مسجد فإنى أُحِبُّ الأفراح ، فاكترى له دارا بين مسجدين . فقال له : ماهذا ؟ ! قال : يا مولاى ، لاتدرى المعنى: أهل هذا المسجد يظنونك فى هذا ، وأهل ذا يظنّونك فى ذا ، وأنت قد ظفرت بما تحب .

---

(١) فى زهر الآداب : الحمال . (٢) فى ط : فطاب جشا قطمه .
(٣) الميل : المكحال . (٤) فى ط : أجمعون : إن الكلام . ثم بياض بالأصل .
(٥) من زهر الآداب : والأحماء : جمع حمى ، وهو المكان يحميه الرجل ويمنعه .

أبو الجهم يخاطب المتوكل

وقال أبو الجهم أحمد بن بدر للمتوكل وذكر نجاح بن سلمة أو غيره :

أمام الهدى وابن الدعاة إلى الهدى ومنهج خير العالمين محمّدِ
أعنّى على والٍ يجور تَعبّدا علىّ عسوف الظلم غير مؤيَّد
ومالىَ ذَنبٌ عنده غير أننى عليم بما يَخْتَار لليوم والغد
ولا خير للطرار[١] فى قرب نائب ولا للُمريب الفعل فى قرب مسجد

دجاجة قرشى

صحب الغاضرى رجلا من قريش من مكة إلى المدينة فقال القرشى : يا غلام ؛ أطعمنا دجاجة ، فأتى بها باردة ، فقال : ويحك أسخنها . ورفع غداؤهم ولم يُؤْتَ بالدجاجة ، فلما كان العشَاء قال : يا غلام ، عشاءنا . فلما أتاهم العشاء قال : هات تلك الدجاجة، فأتى بها باردة ، فقال: أسخنها. فقال الغاضرى: أخبرونى عن دجاجتكم هذه أمن آل فرعون هى ؟ فإنى أراها تُعْرَض على النار غُدْوة وعشيا .

فقال : ويحك يا غاضرىّ اكتمها علىّ ، ولك منى مائة دينار . فقال : والله ما كنت لأبيعها بشىء .

[طيلسان ابن حرب]

أخذه الحمدونى فقال فى طيلسان ابن حرب[٢]:

يابن حربٍ أَطَلْتَ ظلمى[٣] برَفْوِى طيلساناً قد كنتُ عنه غَنيّا
هو فى الرَّفْوِ آلُ فرعون فى العَرْ ض على النار بكرةً وعشيّا
زُرْتُ فيه معاشراً فازدَرَوْنِى فتغنّيْتُ إذ رأونى زَرِيّا
جِئتُ فى زىّ سائل كى أراكم وعلى الباب قد وَقَفْتُ مليّا

وكان أحمد بن حرب المهلبى من المحسنين إليه ، المنعمين عليه ، وله فيه مدائح كثيرة فوهبه طيلسانا أخضر، فوجد فيه فَزْراً[٤] ولم يرضه. [قال أبو العباس المبرد[٥]]

(١) الطرار : الذى يقطع النفقات ويأخذها على غفلة . (٢) الوفيات : ٣-٤٦٧ ، زهر الآداب : ٥٥٣ . (٣) فى زهر الآداب : فقرى . (٤) فزر الثوب : شقه .
(٥) من زهر الآداب .

فأنشدنا فيه عشر مقطعات ضمن أواخرها أبيات أغانٍ ملاحاً فاستحلينا مذهبه فيها فجعلها خمسين شعراً فطارت كل مطير ، وسارت كل مسير ، حتى قال :

طيلسان لابن حرب ذو أيادٍ ليس تُحْصَى
أنا فيه أشعرُ النـا س إذا ما الشعر نصا
وأرانى صرت أُدنى بعد ما قد كنت أقصى
واتقانى الناس وازدا دوا على شعرى حرصا
ولـكم قد حاز لى أردية تترى وقمصا
كان دهراً طيلسانا ثم قد أصبح شِصّا[1]

***

لابن الرومى فى هجاء عمر الكاتب

وقال ابن الرومى فى هجائه عمرا الـكاتب الملقب بخرطوم ، وكان من خاصة القاسم ابن عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير :

أغلقت حانوتى لطو ل كساده وفتحتُ عمْرًا
يا طيلسان الحَمدُ نِىّ شفعت فىّ وكنت وترا
عمرا أَخوك جعلته لى مكسباً فأفدت وفرا
لا تبعـــدا من صاحِبَيْ نِ لقيتما ضعة وفقْراً

***

قال ابن أبى عون : مرّ الحمدونى بابن حرب وهو جالس على باب داره وعلى كتفه وسادة . قال : لأى شىء هذه يا حمدونى ؟ قال : أرقع بها طيلسانك . قال : ماتزال تهجونا منثورا وموزونا ! !

***

ومن طريف شعره فيه[2] :

يا طيلسان ابن حَرْب قد هممت بأَنْ تُودِى بجسمى كما أَوْدَى بك الزمَنُ
ما فيك من حيلة تغنى ولا ثمن قد أَوْهَنَت حيلتى أركانُك الوُهنُ

(١) الشص : اللص الذى لا يدع شيئا إلا أتى عليه . (٢) زهر الآداب : ٥٥٠ .

فلو ترانى لدى الرّفّاء مرتبطا كأننى فى يديه الدهرَ مرتهن
أقول حين رآنى الناسُ ألزمه كأنما لىَ فى حانوته وطَنُ
من كان يسأل عنا أين منزلنا ؟ فالأقحوانَةُ[1] منا منزلٌ قَمِن

البيت للحارث[2] بن خالد المخزومى .

وقال[3] :

قل لابن حرب طيلسا نُك قومُ نوحٍ منه أحدَثْ
أفنى القرونَ ولم يزَلْ عمّن مضى من قبل يورَثْ[4]
فإذا العيونُ لحَظْنَه فكأنه باللحظ يُحْرَثْ[4]
يُودِى إذا لم أَرْفُهُ وإذا رفوتُ فليس يَلْبَثْ
كالكلب إن تَحْمِل علي ـه الدهرَ أو تتركه يَلْهَثْ

وقال[5] :

وهبتَ لنا ابنَ حرب طيلسانا يَزيدُ المرءَ فى الضعة اتضاعَا
يسلِّمُ صاحبي فيقدّ شبرا له وأقدّ فى رَدّى ذراعا
أجيل الطَّرْفَ فى طَرَفيه طولا وعَرْضاً ما أرى إلا رِقَاعا
فلست أشكُّ أن قد كان قِدْما لنوحٍ فى سفينته شِرَاعا
فقد غنَّيْتُ إذ أبصرت منه جوانبه على بَدنى تَدَاعَى
قفى قبلَ التفرق يا ضُبَاعا ولا يك موقفٌ منك الوداعا

البيت للقطامى عمير بن شييم التغلبى .

وقال فيه[6] :

قل لابن حرب طيلسا نُك قد أوهى قواى بكثرة القِدَم[7]

---

(١) الأقحوانة : موضع قرب مكة . (٢) فى ط : للحرب ، والتصحيح من الأغانى : ٣ــ٣٢٥ . (٣) وفيات الأعيان: ٣ــ٤٣٨ . (٤) فى ط : يحدث .
(٥) زهر الآداب : ٥٥٣ ، الوفيات: ٣ــ٤٣٧ . (٦) زهر الآداب : ٥٥١ .
(٧) فى زهر الآداب : بكثرة الغرم .

متبيّنٌ فيــه لمبصرِه ... آثارُ رَفْوِ أوائلِ الأمم
فكأنه الخمرُ التى وصفت ... فى يا شقيقَ النفسِ من حكم
فإذا رمَمْناه فقيل لنا ... قد صحّ قال له البلى : انهدمِ
مثل السقيم برَا فعاودهُ ... نُكْسٌ فأسلمه إلى سَقَمِ
أنشدت حين طغى فأعجزنى ... ومن العناء رياضةُ الهرمِ

لأبى نواس فى الخمر

والخمرة التى وُصفت فيما ذكر لأبى نواس(١) :

يا شقيقَ النفسِ من حكم ... نِمْتَ عن ليلى ولم أَنِم
فاسقِنى الخمر(٢) التى اعتجرَتْ(٣) ... بخمار الشيب فى الرَّحِمِ
ثُمَّتَ انْصَاتَ(٤) الشباب لهـا ... بعـد أن جازت مَدَى الهرم
فهى لليوم الذى بُزِلَتْ ... وهى تِلْو(٥) الدهر فى القِدَمِ
عُتِّقَتْ حتى لو اتصلت ... بلسانٍ ناطقٍ وفَمِ
لاحتَبَتْ فى القوم مائلةً ... ثم قصّت قصةَ الأمم
فرَعَتها بالمزاج(٦) يَدٌ ... خُلِقت للكأس والقلم
فى ندامى سادة نجب ... أخـذوا اللذات من أمم
فتمشّت فى مفاصلهم ... كتمشّى البُرْءِ فى السقم
صنعت فى البيت إذ مزجت ... كصنيع الصبح فى الظلم
فاهتدى سارى الظلام بهـا ... كاهتداء السفر بالعلم

وزعم ابن قتيبة أن هــذا الشعر لوالبة بن الحباب ، وإنما يخاطب به أبا نواس الحكمى . وقال غيره : بل الشعر لأبى نواس وإنما أغار على والبة فى قوله :

يا شقيق النفس من أسد ... لم تنم عينى ولم تكد

---

(١) ديوانه : ٣٢٤، زهر الآداب : ٥٥١ . (٢) فى زهر الآداب : البكر .
(٣) فى الديوان : اختمرت . (٤) فى ط : ثم انصاب ، وهذا من الديوان وزهر الآداب ، وانصات : أجاب . (٥) فى الديوان : ترب الدهر . (٦) فى ط : للمزاج .

وقال الحمدونى[١] :

طيلسانٌ لابْنِ حرب جاءنى قد قَضَى التمزيقُ منه وَطَرَهْ
أنا من خوفى عليــه أبدا سامِرِىٌّ ليس يألو حذَرَهْ
يابْنَ حربٍ خُذْه أو فابْعَثْ بمـا يشترى عِجْلا بصفر عشرَه
فلعلّ الله يُحْيِيه لنا إن ضربناه ببعض البقَرَهْ
فهو قد أدرك نوحا ، فعسى عنده من علمِ نوح خَبَرَه
أبداً يقرَأُ مَنْ أبصرَه أئذا كنا عظاما نَخِره

وكان يقول : أنا ابن قولى ، يريد أنتسب إليه كما أنتسب لأبى . وقال[٢] :

يا بْنَ حرب كسوتنى طيلسانا مَلَّ من صحبة الزمان وصدّا
فحسبنا نَسْجَ العنا كب إذْ قِيـــس[٣] إلى ضعف طيلسانك سدًّا
إن تنسمت فيه ينجر جرا أو تبسمت منه ينقدّ قدًّا
طالَ ترداده إلى الرَّفْو حتى لو بعثناه وحده لتَهدَّى

وكان أبو تمام يقول : أنا ابن قولى[٤] :

نقّلْ فؤادَك أين شئتَ[٥] من الهوى ما الحبُّ إلاّ للحبيبِ الأولِ
كم منزلٍ فى الأرض يألفهُ الفتى وحنينُه أبداً لأولِ منزلِ

وقال الحمدونى فى الطيلسان[٦] :

ولى طيلسان إن تأمّلْتُ شخصَه تيقنتُ أنَّ الدهرَ يفنى وينقرضْ
تصدَّع حتى قد أمنتُ انصداعَه وأظهرتِ الأيامُ من عمره الغرَضْ
فلو أن أصحابَ الكلامِ يرونه لما رَوْكَ فيه وادعوا أنه العرَض[٧]

---

(١) زهر الآداب : ٥٥٢ . (٢) الفوات : ١-١٧ ، الوفيات : ٣-٤٣٧ زهر الآداب : ٥٥٠ . (٣) فى زهر الآداب : قد حال .
(٤) ديوانه : ٤٥٧ . (٥) فى الديوان : حيث شئت . (٦) زهر الآداب : ١٠٤٦ . (٧) فى زهر الآداب : أنه عرض .

وقال (١) :

يابْنَ حربٍ كسوتَنِي طيلسانا ... أمرضتْه الأوجاعُ فهو سقيمُ
فإذا مالبسته(٢) قلت سبحا ... نك تحيي العظام وهى رَمِيمُ
طيلسانٌ له إذا هبّت الريـ ... ـحُ عليه بمنكبيَّ هميمُ(٣)
لو يدبّ الحوليّ من ولد الذ ... رّ عليه لأَندَبَتْه الـكلوم(٤)

وقال(٥) :

إن ابن حرب كسانى ... ثوبا يطيل(٦) انحرافهْ
أظل أدفع عنه ... وأتَّقِي كلَّ آفهْ
فقد تعلمتُ من خَشْـ ... ـيتى عليه الثقافهْ

[من الملح]

أبو العيناء وصاعد

وقف أبو العيناء على باب صاعد بن مخلد فقيل له : إنه يصلّى فانصرف ثم عاوده، فقيل له : إنه يصلى . فقال : لـكل جديد لذة . وكان صاعد نصرانيا ثم ارتقت به الحال أن توزر للموفق بن أحمد بن المتوكل ، وكان أخوه المعتمد(٧) الخليفة ولم يكن له مع الموفق أمرٌ ولا نهى ، وقد قال المعتمد(٧) لما ملك عليه أخوه الأمر ، أو قيل على لسانه(٨) :

أليس من العجائب أنَّ مثلى ... يرى ما قلَّ(٩) ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً ... وما مِنْ ذاك شىء فى يديه

ولما أجاب الصولى أبا القاسم بن عبد الله ملك المغرب اقتضى ذكر ولد العباس

---

(١) وفيات الأعيان : ٣ ـ ٤٣٧ زهرالآداب : ١٠٤٦ . (٢) فى ط : فإذا مالمسته .
(٣) فى ط : هنيم ، وهذا منزهرالآداب . (٤) البيت لحسان فى ديوانه : ٣٧٧ .
(٥) زهرالآداب : ١٠٤٧ . (٦) فى ط : نظير ، وهذه رواية زهر الآداب .
(٧) فى زهر : المعتضد . (٨) زهر الآداب : ٧٧٦ . (٩) في زهر الآداب : ماهان .

والخلفاء خليفة خليفة حتى انتهى إلى المعتمد فقال[1] :

ومعتمدٌ مِنْ بعدهم وموّفق يردّدُ[2] من إرث الخلافة ما ذَهَبْ
مُوَازٍ لهم[3] فى كل فَضْلٍ وسودد وإن لم يكن فى العدّ منهم لمَن حَسَبْ

ولما احتاج الصولى إلى ذكر الموفق لشهامته وحزامته وكأن القصيدة إنما أجاب بها على المقتدر بن جعفر بن المعتضد بن الموفق فلو لم يذكره لانقطع عليه ما أراد .

وكان المعتمد مضعوفا ، وكان أمرُه قبل تمكّن الموفق فى يد وصيف حتى قال باذنجانة الكاتب :

يادولة بائرة كاسفة ما تُبْتَغَىٰ خليفةمستضعف
بين وصيف و بُغا يقول ما قالا له كما تقول الببّغا

المعتمد ويزيد المهلبى

ودخل أبو خالد يزيد المهلبي على المعتمد مراتٍ ، فأنشده قصائدَ على الدال ؛ فقال : يا يزيد ؛ ما أراكَ تَعْدُو الدال ؟ فقال : وكيف أعزّكَ الله يا أمير المؤمنين واسمى يزيد، وأبى محمد ، وأكنى بأبى خالد ، وأنت المعتمد ، وتسمى بأحمد ، ومن صفاتك السيد والماجد والجواد ، فأين أَدَع الدال ؟

وهذا كقول أبى صدقة المدنى وقد قيل له : ماأشدّ إلحافك؟ فقال : تلومونني على ذلك وأنا اسمى مسكين ، وكُنْيَتى أبو صدقة ، واسم أبى صدقة ، واسم امرأتى فاقة .

[من طرف أبى العيناء]

ووقف أبو العيناء على باب إبراهيم بن رياح فقيل : هو مشغول . فقال : إذا شغل بكأس يمناه ، وبحرِ يُسْرَاه ، وانتسب إلى أبٍ لا يعرف أباه ، لم يحفل بحِجَاب من أتاه .

أبو العيناء والمتوكل

ودخل أبو العيناء على المتوكل ؛ فقال : أى شيء تحسن ؟ قال : أَفْهم وأُفهم ،

(١) زهر الآداب : ٧٧٦ . (٢) فى زهر الآداب : به رد .
(٣) فى ط : منى أزلهم، وهذا من زهر الآدب .

وآخذ من المجلس ما حوى ، فمرة أغْلب ومرة أغلَب . قال : كيف شُرْبك للنبيذ ؟ قال : أعجز عن قليله وأفتضح عند كثيره . قال : فما تقول فى بلدك البصرة ؟ قال : ماؤها أُجَاج(١) ، وحرّها عذاب ، وتطيب فى الوقت الذى تطيب فيه جهنم . قال : ارفع حوائجك إلينا . قال : قد رفعتُها إلى الله ، فما أحبّ نجاحه فليس ينفعنى شرحه. قال : نحب أن تلزمَ مجلسنا . قال : يا أمير المؤمنين ، إن أجهل الناس من يَجْهلُ نفسه ؛ أنا امرؤ محجوب والمحجوب تختلف إشارته ، وقد يجوز قَصْدَه ، فيصغى إلى غير من يحدِّثه ، ويقبل بحديثه على غير من يسمع منه ، وجائز أن يتكلم بكلام غير راض ، ومتى لم أفرق بين هذين هلكت . وأخرى : كلُّ مَنْ فى مجلسك يخدمك ، وأنا أحتاج أن أُخْدَم ، ولم أقل هذا جهلا منى بما فى هذا المجلس من الفائدة ، ولكنى اخترتُ العافية على التعرض للبلاء . قال الفتح بن خاقان : ياأمير المؤمنين ، هذا رجل عاقل عارف بنفسه وبحقّ الملوك . قال : فيلزمنا فى كل الأوقات لزوم الفرْضِ الواجب .

وبلغ أباالعيناء(٢) أن المتوكل قال : لولا أن أباالعيناء ضرير لنادَمْناه . فقال : إنْ أعفانى أميرالمؤمنين من رؤية الأهلّة وقراءة [نقش](٣) الفصوص فأنا أصلحُ للمنادمة، وإنما هذا تولّع منه بلسانه ؛ واقتدار على الكلام ، وإلا فقد تعافى من ذلك المقام .

أبو العيناء وابن المدبر

ودخل على إبراهيم بن المدبر وعنده الفضل اليزيدى معلم ولده وإبراهيم جالس . فقال للمعلم : فى أى باب هذا ؟ قال فى باب الفاعل والمفعول به . فقال : هذا بابى وباب الوالدة أعزّها الله . فغضب اليزيدى ونهض .

***

من النقد للبحترى فى ابن المدبر

أخذه البحترى فقال لإبراهيم بن المدبر(٤) :

أى شىء ألهاك عن سر من را ء وظلٍّ للعيش فيها ظليل

---

(١) ماء أجاج : ملح مر . (٢) زهر الآداب : ٢٨٥ . (٣) من زهر الآداب .
(٤) ديوانه : ٢–١٣١ .

أقتصار على أحاديث فَضْل وهو مستكره كثيرُ الفضولِ
لم تكن نُهزة الوضيع ولا رو حك كانت لِفْقاً لرُوحِ الثقيل
فعلام اصطنعت[١] منكسف البا ل معار الحذاق نَزْر القبول
إن ترده[٢] تجده أخلق من شَيْـــب الغوانى ومن تعفّى الطلول
مسرجا ملجما وما متّع الصبـــح إدلاجا للجس والتطفيل
غير أن المعلمين على حال قليلى التميز ضَعْفى العقول
فإذا ما تذكر الناس معنى[٣] من مبين الأشعار أو مجهول
قال هـذا لنا ونحن كشفنا[٤] غيبه للسؤال والمسئول
ضرب الأصمعى فيهم أم الأحمـ[٥] ـر أم لحقوا بأير[٦] الخليل
أبدا شأنه التردد[٧] فى الفا عل من والديه والمفعول

[ظريف مملق]

قال الصولى : كان بالبصرة رجل مهلبى ظريف مُمْلِق ، وكان له إخوان فقالوا له : ألا تدعونا ؟ فقال لهم : ألا تدعوننى ؟ فألحّوا عليه فارْتَهنَ قطيفة له على دراهم ، فاشترى لهم ما يصلحهم ، ودعا مغنية فكان اقتراحهم عليها :

ليتَ الذين تحمّلوا أحِنوا[٨] أمَّا أنا فأضرَّ بى الحزن

فقال المهلبى : أما هذا الذى تقولونه فما أدرى ماهو ؟ أمّا أنا فقطيفتى رهن ؛ فضحكوا وغرموا له ما أَنْفَق .

ودعا رجلٌ قوما ، فلما كان مع المغرب أراد انصرافهم ، وأرادوا المقام عنده ، فاقتضوه فى السراج . فقال لهم : أما سمعتم قولَ الله تعالى : «وإذا أظلم عليهم قاموا» .

(١) فى الديوان : اصطفيت منكشف الزيف معاد المخراق . (٢) فى الديوان : إن تزره .
(٣) فى الديوان : وإذا ماتنازع الناس معنى (٤) فى الديوان : ونحن فتقنا عيبه للسئول .
(٥) فى الأصل : فيهم الأحمر . (٦) فى ط : أم التحقوا بابن ، وهذا من الديوان .
(٧) فى الديوان : جل ماعنده التعمق . (٨) الإحنة : الحقد والغضب .

[من نوادر المتنبئين]

وادّعى رجل النبوّةَ فى أيام المأمون، فأحضره المأمون وقال له: مادليلُ نبوّتِك؟ قال : أن أعلم ما انعقد عليه ضميرُك . فقال : ما هو ؟ قال : فى نفسك ـ أصلحك الله ـ أنى كاذب ؛ فضحك منه وتركه .

وأُتِى المعتصم برجل ادَّعى النبوة . فقال : ما آيتك ؟ قال : آيةُ موسى . قال : فألْقِ عصاكَ تكن ثعباناً مبيناً ؟ قال : حتى تقولَ : أنا ربُّكم الأعلى .

وادعى آخرُ النبوة بالكوفة ، فأُدخِل عَلَى واليها . فقال : ما صناعتاك ؟ قال : حائك ، قال : نبىٌّ حائك ؟ ! قال : فأردت نبياً صيرفياً ؟ الله يعلم حيثُ يجعلُ رسالته.

[من نوادر الفقهاء والمغفلين والمرائين وغيرهم]

وسأل رجلٌ بعضَ الفقهاء عن القُبْلَة للصائم فى رمضان ؟ فقال : تكره للشابّ ويرخَّصُ فيها للشيخ . قال : إنها فى معشوقة ؟ قال : يابن أخى ، هذا يكره فى شوال.

قيل لمغفّل : قد غلا الدقيق . فقال : وما أُبالى ؛ إنى أشترى الخبز من السوق .

قال حيان بن غضبان العجلى ـ وقد ورث نصف دار أبيه : أريد أن أبيعَ نصف حصتى من الدار وأشترى الباقى، فتصير الدار كلها لى .

وشكا أهل بلدة إلى المأمون والياً عليهم ؛ فقال : كذبتم عليه ، قد صحَّ عندى عَدْلُه فيكم وإحسانُه إليكم . فقال شيخ منهم : يا أمير المؤمنين ؛ فما هذه المحبة لنا دون سائر رعيّتك، قدعدل فينا خمس سنين فانقُلْه إلى غيرنا حتى يشمَل عدلُه الجميعَ، وتريح معنا الكل ؛ فضحك منهم وصرفه عنهم .

قال دعبل : ما غلبنى إلاّ مخنث : قلت له : والله لأَهْجُوَنَّك . قال : والله لئن هجوتنى لأخرجنّ أمك فى الخيال .

ورؤى بعض المرائين على باب بعض الملوك ، وبين عينيه سجّادة عظيمة ، فقيل له : مثل هذا الدرهم بين عينيك ، وأنت محتاجٌ إلى أبواب الملوك ! فقال : إنه ضرب على غير السكة .

وعمل بعض المرائين بين عينيه سجّادة دلكها بنواة وثوم ، وعصب الثوم بين عينيه ونام ؛ فتحرّكت العصابة ؛ فصارت فى ناحية صدغه سجّادة كبيرة . فقال له ابنه : ماهذا ياأبت ؟ فقال : أصبح أبوك ممن يعبد الله على حَرْف .

ومن أملح مافى هذا قول أبى نواس وقد نهاهُ الأمين عن الخمر[1] :

عينُ الخليفة بى موكّلة ... عَقَد الحذار بطَرْفِها طَرْفِى
صحّتْ علانيتى له وأرى ... دينَ الضميرِ له على حَرْفِ
ولئن وعدتك تَرْكَهَا عِدَةً ... إنى عليك لخائفٌ خُلْفى

وقال ابن المعتز[2] :

يأيها الجانى[3] ويستَخْفِى ... ليس تجنّيك من الظرف
إنك والشوق[4] إلينا كمن ... يُؤْمِنُ بالله على حَرْفِ
محوتَ آثارك عن وُدِّنا ... غير آثارك[5] فى الصُّحْفِ
فإن تحامَلْتَ لنـا زَوْرَةً ... يوماً تحاملت على ضَعْف

وأتى ابن عائشه إلى بعض الملوك فأنشده :

اعطف علىَّ فالـكريم يعطف ... قد غلق الرَّهْنُ وملَّ المسلف
وارتهن الدفّ وبيع المصحف

فقال: يافاسق ، أترهن دفّا وتبيع مصحفا ! قال : اتـكلت فى المصحف ـ أعزك الله تعالى وأجلك .

---

(١) ديوانه : ٣٠٣، زهر الآداب : ٤١٤ . (٢) زهر الآداب : ٤١٥ .
(٣) فى زهر الآداب : الجافى ويستجفى . (٤) فى زهر الآداب : إنك فى الشوق .
(٥) فى زهر الآداب : غير أساطيرك .

[من نوادر بهلول]

قال رجل لبهلول المجنون : قد أمر أميرُ المؤمنين لكل مجنون بدرهمين . فقال له بهلول : فهل أخذت نصيبَك .

وأودع بهلول بعض الأفنية بالكوفة عشرين درهما ورجلٌ خياط ينظر إليه من حيث لايعلم به بهلول؛ فلما انصرف أخذ الخياطُ الدراهم فعاد بهلول يطلبُها فلم يجدها، فعلم أنه لم يُؤْتَ إلاّ من الخياط . فمرّ به فقال : يافلان ؛ خذ بيدك عشرة دراهم وخذ ثلاثين وخذ كذا ... حتى بلغ المائة . قال : وزدها عشرين كم يكون المال ؟ قال : مائة وعشرين . قال : أصبت ومضى . فقال الخياط فى نفسه : ما أظنّه إلا يمضى بهذه الدراهم التى حسبها ليزيدَها على العشرين فلأردنّها إلى موضعها ، فإذا زاد عليها أخذتُ الجميع ففعل ؛ فَكَرَّ بهلول إلى الموضع ، فأخذ الدراهم وأحدثَ فى موضعها ثم مضى ؛ فقام الرجل مسرعاً ، فلما أدخل يده امتلأت حدَثاً ، ولم يجد شيئا؛ فعارضه بهلول ، وقال : خذ فى يدك كذا وكذا . كم فى يدك ؟ قال : مائة وعشرين . قال : مافى يدك إلا حدَث ، فانتشر خبرُ الخياط ، وولع الصبيان فيه حتى هرب من الكوفة .

ولبهلول هذا حكم ؛ وكان يتشيّع فقيل له يوماً : أيما أفضل أبوبكر أم علىّ رضى الله عنهما ؟ فقال له : أما وأنا فى كندة فعلىّ ، وأما وأنا فى ضبّة فأبو بكر . وكندة بالكوفة من غُلَاة الرافضة وبنو ضبة أهل سنّة .

ولما دخل الرشيد الكوفة خرج الناسُ للنظر إليه ، فناداه بهلول ثلاثا . فقال : مَن المجترئ علىّ فى هذا الموضع ؟ قيل : بهلول المجنون . فرفع السجَافة[1] وقال : بهلول ؟ قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، روينا عن أيمن بن نائل قال حدثنا قدامة عن ابن عبد الله العامرى قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يرمى جَمْرَةَ العقَبة

---

(١) السجافة : الستر .

لا ضرب ولا طرد ولا قِيل بين يديه إليك إليك ؛ وتواضُعك فى سفرك هذا خيرٌ لك من تجبرك وتكبرك . قال : فبكى الرشيدُ حتى جرَتْ دموعُه على الأرض ، وقال: أحسنت يا بهلول ، زِدْنَا يرحمك الله .

قال : وروى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : أيما رجل آتاه الله مالا وجمالا وسلطانا فأنفق فى ماله وعفَّ فى جماله وعدَل فى سلطانه كُتب فى خالص ديوان الله من الأبرار . قال : أحسنت يا بهلول ، وأمر له بجائزة سنية ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ رُدَّها على من أخذتَها منه ؛ فلا حاجةَ لى بها . فقال : يابهلول ؛ إن كان عليك دين قضيناه . قال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء أهلُ الرأى بالكوفة أجمعوا على أنّ قضاءَ الدين بالدين لا يجوز . قال : فنُجْرِى عليك ما يكفيك ؛ فرفع رأسه إلى السماء وقال : ياأمير المؤمنين ؛ أنا وأنت فىعيال الله ، ومحال أن يَذْكُرَك وينسانى؛ فأرسل الرشيد السجف وسار .

وقيل : إن بهلولا كان يستعملُ الجنون سترا على نفسه .

[من نوادر المجانين]

وقال هارون المخزومى : رأيتُ مجنونين يتنازعان رغيفاً يقول أحدُهما : هذا أنت تأكله ، ويقول الآخر : بل أنت تأكُله . قال : فقلت لهما — وأنا أظنّ أن أَرْبح عليهما : أنا آكله. فقالا : : ياأحمق ، إنه مع أدم . فقلت : وما أدمه ؟ قالا : وجء[1] الحلق وصَفْع العنق . فولَّيتُ عنهما ، فقالا : يامجنون ؛ لولابشاعةُ الأدم لكنا أكلناه منذ حين .

وقيل لسعيد العامرى — وكان من أصحاب النوبهارى : لقد حظيت بكثرة المال . قال: فإنى بِعْتُك مالى كلّه بحبة من عقل غفار الموسوس . قلت : وأى شىء رأيت من عقله؟ قال: رأيته يوماً وقد وقف عليه رجلان أحدُهما سكران، فجعل السكران يفترى

---

(١) وجأه : ضربه

عليه وهو يفترى على الصاحى ؛ فقلت له : لم لا تشتُم الذى يَشْتُمك ؟ قال : لأنّ معه شيطاناً لاأقوى عليه ، فالتفت إلىّ السكران وقال : يابْنَ الفاعلة؛ أتحرِّضُه علىّ ؟ ورفع رِجْلَه من الأرض فشيعنى بها مُوضِحَة[١] ومرَّ يعدو . فقال غفار : مِنْ هذا فرَرْت.

[من نوادر أبى نواس]

ومرّ عثمان بن حفص الثقفى بأبى نواس وقد خرج من علّة وهو مصفرّ الوجه ، وكان عثمان أقبحَ الناس وجها . فقال له عثمان : مالى أراك مصفرّا ؟ فقال أبو نواس : رأيتك فذكرت ذنوبى. قال: وما ذِكْرُ ذنوبك عند رؤيتى ؟ فقال : خفت أن يعاقبنى الله فيمسخنى قرداً مثلك .

ولما حبس الأمين أبا نواس دخل عليه خالُ الفضل بن الربيع ، وكان يتعهَّدُ المحبوسين ، ويسألُ عنهم وكانت فيه غَفْلة ، فأتى أبا نواس وقال : ما جُرْمُك حتى حُبِسْت فى حبس الزنادقة ؟ أزنديق أنت ؟ قال : معاذَ الله . قال : أتعبد الكبش ؟ قال : ولكنى آكلهُ بصوفه. قال: أتعبدالشمس ؟ قال : واللهماأجلِسُ فيها من بغضها ، فكيف أعبدها ! قال:أفتعبد الديك؟ قال: لاوالله ، بل آكله ، ولقدذبحت ألف ديك، لأن ديكا نقرنى مرّة ، فحلفت ألاَّ أجد ديكا إلاَّ ذبحته . قال : فلأىّ شىء حُبست؟ قال : لأنى أشرَبُ شرابَ أهل الجنة ، وأنام خَلْفَ الناس . قال : وأنا أيضاً أفعلُ ذلك ، ثم خرج إلى الفضل فقال : ما تحسنون جوار الله تحبسون من لا ذَنْب له ، سألت رجلا فى الحَبْس عن خبَرِه ، فقال كذا وكذا ، وعرفه بكل ماجرى بينه وبين أبى نواس ، فضحك ودخل على الأمين فأخبره الخبر ، فأمر بتخليته للحال .

[الأمين يحبس أبا نواس]

وكان أبو نواس حُبِسَ فى أيام الأمين مرتين ؛ إحداهما أنه بلغ الأمين قوله[٢] :

---

(١) الموضحة : الشجة التى تبدى وضح العظام .

(٢) ديوانه : ١٩٠ ، والقصة كلها صفحة ٣١٠ من الديوان .

ومستعبد إخوانَه بثرائه … لبسْتُ له كبراً أَبرَّ على الكبر
إذا ضمَّنى يوماً وإياهُ مَجْلس(١) … رأى جانبى وَعْراً يزيدُ على الوعر
أخالِفُه فى شَكلِه وأجره … على المنطق المزور والنّظَر الشَّزْرِ
فوالله لا أَلْوِى(٢) لسانى بحاجة … إلى أحدٍ حتى أوسَّد(٣) فى قبرى
وقد زادنى تيهاً على الناس أننى … أرانى أغناهم وإن كنتُ ذا فَقْرِ
فلو لم أنَل(٤) فخراً لكانَتْ صيانتى … فمى عن جميع(٥) الناس حَسْبِى من فخر
فلا يطمعن فى ذاك منِّى طامعٌ … ولا صاحبُ التاج(٦) المحجّب فى القصر

فقال : وبلغ بك الأمر إلى أن تعرض بى فى شعرك يابْنَ اللَّخناء ! فقال سليمان ابن أبى جعفر : هو والله يا أمير المؤمنين زنديقٌ ، وقد شهد عندى جماعةٌ أنه شرب ماء مطر مع خمر ، فقيل له : لم فعلتَ ذلك ؟ قال : لأشرب الملائكة فإنه كان مع كل قطرة ملكٌ ، فأمر بحبسه فقال :

يارب إنَّ القومَ قد ظلمونى … وبلا اقترافِ خطيئة(٧) حبسونى
وإلى الجحودِ بما عليه طويتى … بالزور والبهتان قد نسبونى(٨)
أما الأمين فلستُ أَرجو دَفْعَه … عنى فمن لى اليوم بالمأمون

فقال المأمون لما بلغه ذلك : والله لئن أدركته لأُحسِنَنّ إليه ، فمات قبل دخول المأمون بغداد .

ولما دخل بها سنة أربع ومائتين وأتاه الشعراء يمدحونه قال : ما فعل أبو على الحسن بن هانئ ؟ قالوا : توفى ، فلم يسمع منهم شعرا وتوجّع وقال : لقد ذهب ظرف الزمان بموته ، وانحطت رتبة الشعر بذهابه .

---

(١) فى الديوان : محفل . (٢) فى الديوان : لايبدى . (٣) فى الديوان : حتى أغيب فى القبر . (٤) فى الديوان : لم أرث . (٥) فى الديوان : عن سؤالى الناس . (٦) فى الديوان : فلا يطمعن فى ذاك منى سوقة ولا ملك الدنيا .. (٧) فى الديوان : وبلا اقتراف معطل . (٨) فى الديوان : وإلى الجحود بما عرفت خلافه ربى إليك بكذبهم نسبونى

وكان أبو نواس فى آخر أيام الأمين مستَخْفِيا فلم يظهر حتى قُتِل ؛ لأنه كان أملح الناس وجها ، وكان أبو نواس إذا نظر إليه بقى باهتاً فقال فيه :

عذب قلبى ولا أقولُ بمن أخاف مَن لا يخافُ من أَحَد

إذا تفكرت فى هواى له مسست رَأْسى هل طار عن جَسَدِى

إنى على ما ذكرت من فَرَقى لآمل أنْ أنالَه بيدى

وقال :

يا قاتل الرجل البرىّ وسالباً عزَّ المليك

كيف السبيلُ لِلثْم سا لفتيك أو تقبيل فِيك

اللهُ يعْلَمُ أننى أهوى هواكَ وأشتهيك

وأَصُدُّ عنك حذار أن تقعَ الظنونُ علىّ فيك

فظهر الشعر ، فلم يزل أبونواس مستخفيا .

وحبسه الأمين قبل ذلك ؛ وذلك لأن المأمون لما خلعه بخراسان ووجّه طاهر بن الحسين إليه ليُحَارِبَه كان يعملُ بعيوب الأمين كُتبا لتُقْرَأ على المنابر بخراسان ، وكان مما عابه به أنه قال : احتبس شاعراً ماجناً كافراً يقال له الحسن بن هانىء ، واستخلصه معه لشُرْبِ الخمر وارتكاب المآثم وانتهاك المحارم ، وهو القائل[1] :

أَلاَ فاسْقِنى خمراً وقُلْ لى هى الخمر ولا تَسْقِنى سرًّا إذا أَمكَن الجَهْرُ

وبُحْ باسم مَن أهوى[2] ودَعْنِى من الكنى فلا خيرَ فى اللذات من دونها ستر

قال أبو على محمد بن المظفر الحاتمى : هذا معنى ظريف ، يقول : إن الملاذّ بالحواس الخمس وهى : النظر والسماع والشمّ والذوق واللمس ؛ فقد استمتعَتْ حاسة البصر بالنظر إليها ، وحاسة الشمّ بتضوّعها وطيب نكهتها ، وحاسة الذوق بطعمها ، وحاسة

---

(١) ديوانه : ١٩٨ . (٢) فى الديوان : من تهوى .

اللمس بلين ألمس ، وبقيت حاسة السمع معطّلة . فقال : وقل لى هى الخمر ؛ لتلتذ حاسة السماع فيكمل الاستمتاع .

ثم يذكر الأمين فى خطبه العراق ، فيقول : أهل فسق وخمور وفجور وماخور ، ويقوم رجل بين يديه فينشد أعاييس أبى نواس كقوله[1] :

يا أحمدَ المُرْتَجَى فى كل نائبة ... قُمْ سيدى نَعْصِ جبارَ السموات

فقام[2] والليلُ يجلوهُ النهارُ كما ... يجلى التبسمُ عن غُرِّ الثنيات

ومن هُنا أخذ ابن الرومى ، فجاءَ بأبدع عبارةٍ وأنصع استعارة ، وأصح تشبيه ، وأملح تنبيه . فقال يصفُ سوداءَ[3] :

يفتر ذاكِ السوَادُ عن يَقَقٍ ... من ثغرها كاللآلىء اليقَق[4]

كأنها والمزاحُ يُضْحِكُها ... ليلٌ تعرَّى دُجَاه عن فَلَقِ

فاتصل بالأمين خبر المأمون، فأغراه الفضل بن الربيع بأبى نواس فحبسه، فكتب أبو نواس إلى الفضل من الحبس[5] :

أنت يابنَ الربيع علمتنى الخيـ ... ـر[6] وعوَّدْتنيه والخيرُ عادَه

فَارْعَوى باطلى وعاودنى حلـ ... ـمى وأحدثت رَغْبةً[7] وزَهادَه

لوترانى شبهتنى[8] الحسنَ البصـ ... ـرىَّ فى حال[9] نُسْكِه أو قتادَه

المسابيح فى ذراعى والمصْـ ... ـحَفُ فى لـبّى مكان القِلَادَه

فإذا شئت أن ترى طُرْفَة تَعْـ ... ـجبُ منها مليحةً مستفاده

فادْعُ بى ــ لاعدمت تقويمَ مِثْلى ... فتأمّل بعينك[10] السّجَّاده

---

(١) ديوانه : ١١٧ ، زهر الآداب : ٢٣٠ . (٢) فى الديوان : فقلت والليل يجلوه الصباح كما يجلو . (٣) زهر الآداب : ٢٣١ . (٤) فى زهر الآداب : كاللآلىء النسق واليقق: شدة البياض . (٥) ديوانه : ١٤٥ . (٦) فى الديوان : علمتنى النسك .
(٧) فى الديوان : فارعوى باطلى وأقصر.. وتبدلت عفة . (٨) فى الديوان : لو ترانى ذكرت . (٩) فى الديوان : فى حسن سمته . (١٠) فى الديوان : وتفطن لموضع .

ترى أبداً [١] من الصلاة بوجهى توقنُ النفسُ أنها من عباده
لو رآها بعضُ المرائين يوماً لاشتراها يعـدّها للشهادَه
ولقد طالمـا شقيت ولـكن أدركتنى على يديك السعادَه

فلما بلغ الشعر الفضل ضحك ، وقال : من علم أنَّ السجادة تصلحُ للشهادة بعد ؟

وكلّم فيه الأمين فتركه بعد أن أخذ عليه ألا يشرب الخمر [٢] فقال :

مامن يدٍ فى الناس واحدةٍ كيدى أبى العباس مولاها [٣]
نام الثقاتُ على مضاجعهِمْ وسَرَى إلى نفسى فأحياها
قد كنتُ خِفْتكَ ثم أمّننى من أن أخافكَ خوفُكَ الله
فعفوتَ عنى عَفْوَ مُقتدرٍ وجبت له نِقمٌ فألغاها [٤]

ومن قوله فى ترك الشرب [٥] :

أيّهـا الرائحانِ باللومِ لوماً لا أُذُوقُ المدامَ إلاّ شميما
نالَنى باللام فيهـا إمامٌ ما أرى لى خلافَهُ مستقيما
فاصرِ فَاها إلَى سوَاىَ فإنّى لستُ إلاّ على الحديث نديما
فـكأنى وما أزيّن منها قعَدىٌّ يُزَيِّن التَّحْـكيما
كَلَّ عن حَمْلِهِ السِّلاح إلى الحرْ بِ فأوصى الْمُطِيق ألاّ يُقيما

والقعد : فرقة من الخوارج يأمرون الناس بالخروج وهم لا يخرجون . وزعم المبرد أنه لم يسبق إلى هذا المعنى . وقال فى ذلك أيضا [٦] :

غنّنا بالطّلولِ كيف بلينا واسْقِنا نعطك [٧] الثناء الثمينا
من سُلَاف كأنها كلُّ شىء يتمـنّى بخيرٍ [٨] أن تكُونا

---

(١) فى الديوان : أثرا . (٢) ديوانه ١٠٩ ، زهر الآداب : ٤١٣ .
(٣) فى زهر الآداب : كيد أبوالعباس مولاها . (٤) فى ديوانه : حلت له نقم فأكفاها .
(٥) المختار من شعر بشار : ١٠٨ ، زهر الآداب : ٤١٤ ، ديوانه : ٣٢٥ .
(٦) زهر الآداب : ٤١٦ ، ديوانه : ٣٣٩ . (٧) فى ط : غنيا بالطلول كيف بنينا واسقنا لفظك ، وهذا من زهر الآداب والديوان . (٨) فى زهر الآداب : مخير أن تـكونا .

أكل الدهرُ ما تجسَّم منها … وتبقَّى لُبابها المكنونا

فإذا ما اجتليتَها فهباءٌ … يمنَعُ الكفَّ ما تُبيحُ العُيونا

ثم شجَّت فاستضحكت عن لآلٍ … لو تجمَّعْنَ فى يدٍ لاقتُنينا

فى كئوسٍ كأنهنّ نجومٌ … دائراتٌ برُوجها أيدينا

طالعاتٌ مع السُقاةِ علينا … فإذا ما غرَبْنَ يَغرُبْنَ فينا

لو ترى الشَّرب حولها من بعيد … قلت قومٌ من قِرَّةٍ يصطلونا

وغزال يُديرها ببَنان … ناعماتٍ يزيدُها المَزْجُ لينا

كلما شئتُ عَلّنى برُضابٍ … يترك القلب للسرور قرَينا[1]

ذاك عيشٌ لو دام لى غيرَ أنى … عِفتُه مكْرَهًا وخِفْتُ الأمينا

وقال أيضاً[2] :

أعاذل أعتبت الإمامَ وأَعتبا … وأعرَبْت عمَّا فى الضمير وأَعْرَبا

وقلتُ لساقيها أجزها فلم يكن … لَيأْبى أميرُ المؤمنين وأَشربا

فجوَّزَها عنى سُلافاً ترَى لها … إلى الأفق[3] الأعلى شُعاعاً مطنَّبا

إذا عَبَّ منها شاربُ القوم خِلْتَه … يُقَبِّلُ فى داج من الليل كوكبا

ترى حيثما كانَتْ من البيت مشرقا … ومالم تَكُنْ فيه من البيت مَغْرِبا

يَدور بها رَطْبُ[4] البنان ترىله … على مستدار الخدّ صُدْغا مُعقرَبَا

سقاهم ومَنّانى بعينيه مُنْيَة … فكانت إلى قلبى ألذَّ وأطيبا

---

(١) فى الديوان : خدينا . (٢) ديوانه : ٢٤٤ ، زهر الآداب : ٤١٦ .

(٣) فى زهر الآداب : لدى الشرف . (٤) فى الديوان : يدير بها ساق أغن .

[بين أبى نواس والحسين بن الضحاك]

قال الحسين بن الضحاك : أنشدت أبا نواس قولى[1] :

وشاطرىِّ اللسان مختلف الســـكرة[2] شاب المجُونَ بالنسك

فلما بلغت فيه :

كأنما نُصْب كَأْسه قمرٌ يَكْرَع فى بعض أنجم الفَلَكِ

[نعرنعرة[3]] منكرة . فقلت : مالك فقد رعتنى ! فقال : هذاالمعنى أنا أحقّ به، ولكن سترى لمن يروى ثم أنشدنى بعد أيام[4] :

إذا عبَّ منها شاربُ القوم خِلْتَه يُقَبِّل فى دَاجٍ من الليل كوكبا

فقلت : هذه مطالبة ياأبا على . فقال : أَتظن أنه يُرْوى لك معنى مليح وأنا فى الحياة !

***

من النقد

وقال فيه ابن الرومى فجاء بأحسن منهما[5] :

ومُهَفهف كملتْ ملاحَتُه[6] حتى تجاوزَ مُنْيَةَ النفسِ

تَصْبُو الكئوس إلى مَرَاشِفه وتضجُّ فى يده من الحَبْسِ

أبصرتُه[7] والكأس بين فَمٍ منه وبين أناملٍ خَمْسِ

وكأنها وكأنّ شارِبَها قمرٌ يقبِّل عارِضَ الشمسِ

[من غزل بشار]

وإنما اتبع أبو نواس[8] فى هذه الأشعار التى وَصف فيها ترك الشرب وطاعته لأمر الأمين مذهب أبى معاذ بشار بن برد وذلك أنه لما قال :

---

(١) زهر الآداب : ٤١٧ . (٢) فى زهر الآداب : مختلق التكريه .

(٣) من زهر الآداب . (٤) ديوانه : ٢٤٤ ، زهر الآداب : ٤١٧ .

(٥) ديوانه ١٠٧ ، زهر الآداب : ٤١٧ . (٦) فى زهر الآداب : كملت محاسنه .

(٧) فى زهر الآداب : أبصرتها . (٨) زهر الآداب : ٤١٨ ، المختار : ١٠٦ .

لا يُؤيسنّكَ من مخبَّأَة ... قولٌ تغلِّظُه وإن جَرَحا
عُسْر النساءِ إلى مياسَرةٍ ... والصعبُ يركب[١] بعدما جَمَحا

فبلغ ذلك المهدى فغاظه . وقال : يحرِّضُ الناس على الفجور ، ويسهِّل لهم السبيلَ إليه . فقال له خالدُ بن يزيد بن منصور الحميرى : ياأمير المؤمنين ، قد افتتن النساء بشعره ، وأىُّ امرأة لاتصبُو إلى مثل قوله[٢] :

عجبَتْ فَطْمَةُ من نَعْتى لها ... هل يُجيدُ النعتَ مكفوفُ البَصَرْ[٣]
بِنْتُ عَشْرٍ وثلاثٍ قسِّمَت ... بين غُصْنٍ . وكثيب وقَمَرْ
دُرَّة بَحْرِيّة مكنونةٌ ... مازَها[٤] التّاجرُ من بين الدُّرَرْ
أَذْرَتِ الدَّمعَ وقالت وَيْلتى ... من وَلوعِ الكف ركّابِ الخَطَرْ
أُمتى بَدَّد هذا لُعبى ... ووِشاحِى حَلَّه حتى انتثر[٥]
فدعينى معهُ يا أُمّتى ... عَلّنا فى خَلْوةٍ نقْضى الوطَرْ
أقبلَتْ فى خَلْوَةٍ تضربُها ... واعتراها كجنون مُسْتَعِرْ[٦]
بأَبى والله ماأحسنه ... دَمْعُ عينى غَسَّلَ الكُحْلَ قطَرْ
أيُها النُّوامُ هبُّوا وَيْحكم ... وسَلُونى اليومَ ماطَعْمُ السهرْ

فأمره المهدى ألاّ يتغزل ؛ فقال أشعاراً فى ذلك منها[٧] :

يامنظراً حسناً رأيتُهْ ... من وجه جاريةٍ فديتُهْ
والله ربِّ محمدٍ ... ما أن غَدَرْتُ ولا نويتُهْ
أعرضت[٨] عنك وربّما ... عَرَض البلاءُ وما اتقيته[٩]

---

(١) فى زهر الآداب : والصعب يمكن . (٢) المختار : من شعر بشار ١٠٦ زهر الآداب : ٤١٨ . (٣) فى زهر الآداب : النظر . (٤) مازها : ميزها . (٥) فى ط : قد انتشر وهذا من زهر الآداب . (٦) فى ط : مستقر ، وهذا من زهر الآداب .
(٧) الأغانى : ٣ـ٢١١ ، ٢٣٩ ، زهر لآداب : ٤١٩ ، المختار : ١٠٥ .
(٨) فى زهر الآداب : أمسكت عنك . (٩) فى زهر الآداب : ومابتغيته .

إنَّ الخليفـةَ قد أبى ... وإذا(١) أبى شيئاً أبيْتُهْ
ويشوقني بيتُ الحبيـ ... ـب إذا غدوتُ(٢) وأينَ بيْتُهْ
ومُخضَّبٍ رخصِ البنا ... نِ بكَى علىّ وما بكيته
قامَ الخليفـةُ دونه ... فصَبرْتُ عنه وما قليتُهْ
ونهـانىَ الملكُ الهما ... م عن النساء فمـا عصَيتُـهْ
بل قد وفيتُ فلم أضِـعْ ... عهْـداً ولا وأيا وأَيْتُهُ(٣)
وأنا المطلُّ على العـدا ... وإذا غَلاَ الحمد اشتريتهْ

وقال(٤) :

والله لولا رضا الخليفة ما ... أعطيتُ ضَيْماً علىَّ فى شجنى
قد عِشْتُ بين النَّدْمان والرَّا ... حِ والمزهر فى ظلّ مجلسٍ حَسَنَ
ثم نهانى المهدى فانصرفَتْ ... نفسى صنيعِ الموفَّق اللَّقِنِ(٥)

وقال(٦) :

أفنيت عمرى وتقضَّى الشبَابْ ... بين الحُميَّا والجَوارِى الأوابْ(٧)
فالآن شفَّعْتُ إمام الهدى ... وربما طِبْت لحبٍّ وطَابْ
لهوت حتى راعنى دَاعياً ... صوتُ أمير المؤمنين المجَابْ
لبيك لبيك ! هجرتُ الصِّبا ... ونام عُذَّالى ومات العِتَابْ
أَبصرتُ رشْدى وتركت المنى ... وربما ذَلَّتْ لهنَّ الرقابْ

وفى هذه الـكلمة يقول :

ياحامـد الفعـل ولم يَبْلُـه ... سبقتَ بالسَّيْل سيل(٨) السحَابْ

---

(١) فى ط : وإن أبى : وهذا من زهر الآداب ، والأغانى . (٢) فى الأغانى : إذا ادكرت . (٣) فى ط : ولا رأيا وفيته، وفى زهر الآداب : ولا رأيا رأيته . وهذا من المختار والوأى : الوعد . (٤) الأغانى : ٣ـ١٤١ ٢ المختار : ١٠٥ ، زهر الآداب : ٤١٩ .
(٥) اللقن : سريع الفهم . (٦) زهر الآداب : ٤١٩ المختار : ٢٠٨ . (٧) فى بعض نسخ زهر الآداب : والجوارى العذاب . (٨) فى زهر الآداب : مساك السحاب ، وفى المختار : ياحامد القول . . . مجىء السحاب .

الفعلُ أَولَى بثناءِ الفتى ... ماجاءهُ من خَطأٍ أو صَوابْ
دَعْ قولَ واءٍ وانتظر فِعْلَه ... ينبى عن اللَّقْحَةِ[١] مافى الحِلاَبْ
إذا غَدا المهدىُّ فى جُنْدِهِ ... وراحَ فى آل الرسول الغِضَابْ
بدا لك المعروفُ فى وجهه ... كالظَّلْمِ[٢] يجرى فى الثنايا العذابْ

ومن شعره المطرب فى الغزل قوله[٣] :

أيها السّاقيان صُبَّا شَرابى ... واسقيانى من رِيق بيضاءَ رُودِ[٤]
إن دَأْبى الصَّدى وإنَّ شفائى ... شَرْبَةٌ من رُضَاب ثَغْرٍ بَرُودِ
عندها الصبرُ عن لقائى وعندى ... زفَرات يأكُلْنَ قَلْبَ الجليدِ
ولها مَبْسمٌ كَثَغْرِ[٥] الأَقاحِى ... وحديثٌ كالوَشْىِ وَشْىِ البرودِ
نزَلَتْ فى السواد من حبّة القلْب ... ونالت زيادةَ المستزيد
ثم قالت : نلقاك بعدَ ليالٍ ... والليالى يُبْلِينَ كلَّ جديدِ
لاأبالى[٦] من ضَنّ عنى بوصْلٍ ... إن قضى الله منك لى يَوْمَ جُودِ

وقوله[٧] :

لو عاينوها لم يلوموا على البُكَا ... كريما سقاهُ الخمر بَدْرٌ محلّق
فكيف تناسِى من يكون حديثُه ... بأذنى وإن غيبت[٨] قُرْطٌ معلّق

وقوله[٩] :

كأنها حين لاحت فى مجاسدها ... فارتجَّ أسفلُها واهتزَّ أعلاها
حوراء جاءت من الفردوس تفتنه ... كالشمس طَلْعتها والمِسْك رَيَّاها
من اللواتى غدت[١٠] فرداًوشقّ لها ... من ثوبه الحسن سربالا فردّاها

---

(١) اللقحة : الناقة الحلوب، وفى المختار : مافى العلاب ــ جمع علبة . (٢) الظلم : ماء الأسنان.
(٣) الأغانى : ٣ــ١٨٧ ، زهر الآداب : ٤٢٠ . (٤) رود : شابة حسنة ناعمة .
(٥) فى زهر الآداب : كثغر . (٦) فى ط : لم أبالى . (٧) زهر الآداب : ٤٢٨ .
(٨) فى زهر الآداب : من كان حديثه بأذنى وإن عتبت .
(٩) المختار من شعر بشار : ٦٦ . (١٠) فى المختار : من اللواتى اكتست قداً .

راحت ولم تعطه برءا لقرحته　　منها ولو سألته النفسَ أعطاها
تغمّه نفسه من طول صَبْوَتها　　حتى لو اجتمعت فى الكفّ ألقاها
ماشاهد القوم إلا ظَلَّ يذكرها　　ولا خلا ساعةً إلاّ تمنّاها

***

من النقد

وقول بشار : عجبت فطمة من نعتى لها قد احتذاه محمد بن مناذر:

قد جدّ بى فى اللعب　　ذو راحة من تعَب
جسم من الفضة قد　　أشرب ماء الذهبِ
جارية صغيرة　　مشغولة باللعبِ
صاحَتْ وقد روّعتها　　بقبلة واحَرَبى
أنت وربى يافتى　　تريدُ أن تصنع بى
إياكَ أن يدعو عليـ　　ـك اليوم أمّى وأبى
فلم أزل أختلُها　　حتى علوت مركبى
وهى كغصن مالت الـ　　ـرِّيح به مضطرب
تجود عيناها بجا　　رى دمعها المنسكب

[من مليح ماقيل فى الصغار]

ومن مليح ماقيل فى الصغار قول أبى نواس الحسن بن هانىء[1] :

حين أوفى على ثلاث وعشر　　لم يطل عهد أذْنِه بالشنوف[2]
وبه غنّة الصبا تعتليها　　بحّة الإحتلام للتشريف
حين رام أنسنا منه بعين　　وثَنَى أختها من التخويف

وقال عبد الله بن الحسين الكاتب :

جارية أذهلها اللعبُ　　عمَّا يقول الهائم الصبّ
شكوت ماألقاه من حبّها　　فأقبلت تسأل ما الحبّ

(١) ليست هذه الأبيات فى ديوانه المطبوع . (٢) الشنف : القرط الأعلى وجمعه شنوف .

وقال ابن المعتز (١) :

الآن زاد على عشر بواحدة ... وزاد أخرى وشاب الحبّ بالخدع
وجاوب اللحظُ منه لَحْظَ عاشِقه ... وجرر الوعد بين اليأس والطمع
وكانَ غِرًّا بقتلى ليس يحسنه ... والآن بَدَّع فى قتلى على البدع

وقال غيره :

إنى بليت بطفلة ... هيفاء جائلة الوشاحْ
ومليحـة ياويلتى ... ماذا لقيت من الملاح
ماجاز عشرا سِنُّها ... بيضاء كالقمر اللِّياح (٢)

وقال أعرابى فى جارية صغيرة وعده أبوها أن يزّوجها منه :

أعلقنى بعشقها أبوها ... مليحة العينين عَذبٌ فوها
قليلة الأيام إنْ عدّوها ... لاتحسن السبَّ إذاسَبُّوها

وقال قيس بن الملوّح :

وعلّقت ليلى وهى غِرٌّ صغيرة ... ولم يبد للأتراب من ثَدْيها حَجْمُ
صغيرين نَرْعى البَهْمَ ياليت أننا ... إلى الآن لم نـكبر ولم تـكبر البَهْمُ

[من نوادر مزيد المدينى]

مزيد المدينى ، قالت له امرأتُه يوماً ليس شئ أَرْبح من عمل النبيذ فعملته ، فأتاها برجل معه دِرهمٌ واحد . فقالت له : لاأبيعه إلا جملة ، فأَتَى صاحبَ الشرطة فقال له : إنّ امرأتى عندها نبيذٌ ؛ فوجَّه الحرس ، وقال : كونوا معه ، فإنْ كان فى بيته نبيذ فاطرحوه وامرأتَه فى الحبس ، وإن لم يكن فيه شيء فردُّوه إلىَّ .

فجاءوا فدخلوا منزله فوجدوا النبيذَ . فقال لامرأته : قد جئتُك بمَنْ يأخذهُ

---

(١) ليست هذه الأبيات فى ديوانه المطبوع .

(٢) اللياح ــ كـكتاب وسحاب : الأبيض من كل شيء . وأبيض لياح : ناصع .

جمله ، فكسروا جرار النبيذ وجلدوهما جميعاً ، ومضوا بهما إلى الحبس ، فلما حصلا فيه قال لامرأته : وأزيدك فائدة مما نحن فيه لم تخطُرْ ببالك . قالت : وما هى يامشئوم ؟ قال : استرحنا من كرى البيت .

وزُفَّتْ إليه امرأة فأتته الماشطة وهى تجلى ، فقالت : انحلها شيئاً . قال : قد نحلتها تطليقة .

ودفع قميصه إلى الغسال ، فردّه إليه وقد نقص شبراً . فقال : ليس هذا قميصى ؛ قميصى أتمُّ من هذا شبراً . قال : جعلت فداك ! إنما تقلص فى الغسل لأنه قطن . فقال له مزيد : اقعد حاسبنى ، فى كم غسلة يرجع جرمازا .

ودخل على بعض الموالى ــ وكان المَوْلَى ذا مالٍ كثير ، وهو على سرير ممتدّ ، وبين يديه ولد من ولد أبى بكر الصديق وآخر من ولد عمر بن الخطاب وهما على الأرض . فتجهّمه وقال: قبَّحك الله يامزيد، فما أكثر إلحافك ، وأشد إجحافك! كل يوم تأتينى سائلا ! قال : لم آتك فى مسألة، وإنما أتيتُك أسألُك عن معنى قول الحارث بن خالد المخزومى(١) :

إنّى وما نحروا غداةَ مِنًى ... عنـد الجمارِ تؤودها العقلُ
لو بُدِّلَتْ أعْلَى منازِلهـا ... سفلا وأصبح سفْلُها يَعْـلُو

فلما رأيتك فوق ورأيت هذين تحتك عرفت معنى البيتين .

فقال : اعزب عليك لعنة الله ، وارتجَّ المجلس ضحكا .

[شعر ابن أبى ربيعة والحارث المخزومى]

وذُكِر(٢) بحضرة ابن أبى عتيق شعر عمر بن أبى ربيعة والحارث بن خالد المخزومى؛ فقال رجل من ولد خالد بن العاصى : صاحبنا أشْعَرُ ــ يعنى الحارث ــ فقال ابنُ أبى عتيق: بعض قولك يابْنَ أخى ! فلشعر ابن أبى ربيعة لَوْطَة بالقلب ، وعَلَق بالنفس ،

---

(١) زهر الآداب : ٢٣٩ ، الأغانى : ١ ــ ١٠٩ ، المختار ٢٠٢ ، الأمالى : ٢ ــ ١٥ .
(٢) المختار : ٢٠٢ ، الأمالى : ٢ ــ ١٥ ، زهر الآداب : ٢٣٨ .

ودَرك للحاجة ، ليس لشعر [الحارث ، و][1] ما عصى الله قطُّ [بشعر][1] أكثر مما عُصِى بشعر ابن أبى ربيعة ، فخُذْ عنى ماأصِفُ لك : أشعرُ قريش من رَقّ معناه، ولطف مَدْخَلُه، وسَهُل مخرجه ، وتعطفتْ[2] حواشيه ، وأنارَتْ معانيه ، وأعرب عن صاحبه . فقال الذى من ولد خالد بن العاص : صاحبنا يقول :

إنّى وما نحروا غداةَ مِنى ... عند الجمار تؤودها العقْلُ
لو بُدِّلَت أعْلَى منازلهـا ... سفْلاً وأصبح سفْلها يَعْلُو
فيـكاد يعرفها الخبيرُ بها ... فيردّه الإقواءُ والمَحْلُ
لعرفت مغناها بما احتملَتْ ... منى الضلوع لأهلها قَبْلُ

فقال ابن أبى عتيق : يابْنَ أخى ، استُرْ على صاحبك ، ولا تشاهِد المحاضر بمثل هذا؛ أما تطيّر[3] عليها الحارثُ ، حين[4] قلب رَبْعها ، فجعل عاليه سافله؛ مابقى عليه إلا أن يسألَ الله[5] حجارةً من سجِّيل وعذابا أليماً . ابن أبى ربيعة كان أحسنَ للربع مخاطبةً وأجمل مصاحبة حيث يقول[6] :

سائلا الربع بالبُلَىِّ[7] وقُولاَ ... هِجْتَ شوقا لى الغداةَ طويلا
أينَ أهلٌ حلّوك[8] إذأنتمسرو ... رٌ بهم آهلٌ أراك جميلا
قال : ساروا وأمعنوا واستقلّوا ... وبِكُرْهى لو استطعتُ سبيلا[9]
سئمونا وما سئمت[10] مقاماً ... واستحبّوا دماثةً وسُهولا

من النقد

وإنما[11] أخذ الحارث قوله : لعرفت مغناها بما احتملت ... البيت من قول امرئ القيس .قال علىّ بن الصباح ورّاق أبى محلم : قال لى أبو محلم : أتعرفُ لامرئ

---

(١) من زهر الآداب . (٢) فى ط : وتقطعت ، وهذا من زهر الآداب .
(٣) فى الأصل : مايطين . (٤) فى زهر الآداب : حيث . (٥) فى ط : يسأل الله فى حجارة ... وعذاب . (٦) ديوانه : ٩٥، الأغانى : ١-١٠٦ (٧) فى ط : مالبلى .
(٨) فى ط : حلوا أهلوك . (٩) فى ط : بديلا ، وهذه رواية زهر الآداب .
(١٠) فى زهر الآداب : وما سئمنا . (١١) زهر الآداب : ٢٣٩ .

القيس أبياتاً سينيّة قالها عنـد موته فى قُروحه والحلّة المسمومة ، غير القصيدة الّتى أوَّلها[١] :

أَلِمّا على الربع القديم بعَسْعسا[٢] كأنى أنادى أو أكلّم أَخْرَسَا

فقلت : لا أعرفُ غيرها . فقال : أنشدنى جماعـة من الرواة ، وأنشد أبياتا أولها[٣] :

لمنْ طَلَل دَرَسَتْ آيُه وغيَّره سالفُ الأحْرُس[٤]

تنـكَّره العينُ من حادثٍ ويعرفه شَغَفُ الأنفسِ

[حديث الأطلال والدمن]

وأخذه طريحُ بنُ إسماعيل الثقفى فقال وأحسن :

تستخبر الدِّمَن القفار ولم تـكُنْ لتردَّ أخباراً على مستَخْبرِ

فأخذه أبو نواس، إلاَّ أنه قلبه فجعل الإنـكار للقلب فقال[٥] :

ألالاأرى مثلى امترى اليومَ فى رسم تعرّفه[٦] عينى ويلفظه وهمِى

أَتت صُوَرُ الأشياءِ بينى وبينه فظنّى كلا ظنٍّ وعلمى كلا عِلْمِ

قال ولو قال : تنكرُهُ عينى ويعرفُهُ وهمى ، لـكان كالأوّل وكان أجود ـ فلعلّ أبا نواس قصَد الخلافَ وأعجبَهُ قوله : ويلفظهُ وهمى ؛ لأنها لفظة جرتْ مليحةً .

وقد ملح الحسنُ بنُ وهبٍ فى هذا المعنى إلاّ أنه ألمّ به وأجمله ولم يذكُر القلب فقال[٣] :

أبليت جسمى من بعد جِدَّته فما تـكادُ العُيونُ تُبصِرُهُ

كأنّه رسم مَنزلٍ خَلَقٍ تعرفُه العينُ ثم تنكرُهُ

وزعم يحيى بن منصور الذهلى أنه يعرف معهد أحبابه بقلبه ويكتمه عينَه فقال[٣] :

---

(١) ديوانه : ١٢٨ . (٢) موضع . (٣) زهر الآداب : ٢٤٠ .

(٤) فى ط : الزمن الأحرس ، وهذه رواية زهر الآداب . وفى اللسان :

لمن طلل داثر آيه تقادم فى سالف الأحرس (٥) ديوانه : ٣٢٥ . (٦) فى زهر الآداب : تغض .

أما يستفيق القلبُ إلاّ انبرى له ... تذكُّر طيفٍ[١] من سعاد ومَرْبع

أخادع عن عرفانه العَيْنَ إنه ... متى تعرف الأطلال عينى تدمَعِ

وقال غيره :

هى الدارُ التى تعر ... ف أم لا تعرِفُ الدارا

ترى منها لأحباب ... ك أعلاما وآثارا

فيُبدِى القلبُ عِرْفَانًا ... وتُبدى العينُ إنكارا

[من التقعير]

وحصلت لأبى علقمة النحوى علّة[٢] ، فدخل عليه أعين الطبيب يعوده . فقال : ما تجدُ ؟ قال : أكلت من لحوم هذه الجوازل[٣] ، فطَسِئْتُ طَسْأة[٤] ، فأصابنى وجَع ما بين الوابلةِ إلى دَأْية العنُق[٥] ، فمازال يزيد وينمى حتى خالط الخِلبَ[٦] والشراسيف[٧] ، فماذا ترى ؟

قال : خذ خَرْبقاً[٨] وسلفقا[٩] وشِبرقا[١٠] فزهزِقْهُ وزَقْزِقْهُ واغسله بماء رَوْثٍ واشربه .

فقال : ما تقول ؟ فقال : وصفتَ لى من الداء مالا أعرف ، فوصفت لكَ من الدواءِ مالا تعرف . قال: ويحك فما أفهمتنى . قال : لعَنَ الله أقلّنا إفهاماً لصاحبه .

---

(١) فى ط : ضيق ، وهذه رواية زهر الآداب .

(٢) عيون الأخبار : ٢-١٦٢ ، العقد الفريد : ٢-٤٨٩ ، البيان والتبيين: ٢-١٤٢ .

(٣) الجوزل : الناقة تقع هزالا ، وفرخ الحمام . (٤) طسىء : أتخم من الطعام ، وفى ط : طسست طسة . (٥) الوابلة : طرف رأس العضد والفخذ أو طرف الكتف ، أو عظم فى مفصل الركبة . وما التف من لحم الفخذ . ودأيات العنق : فقار العنق .

(٦) الخلب : الظفر . ولحيمة رقيقة تصل بين الأضلاع . أو الكبد .

(٧) الشرسوف : غضروف معلق بكل ضلع أو مقط الضلع . (٨) فى ط : خرقفا .

(٩) فى ط : وشرفقا . (١٠) فى ط : وشلبقة .

[من نوادر النحويين]

وقال رجل اسمه عمر لعليِّ بن سليمان الأخفش : علمنى مسألةً من النحو ؟ قال : تعلَّم أن اسمك لاينصرف . فأتاه يوماً وهو على شغل . فقال : مَن بالباب . قال : عمر . قال : عمر اليوم ينصرف . قال : أو ليس قد زعمت أنه لا ينصرف ؟ قال : ذاك إذا كان معرفة وهو الآن نكرة !

وقال الصولى : سكر هارونُ النديم عند المعتضد سُكْراً شديداً ، ونهض الجلساء كلّهم سواه فقال له الخادمُ الموكّل بالندماء : انصرف . فقال : أمير المؤمنين أمرنى بالمبيت هاهنا . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هارون ينصرف . قال : لا ينصرف .

فلما أصبح رآه المعتضد ، فقال : من هذا ؟ قيل : هارون بن على . فقال : للخادم الموكّل بالندماء : متى تقدم للجلساء المبيت هنا ؟ فقال : أنت ـ أعزك الله ـ قلت: هارون لا ينصرف ، قال : إنا لله ! إنما أردت النحو .

قال أبو العبر : قال لى أبو العباس أحمد بن يحيى ـ ثعلب[1] : الظبى معرفة أو نكرة ؟ فقلت : إن كان مشويا على المائدة فمعرفةٌ ، وإن كان فى الصحراء فهو نكرةٌ . فقال : ما فى الدنيا أعرفُ منك بالنحو .

أبو الحسن على بن سليمان ـ كتبَ إلى بعض إخوانه يستعير دابة ـ ودابة لا تجىء بوزن الشعر ؛ لأنه جمعٌ بين ساكنين :

أردتُ الركوبَ إلى حاجةٍ فجُدْ لى بفاعلةٍ من دببت

فأجابه الفتى وكانَ ظريفاً :

زيدَ بها وجعٌ غامز فكُنْ أنت لى فاعلا مِن عذرت

ومن ملح النحويين :

أفى الحق أن يُعْطَى ثلاثون شاعراً ويحرم مادون الرضا شاعر مثلى !!

---

(١) فى ط : يحي بن أحمد بن يحيى بن ثعلب ، وهذا من الأعلام .

كما ساموا عمراً بواوٍ مَزِيدةٍ وضويقَ باسم الله فى ألِفِ الوَصْلِ

وقال أبو الفتح البستى :

حُذفتُ وغيرى مثبَتٌ فى مكانه كأنّى نونُ الجمع حين يُضافُ

[المتوكل وعبادة المخنث]

وكان المتوكل قد بسط [من] عبادة المخنّث للدخول معه على كل حال ، فدخل عليه وهو نائم مع سوداءَ كان يحبها ؛ فلما رآه أمرَها أن تغطِّىَ وجْهَها . فقال : ياأميرَ المؤمنين؛ ومَن معكَ ؟ قال : ويلك ! وبلغ فضولكَ إلى هذا الموضع ! ، ومَدَّت الجارية رجلها فبانَتْ سوْداء . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ تنامُ ورجلك فى الخف . فقال المتوكل: قُمْ عليك لعنة الله ! وضَحِكَ وأمر له بصلةٍ فأخذها وانصرفَ .

وكان عبادة يشربُ بين يديه ويترك فى القدح فضلة . فقال : يا عبادة ؛ ما تدرى ما يقولُ الناسُ ؟ قال : وما هو ؟ قال : يقولونَ إن شاربَ النبيذ إذا شرب وعبَس وجهه وفضلتْ فى القدح فضلةٌ فإن إبليس يضربُ قفاه ويقول: اشرب فَضْلَةَ ما استطبت. فمضت الأيام واصطبح المتوكل وعبادة حاضر ، وشرب قدحاً كان فى يده وفضلت فضلة . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، جاءك الرجل(١) .

وتجارى الجوارى بحضرة المتوكل فسبقتهن جارية ممشوقةٌ . فقال المتوكل لعبادة: اجْرِ معها حتى ننظرَ من يسبقُ صاحبَه . فقال عبادة : إن سبقتها فما لى ؟ قال : هى لك، وإن سَبقَتك صفعتكَ . فجرت معه الجارية فَسَبَقَتْه مرة بعد أخرى ، فقال : ياأمير المؤمنين ؛ كيف لا تسبقنى وهى تجرى بمدادَين(٢) وأنا أركضُ بخرجين ؛ فضحك المتوكل ووهبها له .

وغَفل عنه المتوكل مرة فكتب له رقعة يستأذنُه فى الحج فضحك . وقال : عبادة يحجّ ؟ علىّ به ، فلما دخل عليه قال له : ماخبرك ؟ فقال: ياأمير المؤمنين ؛ لقد تواضعت

---

(١) أى إبليس (هـ . ط) . (٢) المداد : مايمدها .

حتى ما آكل إلاّ الخشكار، ولا أشرب إلاّ نبيذ الدّرْدى، ولا أسمع إلاّ غناء حواء، فأمر له بصلة .

[جحظة يصف ضيق العيش]

ألمّ جحظة البرمكى بهذا المعنى فقال :

إنّى رضيت من الرحيق ... بشراب تمرٍ كالعقيقْ
ورضيت من أكل السميـ ... ـذ بأَكْلِ مسودّ الدقيقْ
ورضيت من سعة الصحو ... ن بمنزلٍ ضَنْكٍ وضِيقْ
وجعلت تغريدَ الحمـا ... مة منزلى عند الشروق
فغدوت كِسْرَى صاحب الـ ... إيوان والعيش الأنيق
وحجبت نفسى عن حجا ... ب الباخلين ذوى الطريق
القاطعين مخافة الـ ... إنفاقِ أَسبابَ الصّديق

[جيران يتشمّمون الأمانى]

قال ابن أبى عتيق[١] لامرأته : تمنيت أن يُهْدَى إلينا مسلوخ[٢] ، فنتخذ من الطعام لون كذا ولون كذا، فسمعَتْه جارةٌ له، فظنّت أنه أمرَ بعمل ماسمعته، فانتظرت إلى وقت الطعام ، ثم جاءت فقرعت الباب . وقالت : شممت رائحةَ قدوركم فجئت لتطعمونى منها . فقال ابن أبى عتيق لامرأته: أنت طالق إن أقمنا فى هذه الدار التى جيرانها يتشمّمون الأمانى .

[أمانى]

ولبس مزيد جبّة فقيل له : أتتمنى أن تكونَ لك ؟ قال : نعم ! وأضرب عشرين سوطاً . قيل : ولم ؟ ويحك ؟ قال : لا يكون شىء إلاّ بشىء .

---

(١) عيون الأخبار : ١ـ٢٦٣ . (٢) المسلوخ : شاة سلخ جلدها .

قال الأصمعى : طلب الحجّاج رجلا فهرب منه ، فمر بسَاباط[١] فيه كلب نائم فى ظله . فقال : ياليتنى مثل هذا الكلب ، فما أتَتْ ساعةٌ حتى مرّ به الكلبُ وفى عنقه حبل ، فسأل عنه فقالوا : جاء كتابُ الحجاج وبه يأمر بقتل الكلاب .

وفى كتاب للهند[٢] أن ناسكا كان له سمن وعسل فى جرّة ؛ ففكّر يوماً فقال : أبيع هذه الجرة بعشرة دراهم فأشترى خمس أعنز ، فأولدهن فى كل سنة مرتين ، فيبلغ النتاج فى سنتين مائتين، وأبتاع بكل أربع بقرة ، وأزرع وينمى المال فى يدى ، فأتَّخِذُ المساكن والعبيد ويُولَد لى ولدٌ ، فأسميه كذا وآخذه بالأدب، فإن هوعصانى ضربتُ بعصاى رأسه ، وكانت فى يده عصا فرفعها كالضارب ، فأصابت الجرة ، فانكسرت وتبدّد السمن والعسل .

قال يزيد بن معاوية : ثلاث يُخْلِقن[٣] العقل، وفيهن دليلٌ على الضعف : سرعةُ الجواب ، وطول التمنى ، والاستغراب فى الضحك . وكان يقال : التمنى والحُلُم[٤] أخوان . وقالوا فى نقيض ذلك : الأمل رفيق مُؤنس ، إن لم يبلّغك فقد ألهاك . وأنشدوا :

أتانى من ليلى جوابٌ كأنما ... سقتنى به ليلى على ظمأ بَرْدَا
مُنًى إن تكن حقًّا تكن أحسن المُنَى ... وإلاَّ فقد عِشْنَا بها زمنا رَغْدا

وقال أعرابىٌّ :

رفعْتُ عن الدنيا المنى غير حبها ... فما أسألُ الدنيا ولا أَستزيدُها
وتحت مجارى الصدر منّا مودّةٌ ... تطلّع سرًّا لا ينادَى وليدُها

وقيل لأعرابى : ما أمتع لذات الدنيا ؟ فقال : ممازحة الحبيب ، ومغالطة الرقيب ، وأمانى تقطع بها أيامك ، وأنشد :

---

(١) الساباط : سقيفة بين دارين تحتها طريق . (٢) فى ط : للهندان ، وهذه رواية العقد الفريد : ٦ـ٤٧٧ . (٣) يصيرنه كالثوب الخلق .
(٤) الحلم بالضم وبضمتين : الرؤيا .

علليني بموعد وامطلي ما حييت به
ودعيني أفوز منـ ك بنجوى تطلّبه
فعسى يعثر الزما ن بحظّى فينتبه

[عزة توازن بين شعر الأحوص وكثير]

ودخل(١) كثيّر بن عبد الرحمن على عزّة ؛ فقالت : ما ينبغى أن نأذنَ لك فى الجلوس . قال : ولم ذلك ؟ قالت : لأنى رأيتُ الأحوصَ ألين جانباً عند القوافى منك فى شعره ، وأضرع خدًّا للنساء وأنه الذى يقول :

يأيها اللائمى فيهـا لِأصرِمَها أكثرتَ لو كان يُغنِى عنك إكثار
أقصر(٢) فلست مطاعاً إذوشيتَ بها لا القلبُ سالٍ ولا فى حبّها عَارُ

ويعجبنى قوله(١) :

أدور ولولا أن أرى أمّ جعفر بأبياتكم ما دُرْتُ حيثُ أدور
وما كنتُ زوّاراً ولكنّ ذا الهوى إذا لم يُزَرْ لابدَّ أن سيزورُ
لقد منعَت معروفَها أمُّ جعفر وإنى إلى معروفها لفقير

ويعجبنى قوله(٣) :

كم من دنىّ لها قد صرتُ أَتبعُه ولو صحا القلبُ عنها كان لى تبَعا
لا أستطيع نُزوعا عن محبّتها أو يصنع الحبُّ بى فوق الذى صنعا
أَدْعُو إلى هَجْرِها قلبى فيَتْبَعنى حتى إذا قلتُ هـذا صادقٌ نزَعا
وزادنى رغبة فى الحب أن منعَتْ أَشْهَى إلى المرءِ من دنياهُ مامُنعا

وقوله(٤) :

إذا أنت لم تعشَقْ ولم تدرِ ما الهوى فـكُنْ حجراً من يابس الصخر جَلْمَدا

---

(١) زهر الآداب : ٣٥٠ ، الأغانى ٩ـ٢٥ . (٢) فى زهر الآداب : أكثر .
(٣) زهر الآداب : ٣٥٠ . (٤) الأمالى : ١ـ٣٣ ، اللآلى : ١٤٣ .

وما العيشُ إلاّ ما تلذُّ وتشتهى ... وإن لام فيه ذو الشنان وفَنَّدا
وإنى لأَهواها وأَهْوَى لقاءها ... كما يشتهى الصادِى الشرابَ المبرَّدَا
علاقة حبٍّ لجَّ فى سنَنِ الصِّبا ... فأَبلى وما يزدادُ إلا تجدُّدا

هذان البيتان ألحقهما الضبى[1] وغيره بهذا الموضع من شعر الأحوص ، وأنشدهما أبو بكر بن دريد لأعرابى[2] .

فقال لها كُثيّر : والله لقد أجاد فما استجفيتِ من قولى ؟ قالت : فذلك قولك[3] :

وكنت إذا ما جِئْت أجلَلْنَ[4] مجلسى ... وأظهَرْنَ منى هيبة لا تجهُّما
يحاذِرْنَ منى غيرةً قد عَرَفْنَها ... قديماً فما يضحكن إلاّ تبسُّما
تراهنّ إلاّ أن يؤدين[5] نظرةً ... بمؤْخَر عَيْنٍ أو يُقلّبن معصما
كواظم ما ينطِقْنَ إلا مَحُورَةً[6] ... رجيعة قول بعد أن تتفهما
وكنّ إذا ما قُلْنَ شيئاً يسرّه[7] ... أَسرَّ الرضا فى نفسه وتَحرَّمَا

وقولك[8] :

وددت وبيتِ الله أنك بَكْرَة ... هِجان وأنى مُصْعَب ثم نهربُ
كلانا به عُرٌّ[9] فمن يرنا يَقُلْ ... على حسنها جرباء تُعْدِى وأَجْرَبُ
نكون لذى مالٍ كثير مغفّل ... فلا هو يرْعانا ولا نحن نُطْلَبُ
إذا ما ورَدْنا منهلا صاح أهلُه ... علينا فما ننفكّ نُجْفَى[10] ونضرَبُ

ويحك ؟ ! لقد أردت بى[11] الشنعاء ، ما وجدت أمنية أوطأ من هذه ؟ فخرج من عندها خجلا .

***

(١) فى زهر الآداب : العتبى . (٢) ارجع إلى اللآلى : ١٤٣ فى نسبة هذه الأبيات .
(٣) الشعراء : ٤٩٤ . (٤) فى ط : أجلس .
(٥) فى زهر الآداب : يخالسن . (٦) المحورة : الجواب . (٧) فى ط . بسترة .
(٨) الموشح : ١٥٥ . (٩) العر : الجرب . وفى ط : عدو .
(١٠) فى زهر الآداب : نؤذى . (١١) فى ط : فى .

من النقد

وكثيّر إن قبح فى هذا فقد ملح فى قوله[(١)] :

فليت قَلُوصى عند عزّة قيِّدَتْ	بقيد[(٢)] ضعيفٍ غُرَّ[(٣)] منها فضَلَّتِ
وغودِر فى الحىّ المقيمين رَحْلُها	وكان لهـا باغ سواى ونَدّت[(٤)]
وكنتُ كذى رجْلين رجل صحيحة	وأخرى[(٥)] رمى فيها الزمانُ فشَلَّتِ
وكنتُ[(٦)] كذات الظَّلْع لمَّا تحامَلت	على ظَلْعها بعـد العِثار استقلَّتِ
أريدُ ثَواءً[(٧)] عندها وأظنُّها	إذا ما أطَلْنَا عندها المـكثَ مَلَّتِ

حمق كثير

وكان كثيّر على حدة خاطره وجَوْدَة شعره أحمقَ الناس . ودخل عليه نفر من قريش يعودونه وهو عليلٌ ويهزءون به؛ قال بعضهم فقلت له : كيف تجدك ؟ قال: بخير. ثم قال : هل سمعتم الناسَ يقولون شيئا ؟ قلت : نعم سمعتهم يقولون : إنك الدجال . قال : أما لئن قالوا ذلك إنى لأجِدُ فى عينى اليمنى ضعفا مذ أيام .

[من نوادر الحمقى والممرورين]

قال الجاحظ : حدثنى ثمامة بن أشرس قال : كان ممرور[(٨)] يأتى ساقية لناسحَراً فلا يزال يمشى مع دَابتها ذاهباً وراجعاً فى شدَّة الحر والبرد ، فإذا أمسى توضّأ وصلى وقال : اللهم اجعل لنا من هذا الهمّ فرجا ومخرجاً، ثم انصرف إلى بيته ؛ فكان كذلك إلى أن مات .

قال[(٩)] وحدثنى ثمـامة قال : مررتُ فى غِبِّ مطر ، والأرض ندّية ، والسماء مغيّمة ، والريح شمالية ، وإذا شيخٌ أصفر كأنه جرادة ، وقد جلس على قارعةِ الطريق وحجّام زنجى يَحْجُمه ، وقد وضع على كاهله وأخدعيه مِحْجَمة كأنها قعب وقد مصّ

---

(١) الأغانى : ٩ـ٣٠ ، الأمالى : ٢ـ١٠٧ . (٢) فى الأمالى : بحبل. (٣) فى الأغانى : بان . (٤) فى الأمالى : نُبلت . (٥) فى الأمالى : ورجل . (٦) فى ط : وكانت .
(٧) فى الأمالى : الثواء . (٨) الممرور : من غلبت عليه المرة . والمرة : مزاج من أمزجة البدن . (٩) العقد الفريد : ٦ـ١٦١ ، عيون الأخبار : ٢ـ٥٢ .

دمه حتى كاد يستفرغه . قال : فوقفت عليه وقلت : ياشيخ ، لِمَ تحتجم فى مثل هذا اليوم ؟ فقال : لمكان الصَّفَار الذى فىَّ .

[من علامات الحمق]

قال الجاحظ : ما رأيت رجلا عظيم اللحية إلاّ وجدته كَوْسَج العقل[١] .

وقالت أعرابية لقاض قضى عليها : عَظُم رأسك، فبعُدَ فهمك؛ وانسدلت لحيتك، فانشمر عقلك ، وما رأيت ميّتا يَقْضِى بين حيين قبلك .

وعاب كوسج ألحى[٢] ، فقرأ : والبلد الطيب يخرجُ نباتُه بإذن ربه والذى خَبُثَ لا يخرج إلا نكداً. فقرأ الكوسج : قل لايستوِى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرةُ الخبيث .

قال[٣] هشام بن عبد الملك[٤] يوماً فى مجلسه : يعرَفُ حمْقُ الرجل بخصال أربع : بطول لحيته ، وشناعة[٥] كنيته ، ونقش خاتمه ، وإفراط شهوته . ثم رمى بصره إلى رجل طويل اللّحية فى أقصى المجلس فدعا به . فقال : هذه واحدةٌ ، ثم سأله عن كنيته فقال : كنيتى أبو الياقوت الأحمر . فقال : وما نَقْشُ خاتمك ؟ قال : وتفقد الطير ، فقال : مالىَ لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين .

وخرج مهزم بن الفرج القبعسى[٦] فقال : أيها الأمير ، إنى قد قلت بيتاً ، وأنشد :

كفى حزنا أنّ الفراء كثيرة ... وأنى بمَرْوِ الشاهجان بلا فَرْوِ

فقال طاهر : هذه والله قافية شرود ، أجيزوا ؛ فأرتِجَ عليهم . فقال مهزم : أنا أولى بإجابة نفسى . وقال :

صدقت لعمرى إنها لكثيرة ... ولكنها عند الكرام أولى الثرو

فضحك طاهر ، وقال : أما لئن أغفلناك[٧] حتى حملناك على سوء القولِ لنفسك سنستدرك ، وأمر له بعشر أثواب من وبر الخزّ والوَشْى ؛ فباع منها تسعاً بتسعين ألف درهم وأمسك واحدة .

---

(١) الكوسج : الذى لاشعر على عارضيه . (٢) فى هامش ط : الصحيح : عاب ألحى كوسجا . (٣) العقد الفريد : ٦ــ١٥٠ . (٤) فى ط : بن عبد الله ، وهذه رواية العقد الفريد . (٥) فى ط : وشناع . (٦) هكذا بالأصل. (٧) فى ط : أعقلناك .

[من الأجوبة المضحكة]

قال الجاحظ : كان جعيفران الموسوس يُماشِى رجلا من إخوانه على قارعة الطريق ، فدفع الرجلُ جعيفران على كلب فقال : ماهذا ؟ قال : أردت أَنْ أقرنك به . قال : فمع مَنْ أنا منذ الغداة .

شرب طوقان المغنى عند الشريف الرضى فسُرِق رداؤه ، فلما أصبح افتقده ؛ فقال : قد سُرِق ردائى . فقال له الشريف : سبحان الله ! مَنْ تتهم منّا ؟ أمَا علمتَ أن النبيذ بساط يطْوَى عليه[1] . فقال : انشروا بساطكم حتى آخذ ردائى واطووه إلى يوم القيامة .

ودخل رجل أَكُول على قوم ، فأكل أكْلاً ذَرِيعاً . فقال أحدهم[2] : عجبت من أَكْلِه وسرْطِه[3] . وقال الآخر : وشقه دجاجة ببطة[4] ، وقال آخر : وأَكْله دجاجة وبطة . وقال آخر : كأَنّ جالينوس تحت إبطه .

فقالوا له : أماالذى قلناه فمفهوم ، فما معنى قولك : كأَنّ جالينوس تحت إبطه ؟ قال : لكى يناوله الجوارشن[5] لئلا يتخم .

قيل لمخنث: كم ورِثَتْ أختُك من زوجها ؟ قال : أربعةأشهر وعشراً ـ يريدالعدة .

قال بعض العلويين لأبى العيناء : يقتضى ـ وقدأُمِرتَ بالصلاةعلىّ ـ أن تقولَ :اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد . قال : نعم ! فإذا قات : الطيبين الأخيار خرجتَ أَنْتَ منهم.

أخذه يزيد بن محمد المهلبى فقال فى صاحب الزنج بالبصرة :

أيها الخائنُ الذى دَمَّر البصـ ــرةَ أَبْشِر من بعدها بدَمارِ
إنْ تَقُلْ جَدّى النبىّ فما أنـ ـت من الطيبين والأخيار
قدنفى اللهفى الكتاب ابْنَ نوح حين كان ابنُه من الكفار

وإنما قال المهلبى هذا له قبل أن ينكشف أمرُه أنه دعىّ .

(١) فى ط : يطوى ماعليه (٢) العقد الفريد : ٦ـ٢٠٧ . (٣) سرط : ابتلع : وفى ط : وشرطه . (٤) فى العقد الفريد : والفه دجاجة ببطة، وفى ط : وشقه دجاجة وقطة .
(٥) فى ط : الجوار شفات ، وهذه رواية العقد الفربد .

[صاحب الزنج]

قال أبو بكر الصولى : وحدثنى محمد بن أبى الأزهر[١] وقد أذكرته[٢] خبرَ على ابن محمد صاحب الزنج ، فقال : ادّعى أنه على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علىّ بن الحسين بن على رضوان الله عليهم ، فنظرت مولده ومولد محمد بن أحمد الذى ادّعاه فكان بينهما ثلاث سنين ، وكان لمحمد بن أحمد ولدٌ اسمه على مات بعد هذا المدعى اسمَه ونسبَه بزمان ، ثم رجع عن هذا النسب فادّعى أنه على بن محمد بن عبد الرحمن[٣] ابن رحيب بن يحيى المقتول بخُراسان[٤] من زيد بن على . قال أبو عبد الله[٥] محمد ابن على بن حمزة : لم يكن ليحيى ولد يقال له رحيب ولا غيره لأنه قُتل ابن ثمانى عشرة سنة ولا ولد له . وقال بشر بن محمد بن السرى بن عبد الرحمن بن رحيب : هو ابن عم أبى لَحاً[٦] وهو على بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ، ورَحيب رجل من العجم من ضياع الرى . وكانت مدته من حين نجم[٧] إلى أن قُتل أربع عشرة سنة ، وجملة من قتل ألف ألف وخمسمائة ألف ، وله شعر حسن مطبوع ، وزعم أبو بكر بن دريد أنه عمل له أكثره وما أرى هذا يصح ؛ لأنه لا يشا كلُ طريقَ ابن دريد ، فمنه :

من شعره

ماتُغطِّى عساكرُ الليلِ منِّى ... ماتجلِّى مضاحِكُ الصبحُ عنِّى

جسم سيف فى جوف غمد ثيابٍ ... صدر إنسٍ من تحته قَلْبُ جنِّى

مَيْت حس وحىّ نَفْس كما الشمـ ... ـس يرى مشيها بعين التظنّى

شمّرىّ[٨] إذا استقلّ بعزمٍ ... لم يُعرّج بلَيْتَنى ولو انّى

ماينال الكرَى سويداه إلاّ ... حسوة الطائر الذى لا يُثنِّى

إنْ رَماهُ خَطْب قرَى الخطبَ رأىٌ ... فيه روع النَّجا وحُكْمُ التأنِّى

---

(١) زهر الآداب : ٢٨٧ ، الطبرى : ١١ ـ ١٧٤ . (٢) فى زهر الآداب : وقد ذاكرته .
(٣) فى بعض نسخ زهر الآداب : بن عبد الرحيم . (٤) فى زهر الآداب : ابن .
(٥) فى زهر الآداب : أبو عبيدة . (٦) فى ط : هو ابن عمر من أهل محا ، وهذا من زهر الآداب . (٧) نجم : ظهر ونشأ . (٨) ماض فى الأمور .

كم ظلام جعلته طيلسانى ... صاحبى هِمَّتى وقلبى مِجَنِّى
كم حبال قطعت فى وَصْلِ أخرى ... تاركاً ماأخاف مِنْ سُوءِ ظَنّى
مستخفّ بذا وذاك وهذا ... لم أُسمع ندامتى قَرْعَ سِنِّى
أنا رَوْضُ الرَّبيع فى كل زَهْرٍ ... فيلسوف الزَّمان فى كل فن

وقال :

لقد علِمَتْ هاشمٌ أَنّنا ... صِباحُ الوُجوهِ غَدَاةَ الصِّياحْ
وأَنَّا إذا زعزَعَتْ فى الوغى ... ذُيول الرِّياحِ ذبول الرماح
نسوق السُّيُوف بدفع الحُتوف ... وننكى الجراحَ بكفّ الجراحْ
ونسمو سَماحاً أكفّ السَّماح ... بقسم رماح وبيض صفاح
وقرم صبحناه فى دَارِه ... بكل أقبٍّ ونَهْدٍ وقاح
فغودر بعد عناق الملاح ... ضجيع النَّجيع مراح الجراح
كَلْيلِ الأنين مذال الجبين ... مهين السِّلاح مَهِيض الجناح
صلى نورَ عينى بنور الأقاح ... وراح الأكفّ بماء وراح
فما طول عشق مزاح الملاح ... بمشتغل عن صياح الصباح

وقال :

أَسمعانى الصياحَ بالإمْليس ... وصياحَ العَيْرَانة العيطموسِ(١)
واترُكَانى من قرع مزهر ريا ... واختلاف الكئوس بالخندريس
ليس تبنى العُلاَ بذَاك وهذا ... لكن الضرب عندأزم الضروس
عيّفت(٢) عن كل اللبانات نَفْسِى ... وسَمَتْ نحو غير ذاك حُدوسى
وخلا من هواجس النأىِ قلبى ... كخلوّ الطلولِ بعد الأنيس

---

(١) الأمليس : الفلاة ليس بهانبات . والعيرانة من الإبل : الناجية فى نشاط . والعيطموس : التامة الخلق من الإبل والنساء .

(٢) فى الأصل عوفت ، وبالهامش : لعلها (عوقت) بالقاف ، وأظن تلك عيفت .

واسبطرّت جمالق القوم ِ للموْ ت وصارت نُفوسُهم فى الرُّءوس

رب سيد يحمى الخميس بعَضْبٍ ويجلى ظلام ليل الخميس

عمّمته يُمنى يدىّ بعَضْب تركَتْ جَنْبَه كجنب العروس

تخبرَنْك الكُماةُ عن غَدَواتى فى غَداة الوغى أَبا قابوس

فسلُوا عامراً وعارض لمّا أن لَقُوا بالفُجور والتدليس

أتَرونى أقرّ بالنَّوْم غمضاً ياعبيد الصليب والناقوس

وقال :

وإنا لتُصْبح أسيافُنا إذا مااصطبحنا بيوم سفوك

منابِرهن بطون الأكف وأغمادهنّ رءوس الملوك

ومالى فى الخلق من مُشْبهٍ ولافى اكتساب العُلاَ من شريك

وقال يخاطب بنى العباس[1] :

بنى عمنا لاتوقدوا نارَ فتنة بَطىء على مرِّ الليالى خمودُها

بنى عمّنا إنا وأَنتُمْ أَناملٌ تضمنَّها من راحتَيْها عُقودُها

بنى عمّنا ولَّيتُم التُّركَ أمرَنا بديئا وأعقابا ونحنُ شُهودها[2]

فأُقسم لا ذُقْتُ القراحَ وإن أذُقْ فبُلْغَة[3] عيش أو يُبَار[4] عميدها

وقال[1] :

لهف نفسى على قُصور ببغدا دَ وما قد حَوَتْه من كل عاصِ[5]

وخمور هُناكَ تُشْرَبُ جَهْرًا ورجالٍ على المعاصى حِرَاصِ

لَسْتُ بابْنِ الفواطمِ الزُّهْرِ إن لم أُقْحِم الخيلَ بين تلك العِرَاص

وقتله الموفق بعد أن جرت له معه مواقعة عظيمة ، وجرحَ الموفق جرحاً فى صدره أشرف منه على الموت ، ولذلك قال ابنُ المعتز :

---

(١) زهر الآداب : ٢٨٨ . (٢) فى زهر الآداب : ونحن قديما أصلها وعمودها .

(٣) فى ط : ببلغة . (٤) فى زهر الآداب : أو يباد. (٥) فى ط : من كل خاص.

شقَّ الصفوف بسيفه وشفى حزازات الإِحَنْ
دامى الجراح كأنها وَرْدٌ تفَتَّحَ فى غُصُنْ

[رجع إلى النوادر]

قال الجاحظ : سمعتُ رجلا يقول لآخر : ضربنا الساعة زنديقاً . قال : وأى شىء الزنديق ؟ قال : الذى يقطع المزيقة[1] . قلت : وكيف علمت أنه يقطع المزيقة ؟ قال : رأيته يأكل التين بالخلّ .

وهذا كما قال النظام لرجل : أتعرِف فلاناً المجوسى ؟ قال: أعرفه ، ذاك الذى يحلق وسط رأسه مثل اليهود . قال : لا مجوسياً عرفت ولا يهوديا وصفت .

باع مزيد المدينى دابة ، فلما كان من الغد أتاه النخاسون طمعاً ، فلما نظر إليهم قد أقبلوا نحوه قام يصلى فأطال الصلاة ، فقالوا له ـ وهم لا يعرفونه : يا عبد الله ؛ قد ذهب يومُنا ، فأطمعهم طولُ قيامه ، وكان أحسنَ الناس سَمْتاً وأظهرهم هَدْياً ، فانفَتَلَ من صلاتِه فقال : ما بالكم[2] ؟ فقد قطعتم علىَّ صلاتى . فقالوا له : قد ظهر بالدابة عَيْب . قال : وما عيبُه[3]؟ قالوا : يخلع الرسَن . قال : لا أعرفه بهذه الصفة ؛ فماذا تريدون ؟ قالوا : خصلة من ثلاث ؛ إما الحطيطة ، وإما ردّ الثمن وأخذ الدابة ، وإما اليمين بالله أنك ما تعرفُ هذا فيه .

فقال: أما الثمنُ فقد فرقناه ، وأما الحطيطة فما تمكننا ، وأما اليمين فإنّى ما حلفتُ قطّ على حق ولا على باطل ، فأعفونى منها ؛ فإنها أصعبُ الخططِ عندى . قالوا : مامن ذلك بدّ ؛ فانطلِقْ بنا إلى الوالى . فقام معهم ، فلما بصر به الوالى ضحك ، وقال : ما جاء بك أبا إسحاق؟ فقصَّ عليه القصة . فقال : قد أنصفك القومُ . فقال :

(١) المزقة ـ بالضم : طائر صغير . وبالكسر : قطعة من الثوب وغيره .
(٢) فى ط : ماعدا لكم ، ولم نقف على معناها . (٣) الدابة : تقع على المذكر .

أعز الله الأمير ، أحلف وأنا فى هذه السن ، وضرب يده على لحيته وبكى . وقال : ماحلفت على حقّ ولاعلى باطل والْتوى . قال: لابد ، فالتوى ساعة ؛ ثم قال : أصلح اللهُ الأميرَ فإنْ حملْتُ نفسى على اليمين وحلفت وأعنتونى بعد ؟ قال : أوجعهم ضرباً ، وأحبسهم . فلما سمع ذلك استقبل القبلة وقال : بلغت السماء ، وكوّرت الشمس ، ونثرت الكواكب ، وشربت البحر ، ولطمت مافى المصحف من الذكر الحكيم ، وتوليت عاقرَ الناقة ، وسرقت عصا موسى عليه السلام ، ولقيت الله بذَنْبِ فرعون يوم قال : أنا ربكم الأعلى ؛ وغير ذلك من محرج الأيمان ، لقدكان عندى دوابّ كلها تخلَعُ أرسانها ، فكان هذا الحمار يقوم فيعيدُها عليها ويصلِحُها بفمه قليلا قليلا . فضحك الوالى حتى فحص برجليه ، وبُهِتَ النخاسون ، وعجبوا منه وانصرفوا عنه .

وقال بعض الشعراء :

سألونى اليمين فارْتَعْتُ منها ... كى يُغرُّوا بذلك الإرْتياعِ
ثم أرسلتُها كمنْحَدرِ السيـ ... ـل تهادَى من المحلِّ اليفَاعِ

[قاض دفع مالا لمن توجّه إليه باليمين]

ومن ظريف ما فى هـذا الباب ما حكاه الصولى قال : كنت يوماً بين يدى أمير المؤمنين الراضى بالله إذ دخلَ عليه بعضُ الخدم برقعة دفعها صاحبُ الخبرِ اللازم لمجلس أبى عمر القاضى ، يذكر أنَّ رجلا أحضر خصما للقاضى ، وادَّعى عليه مائة دينار؛ فألزم القاضى الغريمَ اليمين؛ إذ لم يجد الخصمُ بيّنة ؛ فأخذ الدواة وكتب بيتين فدفعهما إلى القاضى ، فأمر القاضى غلامَه فأحضر مائة دينار ودفعها إلى الرجل ، والبيتان هما :

وإنى لذو حَلِفٍ كاذب ... إذا ما اضطررت وفى الأمرِ ضيقْ
وهـل من جُنَاحٍ على مسلمٍ ... يدافعُ بالله مالا يُطيق

فعجب الراضى من الرجل وديانته ، لخلاصه من الحكم ؛ وعجب من كرم القاضى وحُسْنِ مافعله ، ثم أمرنى بالركوب إلى القاضى ومسألته فى البحث عن صاحب البيتين

وإحضاره إليه . فلم نزل أياماً حتى حصل لنا ، فجئنا به إلى دار السلطان ، فأمر له بألف دينار وخمس خِلَع ومركوب حسن ، وأمره بملازمة الدار ؛ ثم قلّده الأهواز وأعمالها .

[من نوادر اللصوص]

وخرج أبو سعيد الحربى مرة وهو شاربٌ ، فجلس يبول وعليه طيلسان خَلَق إبريسمى ، فمرَّ به بعض المكارين فى الليل ، وتناول طَيْلسانه ، فصاح به أبو سعيد : فقال له الفتى : ما تُرِيد ؟ قال : أصرف الله عنك الأذى .

ودخل على أبى سعيد اللصوص فأخذوا كلَّ مافى داره ، فلما مضوا حمل أبوسعيد البارية ومضى فى أثرهم فنظر إليه أحدُهم فقال : أى شىء تصنع معنا ؟ قال : نطلب بيتاً نتحوّل فيه بمرة ، فضحك اللصوص وردُّوا عليه ما أخذوه منه .

[من نوادر الأطباء]

وكان ببغداد طبيب اسمه نعمان لاينجحُ مريض على يديه، فقال فيه بعض الشعراء :

أقول لنعمانٍ وقد ساق طبُّه ... نفوساً نفيسات إلى داخلِ الأرض

أبا منذر أفنيت فاستبْقِ بعضَنا ... حنانيك بعضُ الشر أهونُ من بعضِ

البيت لطرفة بن العبد .

وقال كشاجم لعيسى بن نوح النصرانى :

عيسى الطبيب ترّفق ... فأنت طوفانُ نوح

يأبى علاجُك إلاّ ... فراق جِسْمٍ لروح

شتّان ما بين عيسى ... وبين عيسى المسيح

هذاك محىٍ لمَيْتٍ[1] ... وذا مميت صَحِيح

---

(١) فى ط : محي ميت .

هذا منقولٌ من قول رجل من بنى تميم ، لما دخل هلال بن أحوز البصرة بعد إيقاعه ببنى المهلّب ، وقد أطافَتْ به بنو تميم ، فقال شيخ من الأزد : رجالهم يطيفون به كما يطيفون بعيسى ابن مريم . فقال التميمى : هذا ضد عيسى ابن مريم ؛ فإن ذاك يحى الموتى وهذا يميت الأحياء .

[من نوادر الفقهاء]

قال رجل للشعبى : ما تقول فى رجل أدخل أصبعه فى أنفه فخرج عليه دمٌ ، أترى له أن يحجم ؟ فقال : الحمد لله الذى نقلنا من الفقه إلى الحجامة .

وقال له رجل : ما تقولُ فى رجل شتمنى فى أول يوم من شهر رمضان ، أتراه يؤجر ؟ قال: إن قال لكِ يا أحمق رجوت له ذلك .

دخل زاهر بن العلاء على الحجّاج فنسى التسليم ، فقال : التحياتُ لله الطيبات الصلوات لله . ثم ذكر التسليم فقال : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته .

[من طرف المعزين]

ودخل بعض الهاشميين عل الرشيد معزّيا . فقال : ياأميرَ المؤمنين ، أحسنَ اللهُ عزاكَ ، وربك عزّاك ، وأحاله علينا وعليك بخير ، ورحم فلانا ولا عرفه قليلا ولا كثيراً ، تأمر بشىء يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ! آمر أهلك أن يدفنوك ؛ فإنّ موتك حياةٌ وحياتك موت .

مات أخ لأبى علقمة النحوى، فأتى ابنُه يُعْلِم أباعلقمة بموت أخيه. فقال : ما كانتْ علَّته ؟ فقال الغلام : تورمت رجلاه فانتهى الورمُ إلى ركبتاه . فقال أبوعلقمة : لحنت؛ فقل : إلى ركبتيه . فقال الغلام : لقدشق عليك موتُ ابى حيث لم تدع بُغْضَك ساعة!

(١) عيون الأخبار : ٢ ـ ٥١ .

[من نوادر المحبين]

ومرّتْ(١) بداود بن المعتمر امرأةٌ جميلة ، فقام يتبعها حتى أدركها . فقال : لولا ما رأيتُ عليكِ من سيماء الخير لم أتبعك، فضحكت حتى استندت إلى الحائط . فقالت: إنما يمنع مثلك من الطمع فى مثلى ما يرى من سيماء الخير ، فإذا كان هذا هو الذى يطمع فى النساء فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وتعشّق أبو القماقم السقاء قينة فبعث إليها : حضر عندى إخوان فابعثى إلىَّ بجام لوزينج آكلُه على ذكرك . فبعثت إليه به .

فلما كان من الغد بعث إليها : أرسلى لى بطبق مازاورد آكلُه على ذكرك . فقالت: جعلت فداك ، ذكروا أن منبع الحب من القلب، فإذا تناهى بلغ إلى الكبد ، وأنا أرى حبك لا يتجاوز معدتك . فقال : إنما فعلت هذا لأقوى على محبّتك ، ألم تسمعى قول الشاعر :

إذا كان فى قلبى طعام ذكرتُها ... وإن جُعْت لم تخطر ببالى ولا فكرِى

وإن كان هذا العام قد قلَّ بقله ... فيقبح مَنْ يهواك يا ربّة الخدر

ويزداد حبّى إن شبعت تجدّداً ... وإن جعت يوماً لم تكونى على ذكرى

ومن مليح مافى هذا الباب أن أبا مسعود الأعمى كان جالسا فى صحنِ داره ، فأشرفت عليه جاريةٌ ظريفة ، فعضّت تفاحة ورمت بها فى حجره . فتناولها وقال :

أيا تفاحة رمّت ... فؤادى للهوى رمّا

لقد أهداك إنسان ... وأهداك لأمرٍ ما

ليهدى لاعجَ الشوق ... إلى مَنْ عَضَّ أو شمّا

فلم تكن إلاساعة حتى وافتْ جاريةٌ لها ، معها جام لوزينج وهى تقول : مولاتى تُقرئك السلام وتقول لك : قد سمعتُ شِعْرَك ، ورأيتُك بدأتَ بالعضّ قبل الشمّ ،

فعلمت أنك جائع ؛ فتبلّغ بهذا الجام حتى يدرِكَ طعامنا . قال : وكيف كنت أقول ؟ قالت: كنت تقول :

أيا تفّاحةً رَضّت فؤادى للهوى رَضّا
لقد أهداكِ إنسانٌ وأهداكِ لما يرضى
لِيُهْدِى لاعجَ الشوق إلى مَنْ شمّ أو عضّا

***

ابن أبى طاهر وجاريته

وكان أحمد بن أبى طاهر قبيحَ الوجه ، وكان له جارية من أحسن النساء ، فضحك إليها يوماً فعبست فى وجهه . فقال لها : أضحكُ فى وجهك فتعبسين فى وجهى ؟ فقالت : نظرتَ أنت إلى ماسرّك فضحكت ونظرتُ إلى ما ساءنى فعبست .

ابن حطان وامرأته

وليس هذا كقول حمرة امرأة عِمْران بن حِطّان ــ وكان قبيحا وكانت جميلة : إنى لأرجو أن نكون جميعا فى الجنة . فقال : ولم ؟ قالت : لأنك أُعطِيتَ مثلى فشكرت ، وأُعطيت أنا مثلك فصبرت ؛ فالصابر والشاكر فى الجنة .

وخُطبت بعده فلبست بعضَ ثيابه وخرجت تتمثّل بقوله :

تلبس يوماً عِرْسُه من ثيابه إذا قيلَ هـذا يا حميرة خاطِب

فانصرفوا عنها .

وصف ابن الرومى لجحظة

وكان أبو الحسين جحظة البرمكى أطيبَ الناس غناء ، وأحسنهم مجالسة ، وأمتعهم مؤانسة، وكان قبيحَ المنظر جدا جاحظَ العينين وفيه يقول ابن الرومى[1] :

نبئتُ جحظة يستعيرُ جحوظه من فيل شطرنج ومن سَرطان
يا رحمتى[2] لمنادميه تحملوا ألمَ العيون للذّةِ الآذان

---

(١) معجم الأدباء : ٢ــ١٤١ ، وفيات الأعيان : ١ ــ ٤١ .

(٢) فى الوفيات : وارحمتا.

[وعد بكفن بعد أيام !]

قال المدائني : جاء رجل[١] إلى جار له من الأشراف فقال له : جارُك فلان توفي ولا كَفَن له فتأمر له بكفن ، فقال : والله الآن ما عندي شيء ، ولكن تُعاودنا[٢] بعد أيام . قال : فنملحه أصلحك الله إلى أن يتيسّر الكفَن !

[دينار يلد]

وجدت امرأةُ أشعب ديناراً فأتته به، فقال: ادفعيه إلي حتى يَلدَ لك في كل أسبوع درهمين، فدفعته إليه، فصار يدفعُ إليها في كل أسبوع درهمين ؛ فلما كان في الأسبوع الرابع طلبته منه ، فقال لها : مات في النفاس ، فقالت: وَيْلي عليك ! كيف يموت الدينار ؟ فقال لها : الويل لك على أهلك ! كيف تصدّقين بولادته وتُنْكرِين موته في نفاسه ؟

* * *

أحدب يسقط في بئر

سقط أَحدب[٣] في بئر ، فذهبت حدَبَتُه وصار آدَرَ[٤] ، فدخل إليه جيرانُه يهنئونه ، فقال : لا تفعلوا فالذي جاء شرٌّ من الأول .

طرفة لجارية

قال ابنُ خالويه[٥] : استعرضت جارية فقلت لها : أبِكْرٌ أنت أم أيش ؟ قالت : أيش ، فاشتريتها .

[نوادر المعزين]

قال أبو العالية : لما مات سعيد بن سلم الباهلي قال لي الرشيد : علّم فلاناً تعزية يعزّي بها ولد سعيد — لفتى من بني هاشم .

فقلت للفتى : إذا صِرْتَ للقوم فقل : عظّمَ الله أجركم ، وأحسن عزاءكم ، ورحم سعيداً . قال : هذا طويل . فقلت فقل : أعظم اللهُ أجركم ، وختم بالصبر على قلوبكم .

---

(١) عيون الأخبار : ٢ــ٥٩ . (٢) في ط : تعاهدنا . وفي عيون الأخبار : ولكن تعودون . (٣) العقد الفريد: ٦ــ٤٤٣ . (٤) الآدر : من ينفتق صفاقه من جانبه الأيسر . (٥) نهاية الأرب : ٤ــ١٨ .

قال : هذا أَطول مِنْ ذاك . قال فقلت : أعظم الله أجركم ـ وكررته عليه يومين ، فلما كان اليوم الثالث ركب وركبنا معه ، فلما قرب من باب القوم خرجوا إليه حُفَاةً إعظاماً له ، فلما رآهم قال : ما فعل سعيد ؟ قالوا : مات ، قال : جيد وما أظن ذلك ، فإيش عملتم به ؟ قالوا : دفناه . قال : أحسنتم . ثم انصرف .

لما مات سليمان بن وهب لقى الناسُ عبيد الله بن سليمان يعزّونه ، فأتاه بعضُ أولاد الأشراف ؛ فقال : مات سليمان ؟ قال : نعم ! قال : ومات أبو على قبله ؟ قال : نعم ! قال : ومات أبوهما ؟ قال : نعم ! قال : هذا كما قال الله تعالى : وإنْ منكم إلا وارِدُها كان على ربك حَتْماً مقضيّا ؛ فأوردهم النار ، وبئس القَرار !

[بنو وهب من الظرفاء والكتاب]

وبنو وهب من ظرفاء الكتّاب وأدبائهم ، ولهم الرسائل الحسان، والشعر الجيد، وفيهم يقول أبو تمام[1] :

كل شَعْبٍ كنتم به آل وَهْبٍ ... فهو شعبى وشَعْبُ كلِّ أدِيبِ
إنَّ قلبى لكم كالكبد الحرْ ... رَى وقلبى لغيركم كالقلوبِ

الحسن بن وهب يهوى جارية

وكَلف الحسنُ بن وهب يهوَى بنان جارية ابن حماد ، وكان من ظريف أخباره معها : أنّ الواثقَ تقدّم إلى إيتاخ باتّخاذِ حُلّتين من رفيع الوَشْى على صفةٍ دفعها إليه وأمره بتعجيلهما ؛ فتقدم إيتاخ فى ذلك إلى سليمان بن وهب كاتبه ، فجدَّ فى الحلتين حتى فرغ منهما الصانعُ وأُحضِرتا ، فعُرِضَتا على الواثق فاستحسنهما وأمر بقطعهما[2] ، فتشاغل عن قطعهما[2] ، وسأل أخاه الحسن بالنيابة عنه فى ذلك ، فقطع الحسن منهما قميصاً لبنان وانصرف إلى منزله فأحضرها وخلَعه عليها وجلس يشربُ معها .

واتصل الخبرُ بسليمان ، فقامت عليه القيامة وأمر بإحضار الوشّائين[3] وطلب شكلا

---

(١) ديوانه : ٣٨ ، زهرالآداب : ٦٢٥ . (٢) هكذا بالأصل .
(٣) وشى الثوب : نمنمه وحسنه .

لها فتعذَّر عليه ، فابتاع حُلّتين تقارِبهما بخمسة آلاف درهم وصدق إيتاخ عن خبره، فطلبهما الواثقُ فدافعه إيتاخ بهما، وتعلّل عليه إلى أن فرغ الخياطون من الحلّة التى ابتاعها سليمانُ بن وهب ، وأحضرت للواثق ، فلما لبسها أنكرها ، ودعا إيتاخ فسأله عن السبب فصدقه ، فضحِكَ ضحكا كثيراً ، ودعا خادماً فأمره بإحضار الحسن وبنان على الصورة التى يجدُهما عليها ، فأحضرهما فى قُبّة، فلما رآهما الواثق قال للحسن : ويلك تأخذ ثوبى تقطعه لهذى بغير أمرى ؛ قال : أنت ياأمير المؤمنين تقدِرُ على مثله، وأنا لا أقدِرُ عليه ، وأنا والله أحِبُّها وأعجبنى الثوبُ فتقربت منها به . فضحك ووصله وصرفهما .

من شعره فيها

وفيها يقول الحسن[١] :

أقول وقد حاولتُ تقبيلَ كفِّها ... وبى رِعْدَةٌ أهتزّ منها وأسكنُ

ليهنئك أنى أشجعُ الناسِ كلّهم ... لدى الحربِ إلاَّ أننى عنك أجْبُنُ

وحضرَتْ عنده يوماً وقرب منها نارا فتأذّت منها ؛ فقال الحسن[٢] :

بأبى كرهت النارَ حتى أُبعِدتْ ... فعلمت ما معناكِ فى إبعادها

هى ضَرّةٌ لك فى التماع بهائها[٣] ... وهبوب نَفْحتها لدى إيقادها

وأَرى صنيعَك فى القلوب صنيعَها ... [بسَيَالها وأراكها وعرادِها[٤]

شركتك فى كل الأمور بفعلها][٥] ... وضيائها وصلاحها وفسادها

قال أبو فراس : قال لى عبيد الله بن سليمان بن وهب ـ وهو وزير : أنشدنى مما تحفظه من شعر عَمِّى أبى على فأنشدته :

بنفسى وأهلى ساحر الطرف فاتره ... محكّمة أجفانُه ومحاجره

فقال عبيد الله : لقد كان رحمه الله كثيراً ما يَضَع خدّه على خدى وأنا غلام وينشد هذا الشعر ويبكى . فقلت : يا سيدى ، كان يتعشقها ليقول شعرا . ومن طبع كلامه

---

(١) زهر الآداب : ٦٢٦. (٢) الأمالى: ١ــ١٧، اللآلى: ٥٠٦ ، زهرالآداب : ٦٢٦.

(٣) فى زهر الآداب : ضيائها . (٤) السيال : شجر سبط الأغصان .

(٥) من زهر الآداب .

قوله : شربت البارحة على وجه الجوزاء ، فلما انتبه الفجر نمت ، فما أفقت حتى لفحنى قميص الشمس .

[تضمين أبيات مالك بن الريب]

وأنشدونا فى تضمين أبيات مالك بن الريب المازنى فى قصيدته :

ألا ليت شعرى هــل أبيتنَّ ليلةً ... بذات الغضا أُزْجِى القلاَص النواجيا

وسمعت من ينشدها لابن الرومى وأَخْلِقْ بها أن تكونَ له :

تعرَّضَ لى بعد القطيعة مَالِكِى ... وأظهرَ فضلا بعــد ما كان جافيا

وقد كدّر الإنبات ماءَ شبابه ... فأصبح رَنقاً[1] بعد ما كان صافياً

فقلت له جرَّعت بالشعر نسوة ... فقال أَجَلْ كلّ العيال رثى ليا

فمنهن أختى وابنتاها وخالتى ... وباكية أخرى تهيج البواكيا

فبينا يعاطينى الكلام بدَاله ... حريفان[2] عن بعدٍ فصاحَ مناديا

خُذَانى فجرَّانِى بدمعى إليكما ... فقد كنت قبل اليوم صَعْبا قِيَادِيا

[معاوية بن مروان وحمار الرحى]

كان معاوية بن مروان أخو عبد الملك بن مروان مغفّلا ؛ فبينا هو واقف بباب دمشق ينتظرُ عبــد الملك على باب طحّان إذ نظر إلى حمار يدور بالرحى ، وفى عنقه جلجل . فقال للطحّان : لم جعلت فى عنق الحمار جلجلا . قال : لربما أدركتنى سآمة أو نعسة ، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت بأنه قد قام فصِحْت به . فقال له معاوية : أرأيت إن قام ومال برأسه هكذا وهكذا ـ وحرّك رأسه ، ما علمك أنه قائم ؟ فقال الطحّان : ومَنْ لحمارى بمثل عقل الأمير أعزه الله تعالى !

(١) رنقا : كدرا .   (٢) الحريف : من يعاملك فى حرفتك .

[فى مرض الجاحظ]

قال بعض البرامكة[١] : كنتُ بالسِّند، فاتَّصل بى أنى صُرفت عنها، وكنت كسبت ثلاثين ألفَ دينار ؛ فخِفْت أن يجفونى[٢] الصارف ويُسعى إليه بالمال ، فصُغْته عشرة آلاف إهْلِيلجة ، كل إهليلجة ثلاثة مثاقيل ، وجعلتها فى حمل إهليلج[٣] ، ولم أبعد أن جاء الصارف ، فركبت البحرَ وانحدرتُ إلى البصرة ؛ فأخبرت أنّ بها الجاحظ وأنه عليل ؛ فأحببت أن أراه قبل وفاته ؛ فصِرْت إليه ، فأفضيتُ إلى باب دار لطيف ؛ فقرَعْته ، فخرجَتْ إلىّ جاريةٌ صفراء ، فقالت : من أنْت ؟ قلت : شيخ غريب؛ أُحبّ أن أدخلَ إلى الشيخ فأُسرَّ بالنظر إليه ؛ فأدَّت الجاريةُ ماقلت ، وكانت المسافةُ قريبةً لقصر[٤] الدهليز والحجرة ؛ فسمعته يقول : مايصنَع بشقٍّ مائل ولعابٍ سائل ولون حائل[٥] ؟ فأخبرتْنى، فقلت: لابدّ من الوصول إليه . فقال : هذا رجل اجتاز بالبصرة ، فسمع بى وبعلّتى ، فقال : أراه قبل موته لأقولَ قد رأيت الجاحظ .

فدخلت فسلّمت ، فردّ ردًّا جميلا ، واستدنانى وقال : مَنْ تكون أعزك الله ؟ فانتسبتُ إليه ، فقال : رحم الله آباءك وقومك السمحاء الأجواد ، الفصحاء الأمجاد ، فلقد كانت أيامُهم رَوْضَ الأزمنة ، ولقد انجبر بهم قومٌ كثير ، فَسقْياً لهم ورعيا . فدعوت له وقلت : أنا أسأل الشيخَ أن ينشدنى شيئا من ألذ الشعر أذكره به ، فأنشدنى :

لئن قدّمَتْ قَبْلى رجالٌ لطالما ... مشيتُ على رِسْلِى[٦] فكنت المقدّما

ولكن رأيت الدهرَ تأتى[٧] صروفه ... فتُبْرِم منقوضاً وتَنْقُضُ مُبْرَما

ثم نهضت ، فلما قاربتُ الدهليز صاح بى : يافتى ، أرأيت مفلوجا ينفعه الإهليلج ؟

---

(١) زهر الآداب : ١٩٨ ، اللآلىء : ١٩٨ . (٢) فى زهر الآداب : يفجأنى .

(٣) الأهليلج: ثمر ، واحده بهاء ، ويظهر أنه صاغها على شكل هذا الثمر. وفى زهر الآداب : وجعلتها فى رحلى . (٤) زهر الآداب : لصغر . (٥) حائل : متغير .

(٦) على رسلى : على مهلى . (٧) فى ط : تأبى .

قلت : لا ! قال : أنا ينفعنى الإهليلج الذى معك فأَهْدِ لنا منه . فقلت : السمع والطاعة . وخرجت مفرِط التعجّب من وقوفه على خَبَرى حتى كأنّ بعض أحبابى(١) كاتَبه بحالِى وقت أن صُفْته ، فأنفذتُ إليه مائة إهليلجة .

***

كثرة بحث الجاحظ

وهذا يدل على كثرة بحثه وتنقيره ؛ إذ كان وهو فى هذه السن العالية والفالج الشديد تنشر عنده الأخبار ، ولا تطوى عنه الأسرار ، فكيف كان قبل هذا ؟

تأليفه كتاب الحيوان

ومن إحدى عجائبه أنه ألّف كتاب الحيوان وهو على تلك الحال .

كان الجاحظ يحسن كل شىء

وقيل لأبى العيناء : ليت شعرى ؛ أى شىء كان الجاحظ يحسن ؟ فقال : ليت شعرى أى شىء كان الجاحظ لا يحسن ؟ وفيه يقول الشاعر :

ولقد رأيتُ العلم يو ... ماً ماحواه اللاّفظ

حتى أقام طريقه ... عمرو بن بحر الجاحظ

بين أبى العيناء والجاحظ

وأتى أبو العيناء الجاحظ يسألُه فى رجل أن يكتبَ له كتاب عناية إلى صاحب البصرة . فقال : نعم ! لا تنصرف إلاّ به ، وكتب له الجاحظ الكتاب وختمه ودفعه إليه ، فأتى إلى أبى العيناء بالكتاب ؛ فقال : افضُضْه واقرأه علىّ ؛ لأرَى ما كتب وأعيدُه إليه ليختمه ، ففتحه فإذا فيه : كتابى إليك سألنى فيه من أخافُه لمن لا أعرفه ، فافعل فى أمره ما تراه ، والسلام .

فغضب ونهض إلى الجاحظ ، فقال : أعرّفك باعتنائى بهذا الرجل فكتبت له مثل هذا ! فقال : لا تنكر ذلك فإنها أمارة بينى وبينه إذا عنيت برجل . فقال : بل أنت ولد زنا لم تكن قط لِرِشْدَة . قال : أتشتمنى ؟ قال : لا ، إنها أمارة لى عند الثناء على إنسان .

[ومن نوادر المتنبئين]

ادَّعى رجل النبوة فى زمن المهدى وأدخل عليه . فقال : أنت نبىّ ؟ قال : نعم !

---

(١) فى ط : أسبابى .

قال : إلَى مَنْ بعثت . قال : أو تركتمونى أن أُبعث إلى أحد ؟ بعثت بالغداة وحُبِستُ بالعشى . فقال : صدقت ، أعجلناك ! وضحك منه ووصله وأطلقه .

[طمع أشعب]

قيل لأشعب : مابلغ من طمعك ؟ قال . مارأيت عروساً تُزَفّ إلّا وظننتها لى ، ولا رأيت جنازة إلّا وظننت أن صاحبَها أوصى لى بشىء . ولقد أطاف بى مرة صبيان فنادوا : ياأشعب ! ياأشعب ! فأضجرونى ، فدفعتهُم عنى بأن قلت لهم : دارفلان تُهب ، فبادروا . فلما وَلَّوْا ظننت أننى صادقٌ ، فتبعتهُم .

[من نوادر الولاة]

قال الشافعى : رأيت بالعراق أربعة أشياء لم أرَ مثلها ؛ رأيت جدّة بنت إحدى وعشرين سنة ، ورأيت قلنسوة قاضٍ وسعت ثمانية نوى ، ورأيت شيخاً ابن نيّف وتسعين سنة يمشى على القيان يعلمهنّ الغناء وضَرْبَ العود ، وإذا صلَّى صلى قاعداً ، ورأيت والياً سأل بَعْضَ من يلمّ به : لِمَ لايجتمعُ الناسُ على بابى ؟ فقال : لأنك عدل لاتضرب أحداً ؛ فوجَّه إلى إمام مسجد الجامع ، فأمر بضَرْبه بالسياط ؛ فاجتمع الناس على بابه وأقبلوا يتزاحمون ، والرجلُ يقول : ماذنبى أيها الأمير ؟ والأمير يقول له : جمّلنى بنفسك قليلا ياشيخ .

وولى الحجاج أعرابياً على تَبَالَة(١) فجمع أهلها وقال : إن الأمير أوصانى عليكم ؛ ووالله لاأُحْسِن أن أَقْضِى بين خصمين مرتين ، ووالله لا أوتى بظالم ولا مظلوم إلّا وضربته حتى أقتله ، فتناصف الناسُ بينهم .

---

(١) تبالة : بلد باليمن خصبة استعمل عليها الحجاج فأتاها فاستحقرها فلم يدخلها فقيل : أهون من تبالة على الحجاج .

[من ملح أبى الأسود]

قال المدائنى : كان لأبى الأسود الدؤلى دكّان إلى صَدْر الرجل يجلس فيه وحدَه ، ويضعُ بين يديه مائدة ويدعو إليها كل من يمرّ به ، وليس لأحد أن يجلس ؛ فينصرفون عنه .

وكان أبخلَ الناسِ، فمر به صبىٌّ من الأنصار ؛ فقال له أبو الأسود : هلمّ إلى الغداء يافتى ؛ فأتى إليه ، فلم يرَ موضعاً يجلسُ فيه ، فتناول المائدة فوضعها فى الأرض ثم قال : ياأبا الأسود ، إن كان لك فى الغداء حاجة فانزل ؛ وأقبل الفتى يأكلُ حتى أتى على جميع مافى المائدة ، وسقطت آخرَ الطعام من يده لقمةٌ على الأرض فأخذها وقال : لاأدعُها للشيطان . فقال أبو الأسود : والله ما تَدعُها للملائكة المقربين ، فكيف تدعها للشياطين ! ثم قال له : مااسمك ؟ قال : لقمان . فقال أبو الأسود : أهلك كانوا أعلم زمانهم إذ سَمَّوْك بهذا الاسم . ولم يَعُدْ بعدُ إلى ما كان يصنع .

أبو الأسود وبعض أخباره

واسم أبى الأسود ظالم بن عمرو[1] من بنى الدُّئِل من كنانة ، وكان قد أدرك حياة النبى صلى الله عليه وسلم، وسافر إلى البصرة على عهد عمر رضى الله عنه ، واستعمله على بن أبى طالب رضى الله عنه على البصرة وكان شيعيًّا ، وهو أولُ من وضع العربية وهو القائل :

أمنت على السرِّ امرءًا غيرَ حازم ... ولكنه فى الودّ غير مريب

أذاع به فى الناسِ حتى كأنه ... بعلياء نار آذَنَتْ بثقوب

وما كلُّ ذى لب بمؤتيك نُصْحَه ... وما كل مُؤتٍ نصحَهُ بلبيبِ

ولكن متى ما جمّعا عند واحد ... فحقّ له من طاعة بنصيب

وكان مجاوراً لبنى قُشَيْرٍ ــ وهم عثمانية ــ وكانوا يرجمونه ، فإذا أصبح شكاهم ؛ فيقولون : مانحن رجمناك ، الله تعالى رجمك . فيقول : كذبتم يافعلاء ، أنتم ترمون

---

(١) فى ط : عمرو بن ظالم ، وهذا من الأدباء ١٢ــ٣٥ وإنباه الرواة : ١٣ والأعلام للزركلى . والدئل : بكسر الهمزة وضمها ، كما فى القاموس .

فتخطئون ولو كان الله رمانى ماأخطأنى ؛ ثم باع داره وانتقل عنهم . فقيل له : أبعتَ دارك ؟ فقال : بل بعتُ جارى ، وفيهم يقول[١] :

يقول الأرذلون بنو قُشَير طوَالَ الدهر ماتنسى عليًّا
أحبّ محمداً حبًّا شديداً وعباسا وحمزةَ والوصيّا
فإن يك حُبّهم رشدا أُصِبْهُ ولست بمخطىءٍ إن كان غيًّا

فقالوا له : أشككتَ ؟ فقال : مما شكّ الله تعالى إذ يقول : وإنا أو إيا كم لعلى هُدًى أوْ فى ضلالٍ مبين .

وقال عمر بن شبّة : لمّا وقعت الفتنة أيام ابن الزبير بالبصرة مرّ أبو الأسود على مجلس ابن قُشير . فقال : على ماذا أَجمع أمركم فى هذه الفتنة ؟ قالوا : لِمَ تسألنا ياأبا الأسود ؟ قال : لأُخالفكم ، فإنّ الله لم يجمعكُم على حق .

وأنشد ابن شبّة فى هذا المعنى لبعض المحدثين :

إذا أشبه الأمران يوماً وأشكلا علىَّ فلم أعرف صواباً ولم أدر
سألت أبا بكر خليل محمـد فقلت له ماتستحبُّ من الأمر ؟
فإن قال قولا قلتُ شيئاً خلافَه لأنّ خلافَ الحق قول أبى بكر

[رسالة أبى العيناء فى أحمد بن الخصيب]

ومن هنا أخذ أبو العيناء قوله فى أحمد بن الخصيب[٢] : لو تأمّل أحدٌ أخلاقَه فاجتنبها لاستغنى عن الآداب يطلبها .

وهذا مما يقرأه أبو العيناء فى كلام طويل عمله على ألسنة القوّاد والكتاب والرؤساء وغيرهم لما نكب أحمد . فقال : قال محمد بن عبد الله بن طاهر : غدر بمن آثره وتخطّى مالا يقدره ، فحلّ به مايحذره .

وقال ابن طالون : تكبَّر وتجبَّر ودبّر فدمّر . وقال موسى بن بغا[٣] الكبير : لولا أن القدر يغشى البصر لمانهى ابنُ الخصيبِ فينا ولاأَمر . وقال فارس بن بغا[٣] :

---

(١) إبناه الرواة : ١٧ (٢) زهر الآداب : ٧٨٩ . (٣) فى زهر الآداب: بغاء.

لم تتم له نعمة ، لأنه لم تكن له فى الخير همّة . وقال سليمان بن يحيى بن معاذ : كان يأمر ولا يأتمر ، وينهى ولا يزدجر ، ويعبّر ولا يعتبر . وقال جعفر أبو عبد الواحد : أحسنُ حسناته سيئة وأصغر سيئاته كبيرة .

وقال مروان[1] بن عيسى بن جعفر الهاشمى : كانت دولته دولةَ المجانين ، خرجت من الدنيا والدين . وقال أبوعبد الله محمد بن زبيدة : بُعد من الشرف ؛ فتحامل عليه ؛ وقرب من ضده فمال إليه . وقال إسحاق بن إبراهيم الطاهرى : كان إذا دنوت منه غَرّك وإذا بعدت عنه ضرك . وقال داود بن إسحاق بن محمد بن العباس: ما أحسن قط إلاّ أخطأ ، ولا أصاب إلاّ تعدى . وقال ابن أيوب : نعمتُه أعجبُ من نَكبته . وقال ميمون بن إبراهيم : لو تأمَّل أحدٌ أخلاقَه فاجتنبها لاستغنى عن الآداب أن يطلبها . وقال الحسن بن محمد بن أبى الشوارب القاضى : كان يحسد المحسنين ويجتنب أفعالهم ، ويذمّ المسيئين ويعمل أعمالهم . وقال عيسى بن فرخان شاه : أعقلُ منه مجنون وأجنّ منه لا يكون . وقال برد الخيار : ما كان أقرب وليّه مما يكره وعدوّه مما يُحِبّ ! وقال ابن حمدون : لئن منحته القدرة لقد حملته النكبة[2] . وقال أحمد بن أبى الأصبغ : ما علمت أنَّ خدمة الشياطين أيسر من خِدْمة المجانين؛ كان غضبه إذا أطَعْناه أكثر من غضبه إذا عصيناه. وقال إبراهيم بن رباح : كان لا يفهم ولا يفهم وينقض ما يُبرم . وقال سعيد بن حميد : كان يخافُه الناصح ويأمنه الغاشّ ، ولا يبالى أن يراه الله مسيئا . وقال جعفر بن الفضل الجرجرای : مازال يستوحشُ من النعمة حتى أنس بالنقمة . وقال إبراهيم بن الجراح: كان إذا أحسن اعتذر وإذا أساء امتنّ . وقال محمد بن مجمع : مجامعه ردِيّة وأوانيه دنية ، ضاعت بينهما الرعية . وقال عبد الله بن منصور : كنت أرثى للسلطان من قُرْبِه كما أرثى للأمة من ظلمه . وقال إبراهيم بن المدبر : لئن كان حكمه بالخطأ نافذا لقد أصبح الحكم فيه بالصواب ماضياً . وقال عطية الكاتب : قد عرف غِبَّ ما صنع

---

(١) فى زهر الآدب : هارون . (٢) فى ط : لئن فضحته ... لقد جملته النكبة ، وهذا من زهر الآداب .

وماحصدإلّا مازرع. وقال سلمة بن سعيد : عرف نصيحتى فعادانى واجتهادى فنافانى. وقال ابن فراشــة : كنت إذا نصحته زنّانى[١] وإذا أخشنته[٢] منّانى . وقال محمد بن داود التسترى : كان لايرى درهما فى يدِ سواه إلا حسبه حقّا له تخطّاه . وقال أيوب بن سليمان : كان لا يعلم ولا يتعلم ويستصغر من يتعلّم . وقال يعقوب بن أحمد : كان وليه على وجلٍ وعدوّه على أمل . وقال بن ثوابة الـكاتب : أساء عِشْرَةَ الأحرار فأصبح مقفر الديار . وقال عريب : لم يجاور النعمةَ بالشكر فحلَّ به ما استحقه بالـكفر . وقال شاربه : ما أَنْوَرَ بفقده الأيام وأسرَّ بهلاكه الإسلام ! وقال محمد ابن الزيات قال المعتصم : لسان بذىء وخلق ردىء وطبع مُسىء . وقال سعيد بن هارون : لقد رحم الله عبادَه إذ طهَّر منه بلاده . وقال سليمان بن بشار : اشتد طغيانه فبعدت أوطانه . وقال ميمون بن هارون : كتب الله له البلاءَ صراحاً فأنْبتَ له كالنملة جَناحاً . وقال سليمان بن وهب : كان سفلة المحضر ، سيئ المنظر ، ردىء المخبر . وقال حجاج بن هارون : والله ما كان له فى الشرف أسبابٌ متانٌ ولا فى الخير عادات حسان . وقال بعض الندماء : ما رأيته سمَّى على طعام قط ، ولا استثنى فى يمين ، ولا حمد الله على نعمة . وقال تمام بن كثير الهاشمى نديم المتوكل من ولد الحارث بن العباس: كان البذاء عنده عادة[٣] ، والسخف مروءة ، وقَذْف المحصنات فرض. وقال سعيد الصغير : حمل حَتْفَه بكفّه ورمى نفسه بسَهْمِه . وقال صالح الحريرى : لا يعى إليه حُرٌّ وإنْ مسَّه الضرّ. وقال إسحاق بن صالح بن مرشد : تعرَّضَ لسخط الله فأصبح فى لعنة الله . وقال أبو الفرج بن نجاح : ما سمعته قط إلاّ زَارِيا على الزمان ، عاتبا على الإخوان ، آمنا من الحدثان . وقال محمد بن نصر بن منصور بن بسام : صار سلطان البَغْى إليه فحلَّتْ دائرةُ السوء عليه . وقال أحمد بن عبد الرحمن الـكلبى : جهله

(١) فى ط : وقانى . (٢) فى زهر الآداب : وإذا غششته .

(٣) فى ط : كأن النداء عنده عارضة .

عامر الغَفْلة ، وسفهه قاهر الحلة . وقال إبراهيم بن سعيد : إنّ من عجائب الدهر أن يكون له فى الأمة نهْىٌ أوأمر. وقال نمرة الرائض : لو كان ابن الخصيب دابّة لكدح بلِجَامه ، وتقاعَس فى عِنَانه ، وحَرَن فى مَيْدَانه . وقال ابن مزينة : كنت إذا وقع شِعره على صدرى أحسست النقصانَ فى عقلى . وقال أبو عبد الله الصفار : ما أكثر خطأ ابن الخصيب وأحوجه إلى ما نحن فيه حتى يصيبَ . وقال بعض كتابه : كنت أرى قلمَ ابن الخصيب يكتبُ بما لا يصيب — وهو أطول من هذا .

[الكلمات التى قيلت بعد وفاة الإسكندر]

وهذا ضد[1] هذه الكلمات التى قيلت بعد وفاة الإسكندر نبّه بها حكماء زمانه ، اخترت منها هنا قطعة :

لما جُعل فى تابوت ذهب تقدَّم إليه أحدهم فقال : كان الإسكندر يخبأ الذهب فقد صار الذهب الآن يخبؤه . وقال الآخر : انظُرْ إلى حلم النائم كيف انقضى وإلى ظلّ الغمام كيف انجلى . ودخل عليه آخر فقال : قد أَمات هذا الميتُ كثيرا من الناس لئلا يموت ، وقد مات الآن . وتقدم آخر فقال : مالك لا تقلّ عضواً من أعضائك ، وقد كنت تستقلُّ بملك العباد . ودخل آخر فقال : مالك لا ترغب بنفسك عن الجُحْر الضيق وقد كنتَ ترغب بها عن رحب البلاد ! ودخل آخر فقال : كان لا يقدَرُ عنده على الكلام فالآن لا يُقْدَرُ عنده على السكوت . وقال آخر : كان غالباً فصار مغلوباً وآكلا فصار مأكولا . وقال آخر: ما كان أقبح إفراطك فى التجبّر أمس مع شدة خضوعِك اليوم . وقالت بنت دارا بن دارا : ما ظننتُ غالب أبى يُغْلَب . وقال رئيس الطباخين : نضدت النضائدُ ، وأُلقيت الوسائد ، [ونصبت الموائد][2]، ولست أرى عميد القوم . وقال آخر : حرّكنا الملك بسكونه . وقال آخر : كان الملك أمسِ أنطقَ منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس .

---

(١) زهر الآداب : ٦٧٣ . (٢) من زهر الآداب .

من النقد

أخذ قوله : حرّكنا بسكونه ـ أبو إسحاق بن القاسم ـ أبو العتاهية ، فقال [١] :

يا علىّ بن ثابت بانَ منى   صاحبٌ جلَّ قدرُه يوم بِنْتَا
قد لعمرى حَكيتَ لى غُصصَ المو   تِ وحرّكْتَنى لها وسَكَنْتَا

وأخذ قوله الآخر فقال [٢] :

كفى حزنا بموتك ثم أنى   نفضت ترابَ قبرك عن يديّا
وكانَتْ فى حياتك لى عظاتٌ   وأنت اليوم أوعظُ منكَ حيَّا

[أحمد بن الخصيب وبعض أخباره]

وكان أحمد بن الخصيب القائم بأمر المنتصر بعد قَتْلِه أباه المتوكل واستيلائه على الخلافة ، فلما مات المنتصر أقرَّه المستعين أحمد بن المعتصم على ما كان ، ولم يَطُلْ عمر المنتصر بعد أبيه .

من عجائب الاتفاق

ومن عجائب الاتفاقات ما حكاه بعضُ أصحاب التواريخ : أن المنتصر لما أصبح فى الخلافة وجلَس للبيعة فُرِش فى الدار بساطٌ جليل كسروى ، فوقف أحـد رجال المنتصر على بعض صنائعه ، وقدنظر إلى دارة فيها صورة رجل ميّت مسجًّى على سريره وقُدَّامه ملك منتصب على سريرِ الملك ، على رأسه التاج ، والمرازبةُ قيامٌ بين يديه ، وعلى رأسه سطور بالفارسية ؛ فلما نظر الرجلُ إلى الصورة وقرأ ما عليها دمعت عيناه ، فدعا به وقال له : ما هذا الذى تنظر إليه ؟ قال : لا شىء ياأمير المؤمنين . قال : فلم بكَيْتَ ؟ قال : طرفت عينى بثوبى . قال : لابدَّ من الصدق عمَّا رأيت . قال : وقعت عينى يا أمير المؤمنين على هذه الصورة ، فبقيت أعجبُ من حُسْنِ تصويرها ثم قرأت ما عليها مكتوب فإذا هو : « هذه صورة شِيرَوَيْهِ بن كسرى قتل أباه فلم يَعِشْ بعده إلاَّ تسعة شهور » .

---

(١) زهر الآداب : ٦٧٤ .   (٢) هو أبو العتاهية ، كما فى زهر الآداب .

فانخذل المنتصر ووجَمَ ولم يَنِشْ إلاّ هذا القَدْر ، فأقام أحمد بن الخصيب مع المستعين على ما كان عليه . وكانت حال أوتامش التركى قد توافَتْ فى أيام المستعين فاستخفَّ به ابن الخصيب وجاءه بعضُ كتّابه فأسمعه ما كَرِه ، فجاء إلى صاحبه فعرفه ماجَرَى ، فـكَرَب إلى المستعين ، فحمله إلى مكروهه فأمر بهَدْم داره واستصفاء أمواله وبعثه إلى اقريطاش(١) .

وكان ابنُ الخصيب غبيا جاهلا . قال إبراهيم بن المدبر : كنت يوما عنده فقدم الطعام وفيه هِلْيَوْن فأكبَّ عليه ، فقلت : أراكـ راغباً فى الهِلْيَون(٢) . فقال . بلغنى أنه يَزيدُ فى السهاد ، ويؤيد فى الباه ، ثم جلسنا للشرب فغنّتْ بعض القيان :

إن العيونَ التى فى طَرْفِها حَوَر قَتَلْننا ثم لم يُحيين قتلانا
يصرعْنَ ذا اللب حتَّى لاحراكـ به وهن أضعفُ خَلْقِ الله أركانا

فقال : هذا الشعر لأبى . فقلت : قاتل اللهُ جريراً ما كان أسرقَه لشعر أبيك !
وماتت له بنيّة ، فخرج إلى جلسائه يَعْصر عينيه ، وقال قد قلت فى هذه الصبيّة:

غيضْنَ من عبراتهن وقُلْنَ لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال له بعض جلسائه : أعز الله الوزير هذا مشهور فى شعر جرير . فقال : لعله وافقه .

وكان كاتب أوتامش شجاع بن القاسم، وابنُ الخصيب عنده سحبان وائل ، وكان شجاع أميّا لا يقرأ ولا يكتب ولا يفهم ، وإنما علم علامات يكتبها فى التواقيع . قال الحسن بن مخلد : وصفنى محمد بن عبد الله بن طاهر للمستعين وسأله أن يُدْخِلنى فى جُمْلَة من ينادمه ؛ فدعانى لمنادمته يوماً ، فإنا لقُعود بين يديه ومعنا أوتامش إذ دخل شجاعُ ابن القاسم ومعه شىء يريد عَرْضَه ، فنظرت إليه ، وقد أخرج سراويله من خُفّه ، ووقع على قدميه ، ودخل تحت عقبه من إحدى رجليه وهو يسحَبُه ويدوسه ، فغمزت

(١) إقريطش : جزيرة فى بحر المغرب يقابلها من بر أفريقية لوبيا .
(٢) الهليون : نبت .

محمد بن عبد الله فضحك ، ورأى المستعين ذلك ؛ فسأله عن سبب ضحكه فدافعه . فقال له : بحياتى . فقال له : سل الحسن يا سيدى ، فنظر إلىّ وقال : هيه ياحسن ! ! فأومأت إلى سراويل شجاع ؛ فضحك حتى استلق، وقال : ويلك ياشجاع ! ماهذا ؟ قال : الساعة يا سيدى داسَنِى كَلْب نخزَقت[1] سراويلَه وثيابَه ، فازْداد ضَحِكُ المستعين وأهلُ المجلس ، وضجر أوتامش من ضحكهم بكاتبه .

وسأل شجاعا بعضُ الهاشميين حاجة ؛ فقال لهم : ليس الأمر فيها إلىّ وهو للأمير ـ يعنى أو تامش ـ وهو يجلس أول من أمس ـ يعنى بعد غد .

وكانت جميعُ أتباع شجاع تخاليط ، وجملة كلامه أغاليط .

قال ابن عمار: عملت شعرا رأبجيا لامعنى له ، وواقفت سعيد بن عبيد على أن يُرْوِى الشعر رجلا من الهاشميين ، وكان لنا صديقا ، وكان جَلْداً شهما، على أن ينشده شجاع ابن القاسم ويعرّفه أنه مدحٌ له ، وضمنّا له على ذلك ألف درهم . والشعر :

شجاع لجاع كاتب لاتِب معاً ... كجلمود صَخْرٍ حطّه السيلُ من عل
خبيص لبيص مستمر مقوّم ... كثير أثير ذو شمال مهذّب
بليغ لبيغٌ كلّما شئت قلته ... فإن كنت مسكاتا عن القول فاسْكت
فطين لطين آمرٌ لك زاجَر ... حصيف لصيف كل ذلك يعلم
أريب لبيب فيه فهم وعِفّة ... عليم بشعر حين أنشد يشهد
كريم حِليم قابضِ متباسط ... إذا جئته يوماً إلى البَذْل يسمح

فوقف إليه . وقال : أيها الوزير ؛ ليس الشّعر من صناعتى ، ولكنكَ أحسنتَ إلىّ وإلى أهلى بما أوجب شكرك ، فتكلّفتُ أبياتاً مدحتك فيها ، فتفضّل بسماعها .

فقال: قد أغناك شرفك وحالك عن الشّعر. فقال : لابدّ أن يتفضّل الأميرُ بسماعها ، فأنشد الأبياتَ فشكره عليها وسُرَّ بها سروراً زائداً ؛ ودخل إلى المستعين فأخرج له صلة عشرة آلاف درهم ، وأجرى له ألفَ درهم فى كل شهر . فقال لها الطالبي : أنتما

---

(١) خزقه : طعنه .

أوصلتما ذلك إلىّ ، واللهلاأخذتُ منكما شيئاً ، ولولا اتّساعكما لوصلتكما بماوُصِلتُ به .

وقدم إليه شاعرٌ محسنٌ فقال له : قد سبق إلىّ من الوزير وَعْدٌ وتلاهُ شكر ، والوزير حقيق بإنجاز وَعْده وقبول شكرى وأنشده :

أبو حسن يَزيدُ الملك حُسنا ويصدق فى المواعد والمقال

جَبَانٌ عن مذمَّةٍ آمليه جَرِىٌّ فى العطيَّة والنّوال

أجَلَّ اللهَ فى سر وجَهْر فأعطاه المهابةَ بالجلال

فقال له : وما يدريك أنّى جبان ! ولم يفهم معناه . فقال . أعزّك الله ، إنّما قلت إنك تجبنعن البُخْل ولا تبخل بشىء ، وإلافأنت شُجاع كاسمك . فقال : ما أعطيك على هذا الشّعر شيئاً ، ولكن على ميلك وشكرك ، ووقّع له بألف دينار ، ولو فهم ما قال لجعل مكان الألف ألوفا .

وفى المستعين يقول البحترى من قصيدة طويلة[١] :

وما لحية القصّار حين تنفشت بجالبة خيراً على من يناسِبه

يجوز ابنُ جَلّاد[٢] على الشعرعنده ويغدُو شجاعٌ وهو للجهل كاتِبُه

[الحسن بن مخلد لم يكن كاتبا ولا منادما]

وكان الحسن بن مخلد مضطلعاً بأمر الدواوين عالما بالدخل والخرج ، ولم تكن له صناعة فى الكتابة ولا استحقاق للمنادمة .

قال أبو الفضل أحمد بن سليمان : جمعنى والحسن بن مخلد مجلس فيه أبى ، فسألنى عن سنّى فأخبرته وأخبرنى عن سنّه ، فرأيته أكبر منّى بعشر سنين . فقلت له : قال لى الزّبير بن بكّار: كانت العرب تقول العشْرة بين المشايخ لدة . فغضب وظَنَّ أنى قد شتمته ، والتفت إلى أبى فقال : ياأبا أيوب ، ليس كلٌّ من علم شيئا من العربيّة يُطْلِق لسانَه فى الناس بالشتم . فقال له أبى : إنهلم يُرِد مكروها ، وإنّما أرادَ التقربَ منك ، ومعنى لِدَة تِرْب ؛ فلم يسكن إلى أن افترقنا .

---

(١) ديوانه : ١ ــ ٨٧ . (٢) فى ط : يجور ابن جلاء ، وهذه رواية الديوان .

[من نوادر أبي الحارث]

سقط أبو الحارث حمير من سَطْح ؛ فقيل له : أ كان السّطح مرتفعاً ؟ قال : لا تسْأَل عن شيء ؟ استطَبْت برد الهواء قبل الوصول إلى الأرض .

وقال رجل : أشتهي أن أرى خلقي ، فجاءهُ أبو الحارث بمرآةٍ فجعلها تلقاء وجهه .

وتشهَّى قومٌ ضروباً من الطعام . فقالوا : ماتشتهي ياأبا الحارث ؟ فقال : الوفاء بهذا . وأ كل يوماً مع قوم رُؤساء فتبادروا إلى الأعين ليقتلعوها فتنحَّى ناحية . فقالوا : مالك ؟ قال : ظننتكم ناساً فإذا أنتم نسورٌ .

وجلس يتغدّى مع الرّشيد وعيسى بن جعفر فأُتِيَ بِخوانٍ عليه ثلاثة أرغفة ، فأ كل أبو الحارث رغيفه قبلهما . وقال : ياغلامُ ، فرسي ! ففَزِع الرشيد وقال : ويلك ! مالك ؟ قال : أريد أن أركبَ إلى ذلك الرغيف الذي بين يديك ، فضحك الرشيدُ وأمر له بجائزة .

ومال أبو الحارث على زفر بن الحارث وعنده جوَارٍ يغنّين وأبو الحارث جائع . فقال : اسقوا أبا الحارث وغنينه مايقترح . فقال : بحياتي غنين(١) :

خليليّ داويتما ظاهراً فمن ذا يداوِي باطنا

فقال زفر : غنّين :

من يسأل الناس يحرموه وسائلُ اللهِ لا يخيب

ونظر أبو الحارث إلى برذون يستقي عليه الماء فقال :

وما المرء إلّا حيث يجعلُ نفسه ففي صالح الأخلاق نَفْسَك فاجعل

لو أن هذا البرذون هَمْلَج لما فُعِل به هذا .

ونصب مع رفقاء له قِدْراً وجعل فيها لحماً . فلما تلهوَجَت(٢) نشل بعضُهم قطعةً وقال : تحتاجُ إلى ملح ، ونشل آخر قطعة وقال : تحتاج لى أَبْزار(٣) ، ونشل آخر

(١) الأغاني : ١٢—١٩٢ ، وفي ط : جوى ظاهرا . . جوى باطنا .

(٣) لهوج الشواء : لم ينضجه أو لم ينعم طبخه . (٢) جمع بازر : التابل .

قطعة وقال : تحتاج إلى بصل ، فرفع أبو الحارث القدر وقال : والله تحتاج هذه القِدْر إلى لحم .

[طرف متفرقة]

يضيع ماسرق

وسرق مدنى قميصاً فبعثه مع ابنه يَبيعه ، فسُرِق منه فى الطريق ، فلما رجع قال أبوه : بِعْت القميص . قال : نعم ! قال : بكم ؟ قال : برَأْس المال .

أبو علقمة وبعض الملوك

دعا بعضُ الملوكِ بأبى علقمة الممرور وآخر مجنون ليضحكَ منهما ، فشتَماه فغضب . وقال : السياط ياجلادين . فقالا : كنا مجنونين فصِرْنَا ثلاثة ، فضحك وأجزل صلتهما.

بخيل وامرأته

وطبخ بعضُ البخلاء قِدْراً فقعد هو وامرأته يأكلان . فقال : ما أَطيب هذا القِدْر لولا الزحام ! قالت : أىّ زحام ها هنا إنما أنا وأنت ! قال : كنتُ أحب أن أكون أنا والقدر .

[أبو الأغر يظن الكلب لصا]

نزل(١) شيخٌ أعرابى من بنى نهشل يكنى أبا الأغر(٢) على بنت أختٍ له من قريش بالبصرة ، وذلك فى شهر رمضان ؛ فخرج الناسُ إلى ضياعهم ؛ وخرج النساء يصلِّين فى المسجد ، ولم يبق فى الدار إلا الإماء ؛ فدخل كلب فرأى بيتاً فدخله وانصفقَ الباب ، فسمع الإماء الحركَة فظنَنّ لصاًدخل الدار ؛ فذهبت إحداهنّ إلى أبى الأغرّ فأخبرَتْه ، فأخذ عصاً ووقف على باب البيت . فقال: إيها والله ! إنى بك لعارف ، فهل أنت من لصوص بنى مازن ، وشربت نبيذاً حامضاً خبيثا حتى إذا دارت الأقداحُ فى رأسك منَّتْك نفسُك الأمانى ، فقلت: أَطرقُ دورَ بنى عَمْرو، والرجالُ خلوف، والنساء يصلّين فى مسجدهن فأسرِقهنّ ، سوءَةً لك ! والله مايفعل هذا حرّ ، بئسما منَّتْك نفسك ! فاخرج بالعفو عنك وإلّا دخلت بالعقوبة عليك ، وأيم الله لتخرجنّ أو

---

(١) عيون الأخبار : ١ـ١٦٧ . (٢) اسمه عروة بن مرثد .

لأهتفنَّ هَتفةً يلتقى فيها الحيّان عمرو وحنظلة ، ويصير زيد زيداً ، وتجىء سَعْد بعدد الحصى وتسيلُ عليك الرجال من ها هنا وهنا ها ؛ ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود فى بنى تميم .

فلما رأى أنه لايجيبه أخذه باللّين ، فقال : اخرج بأبى أنت منصوراً مستوراً ، إنى والله مأأراك تعرفنى ، ولئن عرفتَنى لوثقْت بقولى ، واطمأْننت إلىّ ، أنا أبوالأغر النهشلى ، وأنا خال القوم وجِلْدَة مابين أعينهم ، لايَعْصون لى رأيا ، وأناخفير كفيلٌ أجعلك شحمة بين أذنى وعاتقى ، فاخرج فأنت فى ذمتى ، وإلّا فعندى قوصَرّتان أهداهما إلىّ ابنُ أختى البار الوصول ، فخذ إحداهما[1] فانتبذها حلالا مِنَ الله ورسوله .

وكان الكلبُ إذا سمع هذا الكلام أطرق ، وإذا سكت وثَب يريدُ الخروج ، فتهافت أبو الأغر ثم قال : ياألأم الناس ، أرانى بك الليلة فى وادٍ وأنت فى آخر ، وأنت فى دارى أقلب البيضاء والصفراء ، فتصيحُ وتطرق[2] وإذا سكت عنك وثبت تريد الخروج ، والله لتخرجنّ أو لألجنّ عليك .

فلما طال وقوفهُ جاءت جاريةٌ وقالت : أعرابى مجنون ! والله مأأرى فى البيت أحداً ، ودفعَتْ الباب ، فخرج الكلبُ مبادرا ، ووقع أبوالأغر مستلقيا . فقلن له : قُمْ ويحك ! فإنه كلب . فقال : الحمدلله الذى مسخه كلباً وكفى العربَ حَرْباً .

[أبو حية النميرى يتوهم البرذون لصا]

وقد رَوى ابن قتيبة وغيره هذا المقام لأبى حية[3] النميرى ، واسمه الهيثم بن الربيع ، وعليه عول أبو علىّ محمد بن الحسن المظفر الحاتمى فى الحكاية التى وضعها على أستاذه على بن هارون وأتى فيها بكل مليحة نادرة . وزعم أنه أَحسَّ حِسَّ برذون فى إصطبله فراعه وتوهّمه لصاً ــ وهى طويلة فى نحو أربعة أجلاد . وقال فى أولها :

(١) العبارة فى ط : فعندى قرصتان إحداهما لابن أختى البر الوصول ، وهذه رواية عيون الأخبار .　(٢) فى ط : تقلب . . . وتصيح فتطرق ، وهذه رواية عيون الأخبار .

(٣) عيون الأخبار : ١ــ١٦٨ .

هذه حكايةُ أبى الحسن على بن هارون مع اللص الذى تخيّل أنه دخل دارَه ، أخبرنى بها أبو القاسم القنطرى وغيره من حاشية أبى الحسن ، ولَفْظُ بعضِهم يزيدُ على بعض؛ فجمعت الروايات على اختلافها ، ونظّمت شتيتها ، وهذّبت العبارة عنها ، وأوردت المعانى مكسوّةً من النثر الرائع والتشبيه الواقع مما يُطْرِب سامعه ويروق متصفّحه ؛ ليكون ورودُه أغرب وحفظُه أقرب . ونحلت أبا الحسن وجماعة ولده قطعاً من بارع الشعر تناسبُ قطع الرياض بنت القطر ، صنعتُها على ألسنتهم ونسبتها إلى ارتجازاتهم. وتمثّلت عنهم بفقر من أشعار العرب أسميتُ قائلها ؛ لئلا تلتبس بما اختصصت فى نظمه، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وقال فى آخرها : لقد كان فى نبأ هذه الكريمة تبصرة لمستبصر، وتذكرة لمتذكّر. هذا ولم تقترح فيها الأقران ، ولا تنازلت فيها الفرُسان ، ولا استبهمت فيها البهم ، ولا أريق فيها ملء محجم دَم ؛ وإنما هو تخييل جَبان ، وتسويل جنان . ولقد عزَوْنا إلى هذه الطائفة من التشبيهات الباهرة والأمثال النادرة ما يبعد جدا عن مثلها ؛ وإنما بعثَنا على ذلك أَشَرُ[1] الشبيبة ، ومرح الصبا ، ولين الغُصْن ، وفضل القـــدرة ، واستجابة[2] لِمَا تدعيه من أفانين الكلام ؛ ونستغفر الله من فضول العمل .

[من شعر أبى حية النميرى]

وأبو حية النميرى من أحسن الناس شعراً وأرقّهم فيه طبعاً ، على لُوثَة كانت به ؛ وهو القائل[3] :

ألا أيّها الربعُ القِواءُ[4] ألاَ انْطِقِ   سقتك الغوادى من أهاضيب[5] فُوَّقِ

مرابيع وَسْمىّ تسوقُ نشاطه   حِرَارُ الصَّبَا فى العارِضِ المتألّق

---

(١) الأشر : المرح . (٢) فى الأصل : واستحبابة . (٣) المختار من شعر بشار : ٢٣٨ ، زهر الآداب : ٢٣٧ . (٤) القواء : الخالى . (٥) الأهاضيب : المطر .

وما أنت إلاّ ما أرَى بعد ما أرى ... يد الحى فى زى بعينى مُونِقِ
غراب ينادِى يوم لا القلب عَقْلُه ... صحيح ولا الشعب الذى انصاع ملتقِى
جزيت غرابَ البين شرًّا لطالما ... شقيت بتحْجَال الغرابِ المنعّق
ورقراقة[١] تفترُّ عن مُتَبسّم ... كنَوْرِ الأقاحى طيّب المتذوَّقِ
إذا امتضغَت بعد امتناع من الضحى ... أنابيبَ من عُودِ الأراك المخلَّقِ
سقَتْ شعث المِسْواك ماء غمامة ... فضيضاً[٢] بخرطوم العراق[٣] المصفَّق
فإن ذُقْت فاها بعدما سقط النّدى ... بعطفى بخَنْداة رداح المنطق
شممت العَرارَ الغضّ غبّ هميمة ... ونَوْر الأقاحى فى الندى المترقرق
شرقت بريًّا عارضَيْها كأنما ... شرقت بدار ...[٤] العراق المعتق

هذا شعر ظريف الصنعة حسن الوَشْيِ والسبك ؛ وقد ملح ما شاء فى وصف الثغر وطيب النكهة ، وهو معنى حسن جميل .

[أحسن ما قيل فى وصف الثغر]

لذى الرمة

قال أبوالعباس بن الفرج الرياشى سمعت الأصمعى يقول : أحسنُ ماقيل فىوصف الثغر قول ذى الرمة[٥] :

وتَجْلُو بفرْعٍ من أراكٍ كأنه ... من العنبر الهندى والمسكِ يُصْبِح[٦]
ذُرَى أقحوان واجه الليل وارتقَى ... إليه الندى من راحة المتروّح[٧]
هجانُ الثنايا مغربٌ لو تبسّمت ... لأَخْرس عنه كاد بالقول يُفصِحُ

لكشاجم

وكتب كشاجم إلى بعض القينات وأهدى إليها سوا كا[٨] :

---

(١) فى زهر الآداب : وخمصانة ، والخمصانة: الضامرة البطن . (٢) الفضيض : ماتناثر من الماء . (٣) فىزهر الآداب : بخرطومالرحيق المروق ، وفى المختار : بخرطوم المدام المروق . (٤) بياض بالأصل . (٥) ديوانه : ١ـ٢ ، زهر الآداب : ٢٢٧ ، ديوان المعانى : ٢٤٠ . (٦) فى ديوانه المعانى : والمسك ينفح . (٧) فى زهر الآداب . من رامة . وفىديوان المعانى : غاديه والمتروح . (٨) المختار : منشعر بشار : ٢٣٨ ، زهر الآداب: ٢٣٧ .

قد بعثناه لكى تجلى به ... واضحاً كاللؤلؤ الرطب الأغر
طابَ(١) منه العَرْف حتى خِلتُه ... كان من ريقك يُسقى فى الشجَر(٢)
ليتنى المُهْدَى فيُروِى عطشى ... بَرْدُ أنيابك فى كلّ سَحَرْ
وأمَا والله لو يعلم ما ... حظُّه منك لأثنى وشَكَرْ

لعبيدالله بن طاهر

وقد أحسن عبيد(٣) الله بن عبد الله بن طاهر إذ يقول :

وإذا سألتك رشْفَ ريقك قلت لى ... أخشى عقوبة مالك(٤) الأملاكِ
ماذا عليك ؟ دفعت قبلك للثّرى ... من أن أكونَ خليفةَ المسواكِ
أيجوز عندك أن يكون متيّم ... صَبٌّ بحبك دون عود أراكِ

لابن الرومى

وقال ابن الرومى(٥) :

ألا طالما(٦) سُؤْت الغيورَ وساءنى ... وبات كلانا من أخيه على وَحْر
وقبّلتُ أفواهاً عِذاباً كأنها ... ينابيع خَمرٍ حُصِّبَتْ لؤلؤَ البحرِ

وقال(٧) :

تعلُّكُ ريقا يطرد النومَ بَرْدُه ... ويشفى القلوب الحائمات الصواديا
وهل ثَغَبٌ حصباؤه(٨) مثل ثغرها ... يُصادِف إلاّ طيِّب الطعمِ صافيا

وقال(٩) :

وما تعتريها عِلّة(١٠) بشريّة ... من النوم إلا أنها تتخيّر(١١)
كذلك أنفاسُ الرياض بسُحْرةٍ ... تطيبُ وأنفاسُ الورَى تتغيَّرُ

---

(١) فى ط : طاف . (٢) فى ط : السحر . (٣) فى المختار : عبدالله ـ صفحة ٢٣٨ .
(٤) فى ط : ذلك . (٥) المختار : ٢٣٩ . (٦) فى المختار : ألا ربما .
(٧) المختار : ٢٣٨ . (٨) فى ط : وهل قعب حصباؤها ، وهذه رواية المختار .
والثغب : بقيه من ماء السيل يغادرها فى أخدود من الأرض ، فتصفو وتبرد .
(٩) المختار : ٢٣٥ ، السمط : ٥٢٤ . (١٠) فى المختار : آفة. (١١) فى ط : تتحير ،
وهذه رواية المختار والسمط : ٥٢٤ .

لابن المعتز

وقال ابن المعتز:

بأبى حبيبٌ كنتُ أعهدُهُ لى واصلا فازوَرَّ جانبُهُ
عَبقُ الكلامِ كمسكةٍ نفحتْ من فيه تُرضى مَن يُعاتبُهُ

للعطوى

وقال العَطَوى(١) :

ذات خدين ناعمين ضنيـنيْن بما فيهما من التفاح
وثنايا وريقةٍ كغدير من عُقَارٍ وروضةٍ من أَقَاحِ

[طرف متفرقة]

أكل الحجاجُ مع رجل بيضا ، فأقبل يأكل المُخَّ(٢) ويرمى إليه بالبياض ؛ فقال الرجل : أيها الأمير؛ عدّل العُجَّة(٣) .

أيهما أشأم

وكان بعضُ الأكاسرة يتطيّر ، فلقيه رجلٌ أعورُ ، فأمر بحبسه ، فأقام مدة ثم أطلقه فتعرّض له فقال : لِمَ حبستنى ؟ قال : تشاءمتُ بك . قال : فأنت أشأمُ منى ؛ خرجتَ من قصرك فلقيتنى فلم تر إلاّ خيراً ؛ وخرجتُ أنا فلقيتك فحبَسْتَنِى . فقال الملك : صدق وأمر له بصلة .

عظيم البركة

قال رجل لأحدب : لئن رفستك لأقيمنَّ حدَبتك ! قال : إنك إذاً لعظيم البركة علىّ .

محمد بن بسام

قال الفضل اليزيدى : كان محمد بن نصر بن منصور بن بسام أشدَّ الناس همة وآلة وغناء ، وكان ناقصَ الأدب ، وكنت أختلفُ إلى ولده على يقرأ علىّ الشعر ؛ فدخلتُ يوماً وهو يشرب وعنده عبد الله بن محمد بن إسحاق، وكان مثله فى الجهل ، وقد مُدَّت الستارة فغنَّت القينة :

ألاَ حَىِّ الديارَ بسعد إنى أحِبُّ لحبِّ مَن سكنَ الديارا

---

(١) المختار: ٢٣٥، السمط : ٥٢٤ (٢) المح: صفرة البيض . (٣) العجة : طعام من البيض.

أراد الظاعنون ليحزنونى	فهاجُوا صَدْعَ قلبىَ فاستطارا

فقال عبد الله بن محمد بن إسحاق لمحمد : لولا جهلُ الأعراب ماجرى ذكر السعد هاهنا . فقال له محمد : لا تفعل ، فإنه يقوى معدهم ويصلح أسنانَهم .

على ابنه وشىء من أدبه

وكان على بن محمد مليح المقطّعات ، حلوَ الشعر ، خبيث الهجاء ، وليس له حظٌّ فى التطويل ، إنما يسنح له المعنى فإذا أراد أن يركب عليه معنى آخر استهدَم بناؤه ، وهو القائل فى أبى يحيى المنجم يرثيه[1] :

قد زرت قبرك ياعلىُّ مُسَلّماً	ولك الزيارةُ من أَقلّ الواجبِ
ولو استطعتُ حَملتُ عنكَ ترابهُ	فلطالما عنّى حملتَ نوائبى
ودمى فلو أنى علمت بأنه	يسقى ثراكَ سقاهُ صَوْب الصائب
لسكبْتُه أسفاً عليكَ وحَسْرة	وجعلت ذاكَ مكان دمع ساكب
ولئن ذهبت بملء قبرك سؤدداً	لَجميلُ ما أبقيت ليس بذاهب

وقد أنشد هذه الأبيات أبو بكر محمّد بن القاسم الأنبارى لغيره . وقال[2] :

كم قد قطعتُ إليك من دَيْمُومةٍ	نُطَفُ[3] المياهِ بها سوادُ النّاظرِ
فى ليلة فيها السّماء مُرِدّة[4]	سوداء مظلمةٌ كقلبِ الكافرِ

وقال فى جحظة البرمكى[5] :

يا مَن هجوناه فغنّانا	أنت ، وبيتِ الله ، أهجانا
سيّان إن غنّى لنا جحظةٌ	أومرَّ مجنونٌ بنا فزَنّانا[6]

وقال فى المعتضد وقد ختن ولده :

انصرفَ الناس من ختانٍ	يرْعَوْنَ من جوعهم خُزَامى[7]

(١) زهر الآداب : ٦٧١ . (٢) زهر الآداب : ٦٧٠ .

(٣) النطفة : الماء الصافى ، وجمعه نطف . (٤) فى ط : مردة ، وهذه رواية زهر الآداب ، وفى بعض نسخه : مزادة . (٥) زهر الآداب : ٤٣٨ . (٦) فى بعض نسخ زهر الآداب : فعنانا . وزناه : سبه . وفى ط : قرنانا . (٧) الخزامى : نبت .

فقلت لا تعجبُوا لهـذا فهكذا تُخْتَن اليتامى

وقال يستطرد بالمعتضد :

وَعَدْتَ بوَعْدٍ فأخلفتهُ وما كانَ ضرّكَ ألاّ تعدْ

تحبُّ الثَّناء وتأبى العطاءَ وما تمّ ذلك للمُعتضِدْ

وقال فى العبّاس بن الحسن لمّا ولّى الوزارة[1] :

وزارةُ العباسِ من نَحْسِها تستقلِعُ الدّولةَ من أُسِّها

شَبّهْتهُ حين بدَا مُقبلا فى خِلَعٍ يُخْجَلُ من لُبْسِها

خازنةُ الـكسوة[2] قد قدّرَتْ ثيابَ مولاها على نفسها

وقال ابنُ بسام فى أبيه ، وكان مولعاً بهجائه[3] :

خبيصةٌ تعقَدُ من سُكّره وبُرْمَة[4] تطبَخُ من قنبره

عند فتى أسمح من حاتمٍ يطبخ قِدْرَيْن على مِجْمَره

وليس ذا فى كلّ أوقاته لـكنه فى الدعوة المنكَرَة

[مهاجاة بين ابن المعتز وابن بسام]

وكان ابن المعتزّ يهاجيه ، فمن ذلك قوله فيه[5] :

يا ثقيلا على القلوبِ إذا ء نّ لهـا أيقنَتْ بطول الجهاد

يا قذىً فى العيون يا حُرقةً[6] بَيْـ ن التّراقى حزازةً فى الفؤاد

يا طُلوعَ العذول ما بين إلف يا غريماً وافى[7] على ميعادِ

يا ركوداً فى يوم غَيْمٍ وصيفٍ يا وجوه التّجّارِ يوم الـكساد

---

(١) زهر الآداب : ٦٧٠ . (٢) فى زهر الآداب : جارية رعناء . وفى بعض نسخه : خازنة الـكسرة . (٣) مروج الذهب : ٢ ـ ٣٩٤ ، وكانت الأبيات مصحفة ، فصححناها عنه .

(٤) البرمة : قدر من حجارة . (٥) الأمالى : ٢ ـ ١٠٦ ، وهذه الأبيات منسوبة هناك إلى محمد بن نصر بن بسام . (٦) فى الأمالى : ياغلة . (٧) فى الأمالى : أتى .

خلِّ عنّا فإنما أنت فينا　　واوُ عَمْرٍو أو كالحديثِ المعاد

فأجابه ابن بسام بقوله :

فقدتك يا قذاةً فى شرابٍ　　دخَلْتَ من الدناءَةِ كلَّ بابِ
لئيمُ الفعلِ أَشأَمُ من غُرابٍ　　وَضِيعُ القَدْر أَطفلُ من ذُبَابِ
وأثقل حين تَبْدُو من رقيب　　وأكذبُ حين تنطِقُ من سرابِ
وأغدر للصديق من الليالى　　وأنكى للقُلُوبِ من العِتَابِ

[من ملح المهاجاة]

ومن ملح هذا الباب قول جحظة[١] :

يا لفظة النعى بموتِ الخليل　　يا وقفةَ التوديع بين الحمولْ
يا شربة اليارجِ[٢] يا أجرة الـ　　ـمنزل يا وَجْهَ العذولِ الثقيل
يا طلعةَ النعشِ ويا منزلا　　أقفرَ من بعد الأنيس الحلولْ
يا نهضةَ المحبوبِ عن غَضْبَة　　يا نعمةً قد آذَنَتْ بالرّحيلْ
ويا كتاباً جاء من مُخْلِفٍ　　للوعد مملوءاً بعذرٍ طويل
يا بُكْرة الشكلى إلى حُفْرَة　　مستودع فيها عزيزُ الشكول
يا وَثبة الحافظِ[٣] مستعجلا　　لصَرْفِهِ القَيْناتِ عند الأصيل
ويا طبيباً قد أتى باكراً　　على أخى سقَم بماء البقول
يا شوكةً فى قَدَمٍ رَخْصَةٍ　　ليس إلى إخراجها من سبيل
يا عثرة المجذُوم فى رجله　　ويا صعودَ السِّعْر عند المعِيل
يارَدَّة الحاجب عن قسوةٍ　　ونكسةً من بعد بُرْءِ العليل

جحظة

وجَحْظة هذا أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك .

---

(١) زهر الآداب : ٤٤٢ .　(٢) اليارج : معجون مسهل . وفى ط : ياسربة النازح ، وهذه رواية زهر الآداب .　(٣) الحافظ : الموكل بالشىء .

قال أبو الحسن محمد بن محمد[1] بن مقلة الوزير : سألتُ جحظة من لقَّبَك[2] بهذا اللقب ؟ فقال : أبو العبر[3] لقينى فقال : ماهو حيوانٌ إن نكّسوة أتانا آلة للمراكب البَحْرِية . فقلت: علق إذا نكَّسوه[4] صار قِلعاً . فقال: أحسنت ياجحظة؛ فلزمنى هذا اللقب . وكان طيّب الغناء حسن المسموع ؛ إلا أنه ثقيل اليد فى الضرب. وكان حلو النادرة كثير الحكاية صالحَ الشعر ، ولا تزالُ تندر له الأبيات الجيدة .

***

أنشدت سكينة بنت الحسين رضى الله عنها قول الشاعر :

فَما للنّوى لابارَكَ اللهُ فى النّوى   وعهدُ النّوى يوم الفراق ذميم

[من ملح المتقعرين]

لأبى علقمة

قال أبو علقمة النحوى لجارية كان يهواها : ياخريدة ؛ إخالُك عَرُوبا ، فما بالُنا نَمِقُكِ وَتَشْنَئِينا[5] ؟ فقالت : مارأيت أحداً يحبُّ أحداً ويشتمه سواك .

الخريدة : النّاعمة اللينة ، والعروبة : المتحببة إلى زوجها .

وقال بلال بن أبى بردة لجلسائه : ماالعروبمن النّساء ؟ فماجوا ، وأقبل إسحاق ابن عبد الله بن الحارث فقالوا : قد جاءكُم فَسلُوهُ . فقال : هى الخفرة المتبذّلة لزوجها، وأنشد :

يعْرِبْنَ عند بُعُولهنّ إذا خَلَوْا   فإذا خرجْنَ فإنهنّ خفارُ

والمِقَةُ : المحبة.

وقد حكى قول أبى علقمة عبد الرّحمن الطّلحى .

للهيثم

وأتى الهيثم بن العريان بغريم قد مَطلَ غريمه دينارا ؛ فقال : ماتقول ؟ قال : إنه

---

(١) هكذا فى الأصل، وفى زهر الآداب : على بن محمد ، وفى الأعلام : ابن مقلة هو محمد بن على .
(٢) الأدباء : ٢ ـ ٢٤١ . (٣) فى زهر الآداب : ابن المعتز . (٤) فى الأدباء : إذا عكس . (٥) شنأ ـ مثل منع وسمع : أبغض .

ابتاعنى عنجرا(١) واستنسأته حولا فصار لايلقانى فى لَقَم إلاّ اقتضانى . فقال الهيثم : أمن بنى أمية أنت ؟ قال: لا. قال : فمن أكفائهم من بنى هاشم ؟ قال : لا. قال : ويلى على ابن الفاعلة ، فعلى من تتكلم بهذا الكلام ؟ السياط ! فلما جُرّد قال : أصلحك الله؛ إنّ إزارى مُرَعْبَلة(٢). فقال: دعوه ، فلو ترك التثاقل بالغريب فى وقتٍ لتركه الآن .

العنجر(١) : عجم الزبيب . واللقم : الطريق ، والمرعبلة : الخلقة .

[ابن منارة وأبو العيناء]

دخل أبو العيناء على ابن منارة الكاتب وعنده أبو عبد الله بن المرزبان . فقال لابن منارة : أحِبُّ أن أعبثَ بأبى العيناء . فقال له : لاتقوم به . فأبى إلاّ العبثَ به ، فلما جلس أبو العيناء قال له : ياأبا عبد الله ؛ لم لبست جُبّاعة ؟ قال : وما الجبّاعة ؟ قال : التى ما بين جبة ودرّاعة . قال أبو العيناء : لأنك صفديم . قال : وما صفديم ؟ قال : الذى هو ما بين صفعان ونديم .

[سيبويه المصرى وبعض ندماء كافور]

ودخل أبو بكر سيبويه المصرى(٣) نافلة البصرة على كافور الإخشيدى وعنده بعض ندمائه . فقال : أيها الأستاذ ، دعنى أهاتره . فقال : إنك لاتُطيقه . قال : لابد من ذلك . قال : شأنك . قال : ياأبا بكر ، ماحَدُّ الرأس ؟ قال : ماأحاط به جُرُبّانك ، وأدّبَك عليه سلطانك ، ولاعبك فيه إخوانك . فخجل الرجل ، وضحك كل من حضر .

وكان سيبويه هذا يُشَبَّه بأبى العيناء فى سُرْعَة جوابه ، وجَوْدة بديهته ، وكثرة روايته . وكان الناس يتبعونه ويكتبون مايقول ، وكان قد شرب البلاذر فعرضت له حدّة مُفْرِطة .

---

(١) فى كتب اللغة التى بأيدينا : العنجر : القصير من الرجال .

(٢) رعبل الثوب : مزقه . (٣) زهر الآداب : ٧٩٠ .

وأحضره أبو بكر محمد بن الخازن ، فقال : بلَغنى بَلاءُ[1] لسانك ، وكثرةُ أذاكَ للناس ، وقبيحُ معاملتك للأشراف ؛ فاحذَرْ أن تعودَ ؛ فينالَك منى أشد العقوبة ، وصال عليه بالكلام .

وكان الصبيانُ يتولّعون به إذا مرّ ويصيحون : ياخازن ! ياخازن ! اخرج عليه فيغضب ؛ فقال له ذلك يوماً صبىّ وأبو بكر المعيطى حاضر فضحك المعيطى ؛ فقال للصبى : ضرب الله عنقَ الخازن كما ضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنق عقبة ابن أبى معيط يوم بَدْر على الكُفْر ، وضرب ظَهْرَ أبيك بالسوط كما ضرب علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه ظَهْرَ الوليد بن عقبة على شرب الخمر ، وألحقك ياصبىّ بالصبية. فقام المعيطى كأنما نُشِر من قبر .

يريد بقوله للصبى : وألحقك بالصبية قول النبى صلى الله عليه وسلم لعقبة بن أبى معيط ــ وقد قال له: فمن للصبية يامحمد ؟ قال : النار والعياذ بالله منها .

[سيبويه يريد دخول حمام]

دخل مفلح[2] الحسنى الحمَّام وكان من جملة أصحابِ الحسن بن عبد الله بن طغج ابن جف الفرغانى ، وإليه ينسب ، فأتى سيبويه ليدخل فقيل له : الأمير مفلح أخْلاَه فاصْبِرْ ساعة . فقال : أو مثلى يُمْنَع الدخول ؟ لاأنْقَى اللهُ مغسوله ، ولا بلّغه سُولَه ، ولا وقاه من العذاب مهوله . وجلس حتى خرج . فقال له : إنَّ الحمام لا يُخلَى إلا لأحد ثلاثة : مُبتلى فى قُبله ، أو مبتلى فى دُبُره ، أو سلطان يُخَافُ من شره ، فأىّ الثلاثة أنت؟ قال : أنا المغروم[3] أعزَّك الله .

[جوار]

وهذا لجواب أشمول الإخشيدى ، وكانت له دار مشرفة على النيل يتنزه إليها فى

---

(١) فى زهر الآداب : بذاء .
(٢) زهر الآداب : ٧٩٢ ، الوفيات : ٤٣٣ .
(٣) فى زهر الآداب : أنا المقدم .

زمان المدّ وطيب الهواء ، وكان يجاوِرُه العباس بن البصرى فى راقوبة[1] له ، فاحتسبت فى تلك الدور ، وقيل لكافور : إنها مبنيّة فى فناء النيل فأمر بهَدْمِها ، فدخل ابن البصرى على كافور فأنشده :

يأيها الأستاذ ياذا الّذى ... هِمّتُه أعلى من الكوكب
انْظُرْ إلىَّ وإلى فاقتى ... وارْثِ لضعفى ولِمَا حَلَّ بى
فإنّ لى بالشط راقوبةً ... أضيقَ من قارورة المحلب
صغيرةً ضيقةً عَرْضُها ... عرض سرير جاء فى مركب
كأنها رِجْلٌ سماريّةٌ ... أخرجها ...[2] أو زيزب
فلو رأيت الزنج فى شَطِّنا ... وقد أحاطوا بأبى تغلب
عِمّةُ ذا حمراء مصقولةٌ ... وفاس ذا معتدِلُ المحرب
فى يد ذا محلب هائلٌ ... يارَبِّ سَلِّمْنِى من المِحلب
إن أخذتنى ضَرْبَةٌ منهمُ ... رأيتنى أرقصُ كالأَحْدَبِ
قد أحدقَ الصَّفْعُ بجيراننا ... بالشطّ بالأقْرَبِ فالأقرَبِ
وإن تماديت وخلّيتنى ... خشيت أن أدخلَ فى اللولب

فضحك كافور، والتفت إلى شمول : وقال : أنت بجواره ؟ قال : أنا مالى دار أعزَّ الله الأستاذ قد سلمت .

[تيه وكبر]

وكان أبو الفضل بن خنزابة ربما رفع أنفه تِيهاً ؛ فقال له ـ وقد رآهُ فعل ذلك: أشمَّ الوزيرُ ـ أيدهُ الله ـ رائحة كريهةً فشمر أَنْفَه ؟ فخجل فأطرق .

واستعمل أبو بكر النّهوض فلقيه رجل فقال : من أين يا أبا بكر ؟ فقال : من عند الزّاهى بنفسه المُدِلّ بِعِرْسِهِ ، التائه على أبناء جنسه . وكانت بنت الإخشيد تحته ، فلذلك قال : المُدِلّ بعِرْسه .

---

(١) لم نقف على معناها . (٢) هكذا فى الأصل ، ومكان النقط بياض .

وأتى مسلم بن عبد الله الحسينى وهو من أهل الحجاز وأوطن مصر فحُجب عنه . فقال : قولوا له يرجع إلى لبس العبا ، ومصّ النوى ، وسُكنَى الفَلَا ، فهو أشبه به من نعيم الدنيا .

[دار شؤم]

وكانت دار أبى جعفر أحمد بن نصر التاجر المغربى بمصر معروفة بالشؤم من قبل أبى جعفر ، فكان أبو بكر يمرّ بها فيقول : ياسيدتى تعودين إلى عادتك الجميلة . وأخباره كثيرة .

[من نوادر المخنثين]

لما جُعل عيسى بن موسى ولىّ العهد بعد المهدى وكان ولى عهد المنصور ، قال لمخنَّث قُدِّم إليه وقد جَنَى جناية : ما أراك تعرفنى فكنت تفعل هذا الفعل ؟ قال : بلى والله أيها الأمير ، إنى بك لعارف ؛ فأنتَ الذى كنت غداً فصرت بعد غدٍ .

خرج مخنَّث فى شدة الهاجرة ببغداد وهو وقتٌ لا يتصرف فيه أحد ، فلقيهُ رجلٌ فقال : لكم الليل ولنا النهار . فقال : صدقت ، ولكن رأيت وجهك فظننته قطعةً من الليل .

[أبو العبر وامرأته]

مرض رجل فجاء أبو العبر يعودُه وقد ثقل ، فصاحت امرأتُه : مَن لى بعدك ياسيّدى ؟ قال : فغمزها أبو العبر وَأومأ إليها أنا لكِ بعده ، فلما مات الرجل وانقضَتْ عِدَّتُها تزوّجها أبو العبر ، فأقامَتْ عنده حيناً ؛ ثم حضرت أبا العبر الوفاة ، فجاء عُوَّاده ؛ فصاحت مَنْ لى بعدك يا سيدى ؟ ففتح عينيه . وقال : لا يغمزها إلاَّ مَنْ تكونُ أمهُ زانية .

[عجوز وشابة]

وبينا ابنُ أبى ليلى فى مجلس القضاء إذ تقدَّم إليه امرأتان عجوزٌ وشابّة . فقالت الشابة : أنا أصلح اللهُ القاضى امرأةٌ مُبَدَّنَة[1] ، وقد بهرنى النَّفَس ؛ فإن رأى القاضى أن يأذن لى فأحسرَ عن وجهى فليفعل . فقالت العجوز : أصلح الله القاضى ، إنها من أحسن الناس وجهاً ، وإنما تُريدُ أن تخدعَ القاضى ، لا أَمتعها الله بما وهبها من الجمال . فقال لها ابن أبى ليلى : إذا أنتِ شدَدْتِ قناعَك فشأنك ووجهك .

فحسرت الفتاةُ عن وجه جميل. ثم قالت : أصلح اللهُ القاضى ، إنّ هذه عمتى وأنا أسمِّيها أمى لـكبر سنها ، وإن أبى مات وخلَّف مالا ، وخلَّفنى فى حجرها ؛ فجعلت تمونني وتحسِنُ التدبيرَ فى المال وتوفيره علىَّ ، إلى أن[2] بلغت مبلغَ النساء فخطبنى ابنُ عم لى فزوجتنى منه ، فـكان بى وبه من الحب مالا يوقف على صِفَته ، ثم إن ابنةً لعمتى أدركَتْ ، فجعلت هذه ترغّب زوجى فيها ؛ فتاقَتْ نفسه إليها فخطبها . فقالت . لست أزوّجكها حتى تجعلَ أمرَ بنت أخى فى يدى . فقال لها : قد فعلت ! فلم أشعر حتى أتانى رسولُها فقال : عمتك تقرئك السلام وتقول لك : إنَّ زوجك خطب ابنتى ، وإنى أبيتُ أن أزوِّجها منه حتى يجعلَ أمركِ فى يدى ففعل ذلك فأنت طالق ، فحمدت الله تَعالى على ما بليت به .

وإنَّ زوج عمتى هذه قدم من سفرٍ ، فسألنى عن قِصَّتى فأخبرتُه فقال : تزوجين نفسك ؟ فقلت : نعم ! على أن تجعلَ أمرَ عمتى فى يدى . قال لى : فما تصنعين إذاً ؟ قلت ذلك إلىَّ ؛ إما أن أعفوَ وإما أن أقتصَّ . قال : قد فعلت ، فأرسلتُ إلى عمّتى أنّ زوجَك خطبنى وأنى أَبَيتُ عليه حتّى يجعلَ أمركِ فى يدى ، ففعل ؛ فأنت طالق !

فضحك ابن أبى ليلى ! فقالت العجوز : لا تضحك أيها القاضى ، فالذى بَقِى أكثرُ وأعظم . فقالت الشابة : ثم إن زوجَ عمتى مات فجعلَتْ تخاصمنى فى ميراثه ،

---

(١) المبدنة : الجسيمة .   (٢) فى ط : إنى إذا بلغت .

فقلت لها : هو زوجى وأنا أحقُّ بميراثه ، فأغرت ابنَ عمى ووكلته بخصومتى ففعل .

فقلت : يابن العم ؛ إن الحقَّ لا يُستحى منه وقد صلحت لك إذ نكَحْتُ زوجاً غيرك ، فهل لك فى مراجعتى ؟ فقال : كان ما كان ولا ذَنْبَ لى فيه، بل كنَّا على أشد رغبة وأعظم محبّة . ثم قال : أو تفعلين ؟ قلت : على أن تجعل أمر بنت عمّى بيدى . قال : قد فعلت . فأرسلت إلى بنت عمتى أن زوجَك خطبنى وأنى أبيتُ عليه حتى يجعل أمرك فى يدى ففعل ، فأنت طالق .

فقالت العجوز : أصلح اللهُ القاضى ؛ أيحلُّ هذا ، أطلَّق أنا وابنتى ؟ فقال ابن أبى ليلى : نعم ، التَّعْس (١) والنَّكْس لك .

ثم ركب إلى المنصور فأخبره حتى ضحك وفحص برجليه ، وقال : أبعد الله العجوز ولا فرّج عنها .

[حمار عاقل]

أتى رجل نخاساً فقال : اشتر لى حمارا ليس بالصغير المحتقَر ، ولا الكبير المشتهر، إن أشبعته شكر ، وإن أجعتهُ صبر ، وإنْ خَلاَ الطريق تدفَّق ، وإن كثر الزحام ترّفق ، لا يصدُم بى السوارى ، ولا يدخل بى تحت البوارى ، إن ركبته هام ، وإن ركبه غيرى نام. فقال له النخاس : أنْظِرنى قليلا ، فإنْ مسخَ الله ابن أبى ليلى القاضى حماراً اشتريتُه لك .

[جارية]

وكتب بعضُ الكتاب إلى محمد بن منصور : وإنّ بين كل أمر يطالبه الرجاء وبين المطلوب إليه ذريعةً يتوصّل بها إلى معروفه ، ولى بارتجائك لمعرفتى بفضلك ، وكذا الوسيلة ، وما كنت متوسلا إليك بشىء هو أرجى فى حاجتى ولا أصلح لطلبتى من التوسّل إليك بحسن الظنّ فيك ، وحاجتى ـ أكرمك الله ـ ظريفة

(١) النعس : الهلاك .

من الجوارى لم تتداولْها أيدى التجار ، ولا تبذَّلها معاودةُ العرض ، ولى فيها شريطة أعرضها عليك لترى رأيكَ فيها ، أحبها فَرْعَاء فإنه يقال: إذا اتخذْتَ الجاريةَ فاستَجِدْ شعرها؛ فإن الشّعر أحد الوجهين ؛ وتكون رائقة البياض ، تامَّة القوام ؛ فإن البياض والطول نصفُ الحسن ؛ وتكون مليحةَ المضحك ، فإنه أول ما يَجْلِبُ المحبّة ، ويكسبُ الحظوة ، ولست أكره الانكسار فى الثدى ، لأنه ليس للناهد عندى سوى لذّة النظر . ولست من قول الشاعر :

جالَ الوشاحُ على قضيبٍ زانه رمّان ثَدْى ليس يقطف ناهد

فى شيء . وأكره العجيزةَ العظيمة وأُريدها وسَطا ؛ لأن خيرَ الأمور أوسطُها، لها طَرْف أدْعَج ، وحاجب أَزجّ ، وكفل مرتجّ ، وما وافقت هذه الصفة وكانت رخيمةَ الكلام ، شهيّةَ النغمة، فهى حرّة قبل أن ترسلَها ، وحاجتى ـ أبقاك الله ـ يحملها قدْرُك ، ويستحقُّها شكرُك . وأنا بالإضعاف حرىّ ، وأنت بالإسعاف قمين .

فأنفذ إليه محمد بن منصور خمسمائة دينار ، وكتب إليه : قد سألتُ ـ أكرمك الله ـ عن هذه الصفة فلم أجدها ، فالتمِسْها أنت ؛ فإن وجدتَها فهذه خمسمائة دينار تدفعها عربونا حتى أبعثَ إليك بالثمن ، والسلام .

[خطبة النكاح]

قال أبو سودة لابنه : يابنى ، تعلَّم خطبة النكاح ، فإنى أريدُ أن أنكِح أخاك ، قال : نعم ! فلما كان من الليل قال : أتعلمت شيئا ؟ قال : نعم ! قال : هات . قال : الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأُومن به ، وأتوكّل عليه ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبدُه ورسوله . حىّ على الصلاة حىّ على الفلاح . فقال أبوه : يابنى ، لا تُقِم الصلاة حتى أذهبَ وأجىء ، فإنى على غير وضوء .

وهذا كقول ابن أبى حفصة لما قال علىّ بن الجهم قصيدته التى أولها :

* الله أكبرُ والخليفة جعفر *

أراد علىٌّ أن يقول قصيدة بمَدْح أمير المؤمنين فأذّنا

فقلت له لاتعجلنَّ إقامةً ... فلستُ على طُهْرٍ فقال : ولا أنا

***

أقبل من أسفل الأرض

قال يزيد بن أبى حبيب لرجل : مِنْ أين أقبلت ؟ قال : من أسفل الأرض . فقال له : كيف خَلَّفْتَ قارون؟

يبنى صرحا

وقال عبد الله بن خزيمة لصاحب شرطته : أين تذهب ياهامان ؟ قال : أَبْنى لك صَرْحا .

[صبى يتعلم الهجاء]

أَسْلَمَ رجلٌ ابنَه إلى المعلم وقال له : علِّمْه الهجاء ، ولا تَشْغَله بغيره ، فطال ترداده إلى المكتب ؛ فقال أبوه : تعلّمت الهِجَاء ؟ قال : نعم ! قال : ماهِجَاء طير ؟ قال : ط ا س ر ا ا ح الا ى ا ، قال : ماهجاء سمكة ؟ فقال : س م ك ا ه ا خ ح د د ، فأرسل إلى المعلم فحضر . فقال له : ويحك ! تقدَّمْتُ إليك أَنْ تعلِّم هذا الصبى الهجاء ، وقد سألته عن هجاء طير ، فقال كذا وكذا . وسألته عن هجاء سمكة ، فقال : كذا وكذا . فقال المعلم : تجىء إلى صبىّ صغير تُهَجِّيه شيئا يطيرُ فى الهواء وشيئا يَغُوص فى قعر البحر كيف يتهجَّاه ! فقال: هجِّه أنت . فقال المعلم : أهجِّى لك حماد؟ قال : هَجّ . فقال : ح م د ك س ، فانتهره أبو الولد وانصرف .

* * *

رأس الكبش

أبو محمد النوبهارى ــ أتاه رجل فقال : وضعت رأسى فى حِجْر امرأتى فقالت : ماأثقلَ رأسك ! فقلت : أنت طالق إن كان رأسى أثقلَ من رأسك . فقال : تطلق عليك ، فقيل له : ولم ؟ فقال : لأن القصابين أجمعوا على أن رأْسَ الكبش أثقل من رأس النعجة .

صفة الدجال

وكان المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أصيبت عينُه عام غزوة مسلمة القسطنطينية ، وكان يُطْعِمُ الطعامَ حيث نزل . فجاء أعرابىّ فجعل يديمُ النظر إلى المغيرة ولا يأكل . فقال له : مالك ياأعرابى ؟ فقال : إنه ليعجبنى كثرةُ طعامك وتُرِيبنى عَيْنُك . قال : ومايُرِيبك منها ؟ فقال : أراك أعورَ تطعِمُ الطعام ، وهذه صفة الدجّال .

فضحك المغيرة وقال: كُلْ ياأعرابى فإنّ الدجّال لاتصابُ عينُه فى سبيل الله .

[من شعر أبى العتاهية]

حضر يعقوب بن إسحاق الكندى مجلساً فيه قينة ، فقالت له : اقترح . فقال لها غنى :

لو تجسّينَ ياعُتَيبة عِرْقى   لوجدتِ الفؤاد قرحا تَفَقَّا

فقالت : إن أردتَ جسَّ العروق والنظر إلى الأبوال فعليك بالبيمارستان .

هذا البيت فى أبيات لأبى العتاهية إسماعيل بن القاسم ويكنى بأبى إسحاق ـ وأبو العتاهية لقب ـ وفيها :

قال لى أحمدٌ ليعلمَ مابى   أَتحِبُّ الغداةَ عتْبةَ حقَّا
فتأملت ثم قلت نعم   هاجرى فى العروق عِرْقاً فعِرْقَا[1]
قد لعمرى مَلَّ الطبيبُ وملَّ الـ   ـعواد منى مما أُعَنَّى وأَشْقَى
ليتنى متّ فاسترحتُ فإنى   أبداً ماحَييتُ منها مُلَقَّى

شعر أبى العتاهية

وكان أبو العتاهية سهْلَ الشعر ليّنه ، وتندر له الأبيات على صحةِ شعره فتحسن ، وكان يقال : شعر أبى العتاهية سُبَاطَة[2] الملوك تجدُ فيها الدّرة والخزفة ، وأنشد الجاحظ شعره فمجّه فقال : أُلفيته[3] أَملسَ المتونِ ليس له عيون .

وقد قال ابنُ الرومى لرجل أنشده شعراً سليما من العيوب مطبوعا عاريا من تدقيق المعانى : نحن أعزك الله نحبُّ مع السلامة الغنيمة .

غرام الرشيد بشعره

وكان الرشيد مغرَماً بشعره مستظرفا له . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : ذُكِرْتُ عند الرشيد بذمّ ، وكان فيه أن قيل : هو ياأمير المؤمنين عَلَى حداثةِ سنّة وقصر معرفته يخالِفُك ؛ فيقدم العباسَ بن الأحنف على أبى العتاهية ، فاستحضرنى وقال : مَنْ أشعر

---

(١) للبيت رواية أخرى هى :

فتنفست ثم قلت نعم حبـ   ـبا جرى فى العروق عرقا فعرقا (هـ . ط) .

(٢) السباطة : الموضع الذى يرمى فيه التراب والأوساخ وما يكنس من المنازل.

(٣) فى ط : لقيته .

عندك أبو العتاهية أم العباس؟ فعرفت ماأراد فقلت : أبو العتاهية : فقال : أنشدنى للعباس فأنشدته أحسن ماأعرف له[١] :

أُحرَمُ منكم بما أقول وقد ... نال به العاشقون مَنْ عشقوا
صرت كأنى ذُبَالَةٌ نُصبت ... تُضىءُ للناس وهى تحترق

فقال : فأنشدنى لأبى العتاهية فأنشدته أحسن ماأعرف له :

كأنّ عتَّابَةَ من حُسْنِها ... دمية قسّ فتنَتْ قسَّها
يارِبّ لو أنسيْتَنيها بما ... فى جنَّةِ الفردوس لم أنْسَها
إنى إذاً مثلُ التى لم تزَلْ ... دائرةً فى طَحْنِها كُدْسَها[٢]
حتى إذا لم يَبْقَ منه سوى ... حَفْنَة برٍّ خَنقَتْ نفسَها

فقال : هذا الذى أنشدت لأبى العتاهية من أعابيثه التى لا يُلقِى لها بالاً ، ولكن هلاّ أنشدتنى قوله :

قال لى أحمد ولم يدر مابى ... أتحبُّ الغداةَ عُتْبةَ حقا

وأنشد الأبيات ، ثم قال : أيحسنُ أحدٌ أن يقول : فتنفست ثم قلت : نعم[٣].
قلت : لا يا أمير المؤمنين وما أحفظ الشعر . قال : احفظه ! وكُنت أعرَفُ به منهُ .

[من جيد شعره]

ومن جيد شعر أبى العتاهية قوله لأحمد بن يوسف ، وكان له صديقاً قبل الوزارة ، فلمَّا وزر للمأمون جفاهُ :

أبا جعفر إنّ الشريفَ يهينه ... تناهيه من دون الأخلاَّء بالوَفْرِ
فإنْ تِهْتَ يوماً بالذى نلت من غِنًى ... فإنَّ عزائى بالتَّجمّل والصبرِ
ألم تر أنّ الفقر يُرْجى له الغنى ... وأن الغنى يُخْشَى عليه من الفقر

(١) ديوانه : ١١١ . (٢) الكدس : الحب المحصود المجموع .
(٣) على الرواية الثانية للبيت ، التى أتينا بها فى هامش الصفحة السابقة .

وقوله له وقد أتاه فقيل له إنه نائمٌ :

لئن عدتُ بعد اليوم إنّى لظالم[1] ... سأصرفُ وجهى حين تُبغَى المكارم

متى يظفر الغادِى إليك بحاجةٍ ... ونصفُك محجوبٌ ونصفُكَ نائم

وقوله :

ميّت مات وهو فى وارف[2] العيـ ... ـش مقيمٌ فى ظل عيش ظليل

فى عداد الموتى وفى ساكنى الدّ ... نيا أبو جعفر أخى وخليلى

لم يمت ميتة الوفاء ولكن ... مات عن كلّ صالحٍ وجميل

وهذا القول لعمرو بن مسعدة[3] :

عَييت[4] عن العهد القديم عَييتا ... وضيعت عهداً كان لى ونسيتا

وقد كنت[5] فى أيام ضَعْفٍ من القوى ... أبرَّ وأَوْفَى منك حين قَوِيتاَ

تجاهلت عمّا كنْتَ تُحْسِنُ وَصْفَهُ ... ومتَّ عن الإحسان حين حَيِيتاَ

وكان عمرو بن مسعدة صديقاً له قبل ارتقاء حاله ، فلمّا بلغ فى أيام المأمون إلى رُتْبة الوزارة سأله حاجةً فلم يقْضِها، فتأخّر عنه فغضب عمرو وحجبه فكتب إليه :

بلوتُ إخاءَ النّاسِ يا عمْرُو كلّهمْ ... وجرَّبت حتى أحكَمْتنِى تَجَاربى

فلم أَرَ وُدَّ الناسِ إلاَّ رضاهُمُ ... فمن يزر أو يغضَبْ فليس بصاحب

وانحدر إلى واسط فلم يعد حتى تغيّرتْ حال عمرو .

شعره فى الزهد

فأمَّا شعره فى الزهد فقد فات فيه الشعراءَ وبزَّ النظراء ؛ وغزلُه يلينُ كثيراً ويشا كل كلام النساء ، كقوله :

لجت عتيبة فى هَجْرِى فقلت لها ... تبارك الله ما أجفاك يامَلَكَهْ

إن كنت أزمعِت يا سؤلى ويا أملى ... حقّا على عبدك المسكين بالهَلَكَهْ

(١) تضمين للآية : فإن عدنا فإنا ظالمون (هـ . ط) . (٢) فى ط : ورق .

(٣) زهر الآداب : ٨٢٨ . (٤) فى زهر الآداب : غنيت . . . غنيتا .

(٥) فى ط : وكنت .

فقد رَضِيتُ بما أصبحتِ راضيةً ها قد هلكت على اسم الله والبركه

وربما بلغ بلينه إلى الإضحاك كقوله :

عتّابةُ النفسِ كاعِبٌ شَكِلَهْ كَحْلاء بالْحُسن غير مُكْتَحِله
بالله هل تذكرين يا سكنى وأنت لا تقصرين فى الحجله
أيام كُنّا ونحنُ فى صغر نلعبُ هالا مهلهلا هلله

وهذا وإن قصد به الهزل فليس فى حلاوة قول العباس[١] :

لست أنسى مقالَها لرسولى أبدا أو تَضُمُّنى أَرْمَاسِى
هات قُلْ لى كتابُ مَنْ ذا فإنى منهُ فى خيفة وفى إيجاسِ
فنبذت الكتاب سِرًّا إليها فتبدّى العنوان من عبّاسِ
فرمت بالكتاب زهواً وقالت ما بَقِىَ للقُرود إلاَّ الكراسى

ولا كملاحة قوله[١] :

جارية أعجبها حسنُها ومثلها فى الخَلْقِ لم يُخْلَقِ
عرّفتُها أنّى مُحِبٌّ لهاَ فأقبلت تضحكُ من مَنْطِق
وانصرفت نحو فتاةٍ لَها كالرشأ الأغيد فى قُرْطَق[٢]
قالت لها قولى لهـذا الفتى انظر إلى وجهك ثم اعشق

[من نوادر الجهلاء واللكن]

شيخ جليل ألكن

وكان بالرملة شيخٌ جليل نظير لأبى بكر النّابلسى فى طريق الزهد ، وكان أَلْكَنَ اللّسان ؛ فنزل بعضُ الجند دارَ صديق له ، نخاف طولَ مُكْثِه ، وأَنْ تصيرَ الدارُ نُزلا للجُند ، وسار بذلك إلى الشّيخ ، وسأله أن يبعثَ إليه مَنْ يعرّفه بالرَّجل أنّه من خاصّته لينتقلَ عنها ؛ فأنفذ معهُ رسولا ، ثُمّ رأى الشّيخ أن قيامَه آكد فنهض فلحقه . فقام الجندىّ إليه ؛ فقال : أيّها الشيخ الجليل سيّدى ؛ أتانى رسولُك ، ولا

---

(١) ليست فى ديوانه المطبوع . (٢) القرطق : لبس . وهو معرب .

ـ والله ـ أقيم أكثر من يومين ألتمسُ منزلا وأنتقل . فقال الشيخ : نعم ! ياسيّدى وشهرين إذا شئت ، وماهذا التضييق على نفسك ؟ فقال صاحبُ الدار : والله ـ أعزك الله ـ لئن أقام بها عشرة أيام لتصيرنَّ دارى نزلا . فقال : يا هـذا ، إنك إن تقول ، أن هؤلاء ، إنما أحب إليك أن يأتوا إلى دارك ، لسبب ما ، فليس الأمر كما زعمت . فقال : فسِّر لى ـ أكرمك الله ـ هذا الكلام ، وأنا أهَبُ له الدار .

كاتب جاهل

وكان بالرملة أيضاً كاتب جاهل ألكن ، فأرسل غلامَه إلى الصوارف يبتاعُ له شراباً ، فاشترى له رَكوَة[1] شراب ، وحملها على حمار وأتى الرملة . فقبض عليه أصحابُ المصالح ، فقالوا : زِن درهماً ، فامتنع فأرجلوه عن الحمار فضربوه خمسين مِقْرَعة ، وأخذوا الشرابَ والحمار ؛ فأتى مولاه فأخبره . فكتب إلى متولّى النظر فى أمرهم : أمابعد ، فإن غلاماً ، وإن حماراً ، ألبسبله[2] ، فضرباه . خمسين رطلا فى رَكوَة ، فرأيك فى إطلاق الحمار ، وأبقاك .

اختصار مخل

وقال بعض إخوانه : كنت عنده فاحتجم ، فقال : ما عندى اليوم شراب نبيذ ، فاجلس حتى أكتبَ إلى صديق فلان يبعثُ لى بقنينة أشربُها معك . فقلت له : أنت مطول فى كتبك فاعمَلْ على الاختصار . فكتب : أما بعد احتجمت قنينة والسلام ، فقلت له : ولا هذا كله !

شاعر يمدح بشعر جله غزل

ومثل هذا[3] فى الاختصار ، قيل إن شاعراً مدح نصر بن سيار بقصيدة فيها مائة بيت كلها نسيب ، وإنما المدحُ منها فى بيتين . فقال له نصر : ما تركتَ معنى ظريفا ولا نسيباً مليحاً إلا أوردتَه فى نسيبك دون مَدْحِكَ . فقال : غداً أغْدُو عليك بغير هذا ؛ فغدا عليه بقصيدة أولها :

هل تعرف الدار لأم الغمر دَعْ ذا وحَبِّر مِدْحَةً فى نَصْرِ

وكتب هذا الكاتِبُ كتابا إلى بعض إخوانه : اشتهيت وليس عندى إلاّ ،

---

(١) فى ط : ذكرة . (٢) هكذا بالأصل . (٣) فى ط : وهذا فى الاختصار .

وليس يحلو إلاَّ من عندك ، وهو الدمكسك أصلحك الله ، يطرح الحشمة ، فأرسل إلى ممسا منفصلاً والسّلام .

أراد النمكسود ــ وهو لحم يقطَّع طوابيق ويشدُّ بالملح فى ألواح ويُنْشَر حتى يذهبَ ماؤُهُ وينشف ؛ فإذا احتيج إلى شيء منه بُلَّ بالماء وأُصلح ؛ وإنما يستعمل كذا ليسافر به ولا يفسد . ولذا قال أبو العيْناء : الزينبى نمكسود الحمر .

وكتب رجلٌ إلى قاضٍ فى أمر قوم من جيرانه اختصموا : إنَّ الذى لم يجر بينهما غير مفهوم ، وقد أردت الاستصلاخ فعاد استفساداً ؛ فإن رأى القاضى ــ أدام الله عزله ــ أن يصفح عن كتابى فإنّ فيه نقصاً . فقال القاضى : لا ، بل فيه زيادة لام ، كفانا الله شرَّها. زيادة فيهاشر

[من معاريض الكلام]

ورئى قبران مكتوب على أحدها : من رآنى فلا يغترُّ بالدنيا ، فإنى كنتُ من ملوكها أصرِّفُ الريحَ كيف شئت . وعلى الآخر مكتوبٌ : كذب ، إنما كان حدّاداً ينفخ بالزِّق .

وكان بالكوفة رجلٌ باقلاَّنى ، فخرج الطائفُ ليلا فأخذهُ سكران ؛ فقال : من أنت ؟ فقال :

أنا ابنُ الذى لا تنزلُ الدّهرَ قِدْرُه وإن نزلَتْ يوماً فسوف تعودُ
ترى الناس أفواجاً إلى ضَوْء ناره فمنهم قيامٌ حولَها وقُعودُ

فقال الطائف : قد جاء عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : تجاوزوا عن ذوى الهيئات ؛ خلّوا سبيله . فلما أصبح سأل عنه فإذا هو ابنُ باقلاَّنى . فقال : إن لم يُتْرَكْ لنسبه فقد ترك لأدبه .

ومثله من المعاريض قول ابن شبرمة ؛ وقد سئل عن رجل . فقال : إن له شرفاً وقدماًوبيتاً ، فنظر فإذاهوساقط . فقيل له فى ذلك . فقال : ما كذبت: شرفه: أذناه[1]

(١) أذن شرفاء : طويلة ، وفى ط : أدناه .

وقدمه التي يمشي عليها ، ولا بدّ أنَ يكون له بيت يأوى إليه .

وسُئل آخر عن رجل ؛ فقال : رَزِين المجلس ، نافذ الطعنة ؛ فحسبوهُ سيّداً ، فإذا هو خيّاط طويل الجلوس نافذ الإبرة .

[من طرف النوادر]

طلب العتبي بعد ثمانين سنة أن يتزوّج ؛ فقيل له في ذلك . فقال : أولاد الزّمان فسدوا فأردتُ أن أُذِلّهم باليُتْم ، قبل أن يذلّوني بالعقوق .

بعث بعضُ ولد عيسى بن جعفر إلى جماعةٍ من المخنثين فأتوه ، فجعلوا يلعبون ويرقصون وبقي مخنّث منهم لايتحرك . فقال : مالك ؟ قال : لاأحسن شيئاً . قال : فلم دخلت يابن الفاعلة ؟ ياغُلام ائتني بسكرجة مملوءة روثا وأخرى مملوءة جمراً ، فأتاه بهما . فقال : والله لتأ كُلَنَّ من أحدها أو لأَضرِبَنّك حتى تموت . قال : يامولاي ؛ دعني أصلّي ركعتين . قال : قم فصلِّ ؛ فقام يصلّي فأطال . فقال له : يابْنَ الفاعلة، إلى كم تصلِّي ؟ قد صلّيتَ أكثر من عشرين ركعة ! فقال : ياسيدي ؛ أنا دائبٌ أَدعو الله أن يمسخَني نعامة فأَقوى على أكل الجمر ، أو خنزيراً فأقوى على أكل الخرا ، فلم يستجِبْ لي بعدُ ؛ فدَعْني أصلّي وأدعو ، فلعلّه يُستجاب لي ؛ فضحك منهُ ووصله .

هبّت ريحٌ شديدة ، فقال الناس : قامت القيامة فقال ربدة المخنّث : ياحمقاء[1] ؛ القيامة هكذا على البارد بلا دابّة ولا دجّال ولا دخان ولا يأجوج ولا مأجوج .

ورأى مخنث شيخاً هرماً ، فقال : عدمته ، كأنه قصر ابن هبيرة ذهب رَسْمُه وبقي اسمُه .

[من نوادر الأعراب]

قدّم قومٌ لأعرابي قريسا فأمعن في أَكْله . فقيل له : ياأعرابي ؛ ماهذا ؟ قال : فالوذج ؛ إلا أنكم أحمضتموه .

---

(١) جمع أحمق : حماق ، وحمق ، وحمقى ، و...

وابتاع أعرابىٌّ غلاما ؛ فقالوا له : إنّا نبرأُ إليك من عَيْب فيه . قال : ماهو ؟ قالوا : يبولُ فى الفراش . قال : إن وجد فراشاً فليفعل .

وقيل لأعرابى : لِمَ إذا غضبنا على غلام لنا قُلنا له : أباعكَ الله فى الأعراب قال : لأنا نُطيل كدّه ، ونعرّى جلده ، ونُجيع كَبده .

سارق الشعر

وقال أبو تمام لرجل سرق شعره[1] :

إنما الضّيغم الهصور أبو الأشـ ـبال رئبال[2] كلّ خِيسٍ وغَابِ
مَنْ عَدَتْ خَيْلُهُ على سَرْح شعرى [وهو للحين راتعٌ فى كتابى
غارة أسخَنَتْ عيون القوافى[3]] فاسْتحلَّت محارمَ الآدابِ
يَاعَذَارَى الـكلام صِرْتُنَّ مِنْ بَعْـ ـدى سَبايا تُبَعْنَ فى الأعراب

ورأى أعرابىٌّ سراويل فى فَلَاة ، فأخذه يظنّه قميصاً فلم يعرِفْ كيف يلبسه ! ! فمرّ يَعْدُو ورماهُ ؛ فلقيهُ رجل فقال : مالك ياأعرابى ؟ قال : أصبت قميصاً للشّيطان ، وأخافُ أن يلحقنى فيقولُ : لم أخذتَ قميصى ؟

[أعرابى فى عرس]

وقال الهيثم بن عدىّ : سمعت أعرابياً يقولُ[4] : دخلت حضرتـكم بعد عيد الأضحى ، فإذا أنا بجَمْع عظيم عليهم أنواعُ الثّياب من بيض وحُمر وصُفر ، فـكأنها زَهْرُ البُستان . فقُلت فى نفسى : هذا العيدُ الذى يذكرُ أصحابُنا أن الحضر يتزيَّنون فيه ، ثم رجعت إلى عقلى فقلت : وأىّ عيد هو ؟ وقد خرجت بعد الأضحى ، فبينا أنا باهت[5] أفـكّر فى أمرى إذ أخذ بيدى رجلٌ منهم . فقال : ادْخُل ياأعرابى .

---

(١) ديوانه : ٤٨٧ . (٢) فى الديوان : متاع . (٣) من الديوان .
(٤) العقدالفريد : ٣—٤٨٦ ، الأغانى: ١٢—٣٣ . (٥) فى القاموس : هو مبهوت ، لا باهت ولا بهيت .

فدخلت فإذا بمجلس منضَّد بالنضائد ، موسَّد بالوسائد ، وفى صدره سرير ، وعليه رجلٌ جالس ، والناس صُمُوتٌ عن يمينه وشماله . فقلت فى نفسى : هذا الخليفة الذى يذكرون ، فقبَّلت الأرض وقلت : السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقيل : اسكت ياأعرابى ، هذا عروس ونحن فى عرسه ؛ فهـيِّئ لى موضع فى المجلس ، فجلست فيه فقدمت هنَات مدوَّرات من خشَب عليها ثيابٌ متلاحمة النسج ، فهممت أن أسند فى ثوبٍ منها أرقَعُ به إزارى[1] . فقيل لى : مُدَّ يدك ياأعرابى وكُلْ ، فإذا هو ضَرْبٌ من الخبز لاأعرفه ، ثم قُدِّمَت أنواعٌ من الطعام حلوة وحامضة وحارّة وباردة ، فأكلت ؛ ثم أُتِى بأوانٍ فيها ماء أحمرُ فجعلوا يَصبُّون فى أقداح ويشربون ، فناولونى منه قدحاً ؛ فقلت : أخاف أن يقتلنى . فقالوا : ياأعرابى ؛ إنه يهضم مافى بطنك ، فشربتُه فحدث فى قلبى طرب لاأعرفه ، وهممت أن أهشم الذى بجانبى ، وأن أقولَ للآخر : يابن الزانية ! فأقبلوا يسألون رجلا ، ويقولون : أمتِعْنا بنفسك ، فأتى بهنات لها رأسان مشدودان بالخيوط المحْصَدة ؛ فأقبل يضرِبُ رأسه ، فيخرج منها رَعْدٌ كهزيم الرعد وزئير الأسد[2] . وأخرج رجلٌ من كمِّه شيئا كفَيْشَلة الحمار ، فأقبل يردّد عليه به . وأقبل آخر يَنْتخ حتى كبح به الأرض . فقلت : مجنون ورب الكعبة ! ! ثم أقبلوا يضرعون إلى آخر ويرغبون إليه ؛ فأتاهم بدابَّةٍ من خشَب عَيْنُها فى صدرها إذا فتلت أذنها تكلّم فُوها ؛ فطرب كل من حضر وطرِبْت حتى تقدّمت إليه ، وقلت : ياسيدىَ ؛ ماهذه الدابة ؟ فقال : ياأعرابى ؛ هذه يقال لها البَرْبَط . فقلت : آمنت بالله وبالبربط ، ثم سقَوْنى قدحاً آخر ، فأخذتنى نومة لم يوقظنى منها إلاّ حرُّ الشمس من الغد .

---

(١) فى العقد الفريد والأغانى : فهممت أن أسأل القوم خرقة منها أرقع بها قميصى .

(٢) فى ط : كزئير الرعد وهزيم الأسد .

[البحترى يهجو على بن يحيى]

وفى على بن يحيى[1] يقول البحترى يهجوه[2] :

وا كثرت غِشْيَان المقابرِ زائراً   علىّ بن يحيى[1] جارَ أهلِ المقابر
فإلاَّ يكن ميت الحياة فإنّه   من اللؤم ميت الجود ميت المـآثر[3]

***

قال أبو العيناء : محمد بن مكرم والعباس بن رستم تعجّلاَ الجنة فى الدنيا ، يشربان الخمر ولا يصلّيان .   تعجلا الجنة

[من مكارم أبى الصقر]

ومما يعدّ[4] من مكارم أبى الصقر أنه لما ولّى الوزارة بعد صاعد دخل عليه ابنُ ثوابة فقال : تالله لقد آثركَ الله علينا وإنْ كُنّا لخاطئين . قال : لاتثريبَ عليك ياأبا العباس يغفرُ اللهُ لك وهو أَرحمُ الراحمين .

ولما ولّى أبو الصقر[5] الوزارة خيّر أبا العيناء فيما يحبّ حتى يفعلَه به . فقال : أريد أن يكتبَ لى الوزير إلى أحمد بن محمد الطائى يعرّفه مكانى ، ويلزمه قضاء حقّ مثلى من خدمه . فكتب إليه كتابا بخطّه فأوصله إلى الطائى ، فسبّبَ له فى مدة شهر مقدار ألف دينار ، وعاشره أجملَ عشرة ؛ فانصرف بأجمل مايحبّ .

[كتاب أبى العيناء إلى أبى الصقر]

وكتب[4] إلى أبى الصقر كتابا متضمنه : أنا أعز الله الوزير طليقُك من الفقر ، ونقيذك[5] من البُؤس ، أخذت بيدى من عَثرَةِ الدهر، وكبوة الفقر ؛ وعلى أية حال — حين نفدت[6] الأولياء والأشكال ، والإخوان والأمثال الذى يفهمون [فى غير تعب][7] ؛

---

(١) فى ط : على بن عيسى ، وهذا عن الديوان .   (٢) ديوانه : ٢ — ١٩٠ .

(٣) فى الديوان :

فإلا يكن ميت البشاشة فى الذى   يرى فهو ميت الجود ميت المآثر

(٤) زهر الآداب : ٧٨٨ .   (٥) فى ط : ونفيلك ، وهذه رواية زهر الآداب .

(٦) فى زهر الآداب : نقدت .   (٧) من زهر الآداب .

وهم الناس كانوا غِياثاً للناس ، فحللت عقدةَ الخلّةِ ، ورددت إلىّ بعد النفور النعمة ، وكتبت إلى الطائىّ كتاباً فكأنما كان منه إليك ، أتيته[1] وقد استصعبت علىّ الأمور ، وأحاطت بى النوائب[2] ، فكثّر من بِشْرِه ، وأعطى من ماله أكرمَه ، ومن برِّه أحكمه ، ولم يزلْ مكرِماً لى مدّة ما أقمت ، ومُثْقِلا لى من فوائده لمّا ودّعت ؛ حكّمنى فى ماله فتحكّمت ، وأنت تعرف جَوْرِى إذا تمكّنت ، وزادنى من طَوْلِهِ فشكرت ؛ فأَحسن الله جزاءك ، وأعظم حِباءك ، وقدمنى أمامك ، وأعاذنى مِن فقدك وحِمامك ، وقد أنفقتَ علىّ ما ملكك الله ، وأنفقتُ من الشكر مايسّر الله لى . والله عز وجل يقول : لِيُنْفِقْ ذوسَعَةٍ من سعته ؛ فالحمدُ لله الذى جعلك اليد العليا ، والرتبة السامية ؛ لاأزال اللهُ عن هذه الأمة مابسط لها من عَدْلك ، وبثَّ فيها من رِفْدِك .

[أبو العيناء أول من أظهر العقوق لوالديه]

قال أبو العيناء : أنا أَوّلُ من أظهَرَ العقوقَ بالبصرة لوالديه . قال أَبى : إنَّ الله قد قرن طاعتَه بطاعتى ؛ فقال : اشكرلى ولوالديك . فقلت : ياأبتِ ؛ إنّ الله أَمِنَنى عليك ولم يأمنك علىّ . فقال : ولاتقتلوا أولادكم خشيةَ إمْلاَق نحن نرزقكم وإياهم . وقال أعرابى لأبيه : ياأبت ، إنّ كبيرَ حقك علىّ لايُبْطِل صغيرَ حقى عليك ، والذى تمتّ به إلىّ أمتّ بمثله ، ولست أزعم أنّا سواء ولكنْ لايحلُّ الاعتداء .

[ابناك كعينيك]

وحكى أبو الحسن محمد بن جعفر بن لنْكك البصرى عن أبيه أنه جاور ببغداد فى أيام المقتدر رَجُلا من جِلّة الكتاب ، ونشأ له ولدان فَتَنا بغداد بحسنهما ، فبلغ الأكبر منهما فنقله من المكتب إلى الديوان ، وأراد أن يحصِّنَه بجارية فابتاعها له بألف دينار وقال : لاتُعْلِم أخاك فإنه يصغر عن ذلك ، فنمتْ داية الأصغر الأمرَ

---

(١) فى ط : منك إليه أنيسه .

(٢) فى ط : استكفت به الأمور ، وأحاطت به النوائب ، وهذه رواية زهر الآداب .

إليه . وقالت : إن أباك خصّ أخاك بشىء دونك . فقال لها : بم خصَّه ؟ قالت : بجارية . قال : هو إليها أحوج وأنا عنها أَغْنَى ، غير أنى أُشفِق أن يتّسعَ الخرق ، وما علمت أنه فضَّلَه مذ نشأ علىّ بشىء ، وأنا أُجِلّه عن المشافهة ، ولكن هاتى دواة ، فكتب إليه :

ليس لى بعد إلهى   مشتكى إلاَّ إليكا
وأخى فى الفضل مثلى   وكِلاَنا فى يديكا
لا تفضّلْه علىّ   بالحبا من نَاظِرَيْكا
إنما ابناك كعينيـ   ـك فداوِى مُقْلتيكا
إن أذقت العين كحلا   هاجت الأخرى عليكا

فابتاع له جارية بثمن جارية أخيه وأَنفذها إليه .

[بخور غير طائل]

وحضر أبو الحسن بن لنكك عند أبى الفتح نصر بن أحمد الخبز أَرُزِّى[١] فبخره ببخور غير طائل فقال :

تبصَّرْ فى فؤادى فَضْلَ حبٍّ   يفوقُ به على كلِّ الصحابِ
أتيناه فبخَّرَنا بشىء   من السقف المدخّن بالتهاب
فقمْتُ مبادِراً وحسبت نَصْرًا   يريدُ بذاك طَرْدِى أو بعادى
فقال متى أراك أَبا حُسَيْن ؟   فقلت له إذا اتّسخَتْ ثيابى

[بين أبى على البصير وأبى العيناء]

قال أبو على البصير لأبى العيناء : فى أى وقت وُلِدت من النهار ؟ قال: طلوع الشمس. قال : فلذلك خرجت مُكْدِيا[٢] ؛ لأنه وقتُ انتشار المساكين . فقال له أبو العيناء :

---

(١) هو شاعر كان يبيع الخبز بالأرز .   (٢) أكدى : قل خيره .

بيني وبينك مناسبةُ العمى، قال : كلا ! إنى من عميان الدوابّ، وأنت من عميان العصا .

بلغَتْ أبا على البصير عن أبى العيناء قوارص بظهر الغيب؛ فكتب إليه : أستزيدُ الله فى بقائك ؛ وأستمتعه بإخائك ، وأستحفظُه النعمى عندك . ربَّ مَزْح ــ أعزّك الله ــ قد بعث جدًّا ، وجَوْر قد أحدث قصداً ، ورب أمرٍ صغير خطره ، قد أعقب أمراً كبيرا آخره ، ونحن باستزادتنا بعهدك ، ومحاماتنا على ودّك ، وتمسكنا بعُرَى الأسباب التى بيننا وبينك ، واحتراسنا من جناية الدهر علينا فيك ، لا نقتصر على الاستظهار بالحجَّة ، والإبلاغ فى المعذرة ، دون استفراغ المجهود ، وبلوغ الغاية فى التأنى ، والحيلة فى استرجاع ماشذّ عنا منك ، وإبطال ما نمَّت به الأخبار إلينا عنك، من تحلّيك بنا فى العيب ، وتناولك إيانا فى الغيب ، فلا يزال أخٌ لك ــ مدَّ الله فى عمرك ــ تعدّ له ، على نفسك ، وثوقه لك وعليك ، قد ساقط إلىّ أحاديث عنك بطبائعها صلاح القلوب قليلا[1] بها بقاء المودة ، سريعة فى حل عُقْدتها وقطع مودّتها، أحاديث، أكره لنفسى بدأها ولك عاقبتها ، وكنت لا أزال أردّ ما يَرِدُ علىّ منها بتأوّل لفظك وحسن الظنّ بمعناك ، والتماس العذر لك على ضيق مخرجه ، وصعوبة مطلبه ؛ وأغلّب رأيى لهواك، وأقِفُ غضبى على عُتْباك ، وأحفظُ قَصْدك إلىّ متنصلا بما بلغنى عنك ؛ إلى حُرَم بينى وبينك ، لا يجِبُ حفظُها علىّ دونك ، حتى عاد تعريضُك تصريحاً ، وتمريضك تصحيحاً ، وفى نسبته فى صحتى إلى العمى ، وفى حلمى إلى الضعف ، إلى أن يئس الصديق من نَصْرى ، لما رأى من إغضائى فى أمر نفسى ، وقد بقى معى فَضْلة من أَداتى أنت تملكها دونى ، فإن صُنْتَها لى وو فّرتها على من أساء الاختيار[2] ؛ ولا أعدم أنصاراً من الأحرار ، أَسْعَدُ بمؤازرتهم ومكاشفتهم ، وأستغنى بنفسى عنهم .

---

(١) هكذا بالأصل ، وربما كانت العبارة : بطىء معها صلاح القلوب ، قليل بها بقاء المودة .

(٢) لعل العبارة : لاأعد ممن أساء الاختيار .

وقد كتبت فى هذا المعنى بأبيات هى لماقبلها ولما يكون بعدها ، فرأيك فى تفهّمها نفعك اللهُ بها :

أبلغ أَبا العيناء إنْ لاقيتَه قولا يكون لدائه حَسْما
نبئتُ أنك فى المغيب تسبُّنى وإذا التقينا كُنْتَ لى سِلْما
فَتروم هَجْرِى جاهداً أو نقيصتى سفهاً أراه باديا حِلْما
لا تغتنمْ لحمى فليس بآكلة واعلم بأنك واجدٌ لَحْما
إنى أُعيذك أن تكون رميّةً لسهام رامٍ إنْ رَمَى أَصْمَى

[شتم وردّ]

وشتم أبا على البصير بعضُ الطالبيين[1]، فقال : إنا — والله — مانعُيًا من جوابك، ولا نعجز عن مساءتك ، ولكنَّا نكون خيرًا لنسبك منك ، ونحفظ ما أضعتَ ، فاشْكُرْ توفيرَ ما وفَّرنا منك ، ولا يغرنك بالجهل [علينا][2] حلمُنا عنك .

[من شعر أبى على البصير]

وأبو على هو القائل[3] :

ألمَّتْ بنا يَوْمَ الرحيل اخْتِلَاسةً فأَضرم نيرانَ الجوى النظرُ الخَلْسُ
تأَبّت قليلا وهى ترعَدُ خيفةً كما تتأبى حين ترتعد[4] الشمس
نخاطبها صَمْتِى بما أنا مُضْمِرٌ وأَبلست[5] حتى لسْتُ يُسْمَعُ لى حسُّ
وولّت كما ولّى الشباب لطيّة طوت دونها كَشْحاً على يَأْسِها النفسُ

وقال يمدح الفتح بن خاقان[6] :

---

(١) زهر الآداب : ٣٨١ . (٢) من زهر الآداب . (٣) اللآلئ : ٢٧٦ ، زهر الآداب : ٣٨١ . (٤) فى زهر الآداب : حين تعتدل . (٥) فى زهر الآداب : وأنبست . وأبلس : سكت على مانفسه . (٦) زهر الآداب : ٣٨٢ .

سمعنا بأشعارِ الملوكِ فكلُّها إذا عَضَّ مَتْنَيه الثقاف(١) تأوَّدا
سوى ما سمعنا لامرئ القيس إنه يكون(٢) إذا لم يَشْعُر الفتحُ أَوْحدا
أقام زماناً يسمَعُ القولَ صامتاً ونحسبه إن رام أَكْدَى وأَصْلَدا
فلما امتطاه راكباً ذلَّ صَعْبُه وسار فأضحى قد أَغار وأنجدا

وقال يصف ليلة مطر :

وليلة عارض لا نومَ فيها أرِقْت لها إلى الصبح الفتيق
حمى فيها الكرى عينى ببيتٍ كأنَّ سماءها عينُ المشوق
تواصلت السحائبُ وهو بيتٌ وصدّت وهو قارِعةُ الطريق

***

وهذا كقول ابن المعتزّ :

رَوِينا فما نزدادُ ياربّ من حياً وأنت على ما فى الضمير شَهِيدُ
سقوف بيوتى صِرْنَ أرضاً أدوسُها وحيطانُ دارِى رُكَّعٌ وسجودُ

[من نوادر اللصوص]

ذهبت(٣) ثياب رجل فى الحمام ، فجعل يقول : أنا أعلم، أنا أعلم ، واللصُّ يسمعه؛ ففزع وظنّ أنه قدفطن به ؛ فردَّها . وقال له : إنّى سمعتُك تقول : أنا أعلم ، فما الذى تعلم ؟ قال : أعلم أنه إن عدمت ثيابى متّ من البرد .

[مستميح ولص]

زار رجل الخصيب بن عبد الحميد وهو أمير على مصر مستميحاً فلم يُعْطِه شيئا فانصرف . فأخذه أبو الندى اللصّ ـ وكان يقطع الطريق ـ فقال : هات ماأعطاك الخصيب . قال : لم يُعطنى شيئا ، فضربه مائتى مقرعة يقرّره على ما ظنَّ أنه ستره

---

(١) فى ط : الثقات . والثقاف : ماتسوى به الرماح . (٢) فى زهر الآداب : إننا نراه متى لم يشعر . . . (٣) فى ط : ذهب .

عنه . ثم قدم على الخصيب بعد ذلك زائراً فلم يعطه شيئا : فقال : جُعِلت فداك ! تكتب إلى أبى الندى أنك لم تُعْطِنى شيئا لئلا يضربنى ، فضحك ووصله .

[من طرائف الأجوبة]

ومر سالم بن أبى العقار بمحمد بن عمران الطلحى ـ وكان سالم أحد المُجَّانِ ـ فقال له سالمٌ : هذه الشيبة[1] والهيئة الحسنة والخضاب ، ولا تنزع عما أنت فيه !!

فقال : يا أبا سليمان ؛ أنى لأهمّ بذلك، فإذا مررت بمنزل ابنِ عمك طَلْحة بن بلال فرأيته على حاله لم يخسف به علمت أنّ فى الأمر فسحة بعد .

ولما مرض أبو نواس دخل عليه الجمّاز يعوده. فقال : اتَّق الله، فكم من مُحْصَنة قد قَذَفْتَ، ومن سيئة قد اقترفْتَ ، وأنت على هذه الحال ؛ فتُبْ قبل الموت . فقال : صدقت . ولكن لا أفعل ! قال : ولم ؟ قال : مخافة أن تكون توبتى على يدِ واحدٍ مثلك .

وقال الجماز: أراد أن يكتبَ أبو نواس إلى إخوانٍ له دعاهم ، فلم يجد قرطاساً يكتب فيه ! فكتب فى رأسِ غلام له أصْلَع ما أراد ، ثم قال فيه : فإذا قرأتم كتابى ، فاحرقوا القرطاس . فضحكوا منه وتركوا للغلام جلدة رأسه .

[نوادر لابن الجصَّاص]

تقدَّم الوزير على بن عيسى إلى ابن أبى عبد الله بن الجصّاص فى البكور ، فأتاه نصف النهار . فقال : ما أخَّركَ يا أبا عبد الله ؟ قال . بمحلَّتى ـ أعز الله الأمير ـ كلابٌ تنبح الليل أجمع ، فأسهرَتْنى البارحة ، فلما كان مع وجه السّحَر سكن نُباحُها، فنِمْتُ فغلبتنى عينى إلى الآن . فقال له : ومالك يا أبا عبد الله لا تتقدم فى قَتْلِها ؟ قال : ومن يستطيعُها أيها الوزير ؟ وكل واحد منها مثلى ومِثْلُ أبيك رحمه الله .

---

(١) فى ط : ما هذه الشيبة .

وخرجت يده من الفرش فى ليلة باردة ، فأعادها إلى جسَدِه بثقل النوم فأيقظته، فقبض عليها بيده الأخرى ، وصاح : اللصوص اللصوص ! هذا اللص جاء ينازعنى وقد قبضت عليه ، أدركونى لئلا يكونَ فى يده حديدة يضربنى بها ، فجاءوا بالسراج فوجدوه قد قبض بيده على يده .

ودخل على ابن له وقد احتُضِر ، فبكى عند رأسه ، وقال : كفاك الله يابنى الليلة مؤنة هاروت وماروت . قالوا : وما هاروت وماروت ؟ قال : لعنَ اللهُ النسيان ، إنما أردتُ يأجوج ومأجوج . قالوا : وما يأجوج ومأجوج ؟ قال : فطالوت وجالوت . قالوا : فلعلّك أردتَ منكراً ونكيراً . قال : والله ماأردت إلّا غيرها !! يريد ماأردت غيرهما .

وغفل عنه أهلُه يوماً فسمعوا صياحَه ؛ فأتوه فوجدوه فى بيت كالميت . فقالوا : مالَكَ ؟ قال : فكّرْتُ فى كَثْرَةِ مالى وشدَّةِ مصادرة السلطان للتجار فى هذا الوقت وتعذيبه لهم بالتعليق ، فعلّقت نفسى ونظرتُ كيف صَبْرى ، فزحلت[1] فلم أتخلَّصْ حتى كِدْتُ أموت .

وهذه الحكايات عن ابن الجصاص تنسَبُ إلى غيره ، والمحدِّثون مختلفون فى حكاياتهم ومضطربون فى رواياتهم .

أحمق مرزوق

وكان المعتضد إذا رأى ابنَ الجصَّاص يقول : هذا الأحمق المرزوق ! وكان أوسعَ الناس دُنْيَا ، له من المال مالا يُنْتَهى إلى عدّه ، ولا يوقَفُ على حدّه . وبلغ من جده أنه قال : تمنيتُ أن أخسر ، فقيل لى : اشتر التَّمر من الكوفة وبِعْهُ بالبصرة ، ففعلت ذلك ؛ فاتّفق أنَّ نَخْلَ البصرة لم يحمل فى ذلك العام ؛ فربحت ربحاً واسعاً .

وكان المعتضد : لما زفّت إليه قَطْر الندى بنت خمارَوَيْهِ بن أحمد بن طولون بعث أبوها إلى ابن الجصَّاص مائتى ألف دينار ، وكتب إليه قد جهَّزْنَاها بما قدرنا عليه ،

---

(١) زحل : زال ، وعن مكانه زحولا : تنحى .

وبالعراق طرائفُ لم تَصِلْ إلى أيدينا ، فاشْتَرِ ماتراه ؛ فاحتجزَ المالَ ولم يسأَلْ عنه .

وكان ابن المعتز لما خُلِع المقتدر لم يُقِمْ فى الخلافة إلاَّ يومين غير تامين ثم اضطرب حَبْلُه ، فهرب إلى دار ابن الجصَّاص فأخرج منها ، أخرجه المقتدر بعد أيام إلى القضاة والعدول ميتاً .

[سبب طلب ابن المعتز للخلافة]

وكان سبب طلب ابن المعتّز للخلافة : أنَّ المقتدر ـ وهو جعفر بن المعتضد وأمه أمة سوداء واسمها شغب ـ لمَّا استخلف أرجف الناس فيه وتكلَّموا فى أمره . وقالوا : كيف يلى الخلافة مَنْ لم يبلغ الحلم ؟ وكانت سنه يومئذ ثلاث عشرة سنة وشهراً وعشرين يوما ، وقالوا : لابدَّ من خَلْعِه لأنه سادس .

كل سادس من الولاة تعتريه النكبات

قال الصولى : وقد جرى فى السادس أمرٌ طريف من الاتفاق ؛ وذلك أنَّ الله تبارك وتعالى أورثَ الأرضَ سيِّدَ الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين بعده أربعةٌ . واستُخْلِف بعد علىّ رضى الله عنه الحسن ابنه وهو السادس نخلع . وسلم الأمرُ إلى معاوية ثم إلى يزيد بن معاوية ثم إلى معاوية بن يزيد ثم مروان بن عبد الحكم ثم عبد الملك بن مروان ثم بويع ابن الزبير فى أيامه أو بعدها وهو السادس نخلع ، ثم انقضت دولةُ بنى أمية ولم يكمل بعد الوليد ستةٌ ، وإنما ولى يزيد بن الوليد الناقص وإبراهيم بن الوليد بن مروان ومروان ابن محمد وهو آخر ملوك بنى أمية . ثم استفتح ملك بنى العباس بأبى العباس السفاح وأبى جعفر المنصور ومحمد بن المنصور المهدى وموسى الهادى بن المهدى وهارون الرشيد ابن المهدى والأمين بن الرشيد بن المهدى وهو السادس نخلع ، ثم وُلى المأمون بن الرشيد والمعتصم أخوه والواثق بن المعتصم والمتوكل ابن المعتصم والمنتصر بن المتوكل والمستعين أحمد بن المعتصم نخلع وهو السادس .

قلت أنا : وولّى القاهر محمد بن المعتضد والراضى أبو العباس ابن المقتدر والمتّقى أبو إسحاق بن المقتدر والمستكفى والمطيع الفضل بن جعفر المقتدر

والطائع أبو بكر عبد الكريم بن المطيع وهو السادس فخلع . وولى بعده أبوالعباس القادر وهو الخليفة فى هذا الزمان ، وكان الإرجاف فى أول ولاية المقتدر شديداً من الخاصَّة والعامة ، فلما قَتَل العباس وزيره أخذ محمد بن داود بن الجراح البَيْعَةَ على الناس لعبد الله بن المعتزّ ، ووجه إلى القضاء والعدول ، فاجتمع من القوَّاد وغيرِهم زهاء خمسةِ آلافٍ سوى الأتباع ، فأظهر لهم محمد بن داود عبد الله بن المعتزّ ، وكتب كتاباً خلع فيه المقتدر ، واحتجَّ بأن إمامته لاتجوزُ لقصوره من بلوغ الحلم وصغره عن الخلافة واستحقاق عبد الله إيَّاها لكماله وحُنْكَتِه ومعرفته فى أمور المسلمين وعِلْمِه بشرائع الدين ، فشهد العدول على مافى الكتاب ومَنْ حضر من أشراف بَغْدَادَ ، وبايعوا ابن المعتزّ ولقبوه المنتصف ، ويقال الراضى ، ويقال القائم بالحق ، وتقلّد ابن الجراح الوزارة ، وتكلّم عبدُ الله بن المعتزّ وذكر المقتدرَ وأنه لاصلاةَ للناس معه ولا حجَّ ولا غَزْو . وقال : قد آن للحق أن يتَّضح ، وللباطل أن يفتضح ، وقام وكيع فقرَّظه وذكر محاسِنَه وذكر شِعْرَ أبى العتاهية فى هارون الرشيد وهو :

أتته الخلافة منقادةً ... إليه تجرِّرُ أذيالَها

فلم تَكُ تَصْلُحُ إلاّ لَه ... ولم يكُ يصلحُ إلاَّ لها

ولو رامَها أحدٌ غيره ... لزلزلتِ الأرضُ زلزالَها

ولم يبق فى دار المقتدر حينئذ إلاَّ نفرٌ يسيرٌ ، وهرب بعضهم إلى ابن المعتز فسعى مونس الخازن وَسَوْسَنَ فى نَقْضِ هذا العقد فى اليوم الثانى ، وجدَّدَ للناس بيعة للمقتدر ، وأخرجا الأموالَ فزادا فى الأعطية ، فانجفل[1] الناس إليهما ، ولم يبق مع ابن المعتزّ أحدٌ ؛ فهرب إلى دار ابنِ الجصّاص ، وهذا خبر طويل ليس هذا موضع استقصائه. ثم خلع المقتدر بعد ذلك وقُتِل فى الحرب ، ولم يُقْتَل فى الإسلام خليفةٌ بين الصفين غيره.

رثاء ابن المعتز

ولما ظهر ابنُ المعتزّ ميتاً رثاه الناسُ ؛ فقال ابنُ بسام :

---

(١) انجفل القوم : انقلعوا فمضوا .

لله درّك من ميْت بمضيعة ناهيك في العلم والآداب والحسبِ
مافيه لوٌّ ولا ليت فتنقصه وإنما أدركَتْه حِرْفَةُ الأدب

وطولب ابنُ الجصاص بالتجائه إليه ، وأراد المقتدر قَتْله . فقال : ياأمير المؤمنين ؛ إنه ابنُ عمك ، وقد لجأ إلى داري ، وأنا غائبٌ عنها ، فكتمتُ أمرَه لعلَّ رأيك يَحْسُن فيه ، ولست بمضادّ في خلافة ولا قادح في مَمْلَكة ، وقَتْلي لاينفعك ؛ وفي حياتي لك فائدة . قال : وما فائدةُ حياتك ؟ قال : أدفعُ إليك كلَّ يوم أَلْفَ دينار ؛ فتركه وَوَفَى في ذلك مدّة .

وقد استحسن لابنِ بسّام رثاؤه لابن المعتزّ على سوء رأيه فيه ومهاجاته له .

[كتاب للبديع في مرض الخوارزمي]

وقد أحسن[1] بديع الزمان في هذا المعنى كلَّ الإحسان ، وقد كتب إليه إبراهيم ابن أحمد بن حمزة يهنّئه بمرض أبي بكر الخوارزمي — وكان بينهما من المهاجاة والمهاترة والمنازعة والمنافرة مايطولُ به الشرح :

الحرُّ — أطال الله بقاءك — لاسيما إذا عرفَ الدهرَ معرفتي ، ووصف أحوالَه صفتي ، إذا نظر علم أنَّ نِعم الدهر مادامَتْ معدومة فهي أمانيّ ، فإذا وجدت فهي عوارى ، وأنّ محنَ الأيام وإن مطلَت[2] فتستنفد وإن لم تصب فكأن قَدْ ؛ فكيف يشمت بالْمِحْنة من لا يأمنُها في نفسه ، ولا يَعْدَمها في جنسه . والشامتُ إن أفلت فليس يفوت ، وإن لم يمت فسوف يموت ، وما أقبح الشماتة بمن أمن الإماتة ، فكيف بمن يتوقعُها بعد كل لحظة ، وعقيب كلّ لفظة ، والدهرُ غَرْثان[3] طُعْمُه الخيار ، وظمآن شِرْبُه الأحرار . فهل يشمت المرء بأنياب آكِلِه ، أو يُسَرُّ العاقلُ بسلاح قاتله ؟

وهو الفاضلُ شفاه الله ، وإن ظاهرَنا بالعداوة قليلا ، فقد باطنّاه ودًّا جميلا ،

---

(١) زهر الآداب : ١٠٨١ ، رسائل البديع : ١١٦ .
(٢) في زهر الآداب : وإن طالت . (٣) غرثان : جوعان .

والحرُّ عند الحميَّةِ لا يصطادُ ، ولـكنه عند الـكرم ينقادُ ، وعند الشدائد تذهب الأحقاد ؛ فلا تتصور حالى إلاَّ بصورتها من التوجُّع لعلَّته ، والتحزُّن لمرضته ، وقاه اللهُ المـكروه ، ووقانى الله سماعَ المـكروه فيه .

[الخوارزمى رافضى]

وكان الخوارزمى رافضياً غالياً ؛ أخبرنى من رآه بنيسابور وقد خرج سكران وقد كظَّه الشراب فطلب فقاعاً فلم يَجِدْه . فقال : أيعوذنى الفقاع لمّا طلبتُه . فإذ كان يهتف بهذه الجملة لغير علّة فـكيف به مع تفزيع العلل ، وتوسيع الأَمل ، ممن يطابقه على كفره ، ويوافقه فى سرِّه . وكان فاحشاً بذيئاً ، مستخفا جريئاً على ذوى الإنعام عليه ، والإحسان إليه ، قال إسماعيل بن عباد لما بلغه موته :

سألت بريداً من خراسان مُقْبِلا ... أمات خوارزميكم ؟ قال لى : نعم !
فقلت اكتبوا بالجصّ من فوق قبره ... ألاَ لعن الرحمنُ مَنْ يَـكفُرُ النّعَم

[وسم قبيح]

وكان هجا بعضَ الملوك فظفر به فوسمه فى جبهته سطران فيهما شطران بأقبح هجاء ، فـكان يشدُّ العمامة على حاجبيه سَتْراً عليهما . ولذلك قال البديع فى مناظرته إياه — وقد ذكر مجلساً طويلا — غـنّى المغـنّى بحضرتنا :

وشبهنا بنفسجَ عارِضَيْه ... بقايا اللطْمِ فى الخدِّ الرقيقِ

فقال للحاضرين : أنا أَروِى الشعرَ الذى منه هذا البيت وهذا لايرويه . فقلت : روايتى تخالِفُ روايتك ، وإذا أنشدتـكها على روايتى ساءَتْك فى استماعها ، ولم يسرّك مصنوعها . قال : وكيف رِوَايتُك ؟ قال قلت :

وشبهنا بنفسجَ عارِضيه ... بقايا الوَسْمِ فى الوجه الصفيق

فلما أضجرَته النـكتة ، أخذته السكتة ، فخمدت نارُه ، ووقف حِمارُه .

[بين البديع والخوارزمى]

وكان البديع رحمه الله ، وهو أبو الفضل أحمد بن الحسين : قد أشرَقه بريقه ، ووعر عليه ما سَهل من طريقه. وكان الخوارزمى يرميه ببغْض ِ علىّ رضوان الله عليه ، ويشنع عليه بذلك ويُغْرى به الطالبيين :

يقولون لى لا تُحبّ الوصىّ ؟ ... فقلت الثَّرَى بفم ِ الكاذب ِ
أُحبّ النبىّ وآل النبىّ ... وأختص آلَ أبى طالب ِ
وأُعطِى الصحابةَ حق الْوَلاَء ... وأَجْرِى على سنن ِ الواجب ِ
فإن كان نَصْبا[١] ولاء الجميع ... فإنى كما زعموا نَاصِبى
وإن كان رَفْضًا ولاء الوصىّ ... فلا برح الرَّفْضُ من جانبى
فلّله أنتم وبهتانكم ... ولله من عَجب عَاجب
وإن كنتم من ولاء الوصى ... على العَجْب[٢] كنت على الغارب
يرى اللهُ سِرّى إذا لم تروْه ... فلمْ تحكمون على الغائب
ألاَ تبصرون لرشْدٍ معى ... ولا تهتدون إلى اللهِ بى
أعزّ النبىِ وأصحابه ... فما المرء إلاَّ مع الصاحب
أيرجو الشفاعة مَنْ سَبّهم ؟ ... بل المثلُ السوء للضارب ِ
حنانيك من طمع ٍ باردٍ ... ولبيك من أمل ٍ كاذب
له فى المكاره قلب الجبان ... وفى الشبهات يد الحاطب

[كتاب البديع إلى بعض الرؤساء]

وكتب البديع إلى بعض الرؤساء ــ وذكر الخوارزمى[٣] : ما ألومُ هذا الفاضل على نشر شرٍّ طوَاه[٤] ، وموقد حَرْب اجْتَواه ، ولكنى ألومُه على ما نواه ، ولم

(١) أهل النصب : المتدينون ببغضة على؛ لأنهم نصبوا له ، أى عادوه .

(٢) العجب : أصل الذنب . (٣) زهر الآداب : ٤٦٩ ، رسائل البديع : ٣١٧ .

(٤) فى زهر الآداب : على بساط شر .

يتبع فيه هواه ، ورامه ، ولم يبلغ تمامه . وأقول : قد ضرب فأين الإيجاع ؟ وأنذر فأين الإيقاع ؟ وهذه بوارقُه ، فأين صواعقُه ؟ وذاك وعيدُه ، فأين عديده ؟ وتلك بنودُه ، فأين جنوده ؟ وأنشد : * هذى معاهده فأين عهوده *

ما أَهْوَلَ رعده ، لوأمطر بعده ! اللهم لا كفران، أَراه أَشفق لغريب أن يُظْهِر عَوارَه ، وإن طار طِوارَه ، فإن كان قصد هـذا القَصْد فقد أساء إلى نفسه من حيث أحسنَ إلىّ ، وأجحفَ بفضله من حيث أَبقى علىّ ، وأَوهم الناس أنه هاب البحر أن يخوضَه ، والأسد أن يرُوضَه ، وشجَّعنى على لقائه ، بعد أن فزعنى(١) بإيمائه ، فبينا كنت أنشد : * إن جنبى على(٢) الفراش لنابى * إذ أنشدت :

* طاب لَيلى وطاب فيه شرابى * وبينا كنت أقول : * ما لقلبى كأنّه ليس منى *
إذ قلت : * أين من كان مُوعِدًا لى بأنّى *

[من مساجلات البديع والخوارزمى]

وبين البديع والخوارزمى مراسلات ومساجلات ، ومجالس ظريفة ومقامات ، فى ابتداء وجواب ، أخذَتْ بوصل الحكمة وفَصْلِ الخطاب ، ومن الهزل والجد :

فمن ظريف(٣) ما لأبى بكر من رسالة طويلة يهزأ فيها بالبديع : تواضَعْ لنا رحمك الله ، فإنَّ التواضعَ خُلقٌ من أخلاق السَّلَف ، وشَبكةٌ من شباك الشّرف ، وتصدَّقْ علينا بِبِشْرِكَ فإن الله يجزى المتصدقين ، وأَحْسِن فإن الله يحب المحسنين ، ولَايِنْ إخوانك فى قولك وَفِعلك ، وَلَو كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، ولولا أنى ـ رحمك الله ـ لا أقول بالرَّجْعَةِ ، ولا أذهبُ مذهب التناسخية ، لظننت أَنك يونس بن فروة إذ قيل فيه :

أمّا ابنُ فروة يونس فكأنه(٤) من كبره ذاك الحمار القائمُ

---

(١) فى زهر الآداب : بعد مابرعنى . وبرع صاحبه : غلبه . (٢) فى الرسائل : عن .
(٣) الرسائل : ١١٦ (٤) فى الرسائل : وكأنه فى .

ماالناسُ عندكَ غيرنفسكِ وحدَها والناسُ عندكَ ما عَداكَ[١] بَهائمُ

فلقدأعجبت بنفسك الخسيسة التى لا تستحقّ العجب ، وأحببت ما لا يساوى الحب ، حتى كأنّ كسرى أنو شروان حامل غاشيتك ، و[كأن][٢] قارونَ وكيلُ نفقتك ، وحتى كأنك بنيت منارة الإسكندرية من آجُرّ دارِكَ ، وشِدْتَ[٣] ملعب سليمان من بقايا رخام صَحْنك؛ وكأن خاتَم الدنيا فى خنصركَ ، وحسابَ خرجها ودَخْلِها فى بنصركَ ، وحتى كأنّ الشمسَ تطلُع من جبينك ، والغمامُ ينهى من يمينك ، وكأنّ كسرى أنو شروان صاحبُ نفقة إصطبل دوابّك ، ونمرود بنُ كنعان قهرْمَانك على ولدكَ وأهْلك ، وحتى كأن الكبريت الأحمر[٤] خزَفُ داركَ ، والدرة اليتيمة فى أخسّ[٥] سواركَ .

رحمك الله ! دَعِ لليونانية من الحِكْمة ما ينفقُ به سوقُهم ، واترك لبنى العباس من التملك ما تمْشِى به أمورُهم ، وأبْقِ للشمس والقمر من الحُسْنِ بمقدار ما يلُوحان به ، ويطلمان فيه ؛ وانظر إلى النساء من وراء حجاب ، ومن خَلْف بُرْقع ، وإلاّ خَرَجْنَ فى عشقك من ستر الله ، وقطَّعنَ أيديهُنَّ وقلنَ حاشاَ لله ، ولا تحمل الحرائر على خشونةِ الطلاق ، ولا تُذِق المماليك مرارة العتاق[٦] .

رحمك الله ! لى حوائجُ إن قضيتها فقدتسلّفت شكْرِى وثنائى ، وإن رددتنى عنها فقد رأيت أنموذج سُخْطِى وشكواى ، [قد][٢] اتفق الناسُ على ضياع النّسخة الأولى من كتاب العين[٧] فأملها علينا رحمك الله ! والكيمياء فقد أُنفِقَت فيها الأموالُ ، وتعب فيها الرّجالُ ، ثم لم يحصلوا منها إلاّ على مواعيد مزخرفة ، وأمانىّ

(١) فى الرسائل : ماخلاك . (٢) من الرسائل .

(٣) فى الرسائل : ووسعت . (٤) فى الرسائل : تكريت محل دارك .

(٥) فى الرسائل : والدرة اليتيمة أخس . (٦) فى الرسائل : الإعتاق .

(٧) هو كتاب فى اللغة ، وينسب إلى الخليل بن أحمد .

مسوّفة ، فما عليك لو علمتناها[١] وأغنيت الفقراء ، وزدت الأغنياء ، وأرحت النّاس من الضّرب فى البلاد ، ومن الكدّ والاجتهاد ، ومن أن يخدم فقير غنيًّا ، ويتّخذ بعضُهم بعضاً سخريًّا .

والزّيج الأكبر فقد انقطع أصلهُ ، ومات[٢] أهله ، وهو من مفاخرِ الروم علينا، ومن محاسنهم دوننا . فاعمَلْ على إصلاحه ، ولا تَدَع النصارى يفضلون المسلمين فى إبداعه . ومسجد دمشق فهو حسنةٌ يُباهى بها أهلَ المغرب أهل المشرق ، فابن لنا مثله ، ولا تثبت علينا فَضْلَه ؛ فإنما هى ساعةٌ من هندستك ، وجُزْءٌ نستعملُه من أجزاء حكمتك .

أنا لو سلمت أنّكَ إنسانٌ لنفيت عن نفسى الإنسانية ، وقضَيْتُ عليها بالبهيمية ، وصرت أَعْلَى منك فى النّقْصِ حكمة ، وفى الجهلِ طبَقَة . وإذا أردت أن تعلم أنّى فى ذمّك جادّ ، وفى مَدْحك لاعبٌ ، وفى الشّهادة علَيكَ صادقٌ ، وفى الشهادة لكَ كاذبٌ ، فانظرُ إلى تهافُتِ كلامى إذا لايَنْتك وجاملْتك ، وإصابتى الغرض وحَزِّى المَفْصِل إذا كاشفتك وباينتك ، وذلك أنَّ الصادقَ مُعَان مأخوذ بيديه ، والكاذبُ مخذولٌ مغضوبٌ عليه ، وما كان الله ليُوفّقنى وأنا أجامِلُ مَن لا يعرف قط إجمالاً ولا تجميلا ، وأفضِّلُ مَن لم يُناسب مذْ كان إفضالا ولا تفضيلا .

وليس يخفى عليك ـ أكرمك الله ! تطاول أهل العراق بعبدالله بن هلال الهَجَرى صديق إبليس : فأرِنا ـ رحمك الله ـ من عجائب صَنْعَتِك ، ولطائف شَعْبَذَتِك[٣] ، وأظهر من كُتبك ما تُحاكى به كُتبَ اليونانية ، وتكسدُ شعرهم وتهدم فَخْرهم ؛ فإنَّ إبليس تلميذ لك ، تعلّم منك وأخذ عنك ؛ وشتّان بين مَن يدَّعى أنَّ إبليس من أعوانه[٤] ، وبين مَن يدَّعِى[٥] أنه من غِلْمانه . وهل استنظر إبليس إلى يوم الوقت

---

(١) فى الرسائل : علمتناه . (٢) فى الرسائل : ونقرض . (٣) فى الرسائل : ولطائف فكرتك . والشعبذة : الشعوذة (٤) فى الرسائل : من إخوانه . (٥) فى الرسائل : يعتقد .

المعلوم إلاَّ ليُدرِك زمانك ، ويرى بُرهانك ، أى[١] وفقدكَ فلا شىء أعزّ علىّ منه ! ولا أحسن فى عينى ، أما سمعت قول على بن جَبَلة فى أبى دلف :

إنما الدُّنيا أبو دُلفٍ بين باديه ومُحتضره
فإذا ولّى أبو دُلفٍ ولّت الدُّنيا على أثَرِه

إلّا غضبت عليه ، واعتقدت أنّه أَخذ صفتك[٢] ، وأعارَ أبا دلفٍ مدْحتَك ، ولا سمعت قوله :

إنما الدُّنيا حميدٌ وعطاياهُ[٣] الجِسام
فإذا ولّى حميد فعلَى الدنيا السلام

إلّا تمنّيت لو عرفت قبره فرجَمْته ، أو عرفت بيتَه فهدمْتَه ، ولا سمعت قول ليلى الأخيلية :

فتى كان أحيى من فتاة حَيِيّة وأشجع من لَيْثٍ بخَفَّان خَادِرِ

إلّا قلت : كيف لو رأَتْ ليلى أخانا ، فتعلم كيف[٤] دعْوَاها من دعْوَانا . ولا أنشدت قول أبى السعلاء فى الرشيد :

أغيثاً تحمل الناقـ ـة أم تحمل هارونا
أم الشمس أم البدر أم الدنيا أم الدينا

فإنِّى والله أتعجّب[٥] حين قاله فى غيرك ، كيف لم ترْمِه جهنّم بشرارها ، والشياطين بأحجارها ، وأعجب منه قول مَنْ قال فى مَعْن بن زائدة :

مسحت معدّ وَجْهَ مَعْنٍ سابقا لما جرى وجرى ذَوُو الأحساب

كيف يسبق غيرُك فى حَلْبة وأنتَ فى عدادها ، أم كيف يكونُ غيرك سابق جيادها ؟ أنت ـ أيّدك الله ـ بين هؤلاء الشعراء مرحوم مظلوم ، سلبوك علاك وهى

---

(١) فى الرسائل : إنى . (٢) فى الرسائل : صنعتك . (٣) فى الرسائل : وأياديه .
(٤) فى الرسائل : أين . (٥) فى الرسائل : أعجب منه .

حُلاك، ونحلوها[1] قوما سواك ، والمدح الكاذب ذمّ ، والبناء على غير أساس هدم .

وهى طويلة جداً[2] ، مرّ له فيها إحسان كثير . وإنما احتذى فى أثرها مثال رسالة أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لأحمد بن عبد الوهاب المعروفة برسالة الطول والعرض وتعرف برسالة التوسّع والتدوير[3] ورسالة المفاكهات ، واتّبع أيضاً طريق أبى الفضل بن العميد فى رسالته لابن سمكة النحوى .

[بين الخوارزمى والبديع]

وقد جمع بديع الزمان جوامع ما جرى بينه وبينه فى كتاب أنفذه إلى بعض الأشراف ، أنا أكتب منه هاهنا قطعة على اختصار ، وهو وإن كان طويلا فليس مملولا ، لما ألبسه من حُلَل البلاغة ، وحلى البراعة ، وجِدَّته فى الآذان ، وحلاوته فى الأذهان ؛ وفيه أنواع تَنْفَتِح لها الأسماع ، وتنشرح لها الطباع ، ممّا ألف هذا الكتاب له من الملح الظّريفة ، والفكاهات الشريفة .

وأولها[4] : سأل السّيد أمتع الله ببقائه ، [إخوانه][5] أَنْ أُمْلِى جوامعَ ماجرى بيننا وبين أبى بكر الخوارزمى أعزّه الله من مناظرة مَرَّة ، ومنافرة أخرى ، وموادعة أولا ، ومنازعة ثانياً ، إملاء[6] يجعلُ الأسماعَ له عياناً ؛ فتلقيتهُ بالطاعة ، على حسب الاستطاعة ، ولكن للقضيّة سببٌ لا تَطِيبُ إلاّ به ، ومقدمات لا تحسنُ إلاّ معها ، وسأسوق بعَوْنِ الله صدر حديثنا إلى النّجْز ، كما يُسَاقُ الماء إلى الأرض الجرُز :

وأوّلها : إنّا وطِئْنَا خُراسان ، فما اختَرْنا إلاّ نيسابور دارا ، وإلاّ جوار السادة جوارا ، لاجرم إنا حطَطْنا بها الرّحْل ، ومدَدْنا عليها الطنُب[7] ، وقديماً كُنا نسمع

(١) فى ط : نخلوا بها . (٢) انظر رسائله المطبوعة سنة ١٣١٢ﻫ صفحة ١١٣ وعنوانها هناك : وكتب بها إلى أبى الحسن المعروف بالبديهى الشاعر يعبث به . (٣) اسمها فى رسائله ٨٢ : التربيع والتدوير (٤) الرسائل : ١٧ ، زهر الآداب : ٤٦٤ . (٥) من الرسائل .
(٦) فى الرسائل : إملاء يجعل السماع له عيانا . فما تلقيته إلا بالطاعة . . . إلا أن للقصة تشبيبا لاتطيب إلا به . . . صدر حديثنا إلى العجز . (٧) أصل الطنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد .

بحديث هذا الفاضل فنتشوّقه ، [ونخبر به][1] ونخبّره على الغيب فنتعشّقه ، ونقدّر أنا إذا وطِئنا أرضَه ، ووردْنا بلدَه ، يخرج لنا فى الْعِشْرَةِ عن القشرة ، [وفى المودّة عن الجلدة[2]] ، فقد كانت كلمةُ الغُرْبَةِ جمعْتنا ، ولُحْمَةُ الأدب نظمتنا ، وقد قال شاعر القوم غير مدافعٍ :

أجارتنا إنّا غريبان هاهنا وكلُّ غريبٍ للغريب نسيبُ

فأخلفَ ذلك الظّن كل الإخلاف ، واختلف ذلك التقدير كلَّ الاختلاف ، وقد كان اتّفق علينا فى ذلك الطّريق [من العرب][2] اتفاق ، لم يوجبه استحقاق ، من بزَّة بزوها[3] ، وفضّة فضُّوها ، وذهب ذهبوا به . ووردنا نيسابور براحة أنْقَى من الراحة ، وكيس أخلى من جوْف حمار ، وزِىّ أوحش من طَلْعَة المعلّم ، بل اطّلاعة الرّقيب ، فما حللْنَا إلاَّ قصبة جِوَاره ، ولا وطِئْنا إلاَّ عتَبة داره ، هذا بعد رقعة قدَّمناها[4] ، وأحوال أُنْسٍ نظمناها ؛ فلما أخذتنا عينه ، سقانا الدُّرْدِىّ من أول دَنِّه ، و [أجنانا][2] سُوءَ العِشْرَة من باكورة فَنّه ، من طَرْفٍ نَظَر بشطره ، وقيام دَفَعَ فى صدره ، وصديق استهان بقَدْرِه ، وضيف استخفَّ بأمره ؛ لكنّا أقطعناه جانبَ أخلاقه ، وولّيناه خطة رَأيه ، وقاربْنَاه إذ جاذب ؛ وواصلناه إذ جانب، ولبسناه على خشونته ، وشربْنَاه على كُدُورته ، ورَدَدْنا الأمرَ فى ذلك إلى زِىّ استغثّه ، ولباس استرثّه، وكاتبناه نستلينُ قيادَه ، ونستميلُ فؤاده ، ونقيم[5] مُنْآدَه ، بما هذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم الأستاذ أبو بكر ـ والله يطيل بقاءه ، أزْرَى بضيفه إذ وجده يضربُ [إليــه][2] آباطَ القلّةِ ، فى أطمار الغُرْبة ؛ فأعمل فى ترتيبه أنواع المصارفة[6] ، وفى الاهتزاز له أصناف المُضَايقة ، من إيماء بنِصْف الطَّرْف ، وإشارة بشَطْرِ الكفِّ ، ودَفْع فى صَدْرِ القيام ، ومَضْغٍ للكلام ، وتكلُّف لردّ السلام .

---

(١) ليست فى الرسائل . (٢) من الرسائل ، وزهر الآداب .

(٣) فى ط : من بز بزوها . (٤) فى الرسائل : كتبناها . (٥) فى ط : ونستقيم .

(٦) فى الرسائل وزهر الآداب : فأعمل فى رتبته .

وقد قبلت ترتيبه صعرا ، واحتملته وزرا ، واحتضنته نكراً ، وتأبَّطته شرًّا ، ولم آلُهُ عذرا . فإنما المرء بالمال ، وثياب الجمال ، ولستُ مع هذه الحال ، وفى هذه الأسمال ، أتقذر[1] صف النّعال . فلو أنى صدقته العِتَاب ، وناقشْتُه الحساب لقلت : إنَّ بوادينا ثاغية[2] صباح، وراغية رَواح، وناساً يجرّون المطارِف، ولا يمنعون المعارف:

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوهُهم   وأنديةٌ ينتابها القولُ والفعلُ

فلو طوَّحَتْ بأبى بكر إليهم طوائحُ الغُرْبة لوجد منَال البِشْرِ قريباً ، ومحطَّ الرّحْلِ رحيباً ، ووَجْهَ المضيفِ خصيباً .

ورأى الأستاذ أبى بكر — أيَّده الله — فى الوقوف على هذا العتاب الذى معناه وُدّ ، والمرّ الذى يَتْلُوه شهْد ، موفّق إن شاء الله تعالى .

فأجاب بما فى نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم : وصلَتْ رقعةُ سيدى ورئيسى ، أطال الله بقاءه ، إلى آخر السّكْبَاج[3] ، وعرَفت ما تضمّنه من خَشِن خطابه ، ومُؤْلم عَتْبه وعتابه ، وصرفت ذلك منه إلى الضَّجْرة التى لا يخلو[4] منها مَنْ مسَّه عُسْر ، ونبا به دهر . والحمد لله الذى جعلنى موضع أُنْسِه[5] ، ومظنَّة مشتكَى مافى نفسه .

أما شكاةُ سيدى ورئيسى من مضايقتى إياه [كما زعم][6] فى القيام ، فقد وفيته حقَّه — أيده الله — سلاماً وقياماً على قَدْرِ ما قدرتُ عليه ، ووصلت إليه ، ولم أرفع عليه إلا السَّيد أبا البركاتِ العلوى ، وما كنت لأُوثِرَ أحداً[7] على من أبوهُ الرسول وأمّه البتول ، وشاهده التوراة والانجيل ، وناصره التأويل والتنزيل ، والبشير به جبريل وميكائيل . فأما القومُ الذين صدرَ عنهم سيّدى فكما وصف : حسن عِشْرة ،

---

(١) فى الرسائل : أتقزز .   (٢) ثغت الشاة : صوتت .

(٣) السكباج : طبيخ يعمل من اللحم والخل والمرق — معرب .

(٤) فى الرسائل : الضجر الذى لايخلو منه .   (٥) فى ط : نفسه .

(٦) من الرسائل .   (٧) وما كنت لأرفع أحدا على من جده الرسول . . . وشاهداه . . . وناصراه . .

وسدادطريقة، وكمال[١] تفصيل وجملة ، ولقد جاورتهم فأحمدت المَراد ، ونلت المُراد :

فإن أكُ قد فارقت نَجْداً وأهلَه فما عهد نَجْدٍ عندنا بذميمِ

والله يعلم نيتى للأحرار[٢] كافّة ، ولسَيّدى من بينهم خاصّة ؛ فإن أعاننى على بعض مافى نفسى بلغت له بَعْضَ ما فيه النية ، وجاوزت به مسافةَ القُدْرة ، وإن قطع علىّ طريق عزمى بالمعارضة ، وسوءِ المؤاخذة ، صرفت عِنانى عن طريق الاختيار ، بيد الاضطرار .

ومَا النفسُ إلاّ نُطفةٌ بقرارةٍ إذا لم تَكدَّر كانَصَفْواً غَديرُها[٣]

وبعد : فحبّذا عتابُ[٤] سيّدى إذا استوجبنَا عَتْباً ، واقترفْنَا ذنباً ؛ فأمّاأن يسلفنا العَرْبَدة ، فنحنُ نَصونُه عن ذلك ، ونصونُ أنفُسَنا عن احتماله ؛ ولست أسومُه أن يقول : استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنَّا خاطئين . ولكنى أسألُه أن يقولَ : لا تَثْرِيبَ عليكم اليوم يغفر اللهُ لكم وهو أرحمُ الراحمين .

فحين ورد الجواب وعَيْنُ العذر رائدة[٥] تركناهُ بعرّه ، وطَوَيناهُ على غَرّه ، وعمدنا لذكرهفسحَوْناه[٦] ، ومن صحيفتنا مَحَوْناه ؛ وصِرْنا إلى اسمه فأخذناهُ و نَبَذْناه ، وركبنا خُطته وتجنبنا خطته[٧] فلاطِرْنا إليه ولا طِرْنَا به . ومضى على ذلك الأسبوع ودبّت الأيام ، ودرَجَتِ الليالى ، وتطاولتِ المُدَّة ، وتصرَّم الشهر ، وصِرْنا لا نُعير الأيام[٨] ذِكرهُ ، ولا نودع الصدور حديثه ، وجعل هذا الفاضل يستزيدُ ويستعيد ، بألفاظٍ تقطفها الأسماع من لسانه ، وتوردها إلىّ ، وكلمات تحفظها[٩] الألسنة من فمه وتعيدُها علىّ ، فكاتبناه بما هذه نسخته :

---

(١) فى ط : وجمال للإخوان . (٢) فى الرسائل : والله يعلم نيتى للإخوان . . فإن أعاننى الدهر على مافى نفسى بلغت إليه مافى الفكرة . . . وإن قطع طريق عشرتى بالمعارضة .

(٣) فى الرسائل : معينها . (٤) فى ط : كتاب . (٥) فى زهر الآداب : رمدة .

(٦) سحاه : جرفه والشعر حلقه . (٧) فى الرسائل : خلطته . (٨) فى الرسائل : السماع . (٩) فى الرسائل وزهر الآداب : تقطفها الأسماع . . . وكلمات تخطفها الألسنة .

أنا أَرِدُ من سيدى الأستاذ ـ أطال الله بقاءه ـ شِرْعَة وُدِّه وإن لم تَصْفُ ، وألبس حلة[١] بره وإن لم تضفُ، وقُصَاراى أن أكيله صاعاً عن مدّ ؛ فإنّى وإن كُنت فى الأدب دَعِيَّ النّسب ، ضعيف السبب ، سيء المُنْقَلَب ، ضيّق المضطرب ، أمتّ إلى عشرةِ أهله بنيقة ، وأنزع إلى خِدْمة أصحابه بطريقة ، ولكن بقى أن يكونَ الخليطُ منصفاً فى الوداد ، إن زرت زار، وإن عدت عاد . وسيدى ـ أيده الله ـ ناقشنى[٢] فى القبول أولا ، وصارفنى فى الإقبال ثانياً . فأما حديث الإقبال[٣]، وأمْر الإنزال، فنِطَاقُ الطمع ضيقٌ عنهُ ، غيرُ متّسع لتوقّعه منه ، وبعد فكلفة الفضل هيّنة ، وفُروض الوُدّ متعينة ، وأرض العشرة لينة ، وطرقها بينة ، فلِمَ اختار قعود التغالى مركباً ، [وصعود التمالى مذهباً][٤]، وهلاَّ ذادَ الطير عن شَجَر العِشْرة، وذاق الحلوَ من ثمرها ؛ فقد علم اللهُ تعالى أنَّ شوقى إليه قد كدَّ الفؤادَ بَرْحاً إلى برح ، ونكأه قرحاً على قرح ، لكنها مِرَّة مُرَّة ، ونفسٌ حرَّة ، لم تُقَدْ إلا بالإعظام، ولم تُلْقَ إلا بالإجلال والإكرام ، وإذا استعفانى من معاتبته وأعفى نَفْسَه من كُلَف الفضل يتجشَّمُها ، فليس إلاَّ غصص الشوقِ أتجرَّعها ، وحلل الصبر أتدرَّعُها ، ولم أعره من نفسى[٥] وأنا أعلم لو أنى أعرت جناحَىْ طائر لما طرتُ إلاّ إليه ، ولا وقعت إلاّ عليه[٦] :

أحبك يا شمسَ المعالى[٧] وبَدْرها ... وإن لامنى فيك السُّها والفراقِدُ
وذاكَ لأنّ الفَضْلَ عندك باهرٌ ... وليس لأنّ العيشَ عندك بارِدُ

فلمّا وردت عليه الرّقعة ؛ حشد تلاميذه وخدمه ، وزمّ عن الجواب قلمه ، وحبس للإيجاب قدمه[٨] ، وطلع مع الفجر علينا . ونظمت حاشيتنا دار الإمام أبى

---

(١) فى الرسائل : خلعة . (٢) فى الرسائل : فى الحساب أولا .
(٣) فى الرسائل : الاستقبال . (٤) من الرسائل . (٥) فى ط : وكم أعزه .
(٦) فى الرسائل : وأنشدنا قول ابن عصرنا أبى الطيب . (٧) فى زهر الآداب : ياشمس النهار وبدره . (٨) فى الرسائل وزهر الآداب : وجشم للإيجاف قدمه ، وطلع مع الفجر علينا طلوعه ، ونظمتنا حاشيتا دار الإمام أبى الطيب . فقلت . . .

الطيب . فقلت : الآن تشرق الحِشْمة وتنوِّر ، وتُنْجِد فى العشرة وتغوّر ، وقصدناه شبا كرين لمَأْتَاه ؛ وانتظرنا عادةَ برِّه ، وتوقَّعنا مادةَ فَضْله ، فكان خُلَّباً[1] شِمْنَاه ، وآلاً وَرَدْناه ، وصرفنا الأمر فى تأخّره وتأخرنا عنه إلى ما قال عبد الله بن المعتز :

إنّا على البعاد والتفرُّقِ ... لَنَلْتقى بالذكْرِ إن لم نَلْتَقِ

وقول آخر ـ وقد أحسن وزاد :

أحبّك فى البَتُول وفى أبيها ... ولكنّى أحبُّك مِنْ بَعيدِ

وبقينا نلتقى خيالا ، ونقْنَع بالذكر وصالا ، حتى جعلت عواصفُه تهبّ ، وعقاربُه تدبّ ، وهو لا يرضَى بالتعريض حتى يصرِّح ، ولا يقنع بالنفاق[2] حتى يُعْلن ، وأفضَتْ الحالُ به وبنا معه إلى أن قال : لو أن بهذا [البلد][3] رجُلاً تأخذه هزّة الهمم ، وتملكه أريحيّة الكرم ، لجمع بينى وبين فلان يعنينى :

ثم أرى إذا انجلى الغُبار ... أفرس تحتى أم حمار

وودّ [فلان][3] بوسطاهُ ، بل بيُمناهُ ، لو رحَلْنَا وقِلْنا فى المناخ له ، وأتى بكلمات تحذو هذا الحَذْو ، وتنحو هذا النّحْو ، وألفاظٌ أتتنا من عُلُو ، فكانَ من جوابنا :

بعض[4] الوعيد يذهب فى البيد . وقلنا : الصدق ينبئ عنك لا الوعيد . وقلنا : إنّ أجرأ النّاس على الأسد أكثرهم له رؤية .

وقد قال بعض أصحابنا : قلت لفُلان : لا تُناظر فلاناً فإنه يَغْلبك. قال: أَمِثْلى يُغلب وعندى دَفْتر مجلَّد ، ووجدنا عندنا دفاتر مجلّدة ، وأجزاء مجودة ، وأنشدناه قول حَجْل بن نَضْلَةَ[5] :

جاء شقيقٌ عارضاً رُمْحَهُ ... إنَّ بنى عمّك فيهم رِمَاح

---

(١) الخلب : السحاب لامطر فيه . (٢) فى ط : بالتعاف .

(٣) من الرسائل . (٤) فى الرسائل : بعد . . . بالبيد . (٥) فى ط : بن نضالة ، والتصحيح عن الأمالى والرسائل.

هل أحدث الدهر لنا توبة[١] أم هل رقت أم شقيق سلاح

وقُلنا : إنا نقتحمُ الخَطْبَ ، ونوسط الحرب ، فنَرِدُها مفحمين ونصدر بلغاء :

وألسُننا قبل النزيل قصيرة ولـكنّها بعد النّزال تطول[٢]

فمن ظنّ أن قد يُلاق الحرو ب[٣] وألاّ يُصاب فقد ظَنّ عَجْزا

فإنّك متى شئت لقيت منا خَصْما ضَخْما ، ينهشك قَضْما ، ويأ كلُكَ خَضْما ، وحملناه على قول القائل :

السلم تأخذ منها[٤] مارضيت به والحربُ تأخذ من أنفاسها جزع[٥]

وقلنا له :

نصحتُك فالْتَمِس يأويك غيرى طعاما إنّ لحمى كان مُرّا

ألم يبلغك مافعلَتْ ظباه بكاظمةٍ غَدَاة لقيت عَمْرا

وجعل الشيطان يثقلُ بذلك أَحفانَ طَرْفه ، ويقيم [به][٦] شعرات أَنْفه :

وحتى ظنّ أنّ الغشَّ نصحى وخالفنى كأنّى قُلْتُ هُجْرا

واتّفق أن [السيد][٦] أبا على ـ أدام الله عزه ـ نشط للجَمْع بيننا ؛ فدعانى فأَجَبْتُ ، وعرض علىّ حضورَ أبى بكر فطلبت [ذلك][٦] ، وقلت : هذه عِدة لم أَزَلْ أتنجَّزها ، وفرصة لاأزال أنتهزها .

فتجشّم السيد أبوالحسن ـ أعزه الله ـ مكاتبتَه[٧] يستدعيه ، فاعتذر أبو بكر بعُذْرٍ فى التأخر . فقلت : لا ولا كرامةَ للدهر أن نقعد تحت ضيمه[٨] ، أو نقبل خَسْف ظلمِه . وكتبت أنا له أشحذُ عَزْمته على البدار ، وألوى رأيه عن الاعتذار ، وأعرفه

---

(١) فى الرسائل : بل أحدث الدهر لنا نـكبة . (٢) فى الرسائل :

وألسننا قبل النزال قصيرة ولـكنها بعد النزال طوال

(٣) فى الرسائل : أن سيلاقى الحروب . (٤) فى ط : منا .

(٥) فى ط : جرح . (٦) من الرسائل .

(٧) فى الرسائل : وكاتبه . (٨) فى الرسائل : تحت حكمه .

مافى ذلك من ظنون تشتبه ، وتهم تتجه ، وتناذير[1] تختلف ، واعتقادات تخلف ، وقدْنا إليه مركوبا لنكونَ قد ألزمناه الحج ، وأعطيناه الراحلة ؛ فجاءنا بطبقة أفٍّ ، وعدد تف :

كل بغيض طولُه أصبع وأنفه خمسةُ أشبار

مع أصحاب عانات ، وأرباب جرّبانات ، وسَرَّحنا الطَّرْف منه ومنهم فى أحمى من است النمر ، وأعطس من أنْف النغر ، فرأينا رجالا جُوفا ، قد حلقوا صوفا ، فأمنا المعَرّة ، ولم نخش المضرَّة .

والمناظرة بينهما يطول ذِكرها ، ويعظم قَدْرُها ، ويخرجُ بها الكتاب عن حدّه ؛ ولكنى ألمع منها باليسير ، إذ لو ذكرتُ جميعَ المعارضات والمناقضات ، والمبادهة والمواجهة ، لأضعفْتُ على ما كتبت .

فمن ذلك أن البديع قال قلت له : اقترِحْ علىَّ غايةَ مافى طوْقِك ، ونهايةَ مافى وُسْعِكَ ، حتى اقترحَ عليك أربعمائة صنف من الترسل ؛ فإن سرتَ فيها برجلين ، ولم أطِر بجناحين ، فلكَ فيها السَّبْقُ .

مثال ذلك ، أن أقولَ لك : اكتُبْ كتابا يُقرأُ جوابُه منه ؛ هل يمكنك أن تكتبَ ؟

أو أقول لك : اكتُبْ كتاباً على المعنى الذى أقترح ، وانظم شعراً وافرغ منهما فراغا واحداً ؛ هل كنت تمدُّ لهذا ساعداً ؟

أو أقول لك : اكتُبْ كتابا فى المعنى الذى أقولُ وأنصّ عليه ، وأنشد من القصائد ماأريدُه من غير تثاقل ولا تغافُل ، حتى إذا كتبتَ ذلك قُرِئ من آخره إلى أوله ، وانتظمَتْ معانيه إذا قُرِئ من أسفله ؛ هل كنت تفوّق لهذا الغرض سَهْماً ، أو تجيل قدحا ، أو تُصيب نجْحا ؟

---

(١) فى الرسائل : وتصاوير .

أو قلت لك : اكتب كتاباً إذا قُرِئ من أوله إلى آخره كان كتابا ، وإذا عكست سطوره مخالفة كان جوابا ؛ هل كنت فى هذا العمل وَارِىَ الزّند ، قاصد القصد ؟

أو قلت لك : اكْتُبْ كتابا على المعنى الذى أقترح لايكونُ فيه معنى متّصل من واو تتقدّم الكلمة أو منفصل عنها بديهة ، هل كنت تفعل[1] ؟

أو قلت لك : اكْتُبْ كتاباً خالياً من الألف واللام ، لاتصبُّ معانيه إلاّ على قالب ألفاظِه ، ولا تخرجه عن جهَةِ أغراضه ، هل كنت تقفُ من ذلك موقفاً مشهوراً ؟ أو يَبعثك ربُّك مقاماً محموداً ؟

أو قلت لك : اكْتُبْ كتاباً أوائلُ سطورِه كلّها ميم ، وآخرها جيم ، على المعنى الذى أُريد ، هل كنت تَغْلُو فى قَوْسِه غلوة ، أو تخطو فى أرضه خَطْوة ؟

أو أقولُ لك : اكتب كتاباً يَخْلُو من الحروف العواطل ، هل كنتَ تحظى منها بطائل ؟ [أو تبلّ لهاتك بناطل][2] ؟

أو أقول لك : اكتب كتاباً إذا قُرِئ معوجا ، أو سُرِدَ معرجاً ، كان شعراً ، هل كنت تقطع فى ذلك شعراً[3] ؟ بلى ، والله تصيبُ ولكن من[4] بدنك ، وتقطع ولكن من ذقنك[5] .

أو أقول لك : اكتب كتاباً إذا فُسِّر من وجه كان مدحاً ، وإذا فُسّر من وجه آخر كان قَدْحاً ، هل كنت تقدر على هذه العمدة ؟ أو تخرج من هذه العهدة ؟

أو أقول لك : اكْتُبْ كتابا كنت قد حفظته من دون أن لحظته ، هل كنت تَثِق من نفسك به ؟ بل است البائن أعلم[6] .

فقال أبو بكر : هذه الأبواب شَعْبَذة[7] : فقلت : وهذا القول طَرْمَذَة[8] ، فما

---

(١) فى الرسائل : كتابا فى المعنى الذى تقترح ، ولا يوجد فيه حرف منفصل من راء يتقدم الكلمة ، أو دال ينفصل عن الكلمه بديهة ، ولا يجم فيها قلمك . (٢) من الرسائل .

(٣) فى ط : سعرا . (٤) فى ط : فى . (٥) فى ط : ولكن من شعرذقنك .

(٦) البائن فى ط : المباين . (٧) الشعبذة : الشعوذة . (٨) الفخر والصلف والنفج .

الذى تحسن أنت من الكتابة وفنونها ، حتى أباحثك عن مكنونها ، وأكاثرك بمخزونها ، وأثير فيها قلمك ، وأَسْبر لسانك وفمك . فقال : الكتابة التى يتعاطاها أهل الزمان ، [المتعارفة بين الناس][1] .

فقلت : أليس لا تحْسِن من الكتابة إلا هذه الطريقة الساذجة ، وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلَم ، المتناول بكل يدٍ وفم ، ولا تحسن هذه الشعْبَذَة .

فقال : نعم ! فقلت : هات الآن حتى أطاوِلك بهذا الحبل ، وأنابلك[2] بهذا النبل ، ثم تقاس ألفاظى بألفاظك ، ويعارَض إنشائى بإنشائك ؛ فأقترح كتابا يكتب فى النقود وفسادها ، وفى التجارات وكسادها ووقوفها ، والبضاعات وانقطاعها ، والأسعار وغلائها .

فكتب أبو بكر بما نسخته ، بسم الله الرحمن الرحيم : الدرهمُ والدينار ثمنُ الدنيا والآخرة ؛ بهما يتوصَّل إلى جناتِ النعيم ، ويخلد فى نار الجحيم ، قال الله تعالى : خُذ من أموالهم صدقةً تُطهِّرُهم وتزكِّيهم بها وصَلِّ عليهم إنّ صلاتَك سكنٌ لهم والله سميع عليم . وقد بلغنا من فساد النقودِ ما أكبرناهُ أشدَّ الإكبار ؛ وأنكرناهُ أعظمَ الإنكار ، لما نراهُ من الصلاح للعباد ، وننوِيه من الخير للبلاد ، وتعرّفنا فى ذلك بما يربح الناسُ فى الزرع والضَّرْع — إلى كلمات لم تعلق بحفظنا .

فقلت : إنَّ الإنكارَ والإكبارَ ، والبلاد والعباد ، وجنات النعيم ونار الجحيم ، والزَّرع والضَّرع[3] ، قد نَبَتْ عن العدّ ، وزلّت عن اليد . وقد كتبتُ كما ترى بما ساوق فيه اللسان القلم ، وسابقت اليدُ الفم ، ولا أطالِبُك بمثل ما أنشأت . فاقرأه

---

(١) من الرسائل. (٢) فى الرسائل : وأناضلك . (٣) فى الرسائل : قد نبتت فى العد . ولم تزل فى اليد . وقد كتبت وكتبت . ولا أطالبك بمثل ما أنشأت ... إلى أن قال . وبهتت الكافة . وقالوا لى : اقرأه فجعلت أقرأه منكوسا ، وأسرده معكوسا ، والعيون تزرق وتحار . وكانت نسخة ما أنشأناه : بسم الله . . .

ولك اليد . وناولته الرقعة فبقى وبقيت الجماعة ، وبُهت وبهتت الكافّة .

وهـذا ما كتب البديع ارتجالا : بسم الله الرحمن الرحيم : الله شاء إن المحاضر صدور بها وتملأ المنابر ، ظهور لها وتفرع الدفاتر وجوه بها وتمشق المحابر بطون لها ترشق آثاراً كانت فيه آمالنا مقتضى على أياديه فى تأييده الله أدام الأمر جرى وإذا المسلمين ظهور عن الثقل هذا ويرفع الدّين أهل عن الكَلّ هذا يحبط[1] أَنْ فى إليه نتضرّع ونحنُ واقفة والتجارات زائفة والنقود صيارفة أجمع الناس صار فقد كريما نظراً إلينا لينظر شيمه مصابّ وانتجعنا كرمِه بارقَة وشمنا هممه على أموالنا رقابَ وعلقنا أحوالنا وجوهَ له وكشفنا آمالنا وفود إليه بعَثْنَا فقد نظره بجميل يتداركنا أن ونعماءه تأييده و [أدام][2] بقاءه الله أدام الحال[3] الجليل الأمير رأى أن وصلى الله على النبى محمد وآله وصحبه وسلم .

فجعلت أقرؤه منكوساً ، وأسرده معكوساً ، والعيون تبرق وتحار . فلما فرغت من قراءتها انقطع ظَهْر أحدُ الخصمين . وقال الناس: فقد عرَفْنَا الفاضل من المفضول، ثم مِلْنا إلى اللغة والعروض والنحو والشعر والحفظ ، فلما برد ضَجر الناس وقاموا يفدوننى بالأمهات ، ويشتمون الفرس المنبتّ[4] ؛ وقام أبو بكر فغشى عليه ، [وقمت إليه][2] فقلت :

يعزّ علىّ فى الميدان أنّى قتلت مناسبى جَلداً وقهرا

ولـكن رمْتُ شيئاً لم يَرُمْه سواكَ فلم أطِقْ ياليث صَبْرا

وخرجت وقد اجتمع الناسُ؛ فتلقونى بالشفاه تقبيلا، وبالأفواه تبجيلا، وانتظروا خروجَه إلى أن غابت الشمس فلم يظهر [أبو بكر][2] ، حتى خفره اللّيل بجنوده ، وخلع عليه الظّلام خلع بروده[5] .

---

(١) فى ط : يحط . (٢) من الرسائل . (٣) فى الرسائل : أطال .

(٤) فى الرسائل : ويشيعونه باللعن والسلب .

(٥) هذه المناظرة طويلة وهى فى الرسائل من صفحة ١٧ـ٥٧ : طبعة ١٩٢٨ .

رجع إلى ما انقطع

غنى وغفلة

كان بمصر شريفٌ من ولد أبي العباس يعرف بأبي جعفر الشق ، شبيه بابن الجصَّاص في الغَفْلة والجَدّ والنعمة . قال أبو القاسم بن محمَّد التّنوخي : بعثني أبي إليه من قَرْيَةٍ تعرف بتلا يستقْرِضُه عشرةَ أرادب قمحاً وثلاثين زوج بقر ، وكتب معي بذلك رقعة ؛ فأتيتُ إليه وسلَّمْتُ عليه ودفعتُ إليه الرقعة . فقال : ذكرتَ أباك بخير وحرسه وأسعده ، فهُو صاحبي وصديقي وخَلِيطي ، وأَين هو الآن ؟ قلت : بقرية تلا — أعزَّ الله سيدى الشريف . قال : نعم ! حفظه اللهُ هو بالفسطاط معنا ؛ وقد انقطع عنَّا كذا ، ما كنتُ أظنُّه إلاّ غائباً . قلت : لا ياسيدى هو بتلا . قال : فمالكَ ماقلت لى ؟ فما كان سبيلُه أن يُؤْنسني برقعة من قبله . قلت : يا سيدى ، قد دفعتُ إليكَ رُقْعَتَه. قال : وأين هي ؟ قلت : تحت البساط، فأخذها وقرأها وقال : قل لى الآن ؛ كان لكَ أخٌ أَعرِفه حار الرأس حادّ الذهن ، يُحسِن النحو والعَروض والشعر ، فما فعل اللهُ به؟ قلت : أنا هو أعزَّك الله . قال : كبرت كذا ، وعَهْدِي بك تأتيني معه وأَنْتَ بزقة مخطة لعقة قردلاش . قلت : نعم ! أيَّد الله الشريف . قال : وما الذى جئتَ فيه ؟ قلت له: والدِي بعثني إليكَ برقعة يسألك فيها قَرْضَ عشرة أرادب قمحا وثلاثين زوج بقر . قال : وهو الآنَ بالفسطاط ؟ قلت: لا يا سيدى هو بتلا . قال : نعم ! وإنما ذاك الفتى أخوك ؟ قلت : لا ، أنا هو ، فهو يُرَاجعني الكلام ، وقد ضجرت من شدَّةِ غَفْلَته وكَثْرَة نسيانه لما أقولُ له حتى أَقبل كاتبُه أبو الحسين . فقال : سَلْ هذا الفتى ماأراد . فسألني فعرَّفته فأخبرهُ فقال له : نفِّذ له حاجتَه، فوقّع لى الكاتب بماأراد. وقال : تَلْقَاني للقَبْضِ بالديوان ، فشكرت الشريف ونهضت .

فقال : اصبِرْ يابنىّ فقد حضر طعامُنا. وقدِّم الطعام وفيه حصرميّة غَيْرُ محكَمَة، فرفع يدَه وقال: مثلُ مَطبَخِي يكونُ فيه مثلُ هذه ! علىّ بالطبَّاخ ، فأَتى ، فقال له : ما هذا العمل ؟ فقال : يا سيدى ؛ إنما أنا صانعٌ وعلى قَدْرِ ما أُعْطَى أعمل ، وقد

سألت المُنْفِقَ يشترى لى ما أحتاجُ إليه فتأخَّر عنى فعملت على غير تمكّن ؛ فجاء التقصيرُ كما ترى .

فقال : علىّ بالمنفِق فأُحضر . فقال : مالى قليل ؟ قال : لا ياسيدى ، بل عندك نعمٌ واسعة . قال : فمالك تضايقُنا فى النفقة ولا توسع كما وسَّع الله علينا ؟ قال : يا سيدى ، إنما أنفِقُ ما أُعْطَى ، وقد سألتُ الجَهْبذَ أن يدفعَ لى فتأخَّر عنى . فقال : علىّ بالجِهْبِذ فأُتى به. فقال: مالك لم تدفَعْ للمنفِقِ شيئا؟ قال: لم يوقّع لى الكاتب. فقال للكاتب : لمَ لَمْ تدفع إليه شيئاً ؟ فتلعثم فى الكلام ولم يكن عندهُ جواب . فقال للكاتب : قِفْ هاهنا فوقف ، ووقف خلفه الجهبذ ، ووقف خَلْفَ الجهبذ المنفِقُ ، وخَلْف المنفِق الطباخ . وقال : نفيت من العباس إن لم يَصْفَعْ كلٌّ واحد منكم مَنْ يليه بأكثر ما يقدر عليه ، فتصافعوا .

قال : فخرجت وأنا متعجّب من غباوته ودقته فى هذا الحكم .

[إذا ذهب الحمار بأم عمرو]

ودخل عليه كاتبه أبو الحسين فوجده يبكى بكاءً شديداً ، ويقول : وا انقصام ظَهْرَاه ، واهلاكاه ! فقلت : ما للشريفِ لا أبْكَى اللهُ عينه ؟ فقال : ماتت الكبيرة ــ يريد أمّه ــ وكان بارًّا بها . فقلت : ماتَتْ ؟ قال: نعم ! فشققت جَيْبى وأظهرتُ من الجزَع ما يَجِبُ لمثلى . ثم إنى أنكَرْتُ الحالَ إذ لم أَجِدْ لذلك دليلاً ، لا أحدَ يعزِّيه ، ولا فى الدار حرَكة ؛ فبقيتُ حائراً حتى أتَت الخادمة . فقالت : الكبيرة تُقرِئك السلام ، وتقول لك : إيش تأكلُ اليوم ؟ قال : قولى لها ، ومتى أكلْتُ قطّ بغير شَهْوَتك ؟ فقلت : يا سيدى ، والكبيرة فى الحياة ؟ فقال : وإيش تظنّ أنها ماتَتْ من حق ؟ إنما رأيتُ البارحةَ فى المنام كأنها راكبةٌ على حمار مصرى تسقيه من النيل ، فذكرتُ قول الشاعر : إذا ذهب الحمار بأمّ عمرو .... البيت المشهور .

[أمّك امرأة !]

وقال أبو الحسين كاتبه : وأتيتُ إليه يوماً وقد ماتَتْ والدتى فعزَّيْتُه فبكى ، وقال : ماتت كبيرتى ومربِّيتى ، وهو كان أكبر منها بأربعين سنة . ثم قال لغلامه : يابشرى ، قُمْ فجئنى بعشرين ديناراً فأتاه بها . فقال : خُذْها فاشترِ بعشرة دنانير كفناً وتصدَّقْ بخمسة دنانير على القَبْر ، وأقبل يَصْرف الخمسة الباقية فيما يحتاجُ إليه من تجهيزها .

ثم قال لغلام آخر : امْضِ أنتَ يا لؤلؤ إلى فلان صاحبنا لا يفوتك يغسلها ، فاستحيَيْتُ منه . وقلت : ياسيدى ، ابعث خلف فلانة جارة لنا تغسلها . قال : ياأباالحسين ، ما تدع عَقْلَك فى فرح ولا حزن ، كأنّ حرمَك ماهى حرمى ! كيف يدخلُ عليها من لا نعرِفه . قلت : نعم ! تأذَنُ لى بذلك . قال : لا والله ما يغسلها إلاَّ فلان ! فقلت : وكيف يغسل رجلٌ امرأة ؟ قال : وإنما أمك امرأة ، والله لقد أُنسيت !

[خدعنا عابر الرؤيا !]

وكان يوما عند أبى بكر المادرانى ثم خرج وهو طيّب الخلق ، فاجتاز بابن زنبور ، فسمع خَفْقَ أوتارٍ وغِناَء فى داخل الدار ، فوقف يسمعُ ؛ فرآه غلام لابن زنبور فدخل فأعلم مولاه فخرج حافياً . وقال : يا مولاى الشريف ، تشرِّفنى بالدخول ! قال : نعم ، فدخل فقدّم له طعاماً فأكل وشرب ثلاثة أقداح وغنّى ثلاثة أصوات وانصرف ، فنام ليلته فلما أصبح قال : يا بُشرَى ؛ جئنى الساعةَ بأبى شامة العابر ، فأتاه به فقال : رأيت البارحة كأنى خرجْتُ من دار إخوانى فاجتَزْتُ بدار حسنةٍ ، فسمعت خَفْقَ العيدان ، وغناء القيان ، فخرج إلىَّ صاحبُ الدار ، فأدخلنى فأفضيتُ إلى بستانٍ فى الساحة ، أمامه نهرٌ جليل ، فى صَدْرِه شاذروان . وقد فُرِشَ المجلس بأنواع الديباج المثقل ، وضربت ستارة فيها غرائبُ الصور وعجائب الصنائع ، وفيها قِيانٌ بأيديهنَّ العيدان وهن يغَنّينَ أحسن الأغانى ؛ فقُدِّمَ لى خوان عليه من كل الألوان فأكلْتُ وشربت وغنّيتُ وانصرفت .

ففسَّرَ له الرؤيا على ما يسرّه ؛ فأمر له بخمسة دنانير ، ثم مَرَّ بعد أيام بابن زنبور وهو جالس على باب داره . فقال له : يا سيدى الشريف ، ما تشرّفنى بعودة . قال : إلى ماذا ؟ قال : تثنى إلى عادة حضورك . قال : ومتى تقدَّم لى ذلك ؟ قال : ليلة كذا . قال : وإنما خدَعنا العابرُ وأخذ متاعَنا بالباطل ! امْضُوا إليه ورُدُّوا الخمسة دنانير منه؛ ثم فكّر ساعة ، وقال : دعوه لعلّه أنفقها وهو فقير !

[تشتمنى غائباً وحاضرا]

وشرب مرةً أخرى عند ابن زنبور الكاتب ومعه ابن المادرانى ، وحضَر القِيَانُ فغنَّين أطيبَ غناء؛ فقام الشريف إلى قضاءِ الحاجة، فأتتْ دابّةُ ابن المادرانى فانصرف، والشريفُ فى الخلاء ، فقضى حاجتَه وعاد إلى موضعه ، وكان ابنُ زنبور لما انصرف، أبو بكر رجع فى دَسْتِه[1]، فالتفت إليه الشريف ، وقال : ياأبا بكر؛ هذا الكلبُ ابن زنبور عنده مثلُ هذا السماع الطيّب ، ولا يمتّعنا به كلّ وقت ، إنما يدعونا من مدة إلى مدة . فقال له ابن زنبور : هو على قَدْر ما يتّفق له من الفراغ وهو مشتغل مع سلطانه فى أكثر أيامه . قال : لا والله ! ما هو إلاّ كَلْب تجلب فاعل صانع . فقال له : أعزَّ الله الشريف ؛ أبو بكر انصرف وأنا ابنُ زنبور ! فقال له : اعذرنى والله ماظننتك إلا ابن المادرانى ؟ فقال : أراك تشتمنى غائبا وحاضرا !

[مبكّر]

وقال له بعضُ أصحابِ الإخشيد : أحب أَنْ تبكِّرَ إلىّ بالغداة فى حاجةٍ للأمير ، أيّده الله ، وذكر الحاجةَ . فقال: أنا آتيك أول الناس كلّهم ، فمضى وأكل وشرب أقداحا ، ونام القائلةَ[2] فاستيقظ بالعشىّ ، فقام مذعورا ، ؛ فلبس ثيابه ، وركب إلى الرئيس ؛ فاستأذن عليه فدخل ، وقال : اعذرنى ــ أعزك الله ــ فقد ضربنى النوم ، والله ما صلَّيتُ الصبح من السرعة ، ولقد آثرْتُ المجىء إليك عليها ، وأنا أستغفرُ

---

(١) الدست : صدر البيت . (٢) القائلة : نصف النهار .

اللهَ عليها ؛ فضحك حتى استلْقَى . وقال له : قد احتجنا إلى تأخير الأمرِ إلى الغد إن شاء الله . قال : فأنا أبـكِّر إليك على كل حال ، وانصرف .

[من ملح الأعراب]

من نوادرهم في الصلاة

قال بعضُ الرواة : خرجنا نريد البصرة فنزلنا على ماء لبنى سَعْد ، فإذا أعرابيةٌ نائمة فأنبهناها للصلاة؛ فأتَتْ الماءَ فوجدتْه باردا فتوجهت إلى القِبْلة قاعدة ولم تمس الماء فـكبَّرت ثم قالت : اللهم قمت وأنا عَجِلى ، وصلَّيْتُ وأنا كسلى ؛ فاغْفِرْلى عدد الثرى. قال: فعجبنا و قُلْنا : ماتجوزُ لك الصلاة وما هذه بقراءة ! قالت : والله إنهذه لصَلاتى منذ أربعين سنة .

وقام أعرابيٌّ وقد حضرت الصلاة فقال : حَىّ علىالعمل الصالح، قدقامت الفلاح. ثم تقدَّم فـكبَّر. وقال : اللهم احفَظْ لى حسَبِى ونسبى ، وارْدُدْ علىَّ ضالَّتى، واحفَظْ هَمَلِى[1] ، والسلام عليكم .

وصلّت أعرابيةٌ فى شهر رمضان فقرأ الإمامُ السَّجْدَة فسجد وسجدت الناس ؛ فخرجت تحضرُ[2] و تُنادى ، صُعِق الناسُ وربِّ الـكعبة ، وقامت القيامة !

وقام أَعرابى يصلّى وخَلْفَه قوم جلوس ، فقال : الله أكبر ! أَفْلَحَ من هَبَّ إلى صلاتِه ، وأخرج الواجبَ من زكاتِه ، وأطعم المسكين من نخلاتِه ، وحافظ على بعيره وشاَتِه ؛ فضحك القوم . فقال : أَمِنْ هَيْنَمتى ضحكتم ؟ أشهد عند الله على عمتى أنها سمعَتْ ذلك من فِى[3] مسيلمة .

أعرابى يهب سورتين

وقف أعرابى يسألُ فقال له رجل : يا أعرابى ؛ هل لك فى خير مما تَطْلُب ؟ قال : ما هو ؟ قال : أعلِّمك سورةً من القرآن . فقال : لا والله ؛ إنّى لأُحْسِن ما إنْ عملتُ به لـكَفَانى! ؟ أحسن منه خَمْسَ سور ، فاستقرأته فقرأ : الحمد ، والنصر . والـكوثر

---

(١) الهمل : المتروك ليلا ونهارا . هملت الإبل فهى هامل ، والجمع هوامل وهمل .
(٢) الحضر : ارتفاع الفرس فى عدوه . (٣) فم .

وسكت . فقلت : هذه ثلاث ، فأين الاثنتان ؟ قال : إنى وهبتهما لابْن عمى وعلّمته إياها ، ولا والله لا أرجع فى شىء أبدا .

أعرابى فى حمام

دخل أعرابى الحمام فلما أَحسّ بوهجه أنشأ يقول :

أَدْخِلتُ فى بيت لهم مُهَنْدَس قد ضربوه بالرخام الأَمْلَسِ
فسكّ سَمْعِى واستطار نَفْسِى وقلت فى نفسى بالتوَسْوُسِ
أدخلت فى النار ولما أُرْمس[1]

[لأعرابى فى الطلاء بالنورة]

وقال أعرابى فى الطلاء بالنُّورَة :

أناسٌ عليهم كسوة لا تجنّهم سرابيل خُضْر ليس فيها بَنَائِق[2]
يبيعهموها تاجرٌ لا يقيلهم ببيعهم تلك السرابيل حَاذِق

[ولكشاجم فى ذلك]

وقال أبو الفتح كشاجم :

ومجرّد كالسيفِ أسلمَ نفسَه بمجرد يكسوه مالا يِنْسجُ
ثوبا تمزّقُه الأناملُ رقة ويذوبُ من نظرِ العيونِ ويَنْهَجُ[3]
فكأنه لما استقلَّ بجسْمِه نِصْفان ذا عاجٌ وذا فيروزج

[ومن نوادر الأعراب]

وهب سليمان بن أبى جعفر لأعرابىّ كِساء[4] شامية ؛ فلما أَتى أهلَه وأبصره صِبْيَانُه تطايروا فزَعا من بين يديه ، وقالوا : لقد أصابت أبانا داهية ، فأنشد :

---

(١) الرمس : الدفن . (٢) البنيقة : لبنة القميص أو جربانه، وفى ت : بيانق .
(٣) نهج الثوب ــ مثلثة الهاء : بلى . (٤) جمع كسوة : الثوب .

طرحْت عمامتى ولبستُ تاجاً على عنق له ذَنَبٌ طويل
تصايح صِبْيَتى لمَّا رَأَوْه وقالوا جاء سِعْلَاةٌ وغُولُ

قيل لأعرابى : أتعرف أبا عَمْرَة ـ يريد الجوع ؟ قال : وكيف لا أعرِفه وهو متربِّع على كَبِدى ؟

وقيل لآخر : أَتُتْخَمون ؟ قال : وما التّخمَة ؟ إن كانت التى يدورُ منها الرأس فما تفارقنا ـ يريد الجوع .

ومرّ أعرابى بمرآة مُلْقَاة فى مزبلة ، فنظر وجهه فيها ، فإذا هو سمج بغيض ، فرمى بها . وقال : ما طرحكِ أهلُك من خير .

ونظر مزيد وجهه فى المرآة فرآه قبيحاً . فقال : الحمد لله الذى لم يُحْمَدْ على المكروه سواه .

والشىء يذكر بما قاربه :

[من هجاء الحطيئة]

رأى الحطيئة وجهه فى بئر فقال[1] :

أرَى لىَ وَجْهاً قَبَّح الله خَلْقَه فقبّح من وَجْهٍ وقبّح حامله

ولهذا خبر ؛ ذكرت الرواة[2] : أنَّ الزِّبْرِقان بن بدر استعدى على الحطيئة عُمَرَ ابن الخطاب رضى الله عنه وقال : هجانى بقوله :

دَعِ المكارمَ لا تَرْحَلْ لبغيتها واقعدْ فإنّك أنت الطاعمُ الكاسِى

فقال عمر : ما أَرى هذا هجاءً ؛ وكان أعلم بذلك من كلّ أحد ، ولكنه أراد دَرْءَ الحدودِ بالشُّبهاتِ . فقال الزبرقان : هذا حسَّان بن ثابت . فقال : علىّ بحسان، فأنشده الشعر . فقال: ما هجاه ياأمير المؤمنين ولكن سَلَح عليه ! فأحضر الحطيئة، وقال: هاتِ الشفرةأَقطعُ لسانَه ؟ فاستشفع فيه فحبسه ، فكتب إليه من الحبس :

---

(١) الأغانى : ٢ـ١٦٤ (٢) الأغانى : ٢ـ١٨٦ .

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذى مَرَخ[1] زُغْبِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجَرُ
غادرْتَ[2] كاسبَهم فى قعْرِ مُظْلِمةٍ فاغفر هَدَاكَ مليكُ الناسِ[3] ياعمر
أنتَ الإمامُ الذى من بعد صاحبه ألقتْ إليك مقاليدَ النهى البَشَرُ
لم يُؤْثِروكَ بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانتْ لها الأُثَرُ[4]

فبكى عمر وأحضره . فقال : قَدْ والله ياأمير المؤمنين هجوتُ أبى وامرأتى وأمى .
قال : وكيف ذلك ؟ قال قلت لأبى[5] :

ولقد رأيتك فى المنام فسُؤْتنى[6] وأبا بنيك فساءنى فى المجلسِ

وقلت لأمى[7] :

تَنَحَّىْ فاجْلِسِى منى بعيداً أراحَ اللهُ منكِ العالمينا
أَغِرْبالاً إذا استُودِعْتِ سِرًّا وكانوناً على المتحدّثينا

وقلت لامرأتى :

أطوّف ما أُطوّفُ ثم آوِى إلى بيت قَعيدته لَكاعِ

واطلعت فى بئر فرأيتُ وجهى قبيحاً فقلت :

أَبتْ شفتَاى اليومَ إلاَّ تكلُّما بسوء فلا أَدْرِى لمن أَنا قائِلُه
أرَى لى وجها قبَّح الله خَلْقَه فقُبِّحَ من وَجْهٍ وقُبِّحَ حامِلُه

فتبسّم عمر، وقال: فإن عَفَوْنا عنك، أتهجو بعدها أحداً ؟ قال : لاياأميرالمؤمنين، وعلىّ بذلك عَهْدُ الله ! فقال : لكأنى بفتًى من قريشٍ قد نصب لك نمرِقَة[8] ، فاتَّكَأْتَ عليها ، وأقبلت تنشده فى أعراض المسلمين . قال: أعوذ بالله ياأمير المؤمنين.
قال بعضَ الرواة : فوالله لقد رأيتُه عند عبيد الله بن زياد على الحال التى ذكر

---

(١) واد بالحجاز . (٢) فى الأغانى : ألقيت كاسبهم . (٣) فى الأغانى : عليك سلام الله . (٤) الأثر : جمع أثرة وهى المكرمة . (٥) الأغانى : ٢–١٦٢ ، وفيه أنه هجاء لأمه . (٦) فى ط ، ت : تسومنى وأنا . (٧) الأغانى : ٢–١٦٣ .
(٨) النمرقة– مثلثة : الوسادة الصغيرة . أو الميثرة . أو الطنفسة فوق الرحل .

عمر ، فقلت له : لكأنَّ أميرَ المؤمنين عمر كان حاضراً لكَ اليوم ، فتأوّه . وقال : رحم الله ذلك المرء ، فما أَصْدَقَ فِراسته !

[من مليح ماقيل فى المرآة]

لكشاجم

ومن مليح ماقيل فى مرآة ، قول كشاجم يَصِفُ مرآة أهداها[1] :

أخت شمسِ الضحى فى الشكل والإشـ ـــراقِ غير الإعشاء للأجفان
ذات طوق مشرّف من لُجَيْنٍ أجريت فيه صفرة العِقْيانِ
فهو كالهَالَةِ المحيطة بالبدْ رِ لستّ مضَيْنَ بعد ثمانِ
وعلى ظَهْرِها فوارسُ تلهو ببزاةٍ تَعْدُو على غِزْلانِ
لك فيها إذا تأمّلت فألٌ حسن مخبر بنَيْلِ الأمانى
لم يكن قبلها فى الماء جرم حاصرٌ نفسه بغير أوان
هى شمسٌ فإنْ مثالك يوماً لاحَ فيها فأنتما شَمْسَان
فالْقها منك بالّذى ما رآه خائفٌ فانثَنى بغيرِ أمان

لابن المعتز

وقال ابن المعتز[1] :

مبينتى[2] لى كلّما رُمْتُ نَظْرَةً وناصحتى مَعْ فَقْدِ كل صديقِ
يقابلنى منها الذى لا عَدِمتُهُ بِلُجَّةِ ماءٍ وهو غيرُ غريقِ

***

من النقد

أشار فى البيت الأول إلى قول ذى الرمة وذكر ناقته :

لها أذنٌ حَشْرٌ[3] وذِفْرَى أَسيلةٌ وخدٌّ كمِرآةِ الغريبةِ أَسْجَح

يريد أن الغريبة لاناصِحَ لها ، فهى تَجْلُو مرآتها وتحافظُ عليها .

[ابن يونس يصف غلاماً]

وقال أبو الحسن بن يونس المصرى يصف غلاماً[1] :

---

(١) زهر الآداب : ٦١٤ . (٢) فى زهر الآداب : تبينني لى .

(٤) حشر دقيقة : وفى ط : جسر ، والبيت فى اللسان — مادة حشر ، وفيه : وذفرى لطيفة .

يجرى النسيمُ عَلى غلاَلَةِ[1] خَدِّه   وأرقّ منه مايَمرُّ عليه
ناولتهُ المِرآة ينظرُ وَجْهَه   فعكست فِتْنةَ ناظريه إليه

وأهدى بعضُ الكتاب إلى رئيسه مرآة ؛ فقال : من أين وقع اختيارُك عليها ؟ قال : لتذكرنى بها كلما نظرْتَ إلى وجهك الحسن .

[بين سقراط وامرأته]

وقالت امرأة سقراط له : ما أقبح وجهك ! قال : لولا أَنك من المرايا الصدِئَة لتبيَّن لك حُسْنُ وجهى .

وكانت امرأته كثيرة الأذَى له ؛ أقبلت يوما تشتمه وهو مُلِحّ ينظرُ فى كتاب ولا يلتفِت إليها ، وهى تغسل ثوبا ، فأخذت الغسالة وأَرَاقَتْها عليه . فقال : مازلت تُبْرقين وترعدين حتى أمْطَرْتِ .

ولما مضى به ليُقْتَل أقبلت تبكى وتَصيح : وامظلوماه . فقال : أكان يسرُّك أن أُقتَل ظالما ؟

ومرّ هووغيره من الحكماء بامرأةٍ مصلوبة ؛ فقال : ليت يثمر لنامثل هذا الثمر[2] .

[من مُلح أبى العيناء]

سُرِق حمار أبى العيناء فتخلّف عن أبى الصقر . فقال له : ماخلَّفك عنا ياأبا عبدالله ؟ قال . سُرِق حمارى قال : وكيف سُرِق ؟ قال : لم أكن مع اللّص فأخبرك ! قال : ما منعك أَنْ تَأْتينا على غيره . قال : أَقعدنى عن الشراء قلةُ ذات يسارى ، وعن الكراء دالة[3] المُكَارى، وعن الإعارة مِنّةُ العَوارى. وقيل له : مابقى أحدٌ يحبّ أن يُلقَى، قال: إلاّ فى بئر !

---

(١) فى زهر الآداب : غلائل . (٢) هكذا فى ط ، ت . (٣) فى ط ، ت: ذلة .

[الأنوف]

وذكر له ولدعيسى بن موسى ، وكانت أنوفهم كبارا معوجّة فقال : كأنّ أنوفهم قبورٌ نُصِبت على غير القِبْلَة .

ونظر مخنّثٌ رجلا كبيرالأنفِ فيه شعْر . فقال : كأن أنفه كنيفٌ مملوء شسوعا .

قال أبوحاتم السجستانى : قدم علينا أعرابىٌّ كأن أنفه كوزٌ فى عِظَمِه ، فضحِكْنا منه . فقال : أتضحكون من أنفى ؟ وأنا والله ماا سمِى فى قومى إلّا الأفْطس .

وقال محمد بن عبد الملك الزيات فى عيسى بن زينب :

إنّ عيسى أنفُ أَنْفِه أَنْفُه ضعفٌ لضعفِه
لو تراه وهو فى السرْ ج وقد مال بعِطْفِه
لحسبت الأنفَ فى السر ج وعِيسى مثل رِدْفِه

[رجع إلى ملح أبى العيناء]

قال أبو العيناء لابنه وهو مريض : أىُّ شىء تشتهى ؟ قال : اليُتْم .

وكان فى مجلس إسماعيل بن إسحاق القاضى ، فدخل رجلٌ ومشى على رِجْله فصاح ؛ فقال : بسم الله ! قال : القصَّابُ يَذْبَح ويقول : بسم الله .

وكان يوما على بابه فمرَّ به رجل فسلَّم عليه وقام يمشى معه . فقال : لاتُعنِ ياأبا عبد الله . فقال : ما عنى مَنْ أبعدك عن داره !

وقال له المتوكل : لاتُكْثِر الوقيعةَ فى الناس . قال : إن لى فى بصرى لشغلا . قال : ذاك أشدُّ لحنقك على أهل العافية .

وقال له المتوكل يوما : هل رأيتَ طالبيا قطّ حَسنَ الوجه ؟ قال : ياأميرَ المؤمنين ، مارأيتُ أحدا يَسألُ أعمى عن هذا ! قال : لم تَكُنْ ضَرِيرا فيما سلف ، وإنما سألتُك عمّا تقدم . قال : نعم ! رأيت ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى مارأيتُ أجملَ منه ، ولا ألطفَ شمائل . فقال المتوكل : نجده كان مُؤَاجرا وكنت تقودُ عليه . فقال أبو العيناء :

معاذَ الله ياأمير المؤمنين أتراني أَتْرك موالى ، وأقودُ على الغُرباء ! فقال له المتوكل : اسكُتْ ياماًبون . فقال له : مَوْلَى القوم منهم .

وكان ولاء أبى العيناء لأبى العباس ، فقال المتوكل : قاتله الله ! أردتُ أن أشتَفِى منه فاشتفى منى .

وقال له مرة : كيف أصبحتَ ياأبا عبد الله ؟ قال : فى داء يتمنَّاه الناس. قيل له : وكم سنّك ؟ قال : قبضة . يريد ثلاثا وتسعين سنة .

ويقال : إن جده الأكبر لقى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فأساء مخاطَبَته ، فدعا عليه وعلى ولده بالعمى ، فكلُّ من عَمِىَ منهم فهو صحيح النسب . وكان قبل العمى أَحْول .

قال : ذكِرْتُ لبعض القينات فاستظرفتنى واستحسنتنى على السماع ؛ فلما رأتنى استقبحتنى فقلت لها :

وشاطرة لما رأتنى تنكَّرَتْ   وقالت قبيح أَحْوَلٌ ماله جِسْمُ
فإن تُنْكِرِى منى احولِالاَلاً فإننى   أريبٌ أديب لاغبىّ ولا فَدْمُ[1]

فقالت : أنا لم أرِدْك لأوليك ديوانَ الزِّمام .

[أبو العيناء مع المتوكل]

وهذا مجلسٌ له مع المتوكل من طريق الصولى[2] ، وله مجالس يُدخل الرواة بعضها فى بعض . قال الصولى: حدثنى أبو العيناء قال : أُدْخِلْتُ على المتوكل ، فدعوت له وكلّمتهُ فاستحسن كلامى ، وقال : بلغنى أنَّ فيك بَذَاء[3] . قلت : ياأمير المؤمنين ؛ إن يكن الشرُّ الذى بلغك عنى ذِكْرُ المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته فقد زَكَّى اللهُ تعالى وذمَّ ؛ فقال : نِعْمَ العبدُ إنه أوَّاب . وقال : هَمَّاز مَشَّاء بنميم ، منَّاع للخير مُعْتَدٍ أثيم . وقال الشاعر[4] :

---

(١) الفدم : العي عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم . (٢) زهر الآداب : ٢٧٩ .
(٣) البذاء : الكلام القبيح . (٤) عيون الأخبار: ٣-١٧٩ ، اللآلئ - ذيل: ٤٥ .

إذا أنا لم أَمْدَحْ على الخيرِ أهلَه ولم أذمم الجِبْسَ[1] اللئيمَ المذمَّما

ففيمَ عرفتُ الخيرَ والشرَّ باسمِهِ وشقَّ لىَ اللّهُ المسامعَ والفَمَا

وإن كان الشرُّ الذى بلغك عنى كفِعْل العقرب الذى تلدغ النبى[2] والذمىّ بطَبْع لابتمييز ؛ فقد صانَ اللّهُ عبدَكَ عن ذلك . قال : بلغنى أنك رافضىٌّ . قال : وكيف أكونُ رافضيا وبلدى البَصْرة ، ومنشئى فى مسجد جامعها ، وأُستاذى الأصمعى . وليس يخلو القومُ إن كانوا أرادوا دينا أو دنيا ، فإن كانوا أرادوا الدينَ فقد أجمع المسلمون على تقديم من أخَّروا وإيمانِ مَنْ كفَّروا ؛ وإن كانوا أرادوا الدنيا فأنت وآباؤك أمراءُ المؤمنين لادينَ إلا بكم ، ولا دنيا إلا معكم . قال : فكيف ترى دارِى هذه ؟ قال : رأيتَ الناسَ بنَوْا دارَهم فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارِك . قال : فما تقولُ فى عبيد الله بن يحيى[3] ؟ قال : نِعم العبدُ لله ولك ، مُقَسَّم[4] بين طاعته وخِدْمتك ، يُؤْثِرُ رضاكَ على كل فائدة ، وما عاد بصلاح ملكك على كل لذّة . قال : قد أردتُك لمجالستى . قال : أنا رجل محجوب — وقد تقدّم هذا — قال : فوصلنى بعشرة آلاف درهم .

وكان نجَاحُ بن سلمة قد ضَمِنَ الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك بمالٍ عظيم للمتوكل ؛ فاحتال عبيد الله بن يحيى[3] حتى يضمناه بذلك وعاد عليه الأمْرُ ، ثم اغتاله موسى بن عبد الملك فقتلَه ، فبلغ الأمرُ المتوكل ، فأكبره وهمَّ بالإيقاع بموسى ، فتلطف عبيد الله بن يحيى وعمه الفَتْح بن خاقان حتى سكن غَضَبُه ، واتَّفق ذلك فى ولادة المعتز فاشتغل باللهو والسرور بذلك ، فدخل أبو العيناء بعد ذلك على المتوكل ، وكان واجدا على موسى بن عبد الملك ؟ فقال : ماتقولُ فى نجاح بن سلمة ؟ قال : ماقاله الله عز وجل : فوكَزَه موسى فقَضَى عليه . واتَّصَل ذلك بموسى فلقى عبيد الله بن يحيى . فقال : أيها الوزير ، أردْتَ قَتْلى فلم تجد حيلةً إلا إدخال

(١) فى ط : الجنس ، والتصحيح من المرجع السابق . والجبس : الدنىء الجبان .

(٢) فى زهر الآداب : السنى . (٣) فى ط ، ت : عبد الله . (٤) فى ط : يقسم .

أبى العيناء على أمير المؤمنين مع عداوته لى ؛ فعاتب عبيدُ الله أبا العيناء على ذلك فقال : ما استعذبت الوقيعة فيه حتى ذممت سريرته فيك ، فأمسك عنه .

ثم دخل بعد ذلك على المتوكل . فقال له : كيف كنتَ بعدى؟ فقال : فى أحوالٍ مختلفة خيرها رؤيتك، وشرها غيبتُك . فقال : قد والله اشتقتُك. قال : إنما يشتاقُ العبدُ ربَّه ؛ لأنه يتعذرُ عليه لقاء مولاه ، وأما السيدُ فمتى أراد عبده دَعاه . فقال له : مَنْ أسخَى مَنْ رأيت ؟ قال ابنُ أبى دواد . فقال له المتوكل : تأتِى إلى رجل قد رفضته فتنسبه إلى السخاء . قال : إنَّ الصدقَ يا أميرَ المؤمنين ليس فى موضع أَنْفق منه فى مجلسك ، وإنَّ الناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى الجود؛ لأنَّ جودَ البرامكة منسوبٌ إلى الرشيد، وجودُ الحسن والفضل ابنى سهل منسوبٌ إلى المأمون ، وجودُ ابن أبى دواد منسوبٌ إلى المعتصم ، وإذا نسبت الناس الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى إلى السخاء فذاك سخاؤك يا أمير المؤمنين . قال : صدقت ! فمن أبْخَلُ مَنْ رأيت ؟ قال : موسى بن عبد الملك . قال . وما رأيت من بُخْلِه ؟ قال : رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد ، ويعتذرُ من الإحسان كما يعتذرُ من الإساءة . قال : قد وقعْتَ فيه عندى مرتين ، وما أَحبُّ ذلك لك؛ فالْقَه واعتَذِرْ إليه، ولا يعلم أنى وجهت بك. قال: ياأميرَ المؤمنين؛ تستكتمنى بحَضْرة ألف . قال : لن تخاف . قال : على الاحتراس من الخوف . وسار إلى موسى ، فاعتذر كلٌّ واحد منهما إلى صاحبه وافترقا عن صلح ، فلقيه بعد أيام بالجعفرى فقال له : يا أبا عبد الله ؛ قد اصطلحنا ، فما لك لا تأتينا؟ قال : أتريد أن تقتلَنى كما قتَلْتَ نفسا بالأمس . قال موسى : ما أرانا إلاّ كما كُنَّا .

وقال له المتوكل : إبراهيم بن نوح النصرانى واجدٌ عليك . فقال : ولن ترْضَى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تتبع مِلَّتهم، وقال له : إن جماعةَ الكتاب يلومونك. فقال :

إذا رضِيَتْ عنى كِرامُ عشيرتى فلا زال غَضْبانًا علىّ لِئامُها

[ومن نوادره]

ووقف به رجل من العامة فأحسَّ به. فقال : مَنْ هذا ؟ قال : رجل من بنى آدم

قال : مرحبا بك ، أطال الله بقاءك ، وبقيت فى الدنيا ، ما أَظنُّ هذا النسل إلا قد انقطع .

وزحمه رجلٌ على حمار بالجسر ، فضرب بيده على أذنِ الحمار . وقال : يا إنسان ، قل للحمار الذى فوقك يقول : الطريق !

وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق . فقال : لو كان فى بنى إسرائيل ونزل ذَبْحُ البقرة ماذبح غيره . قيل : فأخوه عمر ؟ قال : كَسرابٍ بقِيعةٍ يحسَبُه الظمآنُ ماء ، حتى إذا جاءه لم يَجِدْه شيئاً . قيل : فما تقول فى محمد بن مكرم والعباس بن رستم ؟ قال : هما الخمر والميسر إثمهُما أكبرُ من نفعهما .

وقال له ابنُ مكرم : إن ابنَ الكلبى تُعْجِبُه الرائحةُ الخبيثة . قال : يا سيدى ؛ لو وجدك لترشَّفَك .

ودعا ضريرا يعشّيه فلم يَدعْ شيئا إلاَّ أكله . فقال له : ياهذا ؛ دعَوْتُك رحمة ، فصيرَّتنى رحمة .

وقدَّم إليه أبو عيسى بن المتوكل سِكْباجة ، فجعل لا تقعُ يدُه إلاَّ على عظم . فقال : جُعِلْتُ فداك ، هذه قدر أو قبر ؟

[قصيدة لابن طباطبا فى دعوة]

وهذا كما ذكر ابنُ طباطبا العلوى وقد دعاه بعضُ إخوانه فتأخَّرَ عنه الطعام إلى أن اشتدَّ به الجوع ، ثم قدم إليه جديا هزيلا فقال[١] :

يا دعوة مغبَّرةً قاتمه ... كأنها من سفرة[٢] قادِمَه
قد قدَّموا فيها مسيحيةً ... أضحت على إسلامها[٣] نادمه
وبعد[٤] شطر نجية لم تزَلْ ... أيدٍ وأيدٍ حولها حائمه
فلم نزَلْ فى لعبها ساعةً ... ثم رفعناها[٥] على قائمه

---

(١) ديوان المعانى : ١ — ٢٩٩ .
(٢) فى ديوان المعانى : كأنها من سفر .
(٣) فى ديوان المعانى : على أسلافها .
(٤) فى ديوان المعانى : ثم بشطر نجية .
(٥) فى ديوان المعانى : نقضناها .

وكرر الأرز ، فقال :

أرزٌّ جاء يتبعه أرزٌّ ... هو الإيطاء يُتَّخَذُ اتخاذا
فإيطاء القريض كما علمنا ... وإيطاء الطعامِ يكون هذا

فدعا الرجلُ جماعةً من الشطرنجيين ، وقال : تعالوا حتى تروا الشطرنجية ، فكتب إليه[1] .

ورقعةٍ كنَّا رفعْناها ... نشرتها لمّا طوَيْنَاها
أعددت للعاب شطرنجها ... لو أمكنَ القمْرَ قمَرْنَاها[2]
واللهِ لو أحضرتها زيريا ... ماميز الفِرْزَان والشّاهَا

[الإيطاء]

والإيطاء تكرارُ القوافى بتكرار معانيها ، كقول امرئ القيس[3] :

عظيم طويل مطمئنٌّ كأنَّه ... بأسفل ذى ماوان سرحة مرقب

وليس بإيطاء قولُ الأمير أبى الفضل عبيد الله الميكالى :

وكل غنًى يتيه به غنيٌّ ... فمرتجع بمَوْتٍ أَوْ زَوَالِ
وهَبْ جَدّى طوى لِى الْأَرْض طُرًّا ... أليس الموت يزوى ما زَوى لى

وقوله[4] :

أخوكَ مَن إنْ كنت فى ... بؤسى ونعمى عادلك
وإن بداك منعماً ... بالبرِّ منه عادلك

وقوله[4] :

جاملِ الناسَ فى المزا ... ح وخلّ المزاحَمَهْ

---

(١) ديوان المعانى : ١ — ٣٠٠ .

(٢) فى ديوان المعانى :

طمعت يا أحمق فى قمرها ... لو أمكن القمر قمرناها
فإن أقاموها فما ذنبنا ... كنا على ذاك نقضناها

(٣) ليس هذا البيت فى الديوان ، وارجع إلى معلقته .

(٤) اليتيمة : ٤ — ٣٤٩ .

وتفاصح وقل لمنْ يتعاطى المزاح مَهْ ؟

[الطعام والموائد]

وعلى ذكر الطعام . قال الجماز : جاءنا فلان بمائدة كأنها زمن البرامكة على العُفَاة ؛ ثم جاءنا بشراب كأنه دمعة اليتيم على باب القاضي .

قد جُنّ أضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائده

ابن الرومى يصف طعاما

وقال ابن الرومى ــ يصف طعاماً أكله عند أبى بكر الباقطانى(١) :

وسميطة صَفْرَاء(٢) دينارية ثمنا ولونا زفّها لك حَزْوَر(٣)

عظُمَتْ فكادت أن تكونَ أوزّة وهوت(٤) فكاد إهابها يتفطّرُ

ظِلْنا نقشّر جِلدَها عن لحمها وكأنَّ تِبْرًا عن لُجَيْنٍ يُقْشَرُ

وتقدمَتْهَا قبل ذاك ثرائدٌ مثلُ الرياض بمثلهنّ(٥) يُصَدَّر

ومُرَقَّقات كلّهنّ مزخرَفٌ بالبيض منها مُلْبَس ومدَثَّر(٦)

وأتت قطائفُ بعد ذاك لطائفٌ تَرْضى اللهاةُ بها ويرضَى الحَنْجرُ

ضحكَ الوجوه من الطبرزد فوقها دمعُ العيون من الدهانِ يُعصَّر

وصف القطائف للمنجم

ومن ملح ماقيل فى القطائف ، قول على بن يحيى بن منصور بن المنجم(٧) :

قطائف قد حُشِيتْ باللَّوْز والسكر الماذىّ حَشْوَ الموزِ

تسبح فى آذِىّ(٨) دُهْنِ الجوز سررت لمّا وقعَتْ فى حَوْزِى

سرور عبّاس بقُرْبِ فَوْزِ(٩)

---

(١) ديوانه ٤٧٨ ، زهر الآداب : ٢٩٠ . (٢) فى الديوان : وخبيصة بيضاء.

(٣) الحزور : الغلام إذا اشتد وقوى وخدم . وفى الديوان : جؤذر .

(٤) فى الديوان : وثوت . (٥) فى زهر الآداب : بمثل ذاك .

(٦) فى ديوان المعانى : ملبس ومدثر . (٧) زهر الآداب : ٢٩٣ .

(٨) الآذى : الموج . (٩) فوز : معشوقة العباس بن الأحنف .

وصف اللوزينج لابن الرومى

ولم يقل أحد فى اللوزينج أحسنَ من قول ابن الرومى[١] :

لايخطِئنّى منك لوزينَجٌ ... إذا بدا أَعجَبَ أو عجَّبا
لم تُغْلِق الشهوةُ أبوابها ... إلا أَبَتْ زُلْفاه أن يُحْجَبا
لو شاء أن يذهبَ فى صخرة ... لسهّل الطِّيبُ له مَذْهَبا
يَدور بالنَّفْخَة فى جامه ... دوْراً ترى الدُّهْنَ له لَوْلبا
عاونَ فيه منظرٌ مَخْبراً ... مستحسَنٌ ساعدَ مستعذَبا
مستكْثِفُ الحَشْوِ ولكنّه ... أرقّ قِشراً[٢] من نسيم الصَّبَا
كأنما قُدَّت جلابيبُه ... من أعين القَطْرِ إذا قُبِّبَا
يخال من رِقة خرشائه[٣] ... شارك فى الأجنحةِ الجُنْدُبا
لو أنه صوّرَ من خُبْزه ... ثغرٌ لكان الواضح الأشنبا
من كل بيضاء يَوَدُّ الفتى ... أن يجعلَ الكفَّ لها مركبا
مدهونة زرقاءَ مدفونة ... شهباء تحكى الأزرق الأَشْهَبَا
مَلَذُّ عَيْن وفم حسِّنَتْ ... وطُيِّبتْ حتى صَبَا مَنْ صَبا
ذيق[٤] له اللَّوزُ فما مرَّة ... مرَّتْ على الذائق إلاَّ أَبى
وانتقد السكَّرَ نُقَّادُهُ ... وشاوروا فى نَقْدِه المذهبا
فلا إذا العين رَأَتْهُ نبتْ ... ولا إذا الضرسُ علاه نَبا
لاتنكروا الإدلالَ من وَامق ... وجّه تلقاءكمُ المطلبا

هذه الأبيات يقولها فى قصيدة طويلة يمدح بها أبا العباس أحمد بن محمد بن عبيد الله[٥] بن بشر المرثدى ويهنيه بابن له ولد ، أوّلها[٦] :

بَدْرٌ وشمس وَلَدا كَوْكبا ... أقسمتُ باللهِ لقد أَنْجَبا

---

(١) ديوانه : ٤٧٩ ، زهر الآداب : ٢٩٣ . (٢) فى زهر الآداب : أرق جلدا ، وفى ت : نشرا. (٣) الخرشاء : الجلدةالرقيقة ، وفى ط، ت : دقة حرسائه . (٤) فى زهر الآداب : ديف . (٥) فى زهر الآداب : ابن عبد الله . (٦) زهر الآداب : ٢٩٤ .

وقال أبو عثمان الناجم(١) : دخلت على أبى الحسن وهو يعملُ هذه القصيدة ؛ فقلت له : لو تفاءلت لأبى العباس بسبعة من الولد ؛ لأن عباس يجىء منكوسا سابع ، فلو تصوّر ذلك لجاء المعنى ظريفاً ؛ فقال بديهاً :

وقد تفاءلْتُ له زاجراً كُنْيَته لازاجراً ثَعْلَبا
إنّى تأمّلتُ له كُنيةً إذا بدا مقلوبُها أعجَبا
يَصوغُها العكسُ أبا سابع وذاكَ فألُ لم يَعُدْ مَعْطَبا(٢)
وقد أتاه منهمُ واحِدٌ فلننتظرهم سِتّةً غُيّبا
فى مدةٍ تغْمرُها نِعْمَة يجعلها اللهُ له ترتبا(٣)
حتى تراهُ جالساً بينهمْ أجلّ من رَضْوَى ومن كَبْكَبا(٤)
كالبدر وَافَى الأرضَ من نُورِه بينَ نجوم سبعةٍ فاختبا(٥)
وليُشكَرِ الناجمُ عن هذه فإنّها من بعضِ مابوّبا
أسدى وألحمت فتًى لم أزل أشكُر ماأسْدَى وما سبّبا(٦)

ابن الرومى يصف الرءوس والرغفان

وقال يصف الرءوس والرغفان(٧) :

---

(١) زهر الآداب : ٢٩٤ (٢) فى زهر الآداب :

يصوغها العكس أبا سابع لا كذب الله ولا خيبا
يأتون من صلب فتى ماجد وذاك فأل لم يعد معطبا

(٣) الترتب : الشىء المقيم الثابت ، وفى ط : ترقبا . (٤) كبكب : جبل .
(٥) فى زهر الآداب : فاجتبى . (٦) فى الديوان :

أسدى وألحمت أخ لم أزل أحمد ماسدى وما سببا

وفى زهر الآداب :

سدى وألحمت أخ لم أزل أشكر ماأسدى وما سببا

(٧) فى ديوانه :

مالى علمنا من طعام حاضر نعتده لفجاءة الزوار
كمهيئين من الطعام فيهما شبه من الأبرار والفجار
هام وأرغفة وضاء فخمة قدأخرجا من جاحم فوار

ما إن رأينا من طعامٍ حاضر ... نعتـدّه لفجَاءة الزوّار
كمهيئين من الطعام أصبحا ... شَبَها من الأبرار والفجّار
روس وأرغفة ضِخَام نخمة ... قد أخرجت من جاحم فوّار
كوجوه أهلِ الجنة ابتسمت لنا ... مقرونة بوجوه أهلِ النارِ

من تشبيهاته

ومن تشابيهه العقم :

ما أنس لا أنس خبّازا مررتُ به ... يَدْحُو الرقاقَة وشك اللّمْح بالبَصرِ
مابين رؤيتها فى كفّه كرةً ... وبين رؤيتها قَوْرَاءَ كالقمر
إلاّ بمقـدار ما تَنْدَاح دائرةٌ ... فى صَفْحَةِ الماء يُرْمَى فيه بالحجَر

نهم ابن الرومى

وكان ابن الرومى منهوماً فى المـآكل وهى التى قتلته وكان معجباً بالسمك ، فوعده أبو العباس المرثدى أن يبعثَ إليه كلّ يوم بوظيفة لا يقطعها ، فبعث إليه منه يوم سَبْت ثم قطعه ، فـكتب إليه[1] :

عتابه فى وظيفة

ما لحيتاننا جَفَتْنا وأنّى ... أخلَف الزائرون منتظريهمْ
جاء فى السبتِ زَوْرُهم[2] فأتينا ... من حفاظٍ عليه ما يكفيهم
وجعلناه يوم عيـد عظيمٍ ... فـكأنَّا اليهودُ أو نَحْـكيهم
وأراهم مصمّمين على الهجْـرِ فلمْ يُسْخِطون مَنْ يُرضيهم
قد سبَتْنَا فما أتَتْنَا وكانوا ... يوم لا يَسْبِتُون لا تأتيهم

فاتصل ذلك بالناجم فـكتب إليه[1] :

أبا حسَنٍ أنتَ من لا تَزا ... لُ يحمد فى الفضل رُجْحَانَه
فـكم تحسِنُ الظن بالمرثدىّ ... وقد قلّل اللهُ إحسانَه
ألم تدْرِ أن الفتى[3] كالسراب ... إذا وعد الخَيْرَ إخوانَه

---

(١) زهر الآداب : ٢٩٥ . (٢) الزور : الضيف . (٣) فى ط : أن وعده وهذه رواية زهر الآداب .

وبَحْرُ السرابِ يَفُوتُ الطلوبَ فقل فى طلابك حيتانَه

وخرج ابن الرومى[١] مع بعض إخوانه فى حداثته إلى بعض المنتزهات، وقصدوا كرماً رازِقياًّ[٢]، فشربوا هناك عامة يومهم، وكانوا يتهمونه فى الشعر. فقالوا: إن كان ماتنشدنا لك فقل فى هذا شيئا. فقال: لا تريموا حتى أقول، ثم أنشد بديها[٣]:

ورازقىّ مُخطَفَ الخُصورِ[٤] كأنّه مخازِنُ البلُّورِ
قد ضمِّنت مِسْكا إلى الشطور وفى الأعالى ماءُ وردٍ جُورِى[٥]
لم يبق من وهج الحرور إلاّ ضياء فى ظروف نور
لو أنه يبقى على الدهور قرّط آذان الحسانِ الحور
بلا مزيد[٦] وبلا شذور له مذاقُ العسل المَشُور
وبَرْد مَسٍّ الخصِر القرور ونَكْهة المسكِ مع الكافور
ورقة الماء على الصدور باكَرْته والطيرُ فى الوكورِ
بفتيةٍ من ولد المنصورِ أملأَ للعين من البدورِ
حتى أتينا خَيْمَةَ الناطورِ قبل ارتفاع الشمس للذّرور
فانحطَّ كالطاوِى من الصقور بطاعةِ الراغب لا المقهور
والحرُّ عبد الحَلَب المشطورِ حتى أتانا بضُروع حُور
مملوءة من عَسَلٍ محصور والطّلُّ مثلُ اللؤلؤ المنثورِ
ينسابُ مثل الحية المذعورِ بين سماطَىْ شَجَرٍ مسطورِ
ناهيك للمنقود من ظُهُور فنيلت الأوطار فى سرورِ
وكل ما يُقْضَى من الأمور تَعِلَّةٌ من يومنا المنظورِ
ومُتْعَةٌ من مُتَعِ الغرورِ

(١) زهر الآداب: ٢٩٦. (٢) فى القاموس: هو العنب الملاحى.
(٣) ديوانه: ١٩٥. (٤) مخطف الخصور: ضامرها.
(٥) جور: مدينة ينسب إليها الورد. (٦) فى زهر الآداب: بلا فريد.

[استوت بديهته وفكرته]

قال الناجم : جلستُ معه على بابِ داره وقد أَبلّ من علّة ، فمر بنا الحاجبُ ، فقال : قُومَا عندى نتحدثُ اليوم ، وعندى مَصُوص[1] وأشياء لطيفة لا تضرُّك ؛ وأشرب مع أبى عثمان بحضرتك ونتآنسُ يومنا .

فقال : إنَّا نأتيك الساعة وأبو عثمان فامضِ ونحن فى أثرك ؛ فمضى ولحقناه فحجب عنا ، فانصرفنا وأبو الحسن مغضَب ، فدخلت على أبى الحسن فى ذلك اليوم ، فوجدت بين يديه قصيدة طويلة جدًّا أولها :

نجَّاكَ يابْنَ الحاجب الحاجب وأين ينجو منىَ الهارب

فعجِبْتُ من سرعة عمله . وقلت: أعزّك الله ؛ متى عملتها ؟ قال : الساعة . قلت : وأين مسوّدَتها ؟ قال : هى هـذه . قلت : وما فيها حرفٌ مصلَح . قال : قد استوت بديهتى وفكرتى ، فما أعمل شيئا فأكاد أُصْلحه .

[سبب موته]

وكان سببُ موته أنه كان منقطعاً إلى القاسم بن عبيد الله بن وهب ؛ وكان القاسم مُغْرَماً بشعره ، مستظرِفا له ، محسِنا إليه . فقال له أبوه : قد أردت أن أرى مَنْ روميّك هذا ؟ فأحضره وحضر أَبوه ، فلما انفضّ المجلس قال له : كيف رأيته ؟ قال : أرى ما يسوءنى ولا يسرُّنى ، أَرى رجلا صحيحَ الشِّعر ، سقيمَ العقل ، ومثلُ هـذا لا تُؤْمَن بوادِرُه ؛ وأقلُّ غَضْبَة يغضبُها تُبْقِى فى أعراضنا مالا يَغْسِلُه الدهر، والرأىُ إبعاده ، قال : وكيف ذلك بعد اتصاله ؟ أخافُ أن يظهـرَ ما أضمره . قال : يا بنى ؛ اتبع فيه قول أبى حية :

يقُلْن لها فى السرّ هديك لا يُرَحْ صحيحا وإلاّ تقتُلِيهِ فألِمْ

---

(١) المصوص — كصبور : طعام من لحم يطبخ وينقع فى الخل أو يكون من لحم الطير خاصة .

فأخبر القاسمُ بقول أَبيه ابن‌فراس، وكان أشدَّ الناس عداوةً لابن الرومى. فقال: إنما أشار عليك باغتياله ، وأنا أَكفيك أمره ، فسمّ له لَوْزينجة وقدّم له الجام وهى فى أعلاه ، فلما تناولها أحسّ بالموت ونهض قائما . فقال له : إلى أين يا أبا الحسن ؟ قال : إلى حيث أرسَلْتَنِى . قال : اصرفوه ، فقد غلب عليه السُّكر ؛ فخرج وهو لما به ؛ فلقى الناجم فقال :

أبا عثمان أنتَ عميدُ قومِك ... وجودُك للعشيرة دون لؤمك

تمتّعْ من أخيك فما أَراه ... يراكَ، ولا تراهُ بعد يومك

وكان شديدَ التغيّر ، سريعَ الانقلابِ ، ضيِّقَ الصدر ، قليلَ الصبر ، مُفْرِط الطِّيَرَةِ غاليا فيها ، وكان عظيمَ التخوّف ، كثير التجسس ؛ يراه مَنْ يلقاه كالمتوجِّس المذعور .

[شدة خوفه]

يخاف من العصا

ذكر بعضُ أصحابِه قال : كنتُ أسايِرُه ونحن سائرون ، فلم أنشب أَنْ تراءيته قد ترجَّلَ عن دابته بسرعة ، ولجأ إلى بعض الدكاكين وأسلم الدابة ؛ فأمرت مَنْ أمسكهاَ وأتيت إليه فقلت : ما بالك يا أبا الحسن ؟ وإذا هو يضطربُ اضطرابا شديداً ؛ فأمسكتُ عنه حتى سكن وقام فركب الدابة . فقلت له : ماالذى هاجك ؟ قال : أما ترى ذاك ؟ وإذا برجلٍ من العامة يحمل ذويبنا[1] ـ وهى عصا فى طرَفها حديد ـ بشعبتين . فقلت : أراه . فقال : أو ما ترى البركار الذى بيده ، ما يؤمننى أن يَلوِيَه على عُنقى فيفتله .

ومن قدح فيكسره

وحكى عنه : أنه سأل الموفّق أو غيره فى قدح مُحْكم رآه فأعجبه فوهبه إياه . قال بعضُ إخوانه : وكنت معه ، وقد خرج من دار السلطان ، فوضعه على رأسه ثم أزاله بسرعة ثم وضعه على رُكبته ، ثم رمى به فكسره . فقلت له : ماهذا الخاطر الفاسد ؟ قال : وصل إلىَّ هذا القدح وما على وَجْهِ الأرض أَحبّ إلىّ منه ،

---

(١) لم نقف على ضبطها .

فوضعته على أشرف أعضائى ! ثم ذكرت قولَ بعض الحكماء : إن الصاعقةَ إذا قابلت الشىءَ الشّفاف انحدرَتْ إليه ، فخِفْتُ أن تقعَ علىَّ صاعقة فتهلكنى ، ثم وضعته على ركبتى فخِفْتُ أن تصدمنى دابّة فينكسر فيدخل فى جسمى فيكون سبب علّةٍ مُزْمِنة، وخفْتُ أن يكون الذى دعانى إلى طلبه ما أراده الله بى ، فرأيت الراحةَ فى كَسْرِه .

[حكايات عن تطيّره]

وكان أبو الحسن على بن سليمان الأخفش غلام أبى العباس المبرد فى أيام ابن أبى أوفى شابّا مترّفا، وأديبا مستظرفا، وكان يعبَثُ به فيقرَع عليه الباب . فيقال له : مَنْ بالباب ؟ فيقول : قولوا لأبى الحسن : مرة بن حنظلة ؛ فيتطيّر لقوله ويُقيم أياماً لا يخرجُ من داره .

وكان ذلك سببَ هجائِه إياه ؛ وقرع عليه الباب يوما ـ وقيل: إنَّ البحترى وجَّه إليه مَنْ قرع عليه بابه ـ فقال : مَنْ هذا ؟ فقال : سخطة الحىّ القيوم ، والمُهْل والغِسْلِين والزّقوم ، والشيطان الرّجيم ، وكل بلاء كان أو يكون إلى يَوْمِ الدين ؛ فأقام مدّةً لم يخرج ، فسأل عنه الموفق ، فقيل : هو فى حَبْس البحترى !

وتخلَّفَ أياماً عن بعض الأشراف بسبب طِيرَةٍ عرَضَتْ له ، فبعث إليه غلاما جميلا فقرع الباب . فقيل : مَنْ ؟ قال : إقبال ؛ فخرج فرأى وَجْها مستحسن الصورة حسَن الهيئة . فقال له : مولاى يرغبُ فى حضورك ، فمشى معه ثم توجَّس وبقى باهتا مُطْرِقا لاينصرف ، ثم مشَى قليلا ؛ فلما قارب الجسر انفتل بسرعة شديدة ، ثم مضى على وَجْهه إلى داره ، فأغلق الباب على نفسه ، وكتب إلى الرجل : تخلّفت ـ أطال اللهُ بقاءك ـ عن حظّى من لقائك ، لا عدمته ـ لى أياما ، وأنا أتقلّى على جماجم الضجَرِ ، بما جرى به القدَر ، من كلام سمعته وأمْرٍ توقّعته ؛ فأتانى غلامٌ جميل اسمه إقبال ؛ فقلت : هذا حسن ، فخرجت معه ، ثم فكّرت أن إقبالا إذا نكس كان لابقاء ! فقلت : هذا من ذاك ؛ فمشيت معه مقدِّما رِجْلا ومؤخِّراً أخرى حتى صرت

بالجسر ، فرأيت حبالا مفتولة قد التوَتْ ، فصار كلٌّ واحد منها فى صورة لام ألف . فقلت : هذه تحقّق ماظننت من لابقاء بقولها : لا لا ، فما حصلت فى الدار ، إلاّ بعد خوف مُضِيِّ المقدار ، فابسط العذرَ فى التأخر ، والسلام .

وقال على بن إبراهيم كاتب مسرور البلخى : كنتُ بدارى جالسا بباب الشعير على أَسرَّةٍ نُصِبَتْ لى فى صَحْنِ الدار ؛ فإذا حجارةٌ قد سقطَتْ علىّ ، فبادرت هاربا ، وأمرت الغلام بالصعود إلى السطح والنظر إلى كلِّ ناحية من أين تأتينا ؟ فقال لى : امرأةٌ من دار ابن الرومى الشاعر قد أشرفَتْ وقالت : اتَّقوا الله فينا واسقُونا جرَّةً من الماء وإلاّ هلكنا ؛ فقد مات مَنْ عندنا عطشا ؛ فتقدمْتُ إلى امرأةٍ عندنا ذات عَقْلٍ ومعرفة بأن تصعد إليها وتخاطبها ففعلت . وبادرَتْ بالجرَّةِ وأَتبعتها بشىء من المأكول . ثم عادت وقالت : ذكَرَتِ المرأةُ أنّ الباب مُقْفَل عليها منذ ثلاث بسبب طِيرَة ابن الرومى ، وأنه يلبَس ثيَابه كل يوم ويتعوّذ ، ثم يصيرُ إلى الباب والمفتاحُ بيده ، ثم يضعُ عينَه على ثقب فى خشَب الباب ، فتقعُ على جارٍ له كان نازلا بإزائه ، وكان أعورَ يقعدُ كل غَدَاة على بابه ؛ فإذا رآه رجع وخلع ثيابه . وقال : لايفتحُ أحدٌ الباب . فعجبت من حديثها ؛ وبعثت بخادم لى كان يعرِفُه فأمرتُه بأن يجلسَ بإزاء بابه ، وكانت العينُ تميلُ إليه . وتقدّمْتُ إلى بعض غلمانى أن يدعوَ الجارَ الأعور ؛ فلما حضر عندى أدَّى الغلامُ إلى ابن الرومى رسالتى يستدعيه الحضور ، فإنى لجالسٌ وعندى الأَعور إذْ وافَى أبو حذيفة الطرسوسى ومعه برذَعَة الموسوس صاحب المعتضد ؛ ودخل ابنُ الرومى فلما تخطَّى عتبةَ باب الصّحْن عثر فانقطع شِسْع نَعْلِه فدخل مذعوراً ، وكان إذا فاجأه الناظرُ رأى منه منظرا يدلّ على تغيُّر حاله ، فدخل وهو لايرى جارَه المتطيِّر منه . فقلت له : ياأبا الحسن ، مالك ؟ أيكونُ شىء فى خروجك أحسن من مخاطبتك للخادم ونَظرك إلى وجهه الجميل ؟ فقال : قد لحقنى مارأيت من العَثْرَة ؛ لأنى فكرتُ أنَّ به عاهةً وهى قطع أنثييه . فقال برذعة : وشيخنا يتطيَّر ؟ قلت : نعم ! ويُفْرِط . قال : ومن هو ؟ قلت : أبوالحسن بن الرومى .

قال : الشاعر ؟ قلت : نعم ! فأقبل عليه وأنشده :

ولما رأيتُ الدهرَ يُؤْذِنُ صَرْفه ... بتَفْرِيق ِ مابيني وبين الحبائب
رجعت على نَفْسى فوطّنتها على ... ركوبِ جميلِ الصّبْر عند النوائب
وَمنْ صَحِبَ الدنيا على جَوْرِ حُكْمِها ... فأيامُه محفوفةٌ بالمصائب
فخُذْ خلْسةً من كل يوم تعيشُه ... وكُنْ حَذِراً من كامنات العواقب
ودَعْ عنك ذِكْرَ الفألِ والزَّجْر واطّرِح ... تطيّر دارٍ أو تفاؤل صاحب

فبقى ابنُ الرومى باهتا ؛ ولم أدرِ أنه شغل قلبَه بحفْظِ ماأنشده ، ثم قام أبو حذيفة وبرذعة معه ، فحلف ابنُ الرومى ألاَّ يتطير أبدا من هذا ولا من غيره ، وأومأ إلى جاره . فقلت : وهذا الفِكْرُ أيضا من التطيّر ، فأمسك . وعجب من جَوْدَة الشعر ومعناه فى حسن مَأْتَاه . فقلت له : ليتنا كتبناه . فقال : اكتبه فقد حفظته ، وأملاه على .

[من الدليل على شدة حذره وعظم تطيره]

ومن الدليل على شدة حذره ، وعظم تطيّره ، قوله لأبى العباس أحمد بن محمد بن ثوابة ، وقد ندبه إلى الخروج وركوب دجلة[1] :

حضَضْتَ على حَطْبى[2] لنارى فلا تَدَعْ ، ... لك الخير ، تَحْذِيرى شرارَ المحاطبِ
ومَنْ يَلْقَ ما لاقيت من كلِّ مجتنى ... من الشوك يزْهَدْ فى الثمارِ الأطايبِ
أذاقتنى الأسفارُ ما كرَّهَ الغنى ... إلىّ وأغْرانِى برَفْضِ المطالبِ
ومِنْ نكبةٍ لاقيتُها بعد نَكبَةٍ ... رَهِبْتُ اعتسافَ الأرضِ ذاتِ المناكبِ
وصَبْرِى على الإقتارِ أَيسرُ محملا ... علىّ من التغرير بعدَ التجاربِ
لقيت من البرِّ التباريحَ بعدما ... لقيت من البَحْر ابيِضاضَ الذوائبِ
سقيت على رىٍّ به ألف مَطرةٍ ... شُغِفْت لبغضها بحبِّ المجادب

---

(١) ديوانه : ١ـ٢ .   (٢) حطب ـ كضرب : جمع الحطب .

ولم أسْقِها بل ساقها لمكيدتى ... تحامُق دَهْرٍ جَدَّ بى كالملاعبِ
أبى أَن يغيثَ الأرض حتى إذا ارتمت ... برحلى أتاها بالغيوثِ السواكبِ
سقى الأرض من أجلى فأضحت مزلّة ... تمايل صاحبها تمايلَ شاربِ
فملْتُ إلى خانٍ مرثٍّ بناؤه ... مميل غريق الثوبِ لهفانَ لاغبِ
فما زلت فى خوف وجوع ووحْشَة ... وفى سَهَرٍ يستغرقُ الليلَ واصبِ
يؤرّقنى سَقْفٌ كأنى تحته ... من الوَكْفِ تحت المدجنات الهواضبِ
تراه إذا ما الطينُ أثقل متْنه ... تصرّ نواحيه صريرَ الجنادبِ
وكم خان سَفْرٍ خان فانقضّ فوقهم ... كما انقضّ صَقْر الدجن فوقَ الأرانبِ
وما زال ضاحى البرّ يضرِبُ أهلَه ... بسَوْطَىْ عذابٍ جامدٍ بعد ذائبِ
فذاك بلاءُ البَرِّ عندى شاتيا ... وكم لىَ من صيف به ذى مَثَالبِ
ألاَ رُبَّ نارٍ بالفضاء اصطَلَيْتُها ... من الضِّحّ يُودِى لَفْحُها بالحواجبِ
فَدعْ عنك ذِكْرَ البرِّ، إنّى رأيتُه ... لِمَنْ خاف هَوْلَ البحر شرّ المهاوبِ
وما زالَ يَبْغِينى الحتوفَ مُوَاربا ... يحومُ على قَتْلى وغيْرَ مواربِ
فطَوْراً يُغادينى بلصّ مصلّت ... وطوراً يمسّينى بورْدِ المشاربِ
وأما بلاءُ البَحْرِ عندى فإنه ... طوانى على روع مع الرّوح واقبِ
ولو ثاب عَقْلى لم أدَعْ ذِكْرَ بعضه ... ولكنّه مِنْ هَوْلِه غيرُ ثائبِ
ولِمَ لا ولو ألقيتُ فيه وصَخْرةً ... لوافيتُ منه القعْرَ أولَ راسبِ
ولم أتعلّم قط من ذى سباحَةٍ ... سوى الغَوْصِ، والمضعوف غيرُ مُغالبِ
فأَيسَرُ إشفاقى من الماءِ أننى ... أمرّ به فى الكوز مَرَّ المُجَانبِ
وأخشى الرّدَى منه على نَفْسِ شارب ... فكيف بأَمْنِيهِ على نفس راكبِ[1]
أظلُّ إذا هزَّته ريحُ ولألأتْ ... له الشمسُ أمواجا طوالَ الغواربِ
كأنى أرى فيهن فُرْسَان بُهْمَة ... يُلِيحُون نحوى بالسيوفِ القواضبِ

(١) فى الديوان: كل راكب.

فإن قلت لى قد يركبُ اليمّ طامِيا ودجْلَة عند اليمّ بعض المذانب
لدجلة خبٌّ ليس لليمِّ ، إنها ترائى بحلم تحتَه جَهْلٌ واثب
وللبحر(١) إنذار بعرض متونه وما فيه من آذيِّه(٢) المتراكب

[من الطرائف]

قينة تكفر عن ذنوبها

قيل لقينة : صومُ يوم عرفة كفَّارةُ ذنوبِ سنة ؛ فصامَتْ إلى الظهر وأفطرت . فقيل لها : ماهذا ؟ قالت : يكفينى ستة أشهر .

يشتمه لينصرف مأجورا

قعد رجل على باب داره ، فأتاه سائل يسأله . فقال له : اجلس ، ثم صاح بجاريةٍ عنده فقال : ادفعى إلى هذا مَكُّوكا(٣) من حِنْطَة . قالت : مابقى عندنا حِنْطة . قال : فاعطيه درهما . قالت : مابقى عندنا دراهم . قال : فأطعميه رغيفا . قالت : وما عندنا رغيف ، فالتفت إليه وقال : انصرف يابن الفاعلة . فقال السائل : سبحان الله تحرمنى وتشتمنى ! قال : أحببتُ أن تَنْصرِفَ وأنت مأجور .

يتصدق بطلاق امرأته

ورأى أعرابىٌّ الناسَ بمكة وكل واحد يتصدّق ويُعْتِق ماأمكنه . فقال : يارب ، أنت تعلمُ أنه لامالَ لى ، وأشهدك أنّ امرأتى طالق لوَجْهك ياأرحم الراحمين !

نفقة النبوة

وكان فى زمن المهدى رجلٌ ادّعى النبوة فأحضروه إلى المهدى . فقال له : ماأنتَ ؟ قال : نبى . قال : إلى مَنْ بُعِثْتَ ؟ فقال له : ما أكثرَ فضولك ! إيش عليك ؟ قال : قل ، وإلاّ أَمَرْتُ بقتلك . قال : بُعِثت إلى أهلِ خراسان . قال : ولم لم تسافر إليهم ؟ قال : مامعى نَفَقَة ، فضحك منه وأمر له بنفقة ، وقال : هذا قد غلَبَتْ عليه المرّة .

دابة بصفة بستان

وجاء رجل إلى أبى ضمضم يستَعْدِى على رجل فى دابّةٍ اشتراها منه ، وظهر بها عَيْب . فقال له أبو ضمضم : وماعَيْبها ؟ قال : فى أَصْلِ دنبها مثل الرمانة ، وفى ظهرها مثل التفاحة ، وفى عجيزتها مثل الجوزة ، وفى بطنها مثل الموزة ، وفى حلقها مثل

---

(١) فى الديوان : ولليم إعذار . (٢) الآذى : الموج.
(٣) المكوك : مكيال يسع صاعا ونصفا أو نصف ويبة .

الأترنجة . فقال له أبو ضمضم : مُرَّ عنّا يابارد ، هذه صفة بُسْتان ليست بصفة دابة .

مجلس رياء

شرب ابنُ حمدون النديم مع المتوكّل وبحضرته غلامٌ مليحُ الوجه ؛ فتأمّله ابنُ حمدون تأمُّلا شديدا ، وقد حمل الشرابَ إليه . فقال المتوكل : يابن حمدون ، ماالحكم فى الرجل إذا نظر إلى غلامٍ فتى ؟ قال : أن تُقْطَع أذنه . قال : لِيُحْكَم عليكَ بحكمك ، فأمر أن تُعْرَك أذنهُ حتى تخضر ثم تُقطع ، وأمر بنَفْيه إلى بغداد . فلقيه إسحاق بن إبراهيم الموصلي بها فسأله عن حاله ، وعمَّن ينادِمُ المتوكّل معه . فقال : أحد ندمائه ابن عمرو البازيار ؛ فسأله إسحاق عن محلّه من العلم والفهم . فقال له : أكثر مايقول للخليفة : أبقاك الله ياأمير المؤمنين إلى يوم القيامة وبعد القيامة بشىء كثير . فقال له إسحاق : اعمل على أنه كان لك كُرٌّ[1] آذان فقُطِعت ؛ أليس ذلك أَسْهَل من حضور مجلس تقاسِى فيه ابْنَ عمرو البازيار .

دعابة ابن حمدون

وكان ابنُ حمدون أَخفَّ الناس رُوحا وأحلاهم دُعَابة ، وكان المتوكلُ يستملحه . فقال يوما : الزئبق من أين يُجاء به ؟ فقال ابن حمدون : من الشيز ، وأنا أَعرفُ الناس بها . قال : قد ولّيتُك إياها فاخرج إليها ، فضاقَتْ به الدنيا ، وأنشده :

ولاية الشيز عَـزْلٌ ... والعَزْلُ عنها[2] ولايهْ

فولّنى العـزل عنها[2] ... إن كنت بى ذا عِنايهْ

فضحك المتوكل وأعفاه . وذكر الصولى أن أخاه أحمد عمل له البيتين .

[بين أبى العيناء وابن الزيات]

دخل أبوالعيناء على محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ، فجعل لايكلِّمه إلا بأطرافه . فقال: إنّ من حق نعمةِ الله عليك ، لما قد أهّلك له فى هذه الحال التى أنت عليها ، أن تجعلَ البَسْطَة لأهل الحاجةِ إليك ؛ فبقضاء الحاجات تدومُ النعم .

---

(١) الكر : مكيال للعراق ، وستة أوقار حمار . (٢) فى ط : عنه ، والتصحيح من معجم البلدان ـ مادة شير .

فقال محمد: أما إنى أعرفُك فضوليًّا كثيرَ الكلام، أوترى أن طولَ لسانِك يمنع من أن أؤدبك إذا زَلَلْتَ؛ وأَمرَ به إلى الحبس .

فكتب إليه من الحبس: قد علمت أن الحَبْس لم يكن تقدّم إليك ولكنك أحببت أن ترينى مقدارَ قُدْرتك علىّ؛ لأن كل جديد يُسْتَلَذّ؛ ولا بأسَ أن تُرَينى من عَفْوك مثلما أَرَيْتَنا من قُدْرَتك .

فأمر بإطلاقه . وانقطع عنه مدةً فلقيه ، فحبس محمدُ بن عبد الملك دابته عليه . فقال : مالى لاأراك ياأبا عبد الله تواصِلُنا حسب إيجابنا لك ؟ فقال له أبو العيناء : أمّا المعرفة بعنايتك فمنا كرة ، ولكننى أَحسبُ الذى جدّد استبطاءك فراغ حبسك ممن كان فيه ، فأحببت أن تغمرنى فيه .

[محمد بن عبد الملك الزيات]

لؤمه

وكان محمدُ بن عبد الملك على علمه وأدبه ألأمَ الناس ، فمن عجيبِ لؤمه أنه كان له جارٌ فى انخفاضِ حالِه، وكان بينهما مايكونُ بين الجيران من التباعد ؛ فلما بلغ محمد مابلغ شخَصَ الرجل إلى سُرَّ من رأى ، فورد بابه وهو يتغدّى ، فوصل إليه وهوعلى طعامه فتركه قائما لايرفعُ طَرْفه إليه ، فلما فرغ من أَكْلِه قال : ماخبرك ؟ قال : قد أصارك اللهُ أيها الوزير إلى أجلّ الآمالِ فيك ، وصرفَ أعناق الناسِ إليك ، وقدعلمت ما كنت تنقمه علىّ ، وقدغيَّر الدهرُ حالى ؛ فوردت إليك مستقيلا عثراتى ، مستعطفا على خلاّتى .

فقال له : قد علمت هذا ، فانصرِفْ وعُدْ إلىّ فى غدٍ . فولّى الرجل ؛ فلما صار فى صَحْنِ الدار دعا به ، فلما صار بين يديه قال له : والله مالك عندى شىء ، ثم أقبل على بعض من كان بين يديه ، فقال : إنما رَدَدْته وآيسته بُخْلا عليه بفُسْحَة الأمَل بقيَّة يومه .

وهذا كقول بعضهم :

إن قُلْت إنك كالسحاب لـكان ذَا وَصْفاً لمثلك زائدا فى الحال

إنّ السحابَ لذو مواعِدَ جَمَّةٍ وبخلت بالموعود والأفعالِ

وكان محمد بن عبد الملك واحدا فى صناعته ، مُفْرَدا فى بَرَاعتِه .

[بين أبى السمراء وعبد الله بن طاهر]

وكان أبو السمراء العلاء بن عاصم بن عصمة العسكرى نديمَ عبدِ الله بن طاهر يأنسَ به ، ويجاريه الشعر ، فـكتب إليه :

تقول لمّا جعلت أبكِى سَلُوه باللهِ ممَّ يبكى ؟

فقلت أَبكى لِمَا أَراه عمّا قليلٍ يكون منك

قالت فلا تَخْشَ قلت مالى قلبٌ على الدهر يأمنك

لا غرَّنى الدهرَ مِنْك ودٌّ قالت ولا غرَّنِى التبكّى

فوقّع ابنُ طاهر فى ظاهرها بديها :

لا أشتكى مِنْ هواكَ إلاّ إليك لو ينفع التشكّى

حلفْتُ جهْدَ اليمينِ أنْ لا أزول إلاّ إليك عنك

كلفتنى السعْىَ فى طريق وَعْرٍ قليل الأنيس ضَنْكِ

فَرُحت [بى][1] فى إِسَار قلبى ثم تشاغَلْت عنـد فَـكّى

ومن جيد شعره فى جارية تُوفِّيَتْ له :

يقول لى الخلاَّنُ لو زُرْتَ قبرَها فقلتُ : وهل غيرُ الفؤاد لها قَبْرُ

على حين لم أحدثْ فأَجْهَل فقْدَها ولم أبلغ السنَّ التى معها صَبْرُ

وهذا مأخوذ من قول أبى مسلم عبد الرحمن بن سلم ، فى فصل من كتاب كتبه

---

(١) فى ط : فرحت فى أسار قلبى .

إلى عبد الله بن على عند محاربته إياه ، لما خلع أبا جعفر المنصور : لأُنْزِلَنَّكَ[1] موارد ضيّقة ، حتى أبدّلك بالحلاوة عَلْقَماً تمجّ من تمطّقِها دماً ؛ أمنت صَوْلَتى ، وقد كبرت عن صغر ، وصغرت عن كِبَر ، فأنا كما قال الأول :

وهل يَخْشَى وَعيد الناسِ إلاّ كبير السنّ والضّرع[2] الصغير

[شراب عتيق من محمد بن عبدالملك]

قال ابن حمدون النديم : أهدى إلينا محمد بن عبد الملك ـ ونحن بالبدندون[3] ـ شرابا عتيقا وكتب رُقْعة فيها :

ما إنْ ترى مثلى أخاً أنْدَى يدًا وأدرّ جُودَا
أَسْقِى الصديقَ ببلْدَةٍ لم يَسْقِ فيها الماءُ عودا
صفراء صافية كأنَّ على جوانبها العقودا
فإن استقلّ بشكرها أوجبت بالشكر المزيدا
فإذا خشيت على الصنيـ ـعةِ بالتقادمِ أنْ تَبيدا
أنشأت أخرى غيرها فتركتها غضًّا جديدا
خُذْها إليك كأنما كسيت زجاجتها فريدا
واجعلْ عليك بأن تقيـ ـم بشكرها أبدا عُهودا

[الملك مضطر إلى كفاية منه]

وكان المعتصم : أمر بأن يُعْطَى الواثق عشرة آلاف درهم ، يستعِينُ بها على أمره ويصلح بها ما يحتاجُ إلى إصلاحه ، فدافعه بذلك مدافعةً متّصلة أحوجَتْه إلى شكايته إلى المعتصم ؛ فأنكر عليه تأخّر المال . فقال : يا أمير المؤمنين ، المَدْلُ أولى بك وأَشْبَه بقولك وفعلك ، ولك عِدَّة أولاد أنتَ فى أمرهم بين خلتين ؛ إمَّا أن تسوِّى

(١) فى ط : لأبدلنك . (٢) الضرع : المتذلل . والضعيف .
(٣) فى ت : باليدنوون ، ولم نقف عليها .

بينهم فى العطيَّة فتُجْحِف ببيت المال ، وإما أن تخصّ بعضَهم فتَحيف[1] على الباقين .
فقال : قد رهنت لسانى فما تصنَع ؟ قال : تأمرُ لباقى ولدك بإقطاعات وصلات وتطلق لهارون صَدْرا من المالِ ، فأدافعه بباقيه ويتّسع الأمير قليلا ، وتدبّر الأمر بعد ذلك بما تراه .

فقال له : وفقَك الله فما زلتُ أعرِفُ الصوابَ فى مشورتك ؛ وتأدّى الخبرُ إلى هارون ، فحلف بعتْقِ عبيده ومماليكه ، وبحَبْسِ عدة خيل ووَقْفِ عدَّة ضياع ، وصدَقةِ مالٍ جليل ، لئن ظفر بمحمد ليقتلنَّه ؛ وكتب اليمينَ بخطّه وجعلها فى درج وأودعها دايته .

ومرَّتْ مدة وأَفضى الأمرُ إلى هارون ، وكان ذا أَناةٍ وعَقْلٍ . وكره أن يعاجِلَه فيقول الناس بادَر بشفاء غَيْظِه ؛ ثم عزم على الإيقاع به ، فتقدم بأن يجمَع له من وجوهِ الكتابِ مَنْ يَصلُح لولايةِ الدواوين والوزارة فجمعوا ، ودعا بواحدٍ منهم ؛ وقال له : اكتب كذا فى أمرٍ رسمه له . فاعتزل وكتب وعرَض الكتابَ عليه فلم يَرْضَه حتى امتحنَ الجميع ، فأمر حاجبه فقال : أَدْخل مَن المُلك مضطرٌّ إليه : محمدُ ابن عبدالملك ، فجيء به وهو واجمٌ مضطَرِب ؛ فلما وقف قال له: اكتُبْ إلى صاحب خراسان فى كذا وكذا . فأخرج من كمِّه نصفا ومن خُفّه دواةً ، وابتدأ يكتب بين يديه حتى فرغَ من الكتاب، ثم أخرجَ خريطةً فيها حصافأَتْرَب الكتابَ وأصلحه وتقدَّم فناوله إيّاه ، فوجده قد أتى على جميع مافى نفسه ؛ فأُعجِبَ به جدا . وقال : اختمه فأَخْرَج من الخريطة طينا فوضعَه عليه وتناوله فختمه وأنفذه من ساعته .

فقال الواثق لخادم له : امضِ إلى دايتى وقل لها : توجِّهْ إلىَّ بالدرج الفلانى ؛ فمضى الخادمُ فجاء به فأخرج الرقعةَ فدفعها إليه . فقال : ياأمير المؤمنين ؛ أنا عبدٌ من عبيدك ، إن وفيتَ بيمينك فأنتَ محكَّم ، وإن كفّرت وصفَحْتَ كان أشبهَ بك .

---

(١) الحيف : الجور والظلم .

قال : لا والله ! مايمنعني من الوفاء بيميني إلاَّ النَّفَاسة على أن يَخْلُو المُـلْك من مِثْلك ، وأمر بعتْقِ مَنْ جلف بعتْقِه ، ووقف الضياع ، وحَبس الخيل ، وأنفذ صدقةَ المال .

وقد فعل أبو شجاع فناخسرو قريباً من هـذا بأبى إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى ، وذلك أنه كان كاتب بختيار بن معز الدولة أحمد بن بويه الديلمى ، وبين أبى شجاع وبين بختيار منافسة بالرياسة(١) ، فلما خُلع الفضل بن جعفر وهو المُطيع لله ، وأُقيم ابنُه أبو بكر عبدالـكريم الطائع لله سنةَ أربع وستين وثلاثمائة استولى على جميع أمورِه فناخسرو، وصار إليه تدبير المملـكة، وليس للخليفة سوى الاسم، وقتل بختيار ومُحِيَ أمرُه ، فأحضر أبو شجاع عضد الدولة أبا إسحاق. وقال : قدعلمت ما كنت تُعامِلُنى به من قبيح المُـكَاتبة ، وقد أَحفظنى ذلك ودعانى إلى قَتْلِك . فرأيتُ قَتْلَك من الفساد فى الأرض إذ كنْتَ مقدَّما فى صناعتك، ولـكن لا تعمل لى عملا ، واسْتَصْفَى أموالَه وحبسه ، وولَّى ديوان الإنشاء مكانه أبو منصور بن المرزبان الشيرازى ، وكان غايةً فى البلاغة والفصاحة وحُسْن آلات الـكتابة .

[الصابى فى حبسه]

وكتب أبو إسحاق من الحَبْسِ إلى بعض إخوانِه : نحن فى الصحبة كالنَّسْرَيْنِ لـكنى واقِعٌ ، وأنت طائر ، وعلى الطائر أن يغشى ويراجع .

وزاره أبو الفرج الببغاء الشاعر زَوْرَةَ ثم قطعه ، فـكتب إليه(٢) :

أباالفرج اسْلَمْ وابْق وانعَمْ ولا تزَلْ ... يزيدُك صَرْفُ الدهرِ حظًّا إذا نقَصْ
مضَتْ مدة أَسْتَامُ ودكَ(٣) غاليا ... فأَرْخصته والبيعُ غالٍ ومرتَخَصْ
وآنَسْتَنِى فى محبسى بزيارةٍ ... شفَتْ قَرَمًا(٤) من صاحبٍ لك قدخلصْ
ولـكنَّها كانَتْ كحَسْوَةِ طائرٍ ... فواقا كما يستفرِصُ السادةُ الفُرَصْ

---

(١) فى الأصلين تحريف فى هذه العبارة فأصلحناها من الوفيات ومعجم البلدان .
(٢) اليتيمة : ١-٢١٥ .
(٣) فى اليتيمة : * مضى زمن تستام وصلى غاليا *
(٤) فى اليتيمة : كمدا .

وأحسبك استوحَشْتَ من ضِيقِ مَحْبسى ... وعادك عيد[1] مِنْ تذَكُّرِك القفَصْ
من المَنْسِرِ الإشفى ومِنْ حزّة المدى ... ومن بندق الرامى ومِنْ قصَّة المقص
ومن صعدة فيها من الدِّبْقِ[2] لَهْذَم ... لفرسانكم عند الطعان بها قعص[3]
فهذى دواهى الطيرِ ، وقِّيت شرَّها ... إذا الدهرُ من أحداثه جرَّعَ الغُصَصْ

فأجابه أبو الفرج[4] :

أيا ماجدا قد يمّم المجدَ ما نكص ... وبَدْرَ تمام مذ تكاملَ مانقص
ستخلص من هذا السّرار وأيّما ... هلال توارَى فى السرارِ[5] فما خَلصْ
بدولة[6] تاج الملّة المَلِكِ الذى ... له فى أعالى قُبَّةِ المشترى خصص
تقنّصت أنصافى وما كنت قبل ذَا ... أظنّ بأنّ المرءَ بالبرِّ[7] يقتنَصْ
وبعد فلا أَخْشَى تقنّص جارح ... وقلبك لى وَكْرٌ ورأيك لى قَفصْ

[من شعر الصابى]

وقال أبو إسحاق الصابى[8] :

جملةُ الإنسان جيفهْ ... وهَيُولاه سخيفَهْ
فلماذا ليتَ شعرى ... قيلَ للنفس[9] الشريفَهْ
إنما ذَلكِ فيه ... قدرةُ[10] الله اللطيفَهْ

---

(١) فى اليتيمة : وأوجست خوفا . . .

(٢) فى ط : الريق . وهذه رواية اليتيمة . والدبق : غراء تصاد به الطيور .

(٣) فى ط : مغص . (٤) اليتيمة : ١–٣١٦ . (٥) السرار : آخر أيام الشهر .

(٦) فى اليتيمة :

برأفة تاج الملة الملك الذى ... لسؤدده فى خطة المشترى خصص

(٧) فى اليتيمة :

تقنصت بالألطاف شكرى ولم أكن ... علمت بأن الحر بالبر يقتنص

(٨) اليتيمة: ٢–٢٧٢ . (٩) فى ط : قتل النفس . (١٠) فى اليتيمة . صنعة.

وقال[1] :

وأَحَقُّ من نـكسته بالصفعِ[2] من درَجاتِهِ
مَنْ مَجْدُه مِنْ غيرِهِ وسفالهُ من ذاتِهِ

[من النقد]

أخذه من سقراط ، وقد مرَّ به بعضُ الملوك فركَلَه برِجْله . وقال : قم ! فقام غيرَ مرتاع منه ولاملتفتٍ إليه . فقال الملك : أمَا عرفْتَنى ؟ قال : لا ! ولكن أرى فيك طبع الكلاب فهى تركل بأرْجلها، فغضب. وقال : أتقولُ لى هذا وأنت عبدى . فقال: لا ! بل أنت عبدى . قال : وكيف ذلك؟ قال: لأَنَّ شهواتك ملكَتكَ وأناملكتها. قال : فإنى الملك ابن الأملاك السادة ، ولنا كذا وكذا ألف فيل ، وكذا وكذا ألف مركوب ، وأقبل يعدِّد عليه ما يملكه من العروض والجواهر والعقار . فقال : أراك تفخَر علىَّ بما ليس من جنسك ، وإنما سبيلُك أن تفخَر علىّ بنفسك ، ولكن تعال نخلع ثيابَنا ونلبس جميعاً ثوبا من ماء فى هذا اليمّ ونتكلَّمُ ، فحينئذ يتبيَّنُ الفاضِلُ من المفضول ؛ فانصرف خجلا .

[رجع إلى شعر الصابى]

وأهدَى الصابى إلى عَضُد الدولة فى يوم مهرجان اصطرلابا بقدر الدرهم ، وكتب معه ، وكان حينئذ معتقلا[3] :

أَهْدَى إليكَ بنوالحاجات[4] واحتشدوا فى مهرجانٍ جديدٍ أَنْتَ تُبْلِيهِ
لكنَّ عبدَكَ إبراهيمَ حين رأى سُمُوَّ[5] قدرك عن شىء يُسَامِيهِ
لم يَرْضَ بالأرض يُهْدِيها إليك فقد أَهْدَى لك الفَلَكَ الأَعْلَى بما فيه

(١) اليتيمة : ٢ـ٢٦٢ . (٢) فى ط : بالصفر . (٣) اليتيمة : ٢ـ٢٥٥ .
(٤) فى اليتيمة : بنو الآمال واحتفلوا . (٥) فى اليتيمة : علو قدرك . . . . يدانيه .

فرضى عنه وأخرجه من السجن .

وقال الصابى لأبى القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب :

اللهُ حسبى فيك من كلٍّ ما ... يعوِّذُ العبدُ به المَوْلَى

واسلَمْ وعِشْ لازِلْت فى نِعْمةٍ ... أنتَ بها مِنْ غَيْرِكَ الأَوْلى

[من ملح مزيد]

قال مزيد لامرأته : أنتِ غيرُ شفيقةٍ علىّ ، ولا راعية لى . فقالت : والله لأنا أَرْعَى بك من التى كانت قبلى وأَشفق . قال: أنت طالق ثلاثا، لقد كنت آتيها بالجرادة فتَطْبُخ لى منها أربعةَ ألوان وتَشْوِى جنينها. فدَعَتْه إلى القاضى، فجعل القاضى يطلبُ له المخرج فقال : أصلحك الله ! لا عليك إن أشكَلَتِ المسألة فهى طالق ثلاثين .

قال محمد بن حرب : أُتيت بمزيد وامرأة ورجل أُصيبا فى بيته وأنا على شرطة المدينة، فحبَسْته وخلَّيت سبيلهما ، ثم دعوتُ به وقلت : ما خبرُك ؟ قال : أطلقتم الزوج حمام وحبستم الزاجل .

وكان أبو حبيب مضحك المهدى يحفظ نوادر مزيد ويَحكِيها له فيَصِله . فقال له مزيد : بأَبى أنت ! أنا أَزرع وأنتَ تَحْصُد .

ولقى مزيد رجلا كان صديقا لأبيه . فقال : يا بنى ، كان أبوك عظيمَ اللحية ، فما بالك أجرودى ؟ فقال مزيد : أنا خرجت لأمى .

وكسا امرأته قميصا فشكَتْ إليه غلظه وخُشونته ، فقال : أترينه أَخْشَن من الطلاق ؟

[من الأجوبة الطريفة]

ناظر سعيد بن حميد الدهقان بعض آل أبى لهب ؛ فقال : مِنْ فَضْلِنا نحن الفرسَ أنَّ لنا بيوتَ النيران . فقال اللهبى : وجهنم قطيعة لجدّى .

رُمِىَ فضولى فى النار ؛ فقال : الحَطَب رَطْب !

[من ملح البخلاء]

وقال بعض البخلاء لغلامه : هاتِ الطعام وأَغْلِق الباب . فقال : يا مولاى ؛ هذا خطأ ، إنما يقال: أَغْلق الباب وهات الطعام. فقال له : أنت حرٌّ لوجه الله لمعرفتك بالحزم .

قال جهم بن خلف : أتينا اليمامة فنزلنا على مَرْوَان بن أبى حفصة فأطعمنا تمراً . ثم قال لغلامه : خُذ هذا الفَلْسَ فاشتر به زَيْتا ، فأتى الغلام به . فقال له : خُنْتَنى . فقال : وكيف أَخونك فى فَلْس ؟ قال : أخذته لنفسك واستوهَبْتَ الزيت .

وقال الأحنف بن قيس : يابنى تميم ، أتبخّلوننى وربما أشرت عليكم برأى خير من مائة ألف درهم ؟ فقال بعض مَنْ سمعه : تقويمُك الرأى عليهم غايةُ البخل .

[من أظرف ما قيل فى بخيل]

ومن أظرف ما قيل فى بخيل :

وأَخٍ مَسَّهُ نزولِى بقرْحٍ مثلما مسَّنى من الجوع قرحُ
قال إذْ زرتُ وهْوَ فى شدة السكـ ـرة بالهم طَافح ليس يَصْحُو
لِمْ تغرَّبْتَ قلت قال رسولُ الله والقولُ منه نُصْحٌ ونجْحُ
سافروا تَغْنَموا فقال وقد قا ل تمامُ الحديثِ جُوعوا تَصِحّوا

[غفلة]

مرَّ رجلٌ بإنسان وعلى عاتقه عصا فى طرفيها زنبيلان قد كادا يحطمانه ، فى أَحدهما بُرٌّ وفى الآخر تراب . فقال : لِمَ فعلت هذا ؟ قال : عدلت البُرَّ بالتراب ، لأنه كان قد أمالنى إلى أحدِ جنبيّ ؛ فأَخذ الرجل زنبيل التراب وقَلَبه وقسم البُرَّ نصفا فى الزنبيلين . وقال : الآن فاحْمِل ، فحملَه فخفَّ عليه ؛ فقال : ما أَعقلك من شيخ !

[يتماوت ليسأل الكفن]

وشرب أحمد بن أبي طاهر مع أبي هفَّان حتى فني ما معهما ، وكانا بجوار المعلى ابن أيوب ؛ فقال ابن أبي طاهر لأبي هفّان : تماوَتْ حتى أسألَ المعلى في كفَنك . فسجَّاه ومضَى إلى المعلى فقال : أصلحك الله ، نزلنا في جوارك فوجب عليك حقُّنا ، وقدمات أبوهفان وليس له كَفَن. فقال لوكيله: امْضِ إليه لتشاهدَه وادْفَعْ له كفَنا . فأتى فوجده مسجًّى فنقر أنفه فضرط ، فقال له : ما هذا ؟ قال ابنُ أبي طاهر : أصلحك الله بقيةُ روحه كرهت نكهته فخرجَتْ من دُبرِه ، فأخبر المعلّى فضحك وأمر لهما بدنانير كثيرة .

[متجسّس متماوت]

وكان أحمد بن طولون قد نابذ الموفق وبايَنَه بالعداوة وخلَعه ، وكان قدضبط مصر من الجواسيس وكان متيقّظا فَهِما ، فأشرفَ من قَصْرِه يوما ، فإذا بجنازة قد مرَّتْ عليه . فقال : عليَّ بالنَّعْش ومن فيه. فأحضروه ، فقال : قم يا متماوت ، ثم دعا بالسياف وقال : اضْرِبه ، فقام الميّتُ من نَعْشه ، فقال له : أنت متجسِّس من ناحية أحمد ؟ قال نعم ! قال : لو لم أتقدَّم إليك[1] لقتلتك وقتلت من معك ، وأمر مَنْ أخرجهم عن عمل مصر . فقيل له : من أين علمت ذلك ؟ فقال : رأيتُ القومَ ليس عليهم كآبةُ مَنْ مات له ميت ، ورأيتهم يطوفون بالقَصْر ، ونظرتُ إليه في النعش فرأيت رجليه قائمتين ورِجْلُ الميت تسترخي ؛ فحكمت أنه حيّ ، فلما حضر رأيته يسارق النفس فصحَّت القضيّة .

[من الطرف]

وحضر علي بن بسام مع جحظة البرمكي دَعْوةً ، فتفرَّق الجماعةُ المخادّ ، وبقي ثقيل جحظة . فقال : مالكم لم تدفعوا إلى مخدَّة ؟ فقال له ابنُ بسام : عن قليلٍ تصيرُ إليك كلها .

(١) هكذا بالأصل .

بيوت التنانير — واشتدّ البَرْدُ سنة ؛ فقال أبو العيناء : إن دام هذا كانَتْ بيوتنا التنانير .

ذكاء — وقال رجل لامرأته : الحمدُ لله الذى رزقنا ولدا طيبا . قالت : ما رُزِق أحدٌ مثلما رزقنا ، فدعَياه فجاءَ ، فقال له الأَبُ : يابنى، من حفر البَحْر ؟ قال : موسى بن عمران. قال : من بلطه؟ قال : محمد بن الحجاج. فشقَّت المرأةُ جَيْبَها ونشرت شَعْرَها وأقبلت تبكى . فقال أبوه : مالك ؟ فقالت : ما يعيش ابنى مع هذا الذكاء .

[القمر]

رأى عبد الصمد بن المعذل مخنّثا ليلة أربعة عشر من شهر رمضان، وهو مضطجع على ظهره يخاطب القمر ويقول : لا أماتنى الله منك بحسرة ، أو تقع فى المحاق ، فلما كانت ليلة سبعة وعشرين رأى عبد الصمد الهلال ، فقال :

يا قمراً قد صار مِثْلَ الهلالِ — من بعد ما صيَّرنى كالخلالِ
الحمدُ لله الذى لم أَمُتْ — حتَّى أَرَانيكَ بهذا السِّلاَلِ

[الصوم فى الربيع]

وقال أبو عون الكاتب :

جاءنا الصومُ فى الربيع فهلاّ — اختار ربعا من سائر الأرباع
وتولَّى شعبان إلا بقايا — كالعقابيل من دم المرتاع
فكأنّ الربيع فى الصوم عِقْدٌ — فوق نحر غطَّاه فَضْلُ قِنَاع

[شعبان ورمضان]

وقال البحترى :

لاحَتْ تباشيرُ الخريف وأَعرضَتْ — قِطَعُ الغمامِ وشارفت أن تَهْطِلاَ
فتروَّ من شَعْبان إنّ وراءَه — شهرا يمانعنا الرحيقَ السلْسَلاَ

وقال :

وممّا دهى الفتيان أنهم أتوا بآخر شعبان على أَولِ الورد

[يوم الشك]

وكتب كشاجم إلى بعض إخوانه فى يوم شك[١] :

هو يَوْمُ شكٍّ يا علِىّ وأمرُه مُذْ كان يُحْذَرْ
والجوُّ حُلّتُهُ مُمَسَّكَةٌ ومُطْرَفُه[٢] مُعَنْبَرْ
والماء فِضّىّ القميص وطَيْلَسانُ الأرض أخْضَرْ
نَبْتٌ يُصَعِّدُ نَوْرَه فى الأرض قَطْرُ ندًى تحدَّرْ
ولنا فُضَيْلاتٌ تكونُ ليومنا قُوتاً مُقَدَّرْ
ومُدَامةٌ صفراء أدْرَكَ عمرَها كِسْرى وقَيْصَرْ
فانْهَضْ[٣] بنا لنَحُثَّ مِنْ كاساتنا ما كان أَكْبَرْ
أَوْلاَ فإنّكَ جاهلٌ إنْ قُلْت إنّكَ سوف تُعْذَرْ

[تشبيب بامرأة رعناء]

كانت لرجل من العرب امرأة رَعْنَاء ؛ فدخل عليها يوما وهى مُغْضَبة ، فقالت : مالك لا تشبِّبُ بى كما يشبِّبُ الرجالُ بنسائهنّ ؟ فقال : إنى أفعل ! وأنشدها :

تمّت عبيدةُ إلاّ فى ملاحتها والحسنُ منها بحيث الشمسُ والقمرُ
ما خالف الظبي منها حين تبصرُها إلاّ سوالفُها والجيدُ والنظرُ
قُلْ للذى عابَها من حاسد حَنِقٍ أَقْصر فرأسُ الذى قد عيب[٤] والحجَر

فضحكَتْ ورضيت عنه .

---

(١) زهر الآداب : ٥٣٧ . (٢) المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام .
(٣) فى زهر الآداب : فانشط لنا . (٤) فى ت : عبت .

[مما يشكل هل هو مدح أو هجاء]

ومما يشكل هل هو مدح أو هجاء أن أبا الينبغى دفع إلى خيَّاط أَعوَر اسمه زيد طيلسانا يقوّره له ، فلما جاءه ليأخذَه دفعه إليه، وقال له : قدخِطْتَ لك شيئاً لاتدرى أهو طيلسان أو هو دُوَّاج[١] . فقال : وأنا أقولُ فيكَ بيتاً لا تدرى أهو مدحٌ أو هجاء . وأنشده :

خاطَ لى زيد قَبَاء ليت عَيْنَيه سَوَاء

يريد بسواء : يكونان صحيحتين أو ذاهبتين .

ومن هنا اهتدى أبو الطيب المتنبى إلى قوله[٢] :

فيابنَ كروَّسٍ يا نِصْفَ أَعمى وإن تفخَرْ فيا نِصْفَ البصير
تُعادِينا لأنَّا غيرُ لُكْنٍ وتُبغضنا لأنّا غَيْرُ عُورِ

***

طرف أبى الينبغى

وكان أبو الينبغى ضعيفَ الشعر ، قلّما يصحُّ له الوزن ، إلا أنه كان ظريفا طيبا . ودخل عليه وقد حُبِس ، فقيل له : ما كان خَبَرُكَ ؟ قال : أبو الينبغى قال[٣] مالا ينبغى ففُعِل به ما ينبغى .

***

ومما يسأل عنه أصحاب المعانى هل هو مدح أو هجاء :

تكاملَ فيه البخلُ والجودُ فاعتلى بفضلهما ، والبخلُ بالمرءِ يُزْرى

وهذا يمدحه ؛ يريد أنه يجودُ بماله ويبخل بعِرْضِه .

وقد قال حماد عجرد يمدح محمد بن أبى العباس :

حليم جهولٌ فأمَّا التى يقالُ له عنـدها يجهلُ
فعند الوَغَى واشتجَارِ القَنا إذا الحرْبُ أشعلَها مُشعِلُ

---

(١) الدواج — كرمان وغراب : اللحاف الذى يلبس (القاموس) . (٢) ديوانه : ٢ — ١٤٤ .
(٣) فى ت : قلت .

جوادٌ بخيل فأمّا الذى على كل حال به يبخل
فدين وعرض ، ودينُ الكريم ذى الرأى[1] والعِرض لا يُبْذَلُ
وليس بما ملكَتْ كَفُّه من البحر فى جوده يعدل
يداه الحيا فى حفوف الثرى[2] وطَعْنَته فى الوغَى الفَيْصَل
إذا ذَكَرَ الناسُ أهلَ النَّدَى بأسمائهم فاسْمُه الأوَّلُ
محمد أنت الذى إن سموت ذى المُعِمّ لك المخول
يذمّك كَبْشُ الوغى فى الوغَى ويحمدك الرمْحُ والمُنْصُل

[أعجزتك القافية !]

وذُكر أن هاشمياً قال لعمر بن أبى ربيعة : لولا بغضُكم لنا يا بنى مخزوم ما قلت :

بعيدة مهوى القُرْط إمّا لنَوْفَلٍ أبوها وإمّا عبد شمس وهاشم

فقدَّمت علينا بنى نوفل وبني أمية ؛ فتوهّمه ابنُ أبى ربيعة عاقلا ، فقال : لا بأس بتقديم المفضول على الفاضل فى اللفظ . قال حسان بن ثابت[3] :

وما زال فى الساداتِ من آل هاشم مكارمُ صِدْقٍ لا تعدّ ومَفْخَر[4]
بهاليلُ منهم جعفر وابنُ أمّهِ علىٌّ ومنهم أحمد المتخيَّرُ

وأيضاً فالشعرُ على الميم ، فلم يمكن فى القافية إلاّ ما قلتُ لك . قال : فأعجزَتْكَ الحيلة ؟ قال : وكيف أحتال ؟ قال تقول :

بعيدةُ مَهْوَى القُرْطِ إمّا لهاشم أبوها وإمّا عبد شمس ونوفل ميم

فضحك وقال : وهنا لقد عجزت عن هذا .

---

(١) فى ت : ذى العرض والرأى . وهذا من ت .
(٢) فى ط : يراه الثراء فى حفوف الثرى .
(٣) ديوانه : ١٨٠ .
(٤) فى الديوان :

فما زال فى الإسلام من آل هاشم دعائم عز لا ترام ومفخر

وفى ط . وتفخر .

[نقد لشعر امرئ القيس]

ومن عجيب ما يتعلّق بهذا الباب إنه وصل إلى حَضرة سيف الدولة رجل من أهل بغداد يعرف بالمبحث ، وكان ينقّر على العلماء والشعراء بعالم يدفعه الخصم ولاينكره الوَهْم ، فتلقّاهُ سيفُ الدولة باليمين ؛ وأُعجِب به إعجابا شديداً ؛ فقال يوماً : أخطأَ امرؤ القيس فى قوله[1] :

كأنى لم أَرْكَب جواداً للذّة ولم أتبطّنْ كاعباً ذات خَلْخَال
ولم أسْبَأ الزِّقَّ الروِىَّ ولم أَقُلْ لخيلِىَ كُرِّى كرّةً بعد إجْفَال

وهذا معدول عن وجهه لاشك فيه . فقيل : وكيف ذلك ؟ قال : إنما سبيلُه أن يقول :

كأنى لم أركب جواداً ولم أقل لخيلِىَ كُرِّى كرةً بعد إجْفَالِ
ولم أَسْبَأ الزقَّ الروىّ للذةٍ ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال

فيقترنُ ذِكْرُ الخيل بما يشا كلها فى البيتِ كلِّه ، ويقترن ذِكْرُ الشرب واللهو بالنساء . ويكون قوله : للذّةٍ فى الشرب أطبع منه فى الركوب .

فبُهت الحاضرون ، واهتزَّ سيفُ الدولة ، وقال : هـذا التهدِّى وحَقِّ أبى ! فقال بعضُ الحاضرين من العلماء للمبحث : أنت أخطَأْتَ وطعَنْتَ على القرآن إن كنتَ تعمَّدتَ ؟ فقال سيف الدولة : وكيف ذلك ؟ فقال : قال الله تبارك وتعالى : إنّ لكَ أن لاَّ تجوعَ فيها ولا تعرَى ، وأنَّك لا تظمَأُ فيها ولا تَضْحَى . وعلى قياسه يجب أن يكون : إنّ لك أن لاتجوع فيها ولا تَظمَأ ، ولا تعرى فيها ولا تَضْحَى. وإنما عطفه امرؤ القيس بالواو التى لا تُوجِبُ تعقيبا ، ولا ترتّب ترتيبا ؛ فخجل وانقطع .

[فى مجلس الوليد]

وقال خالد : قدمت على الوليدبن يزيد فى مجلس ناهيك من مَجْلس ، فألفيتُه على

---

(١) الموشح : ٣٤ .

سريره وبين يديه مَعْبَد . ومالك بن أبي السمح ، وابن عائشة ، وأبو كامل عذيل الدمشقى ؛ فجعلوا يغنّون حتى بلغت النوبة إلىّ فغنيت :

سَرَى همِّى وهَمّ المرء يسرى وغابَ النجمُ إلاّ قيد فِتْر
أُراقِبُ فى المجرة كلَّ نَجْمٍ تعرَّضَ أو على البحرات يَجْرِى
بهمٍّ ما أزالُ به قرينا كأنّ القَلْبَ أبطنَ حَرَّ جَمْر
على بكر أخى فارقتُ بَكْرا وأىّ العَيْشِ يحسُنُ بعد بَكْرِ

فقال : أعِدْ يا صاح[1] ، فأعدت . فقال : مَنْ يقوله ؟ قلت : عروة بن أذينة الليثى . فقال : وأىُّ العيش يصلُح بعد بكر ؟ هذا الذى نحن فيه ، والله لقد تحجَّر[2] واسعا على رَغْمِ أنْفِه .

وأُنشِدت سكينة بنت الحسين رضوان الله عنهما هذا الشعر؛ فقالت : ومَنْ بكر؟ فوُصِف لها . فقالت : ذاك الأسود الذى كان يمرُّ بنا ، والله لقد طاب كلُّ شىء بعده حتى الخبز والزيت !

[السماع وما ينبغى له من الشعر]

قلت أنا : وليت شعرى إذا كان السماعُ داعيةَ الأنس ، وعشيقَ النفس ، الذى ينهكها إذا أَسَرهَا الهمّ ، ويبسطها إذا قبضَها الغمّ ، وهو المستأذِنُ على القلب ، المنقذ له من الكَرْبِ ، الداخل عليه من غير تعب ، والوارد إليه بغير نَصَب ، وقد قال ارسطاطاليس : لماحددنا المنطق وجَدْنَا فيه مالا يبلغهُ اللسان إلاّ بآلة ، فركِبنا العودَ على الطبائع ، لاستخراج تلك الودائع ، فلما قابلت النفسُ استماعَ ماظهر منه عشقته بالعنصر .

وقالوا : كلُّ شراب بلا سماع الدّنُّ أَوْلى به ؛ فما باله لاتستخرَجُ له الأشعار الرقيقة ، ذات المعانى الدقيقة الأنيقة ، والألفاظ الناعمة الشَّكِلة ، فى الأبيات الغزلة ،

(١) فى ط ، ت : ياصام . (٢) تحجر : أخذ حجرة ، وفى ط ، ت تحجز .

التى تُطْرِبُ بالتكلّم قبل الترنّم ، ويتجنَّبُ ما كان من صفاتِ الجيوش والمقانب[1] ، والغارات والكتائب ، والأحزان والمصائب ؛ فلَأَنْ يسمع من كان ثَمِلا جَذِلا :

ظفرتُ بقُبْلَةٍ منه اختلاساً ... وكنت من الرقيب على حذارِ

ألذّ من الصبوح على غَمَامٍ ... ومن بَرْدِ النسيم على خُمارِ

أحبّ إليه من أن يسمع :

إنّ السنانَ وحدّ السيف لو نطقا ... لحدَّثَا عنك يوم الروع بالعَجَبِ

أنفقتَ مالكَ تُعطيه وتبذُلُه ... يامتلف الفضَّةِ البيضاء والذهبِ

إلا أن يكونَ سامعه كمهلهل ، وربيعة بن مكدم ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ؛ هذا على أن هذا الشعرَ ليس بتحسين الخط فى فصاحة اللفظ ، ولا قاصر[2] المرْمَى عن إدراك المعنى، كقول[3] مروان بن صرد أخى أبى بكر بن صرد فى يزيد بن يزيد [فيه يقول][4] :

أما أبوكَ فأندَى العالمين يداً ... وكان عمّك مَعْنٌ سيدَ العربِ

عيدانكم خير عيدان وأطيبها ... عيدان نَبعٌ وليس النبع كالغربِ

وإنكم سادةٌ أوليتمُ حَسَباً ... وأنتمُ قالةٌ للشِّعْرِ والخُطَبِ

ولكن لكل مكانٍ مايليقُ بموضعه ، ويحسُن بموقعه ؛ فأشبهُ أوقات اللهو والشراب ذكر التغزل بالأحباب .

وقد قال بعض البلغاء : لولا العشقُ والهوى ، لم توجد لذةُ الصِّبا ، ولم يكن الطرب والغناء ، ولنقَصَ نعيمُ أهل الدنيا .

وكان ابن الرومى يقول : لوملكت الأمرَ وأدركت ملحِّنَ هذا الشعر لقتلته :

كُلَيْبٌ لعمرى كان أكثر ناصراً ... وأيسر جرماً منك ضُرِّجَ بالدَّمِ

رمى ضرع ناب فاستمرت بطعنةٍ ... كحاشية البُرْدِ اليمانىِّ المُسَهَّمِ

---

(١) المقناب من الخيل : مابين الثلاثين إلى الأربعين ، أو زهاء ثلاثمائة . (٢) فى ط : قاصى.
(٣) فى ط . بقول ، والعبارة كلها مضطربة غير واضحة فى الأصلين . (٤) من ت .

وقال ثمامة بن أشرس : كنتُ عند المأمون يوما إذ جاءه الحاجب يستأذن لعمير المأمونى ، فكرهْتُ ذلك ، ورأى الكراهة فى وجهى . فقال : ياثمامة ، مالك ؟ قلت : ياأمير المؤمنين إنَّا إذا غنّانا عمير ذكر مواطِنَ الإبل ، وكُثْبَان الرمل ، وإذا غنتنا فلانة انبسط أملى ، وقوى جَذَلى ، وانشرح صدرى ، وذكرت الجنان . كم ياأمير المؤمنين بين أن تغنّيك جارية غادةٌ كأنها غُصْن بَانٍ ، بمقلة وسنان ، كأنما خلقت من ياقوتة ، أو خرطت من درة ، بشعر عُكّاشة العمىِّ [1] :

من كَفِّ جاريةٍ كأنّ بنانَها ... من فضَّة قد طُرِّزَتْ عُنَّابا
وكأنّ يمناها إذا ضَربَتْ بها ... تُلْقِى على يَدِها الشمالِ حِسَابا

وبين أن يغنيك رجلٌ ملتفّ اللحية ، غليظ الأصابع ، خَشِن الكفّ ، بشعر ورقاء بن زهير :

رأيتُ زهيراً تحت كَلْكَلِ خالد ... فأقبلتُ أَسْعَى كالعَجُولِ [2] أبادرُ

وكم بين مَنْ يحضرك من [3] تشتهى النظر إليه ، وبين من لا يقفُ طَرْفك عليه ؟ فتبسم المأمون . وقال : إن الفَرْق لواضِح ، وإن المنهج لفسيح ، ياغلام ؛ لا تأذن له ! وأحضر قينة . قال : فظلِلْنا فى أمتع يوم .

[من طيبات الأغانى ومطربات القيان]

وقد كتبتُ جزءا مما قيل فى طيبات الأغانى ومطربات القيان ، وأنا أعيدُ منها هنا قطعة ترتاحُ إليها الأرواح :

أنشد أبو العباس أحمد بن محمد الأنبارى الناشىء فى مثل قول عكّاشة [1] :

وإذا بصُرت بكفها اليسرى حكت ... يَدَ كاتبٍ [4] يُلْقِى عليك صُنوفا

---

(١) زهر الآداب : ٦٠٩ ، اللآلىء : ٥٢٦ ، الأمالى : ١ – ٢٣٠ . (٢) العجول : الثكلى والواله من الإبل والنساء . وفى النسختين وزهر الآداب : أبادره ، والتصحيح من أيام العرب : ٢٤٠ .
(٣) فى ط : ما . (٤) فى زهر الآداب : يد حاسب .

وكأنما المِضرَاب فى أوتاره قلمٌ يُمَجْمِج[1] فى الكتابِ حُروفا
ويجسُّه إبهامُها[2] فكأنَّه فى النقرِ يَنْفى بَهْرَجا وزُيُوفا

أخذ هذا البيت من قول أبى شجرة السلمى وذكر ناقته[3] :

يطيرُ عنها حصا الظرّان[4] من بَلَدٍ كما تنوقِد[5] عند الجهبذِ الوَرِق

وأصله من قول امرئ القيس[6] :

كأنّ صليلَ المَرْوِ حين تطيره[7] صليلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بعبقَرَا

وقال ابن العجاج[8] :

كأنّ أيديهن بالقاع القَرِقْ أيدى نساء يتعاطَيْن الوَرَقْ

وقال أبو نواس[9] :

وأهيف مثل طاقةِ ياسمينٍ له حَظّان من دُنْيا ودين
يحرّك حين يشدُو ساكناتٍ وتنبعث الطبائعُ للسكون

وهذا مليح يريد حركة الجوانح للغناء ، وسكون الجوارح للاستماع .

[صفة القيان والعيدان]

ومن عجيب ما قيل فى صفات القيان والعيدان قول ابن الرومى[10] :

وقِيَانٍ كأنّها أُمهاتٌ عاطفاتٌ على بنيها حَوَانِى
مُطْفِلات[11] وما حَمَلْنَ جنينا مرضعات ولَسْنَ ذات لِبان
مُلْقِمات أطفالَهنَّ ثُدِيًّا ناهداتٍ كأَحْسَنِ الرمَّانِ

---

(١) فى ط ، ت : يعجج . (٢) الإبهام مؤنث وقد يذكر . (٣) زهر الآداب : ٦١٠ .
(٤) فى ط ، ت : الصوار . (٥) فى ط ، ت : توقد . (٦) ديوانه : ٩٠ ،
اللسان — مادة زيف . (٧) فى اللسان : حين تشده . (٨) اللسان — مادة قرق ،
وقد كان البيت محرفا فى النسختين فصححناه عنه. ويقال : قاع قرق : مستو .
(٩) زهر الآداب : ٦١٠ (١٠) ديوانه : ٨٤، زهر الآداب : ٦١١، الأمالى ١ - ٢٣١.
(١١) فى ط ، ت : مطولات .

مفعمات كأنها حافلاتٌ ... وهى صِفْر من دِرَّةِ الألبان
كل طفل يُدْعَى بأَسماء شتّى ... بين عود ومِزْهَر وكِرانِ[١]
أُمُّه دَهْرَها تُتَرْجِمُ عنهُ ... وهو بادى الغنى عن الترجمان

وأنشد أبو على الحاتمى لأبى بكر الصولى :

وغناء أرقُّ من دَمْعَة الصبّ وشكوى المتيَّم المهجورِ
يشغل الفَهْمَ عن تَظَنٍّ وفَهْمٍ[٢] ... فهو يُصْغِى بظاهر وضمير
صافحَ السمعَ بالذى يشتهيه ... فأذاقَ النفوسَ طَعْمَ السرورِ
ليس بالقائل[٣] الضعيفِ إذا ما ... راض نغما ولا الشنيع الجهير
يجتنى السمعُ منه أحسن ممَّا ... تجتنى العينُ من وجُوه البدور

[إبراهيم الموصلى ينادمه إبليس]

قال إبراهيم الموصلى[٤] : استأذنتُ الرشيدَ فى أن يَهَبَ لى فى كلّ أسبوع يوماً ، أَخْلُو فيه مع جوارىّ ، فأذِنَ لى فى يوم الأحد[٥] وقال : هو يوم أستَثْقِله ؛ فلما كان فى بعض الآحاد أتيتُ الدارَ ، فدخلتُ وأمرتُ الحجاب أَلاَّ يأذنوا لأحد علىّ وأغلقت الأبواب .

فما هو إلاّ أن جلستُ حتى دخل علىّ شيخٌ حَسنُ السَّمْتِ والهيئة ، على رأسه قلنسوة لاطِئَة[٦] ، وفى رِجْله خُفَّانِ أحمران ، وفى يده عُكَّازة مُقَمَّعَة بفِضّة ، وعليه غلالةسكْب[٧] .

فلما رأيتُه امتلأتُ غيظا ، وقلت : ألم آمُر الحجَّاب ألاّ يأذنوا لأحد ، فسلم . فأفكرت وقلت : لعلهم علموا من الشيخ ظَرْفاً وهيئة ، فأحبوا أن يُؤْنسونى به فى

---

(١) الكران : العود أو الصنج . (٢) فى زهر الآداب : يشغل المرء منظر ثم نطق . (٣) فى ط : بالصائل ، وهذا من ت . (٤) الأغانى : ٥ - ٢٣١ .
(٥) فى الأغانى : يوم السبت . (٦) اللاطئه : قلنسوة صغيرة تلزق بالرأس .
(٧) فى اللسان : السكب : ضرب من الثياب .

هذا اليوم ؛ فلما أمرته بالجلوس جلس ، وقال : ياإبراهيم ألاَ تغنِّينى صوتاً ؟ فامتلأت عليه غَيْظاً ولم أجِدْ إلى ردّه سبيلا ؛ لأنه فى منزلى ، وحملته منه على سُوءِ أدبِ العامة ؛ فأخذتُ العودَ وضربت وغنيت ووضعت العود . فقال لى : لم قطعت هزارك ؟ فزادنى غَيْظاً ، وقلت : لايُسّيدنى ولا يكنِّينى ولا يقول : أحسنت ! فأخذت العود فغنَّيت الثانية ، فقال لى : أَحسنْتَ ، فـكِدْتُ والله أَشقُّ ثيابى ، فغنيت تمامَ الهزار. فقال : أحسنت ياسيدى ! ثم قال : ناولنى العودَ ، فوالله لقد استجَابَهُ ، فوضَعَه فى حِجْره ، ثم جَسَّه[١] من غير أن يكونَ ضرب بأَنْمُلَة ، فوالله لقد خِلْتُ زوال نعمتى فى جسِّه[١] ، ثم ضرب وغنى :

ألاَ ياصَبَا نَجْدٍ متى هِجْتِ مِنْ نَجْد	لقد زادنى مَسْراكِ وَجْداً على وَجْد
أأَن هتفَتْ وَرْقَاء فى رَوْنق[٢] الضُّحَى	على فنن غضٍّ النبات من الرَّند[٣]
بَـكَيْتُ كما يبكى الوليدُ ولم أكُنْ	جليدا وأبدَيْتُ الذى لم أكن أُبْدِى
وقد زعموا أنَّ المحبَّ إذا دَنَا	يُمَـلُّ وأنَّ النأىَ يُسْلى من الوَجْدِ
بكلٍّ تداوَيْنَا فلم يُشْفَ مابنا	على أنّ قُرْبَ الدارِ خـيرٌ من البعد

فوالله لقد خلت كل شىء فى الحضرة يتغنَّى معه حتى الأبواب والستور ، ثم ضرب وغَـنّى :

أَلاَ يا حمامات اللِّوى عُدْنَ عَوْدةً	فإنى إلى أصواتكنّ حَزِينُ
فَعُدْنَ فلما عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْـنَنى	وكِدْتُ بأسرارى لهنّ أُبِينُ
دعونَ[٤] بتَرْدَادِ الهدير كأنما	شربن[٥] حُمَيَّا أو بهنّ جُنُونُ
فلم تَرَ عَيْـنِى مثلهنَّ حمائما	بكينَ ولم تَدْمَعْ لَهُنَّ عيونُ

---

(١) فى ت : حبسه .
(٢) رونق الضحى : حسنه وإشراقه .
(٣) الرند : شجر طيب الرائحة .
(٤) فى ط : دعوت ، وهذا من الأغانى .
(٥) فى الأغانى : سقين .

ثم ضرب وغنَّى :

قفا ودِّعا نَجْداً ومَنْ حلّ بالحِمَى … وقلَّ لنجدٍ عنـدنا أن يودعا
وأَذكرُ أيامَ الحمى ثم أنثنى … على كبدى من خشيةٍ أن تَصَدَّعَا
فليست عشيات الحمى برواجع … إليك ولـكن خَلّ عينك تَدْمَعَا
وأعذر فيها النفس إنْ حِيل دُونَها … وتَأْبَى إليها النفس إلاّ تَطَلُّعَا

فوالله لقد تغنَّى كلُّ شيء معه بالحضرة ، حتى النمارق والوسائد وقميصى الذى على بدنى ؛ فقال : ياأبا إسحاق ! هذا الغناء الماخُورىّ ، تَعَلَّمْه وعَلِّمه جواريك ، ثم وضع العودَ من حِجْرِه وقام إلى الدار فلم أرَه ، فدفعت أبوابَ الحرم فإذا هى مُغْلَقة ؛ فقلت : وَيْحَـكُنّ هل سمعتُنَّ ما سمعت، أو رأيتنّ مارأيت ؟ قلن : نعم ! سمعنا وأعدن الأصوات علىّ وقد لقّنّها ؛ فسألتُ الحجّابَ عن الرجل ؛ فقالوا لى : لم يدخل عليك أحدٌ حتى يخرج ، فأمرتُ بدابّتى فأُسْرِجت فركبتُ من فَوْرِى إلى دار الخليفـة واستأذنت ؛ فلما رآنى قال: ألم تنصرف آنفاً على نيَّـةِ المقام فى منزلك والخلوة بأهلك ؛ قلت : ياسيدى ؛ جئت بغريبة؛ وقصصت عليه القصَّةَ من أولها إلى آخرها ، فضحك حتى رفع الوسائد برجليه ، وقال لى : كان نديمك اليوم أبو مُرّة[١] ، وددت أنه لو متّعنا بنفسه كما متعك .

واشتهر إبراهيم بهذا الطريق واشتهته الناس فلم تبق جاريةٌ لقنته من إبراهيم إلا زِيدَ فى ثمنها ؛ قال اللاحقى :

لا جزى اللهُ الموصلى أبا إسـ … ـحاق عنَّا خيراً ولا إحسانا
جاءنا مُرسَلا بوَحْىٍ من الشيـ … ـطان أغلى به علينا القيانا
من غناء كأنه سكرات الـ … ـحب يُصْغِى القلوبَ والآذَانَا

(١) أبو مرة : كنية إبليس .

[أبو فراس يستميل سيف الدولة إلى الغناء]

ومن مليح هـذا المعنى قولُ أبى فراس : كان سيفُ الدولة لا يشربُ النبيذَ ولا يسمعُ القِيان ويَحْظرهما ، فوافت ظلوم الشهرامية ، وكانت إحْدَى المحسنات ، وكان بحضرته ابن المنجم أحد المحسنين، فتاقَتْ نفسى إلى سماع ظلوم ؛ فسألتُ الأميرَ أن يُحْضرها لأسمعَهما مجتمعَيْن؛ فوعدنى بإحضارهما مجلسه من يومه ، فانصرفتُ وأنا غيرُ واثقٍ بذلك لعلمى بضَعْفِ نيَّتِه فى مثله، ووجَّهْت إلى ظلوم أتقدَّم إليها بالاستعداد، وحصّلتُ عندى ابنَ المنجم ، وأَقَمْتُ أنتظرُ رسولَه إلى أن غربت الشمس ، فكتبت إليه[1] :

محلّك الجَوْزَاء بل أَرفع　　　وصدرُك الدهناء بل أَوْسَع
وقلبك الرّحْبُ الذى لم يزل　　　للجدّ والهزْلِ به موضع
رَفِّهْ بقَرْعِ العودِ سَمْعاً غَدَا　　　قَرْعُ العوالِى جُلَّ ما يسْمَعُ

فبلغت هذه الأبياتُ أبا محمد الحسن بن محمد بن هارون المهلبى ؛ فأمر بها فلحنت وغُنِّى بها ، فلم يشرب بقيةَ يومه ذلك إلاّ عليها .

[من شعر أبى فراس]

وأبو فراس هو الحارث بن سعيد بن حمـدان ؛ وفى أبى فراس يقول القاضى ابن الهيثم :

أَيْقَنْتُ أنى ما بقيـ　　　تُ رهين شُكْر الحارث
فإذا المنيةُ أشرفت　　　ورَّثْتُ ذَاكَ لوارثى
رِقّى له من بعـد سيِّـ　　　ـدِنا وليس لثالث

قال أبو فراس : فحاولت جوابَه على هـــذه القافية فما أمكننى شىء أَرتضيه ، فكتبت إليه :

---

(١) اليتيمة : ١ ـ ٢٨ .

لئن جمَعَتْنَا غدوةً أرض يابس فإنّ لها عنـدى يداً لا أضيعها
أَحَبُّ بلادِ الله أرضٌ تحلّها إلىّ ، ودار تحتويك رُبوعُها
أفى كلِّ يوم رِحْلة بعد رحلة تُجَرّع نفسى حَسْرةً وتَرُوعُها
فلى أبدا قلبٌ كثير نزاعه ولى أبداً نفسٌ قليل نُزُوعُها
لحى اللهُ قلباً لا يَهيمُ صبابةً إليك وعيناً لا تَفِيضُ دُمُوعها

شعره

وكان أبو فراس حسن الشعر ، جيد النمط ، ولقوته من الطلاوة والحلاوة مايشهد به ما أنشد له .

وكان أبو القاسم الصاحب يقول : بدئ الشعر بملك ، وختم بملك ؛ بدئ بامرئ القيس ، وختم بأبى فراس .

[بين أبى فراس وسيف الدولة]

وكتب أبو فراس[1] إلى سيف الدولة وقد سار إلى منزله : كتابى أطال الله بقاءَ الأمير من منزلى، وقد وردته ورودَ السالم الغانم مُوقَرَ الظهر وفراً وشكراً؛ فاستحسن سيف الدولة بلاغته فقال :

هل للفصاحة والسما حة والعُلَا عَنّى مَحِيد
فى كل يوم استقيـــد من العلاء وأستفيد[2]
ويزيد فىّ إذا رأيـــتك فى الندى خُلُقٌ جَدِيدُ

وأهدى الناسُ إلى سيف الدولة فى بعض الأعياد فأكثروا ؛ فاستشارهم أبوفراس فما يهديه إليه ، فكلٌّ أشار بشىء ، فخالفهم وكتب إليه[3] :

نفسى فداؤكَ قد بعثـــت بمهجتى بيد الرسولِ
أَهْدَيتُ نفسى ، إنمـا يُهْدَى الجليلُ إلى الجليل

(١) اليتيمة : ١ــ٢٧ . (٢) فى اليتيمة : استفيد من العلاء وأستزيد .
(٣) اليتيمة : ١ ـ ٢٨ .

وجعلت ما ملكت يدى ‏ ‏ ‏ بشرى[١] المبشّرِ بالقبولِ

ومن شعره ووقع بين أبى فراس وبين بنى عمه عداء وهو صغير ؛ فمزح سيف الدولة معه بالتعصّب عليه فقال[٢] :

قد كُنْتَ عُدَّتِىَ التى أسطو بها ‏ ‏ ‏ ويدى إذا خان الزمانُ وساعِدى

فرُميتُ منك بضدِّ[٣] ما أمّلتُه ‏ ‏ ‏ والمرءُ يَشرقُ بالزُّلاَلِ البارِدِ

فصَبَرْتُ كالولد التقىّ لبرِّه ‏ ‏ ‏ أَغْضَى على مضَضٍ[٤] لضَرْبِ الوالد

وقال يفخر[٥] :

لنا بيتٌ على طُنُبِ الثريا ‏ ‏ ‏ بعيدُ مذاهبِ الأكنافِ[٦] سامِى

تظلِّله الفوارسُ بالعوالى ‏ ‏ ‏ وتفرِشُه الولائدُ بالطعام

وقال يصف السبى[٧] :

وخريدة كَرُمَتْ على آبائها ‏ ‏ ‏ وعلى بوادِرِ خَيْلِنا لم تكرم

خُطبت بحدّ السيفِ حتى زُوّجت ‏ ‏ ‏ كرهاً وكان صَداقُها المقسم[٨]

راحت وصاحبها بعرس حاضرٍ ‏ ‏ ‏ يُرْضِى الإله وأهلُها فى مأتم

وقال[٩] :

ما كنت مذ كنت إلاَّ طَوْعَ خِلاَّنِى ‏ ‏ ‏ ليست مؤاخذةُ الخِلاَّنِ من شانِى

يجنى الصديقُ[١٠] فأستَحْلِى جنايته ‏ ‏ ‏ حتى أدلَّ على عفوى وإحسانى

ويُتْبِع الذَّنْبَ ذَنباً حين يعرفنى ‏ ‏ ‏ عمداً فأُتبِعُ غُفْرَاناً بغفْرانِ

يجنى علىَّ فأَحْنُو صافحا كَرَماً ‏ ‏ ‏ لا شىءَ أَحْسَنُ من حَانٍ على جان

---

(١) فى اليتيمة : صلة المبشر . (٢) اليتيمة : ١-٢٩ وفى اليتيمة : بالتعتب عليه .
(٣) فى اليتيمة : بغير ما أملته . (٤) فى اليتيمة : على ألم . (٥) اليتيمة : ١-٣٤ .
(٦) فى اليتيمة : الأطناب . (٧) اليتيمة : ١-٤٥ . (٨) فى ط : للمغنم .
(٩) اليتيمة : ١-٤٠ . (١٠) فى اليتيمة : الخليل .

وقال :

فوالله ما أضمرتُ فى الحبِّ سَلْوةً ووالله ما حدّثت نَفْسِىَ بالصبر
وإنك فى عينى لأَبْهَى من الغِنَى وإنك فى قلبى لأَحْلَى من النَّصْرِ
فياحكمى المأمولِ جُرت مع الهَوَى ويا ثقتى المأمون جُرْت مع الدهر

وقال[١] :

سكرت من لَحْظِه لامن مُدَامته ومالَ بالنوم عن عينى تمايُله
وما السُّلافُ دَهَتْنِى بل سوالِفُه ولا الشَّمُولُ ازدهتنى بل شمائِلُه
أَلوى بِصَبْرِىَ أَصداغٌ لُوِينَ له وغلّ صدرى بما تَحْوِى غلائلُه

وقال[٢] :

وظَبْى غرير فى فؤادي كِناسه إذا كَنَسَتْ[٣] عِينُ الفَلَاة وحُورُها
فمن خَلْقِه لبَّاتها[٤] ونحورُها ومن خُلقه عِصْيَانها ونفورُها

وقال :

ألزمنى ذَنْبا ولا ذَنْبَ لى ولَجَّ فى الهِجْرَانِ والعَتْبِ
أحاوِلُ الصبرَ على هَجْرِهِ والصبرُ محظورٌ على الصبِّ
مَنْ لى بكتمانِ هوَى شادِنٍ عينى له عينٌ على قلبى
عرّضت صبرى وعُلُوِّى له فاستشهدا فى طاعةِ الحبِّ

وقال[٥] :

لبسنا[٦] رداءَ الليلِ ، والليل راضعٌ إلى أن تردّى رأسُه بمشيب
وبتْنَا كغُصْنَىْ بانةٍ عطفتهما مع الصبح رِيحَا شَمْألٍ وجَنُوبِ
إلى أَنْ بدَا ضوءُ الصباح كأنّه مبادى نُصولٍ فى عِذار خضيب

---

(١) زهر الآداب : ٢٣٨ ، اليتيمة: ١ ـ ٤٢ . (٢) اليتيمة : ١ ـ ٤٣ .
(٣) فى اليتيمة : إذا اكتنست . (٤) فى اليتيمة : أجيادها .
(٥) اليتيمة : ١ ـ ٤٥ . (٦) فى اليتيمة : مددنا علينا الليل .

فياليلُ قد فارقْتَ غيرَ مذمَّمٍ ... ويا صُبْحُ قد أقبلْتَ غير حبيب

وقال :

قل لأحبابنا الجفاةِ رويداً ... درِّجونا على احتمالِ المَلاَلِ
إن ذاك الصدودَ من غير جُرْم ... لم يَدَعْ فىّ موضعا للوصالِ
أَحسِنُوا فى هواكم أو أَسيئوا ... لا عَدِمْنَاكُمْ على كلِّ حالِ

وقال :

ومُغْضٍ للمهَابةِ عن جوابى ... وإنّ لسانَه العضبُ الصقيل
أَطَلْت عتابَه عنَتاً وظُلْما ... فدمَّع ثم[1] قال : كما تقول

وقال :

بتْنَا نعلَّل من ساقٍ أغن لنَا ... بخمرتين من الصهباء والخدّ
كأنه حين أزكى نارَ وجْنَتِه ... سكرا وأسبل فَضْلَ الفاحمِ الجَعْدِ
يُعِدّ ماءَ عناقيد بطرّته ... بماء ما حملت خدّاه من وَرْدِ

وقال :

أيا سافراً ورداءُ[2] الخجل ... مقيمٌ بوجنته لم يزَلْ
بعيشك ردّ عليك اللثام ... أخافُ عليك جِراح المُقَلْ
فما حقُّ حسنِك أن يجْتَلى ... ولا حقّ وجهك أن يُبْتذَلْ
أمنت عليك صروفَ الزمان ... كما قد أمنتَ علىَّ المَلَلْ

وقال :

لا غَرْوَ إن فتَنَتْك بالْـ ... ألْحاظ فاترةُ الجفونْ
فمصارعُ العشاق ما ... بين الفتون إلى الفتون
اصبِر فمن سُنَنِ الهوى ... صَبْرُ الضنينِ على الضنين

---

(١) فى ت : فدمع نم .   (٢) فى ت : وردة .

وقال :

سقى ثرَى حلب، مادُمْتَ ساكنها يابدر ، غَيْثَين مُنْهَلٌّ ومنبَجِس
كأنما البدر والولدان موحشة وربعها دونهن العامرُ الأنِس
أَسيرُ عنها لأمرٍ ما فيزعجني حتى يعودَ إليها الخدّر الكنس
مثل الحصاة التي يُرْمى بها أبدا إلى السماء فترقى ثم تنعكس

وقال أبو فراس فى رسولِ ملك الروم إذ جاء يطلب الهُدْنة فأمر سيف الدولة بالركوب بالسلاح ، فركب من داره ألف غلام مملوك بألْفِ جَوْشَن[1] مذهّب على ألف فرس عتيق بألْف تِجْفَاف[2] . وركب الناس والقوادُ على تبعيتهم وسلاحهم وراياتهم ، حتى طبق الجيش جبل جوشن وما حَوْلَه . فقلت[3] :

علونا جَوْشَنا بأشدّ منه وأثبت عند مُشْتَجَرِ الرماح
بجيش جاشَ بالفُرْسانِ حتى ظننت البر بحرا من سلاح
فألسنةٌ[4] من العذَبَات حُمْرٌ تخاطبنا بأفواه الرياح
وأروع جسمه ليلٌ بَهِيمٌ وغُرَّتُه عمودٌ من صباح
صفوحٌ عند قدرته كريم قليلُ الصَّفْحِ ما بين الصفاح
كأن ثباتَه للقلب قَلْبٌ وهيبته جناحٌ للجَنَاحِ

[طرف من أخبار المهلبي]

وعلى ذكر المهلبي[5] أذكر طرفا من ظريف أخباره ، وشريف آثاره ، وإنما أسلسل أخبارَ أمثالِه من أشراف العصر ، وأفرادِ الدهرِ ، تعمّداً للذة الجدة ، ورونق الحداثة ؛ إذكان مالم يقرع الآذان، أَدْعى إلى الاستحسان ، ممّا تكرر حتى تكدر.

---

(١) الجوشن : الدرع والصدر، وفى ت : شوشن . (٢) التجفاف : آلة للحرب .
(٣) اليتيمة : ١ـ٣٥ . (٤) فى ت : وألسنة . (٥) أخبار المهلبي فى اليتيمة : ٢ـ٢٠٢ .

وللمهلبى[١]: هو أبومحمد الحسن بن محمد[٢] بن إبراهيم بن عبدالله بن يزيد بن حاتم ابن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة ، وكان المطيعُ لله الفضل بن جعفر المقتدر ، لما ولى الخلافة بعد المستكفى ، قام بجميع أموره معزّ الدولة أحمد بن بويه الديلمى ، وصحبه أجملَ صُحْبَة من أول ولايته إلى سنة مَوْتهِ وهى سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، وعقدالديلمى أَمْرَ وزارته للمهلبى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة . وكان المهلبى من سرَوَات الناس وأدبائهم وأجوادِهم وأعزائهم ، وفيه يقول أبو إسحاق الصابى[٣] :

نِعَمُ اللهِ كالوحوش وما تَأْ ۝ لَفُ إلاَّ أَخَايِراً[٤] نُسّاكا
نَفَّرَتْها أيام قومٍ وصيَّـ ۝ ـرت[٥] لها البرّ والتُّقَى أشراكا

وفيه يقول[٦] :

قل للوزير أبى محمد الذى ۝ قد أعجزت كلَّ الوَرَى أوصافُهُ
لك فى المجالس مَنْطِقٌ يشفى الجوَى ۝ ويسوغُ فى أذن الأديبِ سُلافُهُ
وكأنّ لفظك لؤلؤ مُتَنخّلٌ[٧] ۝ وكأنما آذاننا أصدافُهُ

وفيه يقول أبو نصر عبد العزيز بن عمر[٨] بن نباتة السعدى :

أنا عبدُ مَنْ لو قال للشمس اغرُبى ۝ غربت وقد طلعَتْ على الأشهاد
المستقل من الوزارة رُتْبَةً ۝ إشراقها فوق الخلافةِ بَادِى
عقّ الكماة لخوفه هيجاءهم ۝ وهمُ لطاعته من الأولاد[٩]
وتقنعوا بالنزر[١٠] من أيامهم ۝ حتى ظنناهم من الزهاد
ومن التراب عجاجهم وعجاجُه ۝ ممّا يحطّم من قَناً وجياد

---

(١) زهر الآداب: ١٣٩ . (٢) فى زهر الآداب : ابن هارون . أو ابن محمد بن هارون .
(٣) اليتيمة : ٢-٢٧٥ زهر الآداب : ١٣٩ . (٤) فى ت وزهر الآداب : إلا الأخاير النساكا . (٥) فى زهر الآداب : نفرتها آثام قوم وصيرن . (٦) اليتيمة : ٢ - ٢٤٨ .
(٧) فى ط ، ت : متنحل . (٨) فى اليتيمة : عبد العزيز بن محمد . (٩) فى ت :
عز الكماة بخوفه هيجاءهم ۝ وهم بطاعته من الأولاد
(١٠) فى ط ، ت : بالنذر .

القائد الخيل[1] العِتاق كأنها … أسد مخالبها صدورٌ[2] صعادِ
كذب المحدّث بالشجاعة والندى … عن[3] خِندف وربيعة وإياد
لو أبصرت عيناه[4] آل مهلب … والخيل راوية[4] النحور صَوادِى
يخرجن من رَهَج العجاج كأنما … أسيافهم خرجت من الأغماد
أو ما رأيت جنابهم متدفقًا … متوسعاً لتضايق الرُّوّاد
ووجوههم للبَذْل من إشراقها … قد قَنّعت شمس الضحى بسواد
لرأيت أو كادت جفونُك أن ترى … لُجَج البحار وآنف الأطواد
وعلمت أنهمُ على رَغْم العدى … ذهَبُوا بكل ندًى وكلِّ جِلادِ
يا من نصغرهُ إذا قلنا له … ملك الملوك وماجِد الأمجاد
وذباب سيفك إنه قسم الوغى … والموت فى ثوب من الفِرْصاد
لأطرزنّ بك الزمان مدائحا … تختالُ بين الشدْوِ والإنشاد
تدع المسامعَ والقلوب لحُسْنِها … عند الرواةِ تشدّ بالأصفادِ

وقال فيه :

ألِكْنى إلى آل المهلب إنهم … لأرفع من زُهْرِ النجوم وأثقَبُ
إذا سلبوا الأموال من شنّ غارة … أغار عليها المجتَدُون ليسلبوا
فلا زالت الأملاك تطلب رِفْدَهم … فتدنى وتعطى فوق ما تتطلّب
ولا برحَتْ حمْرُ المنايا وسودُها … إلى بَأْسهم يوم الوغَى تتحَزّبُ[5]
فما استُمْطِروا للجود إلّا تدفقُوا … ولا استُصْرِخُوا للطّعْن إلّا تلبّبوا[6]
إليك أمين الله فى الأرض شمّرت … عزيمة صُبْحٍ بالدُّجَى تتجلْبَبُ
يرى حظَّه مستأخراً وهو أوّل … وآماله مغلوبة وهو أغلبُ

(١) فى ت : الجرد . (٢) فى ط : نسور ، وهذامن ت . (٣) فى ت: من .
(٤) فى ط : عيناك وفى ت : دامية (٥) فى ط ، ت : تتحرب . (٦) تلبب : تشمر .

وأنت شبابٌ للذى شابَ مُقْبِل   إليه ووجه للذى خابَ ملحبُ[1]
تقودُ أبيّاتِ الأمور كأنّها   إليك أسارَى فى الأزمّة تجنَبُ
وتطعن فى صَدْرِ الكتائب معلما   كأنك فى صَدْرِ الدواوين تكْتُبُ
نداؤُك أمْلَى والجيادُ مَنَابِرٌ   وأبطالها بالمشرفيَّةِ تَخْطُب
أذُمُّ زيادا فى رَكاكةِ رأْيِهِ   وفى قوله : أىُّ الرجالِ المهذب
وهل يُحْسِنُ التهذيبُ منك خلائقا   أرقّ من الماءِ الزلالِ وأعْذَب
تكلّم والنعمان بَدْر سمائه   وكلُّ مليكٍ عند نعمان كوكَبُ
ولو أبصرَتْ عيناه شخصَك مرَّة   لأبصرَ منه شمسه وهى غَيْهَبُ
إذا ذكِرَتْ أيامُك الغرّ أظلمَتْ   تميم وقيس والربابُ وتَغْلِبُ
لقد صرّحوا بالمالِ لى وهو مبهم   وقد عرَّضُوا بالقول لى وهو موجب
ولى همةٌ لا تطلبُ المالَ للغنى   ولكنها منك المودَّةَ تطلب
فإن كان قولى دون قَدْرِك قَدْرُه   فما أنا فيه فى امتداحِك مُذْنِب
إذا كانت الأشياء دونك قدرها   فغيرُ ملومٍ أن يُقَصِّر مُسْهِبُ

* * *

من النقد

زياد : هو النابغة الذبيانى ؛ وإنما عنى قوله فى اعتذاره للنعمان بن المنذر[2] :

ولست بمستَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّه   على شعَثٍ أىّ الرجالِ المهذب
ألم ترَ أنَّ اللهَ أعطاكَ سَوْرَةً   ترى كل ملْكٍ دونها يتذَبْذَبُ
بأنك شمْسٌ والملوكُ كواكِب   إذا طلَعتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكَبُ

وإنما أخذ النابغة هذا من قول شاعر من كندة قديم :

تكاد تميدُ الأرضُ بالناس أَنْ رأوا   لعمرو بن هند غَضْبةً وهو عاتب
هو الشمس وافتْ يومَ دَجْنٍ فأفضَلَتْ   على كل نور والملوكُ كواكبُ

---

(١) اللحب : الطريق الواضح . ولحب : سلك .   (٢) ديوانه : ١٧ .

[من حياة المهلبى]

والمدح فى أبى محمد المهلبى كثير ، وإنما يُؤْخذ من كل شىء ما اختير . وكان[(١)] قبل تعلقه بحَبْل السلطان سائحا فى الأرض على طريق الفَقْر والتصوّف . قال أبو على الصوفى : كنتُ معه فى بعض أوقاته ، أُمَاشيه فى بَعْضِ طرقاته ؛ فضجر لضيق الحال، فقال :

أَلَا موتٌ يباع فأَشتريه ... فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيهِ
أَلَا رحِمَ المهيمنُ روحَ حرّ ... تصدَّقَ بالوفاةِ على أخيهِ

قال: فاشتريت له رطل لحم وطبخته له . ثم تصرَّف بنا الدهر وبلغ المهلبىّ مبلغَه ؛ قال أبو على : فاجتزت البصرة واجتزت بأَسْلُمَان[(٢)] ، فإذا أنا بنا شطيات وحَرّاقَات وزيارب[(٣)] وطَيّارات فى عدّة وعِدة . فقلت : لمن هذا ؟ فقيل: للوزير أبى محمد المهلبى ، فنعتوا لى صاحبى ، فتوصَّلت إليه حتى رأيته ، فكتبت رقعة واحتلْتُ حتى دخلت ، فسلمت وجلست ، حتى إذا خلا المجلس رفعت إليه الرقعة ، وفيها :

ألا قلْ للوزيرِ بلا احتشام ... مقال مُذَكّر ما قَدْ نَسِيهِ
أتذكرُ أَنْ تقولَ لضيقِ عَيْشٍ ... ألا مَوْتٌ يبـاعُ فأَشتريه

فنظر إلىّ ، وقال : نعم ! ونهض وأنهضَنى معه فى مجلس أُنسه ، وجعل يذكرُ لى كيف توافَتْ[(٤)] حاله ؛ وقُدِّم الطعامُ فأطعمنا[(٥)] ، وأقبل ثلاثةٌ من الغلمان على رأس أحدهم ثلاثُ بِدَر ، ومع آخر تخوتٌ وثياب رفيعة ، ومع آخر طيبٌ وبخور ؛ وأقبلت بغلة رائعة بسَرْجٍ ثقيل ؛ فقال لى : يا أبا على ؛ تفضَّلْ بقبول هذه ، ولا تتأخر عن حاجة تَعرِض لك . فشكرته وانصرفت ؛ فلما همْمتُ بالخروج من الباب استردَّنى وأنشدنى بديهاً :

---

(١) زهر الآداب : ١٣٩ . (٢) فى زهر الآداب : دخلت البصرة فاجتزت بسر من رأى، وفى ط ، ت : بسماران . وأسلمان نهر بالبصرة كما فى معجم البلدان .
(٣) فى ط ، ت : وذباذب، وفى بعض نسخ زهر الآداب : وزنارات .
(٤) فى زهر الآداب : كيف ترقت . (٥) فى زهر الآداب : فطعمنا .

رقَّ الزمانُ لفاقتى ... ورثَى لطولِ تحرُّقى
فأنالنى ما أَرتجى ... وأجارَ مِمّا أتَّقى
فلأغفرنَّ له القديـ ... ـم(١) من الذنوبِ السُّبَّق
إلّا جنايتَه لمـا(٢) ... فعلَ المشيبُ بمفرقى

[العباس بن الحسين وآثاره]

ولما مات المهلبى وجد عليه أحمد بن بويه وَجْدًا شديدًا ولم يستوزِرْ أحداً بعده ، وبلغ منـه أبو الفضل العباس بن الحسين بن عبد بن فاخر بعد المهلبى مبلغاً عالياً ؛ للمصاهرة التى كانت بينه وبين المهلّبى ؛ ولأنه كان يَخْلُفه فى الدواوين ؛ فـكان يخطب دَرجةَ المهلبى فى الوزارة فلم يبلغها .

وكان العباس ممن تعظّمه الملوكُ وتعرف قَدْرَه فى الفرس وسبْقَه ، وكان بنو بويه يخاطبونه بالشيخ ؛ ولما حصلوا بأرض العراق استدعَوْه من فارس اشتياقاً إليه ، وحاجةً إلى رأيه ؛ لما كانوا يعرفون من ثقته ، وكان يتَّخِذُ من الزِىِّ وتفخيم شأن الملك ما كان يحسن به فى عين أحمد بن بويه ؛ إذ كان يحبّ من أصحابه ذلك .

وكان مما عمله العباس المغيض الذى بظاهرِ السندية ، الذى ينزع من نهر عيسى ابن موسى الهاشمى النازع من الزّاب الأعظم بناحية البَثْق المعروف ببثق الروبانية وهو الذى تعمره ملوكُ العراق ، وتحوط به الأعمال التى ترد إلى كل ناحية حظها من الشرب الذى تـكونُ به عماراتها واستقامة ربوعها ووفورُ أموالها وتمامُ خَراجِها .

وهذا المغيضُ عملَتْه الأكاسرة ليُنْتَفع به عند زيادة المياهِ وكثرتها ؛ فإنها حين تخشى البثق المقدّم ذكره وغيره من البثوق أن تزيدَ المياهُ عليها فتخرقها فينصرف الماء عن سائر الضياع ، فإذا خُشِى ذلك فُتِح هذا المغيض فانصرف ما يزيدُ من الماء عن

---

(١) فى زهر الآداب : الـكثير .
(٢) فى زهر الآداب : التى .

قَدْرِ ما يُنْتَفَعُ به إليه ، حتى يصبَّ فى نهر يعرف بصرصر حتى يُفْرِغ فى دجلة ، فعمل هـذا المغيض من ماله بعد فسادِ ما كان قبله . وسائر هذه البثوق تُسترم[1] بعد خمسين عاماً من بعد عمارتها إلى السبعين ، أكثره على ما يذكرون .

ثم عمر الدارَ المعروفة بخاقان ، وهى فى ملك وَلَدِه وما يَلِيها من الدور التى كانت تجاورها بشاطىء دجلة ، وهذه الدارُ معروفةٌ عند الملوك معظَّمةٌ فى نفوسهم ، وهى دارٌ لها حدَّان فالجبلى[2] منها يَنْتهى إلى دجلة ، والشرقى منها ينتهى إلى نهر الصراة النازع من نَهْرِ عيسى النازع من الفرات الأعظم ، حتى يلتقى هذان النهران .

وقد كان فى قديم الزمان بلغ أمرها بعض ملوك الروم ؛ وُصِف له أنَّ بالعراق دارا يجتمعُ فيها دجلة والفرات، فأعظم ذلك وأَكْبَره ، وأكذب من أخبره به . ثم كشف عن ذلك لعظمه عنده فوجده حقّا ، فعمر العباس هذه الدار على أحسنَ مما كانت عليه، بل أزْيد من ذلك ، وانتهى خبرُها إلى أحمد بن بويه فأحبَّ النظرَ إليها ؛ فاصطنع له طعاماً ورتَّب الناسَ على أحسن ما يكون من ترتيب مثله ، وفرش مجالسها وقبابها ومحالها وخبائها ورحابها وخورنقاتها وجيرياتها ، بألوانِ الفرش وأصنافِ الأمتعة ، من الديباج السندى المنسوج لها بقَدْرِ أطوالها وأعراضها المثقل بالذهب ، والأرمنى الرفيع على أصنافه ، والخزّ المقطوع المرقوم المثقل بالذهب على أجناسه[3] وألوانه ، والمحفور الدجلى القديم والمحفور الأرمنى ، وغير ذلك من أصناف الفرش مما أحدثه العراقيُّون .

وكان ذلك على حين طيبِ الزمان ، واجتماع خيرات كلِّ أوان ، فى زمن الورد ووقت النيروز الفارسى ، وهو حين تكامُلِ النَّبْتِ وزيادة الميـاه ، وطلوع الثمار ، وزَهْر الأشجار .

---

(١) فى الأصلين : وسائر هذه البثوق والفائض . . . ، استرم الحائط : دعا إلى إصلاحه .

(٢) هكذا فى ط ، ت .　　　(٣) فى ط : أجنابه ، وهذا من ت .

واصطنع فى البُسْتَانِ الأعظم على البرْكَةِ التى يجتمعُ بفنائها الجبلى والشرقى دجلة والفرات قَصْراً مبنياً من السكر على أربعِ طَبقات ، بأبوابٍ تَدُورُ به ، وأبواب تُغْلَقُ عليها من فوقها طبقة فطبقة ، تطلع من تلك الأبواب صورٌ من السكر على هيئة الجوارى والغلمان بصنوف الملاهى فى أحسن الملابس والحلل ، وجعل على شرفاتها وطبقاتها وحناياها صور أنواعِ الطير والحيوانِ والوحش ، وجعل من ورائها رجالا تنفخ بالبوقات والمزامير ، كلّ صنف يخرجُ منه صوتٌ يليق بصورته صوت مثله ؛ وكل ذلك من السكر المموَّه بصنوف الأصباغ والنقوش والذهب .

ثم نصبَ القِيانَ وأصحابَ الملاهى على طبقاتهم مفترقين[1] فى تلك المجالس . وحضر أحمد بن بويه وولده بختيار وإبراهيم ومحمد : كلٌّ منهم فى قوّادِه وجُنْدِه وكُتَّابه ووجوه رجاله وحاشيته . وأمر بعرض دجلة ، فمُدَّ مِن جانبها الغرْبى الذى هو الركن المجتمع فيه دجلة والفرات إلى الجانب الشرقى الذى بإزائه ـ حبلٌ مفتول ، ونُثِر على الماء من الورد ماغطَّى دجلة من الجانب إلى الجانب الآخر ، إلاّ ماخرقته أنواع المراكب من الطيارات والزلاّلات والحديديات والزبازب والسماريات التى ركبها أحمد وأصحابه إلى مَنْ سواهم من العامة ، وانتظمت هذه المراكب جانبى دجلة من حدّ هذه الدار وما بإزائه من الجسر الذى بباب الطاق ، وصار المسلوك من دجلة فى وسطها ، وصار ذلك الورْد يستقبل المنحدر إلى الدار يمنَعُه الحبلُ المعترض من الجرْيِ مع الماء مِنْ تحته .

ثم تَلَقَّى أحمدَ وبنيه بما أعدَّ لهم من الكرامة والحباء ؛ فكان من صنوف ذلك دنانير ودراهم ضربَها فى كلِّ دينار منها ودرهم خمسة دنانير وخمسة دراهم عليها صنوفُ الصُّوَر فى أوانى الذهب والفضَّة ، الفضة فى الذهب ، والذهب فى الفضة ، وأنواع البز من صنوف الحرير والنسيج والخز والشرب[2] وأصناف المتاع ، وأعدَّ من الخيل

---

(١) فى ط : متفرقين . (٢) هكذا فى ط ، ت ، ولعلها السرق .

والمراكب والغِلْمَانِ بصنوف الملابس بقَدْرِ مايقتضيه ماقدمنا ذكره .

ثم أخذ فى إطعام الجميع ؛ حتى عمَّ سائرهم صغيرهم وكبيرهم . إلى أَنْ وصل ذلك بأصحابِ السفن ، فأَتَى على سائرهم طعاماً وشراباً .

ولمَّا حضر الانصراف قدم بين يدى أحمد من تلك الصوانى الذهب والفضة من كل صنفٍ صينّيتين . فى كلٍّ واحدة ألفُ دينار وألفُ درهم ، ومن الخِلَعِ والدوابِّ والمراكب مايُشَا كِل ذلك ، وجعل لبختيار بن أحمد مايشا كل ذلك ، ولكل واحدٍ من إخوته نِصْفَ ذلك ؛ وعمَّ سائر القواد والرؤساء على أقدارهم من كُسْوَة وغيرها ، كلٌّ إنسانٍ بقَدْرِه ؛ ثم أمر بنَهْبِ القَصْرِ السكر ، فنهبه الحَشَمُ والغلمان والعامّة حتى أتوا على آخره .

وقد حكى منصور بن عيسى بن سوادة الكاتب ، وكان يلى دواةَ العباس وكان خصّيصىَ به قديم الصُّحْبة له خبيراً بأمره ؛ قال : قدّم سيدنا أبو الفضل مقدار مالزمه على إصلاح المغيض، وبناء الدار ، وما أُنفقه فى الدَّعْوَة من ماله سوى ماعضده به الكتابُ والعمالُ والصناع ، فكان مبلغه ستمائة أَلْفِ دينار ، فسُئِل عن مقدار ما كان أعانه من قدمنا ذكره ؛ فقال : هو والله أكثرُ من أَنْ أُحْصِيَه !

ولم يكن للعباس علم ولا ضَرَب فى الكتابة بسَهْم ، ولكن كانت له دِرَايةٌ بالأعمال ، وتصرُّف فى أمور السلطان ؛ وكانت له همةٌ عالية . ويقال : إن جدَّه فاخراً كان إسكافاً .

[زوج العباس بنت المهلبى]

وكان العباس تزوّج زينة بنت المهلبى ، وكانت قدبلغَتْ بها الحالُ إلىأن اتخذَتْ الجوارىَ الأتراكَ حجّابا فى زىّ الرجال على ماجرى به رَسْمُ السلطان ، وكان لها كتّاب من النساء ؛ مثل سلمى النوبختية ، وعائشة بنت نصر القسورى حاجب

المقتدر ، وغيرها من القهارمة ؛ ومن يتصرَّفُ فى الأعمال تصرُّفَ الرجال ، وكان لها كَرَمٌ وجودٌ فى الأموال .

فلما قُبِضَ على زوجها أبى الفضل بعد وزارته الثانية لبختيار بن أحمد ، وقد صارت الوزارة لمحمد بن بقية اختفت زينة بنت الحسن وسائرُ أسبابها ؛ فجُعِلَتْ عليها العيونُ فى كل مكان ، واستقصى على أبى الفضل زوجها ؛ وسلّم إلى محمد بن عمر بن يحيى بعد طاهر العلوى ، فخرج به من بَغْدَاد إلى الكوفة ؛ فأقام عنده مدةً يسيرة ثم مات ودُفِن هناك فى النجف بجوار قَبْرِ على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

ولم يزَلْ بختيار يطلبُ زينة وأسبابها، فعثر على أكثر أسبابها فلم يجدْ لها موضعاً؛ وكان سببُ اختفائها منه أنه راسلها فى حين القَبْضِ على أبى الفضل ، وأعلمها أنه يسومُه التَّرْكَ لها ليتزوَّجَ بها ؛ فردَّتْ أقبح ردّ ، وأنكرت ذلك ؛ فكان ذلك سبب اختفائها ، وكان لها من الذخائر والودائع فى أيدى جماعة مما كان يغنى كثيراً من الناس، فلما بلغ بها الأمرُ طمع كلٌّ واحد فيما فى يده والغَدْرِ به .

ولما كان بعد اليأس من وجودها ، ظهر بظاهر الخلد بقُرْب محلة تعرف بالدسترقين فردٌ محمل مغطى، فيه امرأةٌ فى أَخْلاقٍ وعند رأسها رقعةٌ مكتوب فيها زينة بنت الحسن ابن محمد المهلبى الوزير ؛ فاشتهر ذلك عند الخاصَّةِ والعامة ، ووافى القاضى أبو تمام الحسن ابن محمد الهاشمى المعروف بالزينبى ، فاحتملها لداره وتولّى من أمرها ما يجبُ لمثلها ، ودفنها فى مقابر قُرَيش ؛ وقد كانت أختاها تحت ولديه أبى الحسن وأبى القاسم .

[الحب والطعام]

وكان أبو الحارث حسين يُظْهِرُ لجاريةٍ من المحبةِ أمراً عظيما فدعَتْه وأَخَّرَتِ الطعامَ إلى أن ضاق . فقال : يا سيدتى ؛ مالى لا أسمعُ للغداء ذِكْراً . فقالت : يا سبحان الله ! أما يكفيك النظَرُ إلىَّ وما ترغبه فىّ من أن تقولَ هذا ؟ فقال : يا سيدتى ؛ لو جلس جميل وبثينة من بكرة إلى هـــذا الوقت لا يأكلانِ طعاماً لبصق كلٌّ واحد منهما فى وَجْهِ صاحبه .

[شركة]

أرادَ قومٌ من البصرة الجمع ؛ فقال أحدُهم : علىّ الطعام . وقال أحدهم : علىّ الشراب . وقالوا : ما عليك أنت يا أبا إسحاق ؟ فقال : لعنة الله علىّ إذ لم آكل وأشربْ معكم ؛ فضحكوا منه ومَضَوْا به .

[اللجام له]

قال أبو عبيدة : أُجْرِيتِ الخيلُ فى الحَلْبة ؛ فجاء فرسٌ من الخيل سابقاً ، فجعل رجل من النظَّارةِ يكثر الفرَح ويكبِّرُ ويصفِّقُ . فقال له رجل إلى جانبه : يا فتى ؛ الفرس لك ؟ قال : لا ! ولكن اللّجَام لى !

[طفيلى فى عرس]

دخل طفيلىٌّ عُرْساً فلم يَقْدِرْ على الدخول ، فأخذ قرطاسا وأَدْرَجه ولم يكتُبْ فيه شيئاً ، وسأل عن العروس ، هل له قرابة غائب ؟ فقيل : أَخوه . فكتب عنوان الكتاب من فلانٍ بن فلان إلى أخيه ، وجاء فدقَّ الباب . وقال : معى كتابٌ من أَخِي العروس ، فخرج العروسُ مبادراً فأدخله وأحضرَ له الطعام ؛ فلما قرأ العنوان قال : سبحان الله ! تراه نَسِىَ اسمى إذ لم يكتبه على الكتاب ؟ فقال الطفيلى : وأعجب من هذا أنه لم يكتب داخله شيئاً من العجلة ، فعلم مراده وأدخله .

وأنشد بعضهم لأبى محمد بن وكيع :

بينا أنزل أمرى أنْ يجى فرجٌ[1] مقدّما فيه بين السَّوْفِ والليت
إذا بصرت ببابِ الدار مستلما فمِلْتُ مستمعا أُصْغِى إلى الصوت
فقلت من جا بباب الدارِ يَقْرَعُه نادى أنا فرجٌ زِنْ لى كرى بيتى

---

(١) فى ت : أن تجى فرجا .

[عتاب طفيلي على التطفيل ورده]

عُوتِبَ[١] طُفَيْلِيٌّ على التطفيل ؛ فقال : والله ما بُنِيَت المنازلُ إلا لتُدْخل ، ولا نُصِبَت الموائد إلّا لتُؤْكَل ، وإنى لأَجمَعُ فى التطفيل خلالا ، أَدخل مُجالسا ، وأقعد مستأنسا ، وأنبسطُ وإن كان ربُّ الدار عابسا ، ولا أتكلَّفُ مَغْرَما ، ولا أُنْفِقُ درهما، ولا أُتعب خادما .

[وصية طفيلي لأصحابه]

قال ابن دراج[٢] الطفيلي لأصحابه : لا يهولنّكم غلق[٣] الأبواب ، ولا شِدَّةُ الحجّاب ، ولا عنف البواب ، وتحذير العقاب ، ومبارزة[٤] الألقاب ؛ فإنَّ ذلك صائرٌ بكم إلى محمود النوال ، ومُغْنٍ لكم عن ذلِّ السؤال ، واحتملوا الوَكْزة[٥] الموهِنة ، واللطمة المزمنة ، فى جَنْب الظفَر بالبُغْية ، والدرَك للأمنية ، والزموا الطَّوْزَجة[٦] للمعاشرين ، والخِفَّة بالواردين والصادرين ، والتملّق للملهين والمطربين ، والبشاشة بالخدم والموكّلين ؛ فإذا وصلتم إلى مُرَادكم فكُلوا محتكِرين، وادَّخروا لغدكم مجتهدين؛ فإنكم أحقُّ بالطعام ممن دُعِى إليه ، وأولى ممن صُنِع له ؛ فكونوا لوقته حافظين ، وفى طلبه متمسكين ، واذكروا قول أبى نواس :

ليخمس[٧] مال الله من كان فاجر ... وذى بِطْنَةٍ للطيباتِ أَكُولِ

[تقاصر لينالك الضرب]

جلد بعضُ الشرط رجلا وكان الجلّاد قصيرا دميا والمجلودُ طويلا ؛ فقال له الجلّاد: تقاصَرْ لينالَك الضَّرْبُ . فقال : ويلك ! إلى أَكْلِ الفالوذَج تدعونى ؟ والله لوَدِدْت أن تكونَ أنت أقصر من يأجوج ومأجوج ، وأنا أطولُ من عوج .

---

(١) زهر الآداب : ٩٥٧ . (٢) فى ط : أبو دراج ، والتصحيح من زهر الآداب .
(٣) فى زهر الآداب : إغلاق . (٤) فى زهر الآداب : ومنابذة .
(٥) فى زهر الآداب : اللكزة . (٦) هكذا فى ط ، ت .
(٧) خمستهم : أخذت خمس أموالهم، والبيت فى ديوانه : ٣١٠ ، والشعراء: ٧٧٤ .

[أمنية المبغض]

دخل أعرابىٌّ من ثقيف على خالد بن عبد الله القسرى ، فشكا إليه قِلَّةَ المطر ، وجفوفَ الشجر ، وكَثْرَةَ العيال ، وعدم المـال . وكان خالد مُبْغِضاً لثقيف ، فقال : أمَّا ماذكرتَه من قلَّةِ المطر فوددت أنَّ اللهَ جلَّ اسمُه ضربَ بينكم وبين السماء صفائح من حديد ؛ وجعل مَسيلَها مما يلى البَحْر ، فلا تصل إليكم قطرةٌ من مائها . وأمَّا ما ذكرْتَ من يبس الشجر فوددت أن اللهَ أحرقَ ما لديكم من ذلك . وأما ماذكرت من قلّة المـال وكثرة العِيال فوددت أن اللهَ قطع يديك ورجليك ولم يجعل لأهلك كاسب غيرك .

فقال : أيّها الأمير ؛ أصلحك الله ، وطئْتُ أرضك، وأَمَّلْت رِفْدَك ، فلا تصرِفْنى بحَسْرَة الحرمان ، واجعل قِرَاىَ منك بقَدْرِ أملى فيك ، لا بقَدْرِ نسبى عندك . قال: يا غلام ، أعطه بَدْرة ، ثم زاده أخرى .

[النكث فى البيع خير من خيانة الشريك]

وجلس مالكُ بن طوقٍ فى قَصْره فى شباك مُطِلٍّ على رحَبَته ، ومعه جُلَساؤه إذ أقبل أعرابى تَخُبُّ به ناقتُه ؛ فقال : إياى أَراد ، ونحوى قَصد . ولعل معه أدبا يُنْتَفع به ، ثم أمر بإدخاله ؛ فلما مثل بين يديه قال : ما أَقْدَمك يا أعرابى ؟ قال : سَيْبُ[1] الأمير ورجاء نائله . قال : هل قدَّمْتَ أمام رغبتك وسيلة ؟ قال : نعم ! أربعة أبيات قُلْتُها بظهْرِ البرية ، فلما رأيت ما بباب الأمير من الهَيْبَةِ والجلال استحقرتُها واستصغرتها . قال : فهل لك أن تنشدنا أبياتَك على أن نُجيزك عليها ألفَ درهم ، فإن كنتَ ممن أحسن رَبِحْنَا عليك ، وإلّا فقد نِلْت مرادك ، وربحت علينا . قال : رضيت وأنشده :

وما زلْتُ أَخْشَى الدهرَ حتى تعلَّقَتْ   يداى بمن لا يتَّقى الدهر صاحبه

---

(١) السيب : العطاء والعرف .

فلما رآنى الدهرُ تحت جناحه رأى مُرْتقًى صعباً منيعاً مطالبه
رآنى بحيث النَّجْمُ فى رأس باذخٍ تُظِلُّ الورَى أكنافُه وجوانبُه
فتًى كسماء الغيث والناسُ حَوْلَه إذا قحطوا جادَتْ عليهم سحائِبُه

فقال : قد والله ظفرنا يا أعرابىّ ، ورزقنا الفَلْج(١) عليك ، والله ما قيمتُها إلا عشرة آلاف درهم . قال : فإنَّ لى صاحباً شاركْته فيها ، وما أراه يرْضَى بِبَيْعى . قال : أتراكَ حدّثَتْك نفسُك بالنكث ؟ قال : نعم ! وجدت النكث فى البيع خيراً من خيانة الشريك . فأمر له بعشرة آلاف دينار .

[طويل]

وركب المتوكّل زلالا ومعه قطاطة وعبادة المخنثان(٢)، وكان قطاطة طويلا جداً ؛ فجعل يُغَنِّى إلى أن هبَّتْ ريحٌ شديدة وثارتْ دجلة ، فأمسك عن الغناء . فقال له المتوكّل : مالك ؟ قال : يا سيدى ؛ أَفْزَعنى ما أرى ؛ فرفع عبادة يده وصفعه ، وقال : يابن الفاعلة ! تتوهَّم أنَّ فى دجلة ماءً يطولك .

[لبيد بن ربيعة فى مجلس النعمان]

لما(٣) أراد لبيد بن ربيعة أهله على إحضاره مَجْلِسَ النعمان ، ومقاولة ابن زياد العَبْسىّ على ما خاطبَ به أهله بحضرة النعمان ، أراد أهلُه أنْ يختبروه لأنهم استصغروه؛ فنظر عمُّه إلى بَقْلَةٍ لاصقةٍ بالأرض ـ وهى جدير الأرض . فقال : صِفْ لنا هذه البَقْلَة حتى أسمع . فقال لبيد : إن هذه البقلة رذلة دقيقة الخيطان ، ذليلة الأغصان ، لا تُذْكِى نارا ، ولا تَسْتُر جارا ، ولا تُؤْهِلُ دارا ، عودُها ضئيل ، وخيرُها قليل ، وبلدُها شاسِع ، ونَبْتُها خاضع ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها قانع ، أَقْصرُ البقولِ فرعاً ، وأخبثها مَرْعى ، وأصعَبُها قَلْعا ، فحَرْباً لجارها وجَدْعا ، فالقَوْا إلىّ أخا عَبْس ، ارجعه

---

(١) الفلج : الظفر والفوز . (٢) فى ط : المخنثين ، وهذا من ت .
(٣) مجمع الأمثال : ٢ ـ ٣٣ ، الأغانى ١٤ ـ ٩١ .

عنكم بتَعْس ، وأَتْرُه من أمره بلَبْس . فقال له : سر ! فلما قدم على النعمان وعنده الربيع أنشده(١) :

نحن بنــو أمِّ البنين الأربَعَه الضاربون الهَامَ تحتَ الخَيْضَعَه(٢)

والمطعمون الجَفْنَةَ المدعْدَعَهْ

[من طرف بشار]

وكان بشّار جالساً على بابِ داره ، فمرَّ به ابنُ أخيه مع أصحابٍ له . فقال : أصحابُ ابن أخى هؤلاء أتراكٌ . قيل : من أينَ علِمت ؟ قال : لأنى لا أسمَعُ لهم حِسَّ نِعال .

وقيل لبشار : إنَّ فلانا يزعمُ أنه لا يُبَالِى بلقاءِ واحدٍ أو ألف . فقال : صَدَق ؛ لأنه يفرّ من الواحدِ كما يفرُّ من الألف .

[يطحن مكان الحمار]

حكى المدائنى ، قال : كان فى المدينة امرأةٌ جميلة عفيفةٌ ذاتُ زوج ، وكان فتًى من أهل المدينة يتبعُها كلما خرجَتْ ويعرضُ لها ؛ فلما أذاها شكَتْهُ إلى زوجها . فقال لها : فما عندكِ فى أمره حيلة ! قالت : قد فكَّرْتُ فى شىء إن ساعَدْتنى عليه . قال : فأنا أساعدِك . فبعث جاريتها إليه تقول : إنّ الذى بقَلْبى منكَ أكثرُ مما بقلبك منى ، ولكنى امرأةٌ مستورة ولا أعرِفُ الفساد ؛ فكنتُ أمتنِعُ عليك وفى قلبى النار . فلما بلغَتْه الرسالةُ استطار فرَحاً ، وقال للجارية : ماأدرى كيف أؤدّى شكرَكِ إذ جرى هذا الأمرُ على يدك ، فبلغيها السلام وقولى لها : إنى صائر إليك غدا ، ووهب للجارية دينارا . وطالَت ليلتُه حتى أصبح فوجَّه إليها بجَدْى وفاكهة .

فقالت الجارية : قد وجب علىَّ شكرك لإجابتك إيّاى فى حاجة مولاتى ، وأنا أشيرُ عليك بحيلة بها يتمُّ أمرُكَ . قال : وماهى ؟ قالت : سيدتى فيها حِشْمَةٌ وخجَل

---

(١) اللسان ــ مادة خضع . (٢) الخيضعة : البيضة .

وانقباض عن الرجال ، فإذا جلسَتْ معك فلا تتعرَّضْ لها بكلامٍ ولا بغيره ، حتى تشربَ معك أقداحاً . قال : نعم !

وصعدت الجارية فعاوَنَتْ سيدتَها على إصلاح الجَدْى والطعام ؛ فلما أحكمتاه نزلت الجاريةُ وبسطَتْ لسيدتها مصلّى وجاءت فسلَّمت وقعدَتْ ، وجاءت الجاريةُ بالطشت والماء فغسلَتْ أيديهما ، ووضعت المائدةَ بينهما ، وجاءت بالجدى والطعام .

فحين أخذ المخذول اللقمة فوضعها فى فمه جاء الزوجُ فقرع الباب ؛ فوضعت المرأةُ يدَها على رأسها وقالت : افتضحت وهلكْت . فقال: دَعِى الجَزَع واحتالى فى موضع أَكمنُ فيه إلى خروجه . قالت : ماأعرف موضعاً يخفى عليه إلا أن تحلَّ الحمارَ الذى فى الدهليز وتقوم فى مكانه . فقال : افعلى ! فجاءت الجاريةُ إلى حمارٍ يطحن فى الدهليز مشدودِ العينين فنحَّتْه وربطت المغرور مكانَه . وقالت : اطحن مكانَ الحمارِ ولا تُمْسِكْ فيفطن بك ؛ فإنى أَرجو أن يخرجَ سريعاً وترجع إلى سرورك ، ثم فتحت الباب ودخل الزوج . فقالت له: خرجتَ على أَنْ تقيمَ أياماً ! فما الذى جاء بك الساعة ؟ قال : كنت عزمْت على ذلك فمرَّ بى إخوان فعرضْتُ عليهم المقامَ فى الضيعة . فقالوا : لايمكننا اليوم ، ولكننا إن شاء الله تعالى نَصِيرُ إليك غدا ؛ فأردت أن يكونَ مجيئُهم إلى البيت أَسهلَ علىّ ؛ فبادرتُ إليكِ لتُصْلحِى مايحتاجون إليك وخاصة الدقيق ، فينبغى ألاّ يَفْتر الحمارُ فى الدقيق .

فجلسا يأكلان والمخذول يطحن ، ثم وضعا نبيذا وجعلا يشربان ، والزوجُ يقول ساعةً بعد ساعة : هاتى العصا لكى أقومَ لهذا الحمار الملعون ، فإنى أَراه كسلان ؛ ونحن نحتاجُ إلى الدقيق كثيرا ، فتقوم الجاريةُ فتقول له : الله الله فى نفسك ! لاتفتر ؛ فإنى أخاف أن يقومَ فيراك .

فلم يزل يطحن دائباً والرجلُ يشربُ مع امرأته إلى أن طلع الفجر ، فقام الرجل فتهيّأ للصلاة وخرج إلى المسجد ، فحلّت المغرور وقالت : طِرْ إلى بيتك لئلا يراكَ إنسان فتفتضح .

فخرج يَعْدُو على وجهه عُرْيان ويَدُه على سوءَته ، فدخل إلى منزله وبقى مسبوتا[1] مطروحا على وجهه لايحرِّكُ عضوا .

فلمّا كان بعد مدة قالت المرأة لزوجها : قد بقى علينا شئٌ من الولع بالمخذول . قال : شأنك . فبعثَتْ إليه وقالت : مولاتى تُقْرِئك السلام وتقول لك : الله يعلمُ ماتداخلَ قلبى مما نزل بك ؛ ولوددت أنى أَقِيك بنفسى ، ولـكنَّ المقاديرَ تنزلُ من السماء ، وإنّى إليك لمشتاقةٌ ، فأُحبُّ أنْ تصيرَ إلينا فإنّ زوجى قد خرج إلى موضع له فيه مقام شَهرْ ، فنستأنس جميعاً ونسترجع مافاتنا ؛ فالتفت إليها سريعاً ، وقال : عسى قد فَرَغَ دقيقُـكم ؟

[بشار وخال المهدى]

ودخل بشّار[2] على المهدى ينشد شِعْرا وعنده خاله يزيد بن منصور الحميرى وكان مغفّلا ؛ فقال : ماصناعتُك أيها الشيخ ؟ قال : أَنْظِم اللؤلؤ . فقال المهدى : أتهزأ بخالى ؟ قال : وما أقول لمن يرى شَيْخاً أعمى يُنْشِد شعرا فيسأله عن صناعته !

[بشار وجوارى المهدى]

وقالت جوارى المهدى له[2] : إن بشّاراً لأطيب الناسِ مُفَاكهة ، وهو ضريرُ البصر ، ولاغيرة بك علينا معه إذ لايرانا ، فلو أُدخلته إلينا ؟ ففعل . فبادَرْنَه وطايبنه وقلن: إنكأبونا . فقال : ونحن على دِين كسرى ؛ فبلغ ذلك المهدى فمنعه فيما بعد من الدخول عليهنّ .

***

من النقد

أخذه المتنبى فقال[3] :

يا أُخْتَ معتَنق الفوارسِ فى الوَغَى لأخوكِ ثَمَّ أرقُّ منك وأَرْحَمُ

يَرْنُو إليك مع العفاف وعنده إنّ المجوسَ تصيبُ فيما تحكم

---

(١) أصل المسبوت : الميت . (٢) زهر الآداب : ٤٢٦ . (٣) ديوانه : ٤-١٢٢ .

[بشار أحد الأعاجيب]

وبشار بن برد ، أحدُ الأعاجيب خُلِق أكمه ، وهو يشَبِّه التشابيه التى لم يسبق إليها مما لايدركه البصير ، وهو أوّلُ من فتق البديع للمُحْدَثين . وقتله المهدى سنة سبع وستين ومائة .

[سبب قتله]

وكان سبب قتله أنَّ المهدى قدم البصرة فأعطى الشعراء ولم يُعْطِ بشاراً شيئاً ، فأتى بشارٌ إلى مجلس يونس النحوى ، فقال : أههنا أحدٌ يُحتَشَم منه ؟ قالوا: لا ! فأنشده[١] :

فليت ماأنفقت فى مصرنا   كان جميعاً فى حر الخيزران

فبلغ ذلك يعقوب بن داود مع مابلغه من هجائه إياه ؛ فدخل على المهدى ، فقال له : ياأمير المؤمنين ، قد بلغ من هذا الأعمى المشْرِك أن يَهْجُوَ أميرَ المؤمنين ؟ قال : ويحك ! وما قال ؟ قال : تعفينى ياأميرَ المؤمنين من إنشادِ ذلك . فأبى عليه فأنشده ماقال ؛ فوجّه فى حَمْلِه ؛ فخاف يعقوبُ أن يقدم على المهدىّ فيمدحه فيعفو عنه ، فوجّه إليه مَنْ لقيه فى البطيحة فضربه بالسياط حتى مات ، وجعل يقولُ : ويلك ! أزعجتنى ؛ أما علمت أنّى شاعر ولي العهد موسى وهارون . فقال له : يازنديق ، تُضْرَب ولا تقول بسم الله ! قال : ويلك ، أثريدٌ هو فأسمِّى الله عليه .

قال : فأرسل المهدى إلى منزل بشَّار من يفتِّشُه وهو يقول: لعلنا نجدُ شيئا تقامُ به الحجة . قال : فوجد صندوقا مُقْفَلا بقُفْل وثيق ؛ فظنّوا أن فيه بعضَ مااتّهم به ، فإذافيه طومار مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . أردتُ هجاء آل سليمان بن على لإساءتهم إلىّ وطلبهم لى ، ثم ذكرتُ قرابتَهم من رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؛ فتركتُهم لله ولرسوله ولكنى قد قلت وأنا أستغفر الله تعالى[٢] :

---

(١) لهذا البيت رواية أخرى فى المختار صفحة ١١٣ ، فارجع إليه إن شئت .

(٢) المختار من شعر بشار : ١١٤ ، الأغانى : ٣ـ٣٤٩ .

دينارُ آل سليمانٍ ودرهمهُمْ كالبابلَّيْنِ حُفَّا بالعفاريتِ
لا يبصَران[1] ولا يُرجَى لقاؤُهما كما سمعتَ بهاروتٍ وماروتِ

[من جيد شعر بشار]

ومن جيد شعره قوله[2] :

أمِن تجنّى حبيبٍ بات غضبانا أصبحت من سكرات الموت نشوانا[3]
ياقومُ أُذنى لبعض الحىّ عاشقةٌ والأذنُ تعشقُ قبل العين أحيانا
قالوا بمن لاترى تهوى فقلت لهم الأذن كالعين تُوفِى القلبَ ما كانا
ياليتنى كنت تفّاحا براحتها[4] أو كنت من قُضُبِ الريحان ريحانا
حتى إذا استنشقَتْ ريحى وأعجبها ونحن فى خَلْوَةٍ حوِّلتُ إنسانا
لاتعذلونى فإنّى من تذكّرها نَشْوانَ هل يعذل الصاحون سكرانا[5]
لم أَدْرِ ما وَصْفُها يَقْظَانَ قد علمت وقد لهوت بها فى النّوم أَزْمَانا
باتَتْ تُنَاوِلنى فَاهَا فألثمه جنّيّة زُوِّجَتْ فى النّوم إنسانا

وقال :

يا قرَّةَ العينِ إنى لا أُسمّيك أكْنِى بأُخْرَى أُسمّيها وأَعنيك
أَخْشَى عليك من الجيران واحدةً أو سَهْم غَيْران يرمينى ويرميك
ياأطيبَ النّاس رِيقا غير مُختبَرٍ إلّا شهادة أطرافِ المساويكِ
قد زُرتنا مرّةً فى الدهر واحدةً عُودى ولا تجعليها بَيْضَةَ الديك
يا رحمة الله حُلِّى فى منازلنا حَسْبى برائحة الفردوس مِنْ فِيكِ
إنّ الذى بات مغبوطاً بنعْمَته كفّ تمسُّك أو كفّ تُعَاطيكِ
يسرنى وجهك المشوق مقبلة وإن توليت راعتنى تواليك

---

(١) فى المختار : لايوجدان ولا يلقاهما أحد . (٢) الأغانى : ٣ـ١٦٥ .
(٣) فى ط : سكرانا . (٤) فى الأغانى : مفلجة . (٥) فى ط : نشوانا .

كأنّ مسكا وريحانا وغالية ... مابين حجلك أو أعلى ذَفَاريك[1]

وقال :

لم يطُلْ ليلى ولكن لم أنمْ ... ونَفى عنى الكَرى طَيْفٌ ألمْ

رفّهى يا عَبْدُ عنى واعلمى ... أننى يا عَبْدُ من لحمٍ ودَمْ

إنّ لى جسما ضعيفا ناحلا ... لو توكّأتِ عليه لانهدمْ

ختم الحبّ لها فى عنق ... موضع الخاتم من أهل الذمم

وإذا قلت لها جودى لنا ... خرجت بالصَّمْتِ من لَا ونَعَمْ

قال مَرْوان بنُ أبى حفصة : أنشدنى بشارٌ هذه القصيدة فلما بلغ هذا البيت قلت له : جعلنى الله فداك أبا معاذ ! هلّا قلت : خرست ، قال لى : فضّ الله فاك ؛ إنى إذاً لفى عقلك ! أتَطَنَزُ[2] علىّ من أن أُجيب بالخرس !

[نسبه]

وبشار مولى لعقيل بن كَعْب ، وهو يفتخر فى شعره بالمُضَرِيَّة .

ولمّا دخل على المهدى فى أوّل دخلاته قال: فيمن تعتدّ ؟ قال: أمّا اللسان فعربى ، وأما الأصلُ فكما قلت[3] :

ونُبّئتُ قوماً لهم إحْنَةٌ ... يقولون ماذا[4] وأنت العَلَمْ

ألا أيّها السائلى جاهلا ... ليعرفني أنا أنفُ الكرمْ

نمَتْ فى الكرامِ بنى عامرٍ ... فروعى وأَصْلى قُرَيشُ العَجَمْ

وإنى لأغنى مقامَ الفتى ... وأُصْبى الفتاةَ ولا تعتصِمْ[5]

---

(١) الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . (٢) أتسخر .

(٣) الأغانى : ٣ـ١٣٨ . (٤) فى الأغانى :

... قوما بهم جنة ... يقولون من ذا وكنت ...

(٥) فى الأغانى : فما تعتصم .

البيت الأوّل يشبه قول جميل :

فليت رجالا فيك قد نذروا دمى ... وهَمُّوا بقَتْلى يا بُثَيْن لقونى
يقولون لى أهلًا وسهلا ومرحَباً ... ولو ظفروا بى ساعةً قتلونى
إذا ما رأونى مُقْبلا من ثَنِيَّـةٍ ... يقولون : مَنْ هذا ؟ وقد عرفونى

وفى هذه القصيدة يقول بشار[1] :

أصفراء ليس الفتى صَخْرَة ... ولـكنّهُ نصبُ هَمٍّ وَغَمْ
صببت هواكِ على قَلْبه ... فباح وأَعْلَن ما قد كَتَمْ
وبيضاء يضحكُ ماء الشبا ... ب فى وجهها لك إذ تبتسم[2]
دُوَار[3] العذارى إذا زُرْنها ... أَطَفْنَ بحوراء مثل الصَّنَمْ

وفيها يقول يمدح عمر بن العلاء[4] :

إذا أيقظتك حروبُ العِدَى ... فنبِّهْ لها عمراً ثم نَمْ
فتًى لا ينـامُ على دِمْنَةٍ ... ولا يشربُ الماءَ إلّا بَسَمْ[5]
دَعانى إلى عُمرٍ جودُه ... وقولُ العشيرة بحْرٌ خِضَم
ولولا الذى ذكروا لم أَكُنْ ... لأمدح ريحانةً قبـل شَم
يلذّ العطاء وسفك الدماء ... ويغدو على نِقَمٍ أو نِعَمْ
تَطُوفُ العُفَاةُ بأبوابه ... طَوافَ الحجيج ببيتِ الحَرَمْ
إذا عرض اللهْوُ[6] فى صَدْرِه ... بَدَا بالعطايا وضَرْبِ البُهُمْ
وجَالَ اللِّوَاء على رأسه ... يدوّم كالمَضْرِحىّ القَرِمْ[7]

---

(١) الأغانى : ٣ــ١٦٤ ، المختار من شعر بشار : ٧٧ . (٢) فى ط والمختار : أو يتبسم وفى ت : يتبسم . (٣) دوار : صنم . (٤) زهر الآداب : ٣٢٠ ، الأغانى : ٣ــ١٩٣ ، المختار : ٨٨ . (٥) فى الأغانى ، والمختار، وزهر الآداب : إلا بدم .

(٦) فى ديوان المعانى ١ــ٥٩ : إذا عرض الهم فى صدره لها بالعطاء ... (٧) المضرحى : ماطال جناحاه من النسور . والقرم : الذى اشتدت شهوته إلى اللحم . وفى ط : المضرجى الفدم .

ومن شعره

وقال بشار :

حيِّيَا صاحبيَّ أمَّ العلاءِ ... واحْذَرَا طَرْفَ عينِها الحَوْرَاءِ

عذَّبَتْنِى بالحبِّ عذَّبها اللّـ ... ـهُ بما تشتهى من الأهواءِ

إنَّ فى عينها دواءً وداءً ... لمحبٍّ ، والداءُ قبل الدواءِ

يقول فيها يمدح عُقْبة بن[1] سلم الهنائىّ :

مالكىٌّ ينشقّ عن كفّه الجو ... د كما انشقَّت الدُّجَا عن ضِياءِ

إنما لذّةُ الجوادِ ابنِ سَلْمٍ ... فى عطاءٍ لراغبٍ أو لِقَاءِ[2]

ليس يُعطيك للرجاءِ ولا الخو ... فِ ولكن يَلَذُّ طَعْمَ العطاءِ

يسقط الطيرُ حيث يلتقط[3] الحـ ... ـبّ وتُغْشَى منازِلُ الكُرَمَاءِ

أدب بشار

وكان بشار سجاعاً خطيباً صاحب منثور ومزدوج ورَجَز ورسائل مختارة على كثير من الكلام .

من رجزه

ودخل على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رُؤْبَة بن العجاج فأنشده أرجوزة ، ثم أقبل على بشّار ، فقال : هذا طراز لا تُحْسِنُه يا أبا مُعاذ . فقال : والله لأنا أَرْجَز منك ومن أبيك ومن جدك . ثم غدا على عقبة من الغد فأنشده أرجوزة أوّلها[4] :

يا طلَلَ الحيِّ بذاتِ الصّمْدِ[5] ... بالله خبِّرْ كيف كنتَ بعدى

بدَتْ[6] بخدٍّ وجلَتْ عن خَدّ ... ثم انثنت كالنفَس المرتَدّ

وصاحبٍ كالدمّل الممدّ[7] ... حملته فى رُقْعةٍ من جلْدى

حتى اغتدى[8] غيرَ فقيد الفقْد ... وما درَى ما رَغْبَتى وزهدى[9]

الحرُّ يُلْحَى والعَصَا للعَبْدِ ... وليس لِلْمُلْحِف مثلُ الردِّ

---

(١) الأغانى : ٣ـ١٧٤ ، ١٨٩ . (٢) فى الأغانى : ومركب للقاء .

(٣) فى الأغانى : حيث ينتثر . (٤) الأغانى : ٣ـ١٧٥ . (٥) الصمد : موضع أوماء . (٦) فى الأغانى : صدت بخد . (٧) فى ط : وصاحب كالرمل الممتد .

(٨) فى الأغانى : حتى مضى . (٩) فى الأغانى : من زهدى .

يقول فيها[١] :

اسلَمْ وحُيِّيت أبا المَلَدِّ[٢] والبَسْ طرازاً[٣] غير مُستَردِّ
لله أيامك فى مَعَدِّ

وهى طويلة[٤] . فأجْزَل صِلَته ؛ فلما سمع ابنُ رؤبة ما فيها من الغريب قال : أنا وأبى وجدّى فتَحْنا الغريب ، وإنى لخليقٌ أن أسُدَّهُ عليهم ! فقال بشار : ارحمهم رحمك الله ! قال : أتستَخِفُّ بى وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟ قال : فإذن أنت من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجْسَ وطهَّرَهُمْ تطهيرا .

[من نوادر جامع بن وهب]

كان جامع بن وهب الصيدلانى من أكبرِ الناس دنيا، وأعظمهم غَفْلة ، اشترى مرة ثَلْجاً كثيراً ، فقيل له : إنه كثير . فقال : أريدُ أن أمصَّه وأرمى بثُفْلِه .

وأُعْطِىَ ببغل له ثمناً خسيساً ، فقال : ما للعقار ببغداد قيمة !

ودخل بستانا له ؛ فقال لوكيله : اغْرِسْ لى بصلًا بخَلّ ؛ فإنه نافع للصفراء .

وكتب إليه بعضُ الكتّاب كتابا، فأجابه عنه، وعنوانه: من[٥] ذاك الذى كتب إلىّ .

وعثرت به البغلة ؛ فقال لغلامه : انظر هل سالَ من أصبعها دم ؟

وكتب إلى ابنه ـ وقد خرج من[٤] مكة : يا ولدى ، إن قدرت أن تُضَحِّى عندنا فافعل ، لنفرحَ بك فى العيد !

وسقطت ابنتُه فى البئر ، فقال : يا بنية ، لا تَبْرَحِى من مكانك حتى أجىء بمن يخرجك منها !

[من نوادر المغفلين]

وتبخَّر مغفَّل فى ثياب نفيسة فاحترقت ، فحلف بالطّلاق لايتبخر بعدها إلا عُرْيانا.

---

(١) الأغانى : ٣ـ١٧٦ ، (٢) فى ط : المكد . (٣) فى الأغانى . فالبس طرازى .
(٤) ارجع إلى الأغانى : ٣ـ١٧٥ . (٥) مقتضى السياق إلى .

وأتى آخرُ ليكسر لوزة ؛ فزلقت عن الحجر . فقال : كلُّ شىء يفرُّ من الموت حتى البهائم أيضاً .

[واعظ فيه غفلة]

وكان بمصر واعظٌ يقال له أبو عبد الله الخوّاص ، من أشد الناس غَفْلةً ؛ وقف به رجلٌ من العامة يقال له محمد القمقمانى الخبّاز ، فقال له : أصلحك الله ، لى نَفْسٌ معلولة لا تجيبُ إلى شىء من الخير ؛ فما يُصْلِحُها لى ؟ قال : اقرأْ القرآن وأَكْثِرْ منه . قال: ماأحفظُ غيرَ الحمد، وقل هو الله أَحَد ، وقد قرأتهما مراتٍ كثيرة، ونفسى بحالها. قال : فاذْكُرِ الموتَ. قال : لكَالله ! قد فعلت فما خشعت ، ولا جاء منها شىء . قال : فأَكْثِرِ حضورَ مجالس الذكر . قال: من أينَ أَجد ؟ وقد تركت شغلى ولزمْتُ المجالسَ ، ونَفْسِى كما هى . قال : لعن الله نَفْسَك فإنها مشئومة ملعونة كما قلتَ ؛ والرأىُ أنتمضى بهاإلى جرمان بنمطهر صاحب الشّرطة يؤدِّبُها لعله يَجِىء منهابشىء .

[خليفة بيطار]

كان هشامُ بن عبد الملك أَحْوَلَ قبيحَ المنظر ، فعُرِضَت عليهخَيْلُ الجند ، فعرض رجل من أهل حمص فرساً نفوراً . فقال له هشام : ماهذا ؟ قال : أصلحك الله هو فَارِه ، ولـكنه ظنّ أنك حيزون البيطار . فقال : اعزُبْ فى لعنة الله .

[تغفّل أهل حمص]

أصاب حمصىٌّ جملا ؛ فقيل له : عرفه ! قال : أبيعه وأَعْرِفُ ثمنَه .

قال على بن عيسى الوزير : كان يبلُغنى عن أهل حمص تغفّل فأظنُّ أكثرَه تشنيعاً ، حتى دخلتُها ؛ فإذا برجل بين يدى حجّام وقد مصّ عنقه بمحجمتين لم أر أكبرَ منهما ، وهو يشرط فى وسط عُنُقِه ؛ فلما رآنى أقبلت فى موكب قال : مَنْ هذا ؟ فقال الحجام : هذا الوزير على بن عيسى ؛ فقام ، والمحجمة فى عنقه والدمُ يسيلُ

على كتفيه وظَهْرِه ، وقال : السلام عليك ؛ إيش كان خبرك أيها الوزير ؟ قلت : خيراً ، وانصرف؛ فحلفت ألاَّ أدخل حمص ونزلْتُ بظاهرها حتى أَنْجَزْتُ ماأتيت فيه .

[بيع قرد]

وأتى رجل بقِرْدٍ يبيعُه ؛ فجاء عبادى فنظر إليه ، فقال صاحبه له ـ وقد دنا من رجله : احذر لئلا يرمحك ، فدَنَا من يده ؛ فقال : احذر لئلا يخبطك ، فدنا من فمه ؛ فقال : احذر لئلا يعضك ؛ فتباعد العبادى ناحية فقيل له : لم تباعدت ؟ فقال : أحذر لئلاّ يرمينى بحجر .

[يشغله عن الأكل]

قعد عبادى وأعرابى يأكلان فقال العبادى للأعرابى : كيف مات أبوك ليشغله بالكلام عن الأكل ؟ فقال : أصابَه كذا وكذا ، فأخذ فى حديث طويل والعبادىّ يأكل ، ثم قال الأعرابى : وأنت كيف مات أبوك ـ ليشغله بالكلام عن الأكل ؟ فقال : اتّخم[1]، فمات.

ودخل عبادىّ الماء إلى الكعب فصاح : الغريق ! الغريق ! قيل له : مادعاك إلى هذا ؟ فقال : أردت أن آخُذَ بالحزم .

[يبيع رمحا برغيف]

ومر عبادى برجل ومع الرجل رُمْح . فقال : أتبيعُه ؟ قال : نعم ! قال : فبكم تريده ؟ قال : برغيف . قال : سبحان الله تطلب هذا برغيف ! قال : أَخْزَى اللهُ شرَّها فى الجَوْفِ .

[دابّــة]

حمل[2] عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبا العيناء على دابَّــة ، فأخذها منه ابنُه ،

---

(١) فى ط ، ت : انتخم (٢) زهر الآداب : ٥٤٥ وفيه : حمل محمد بن عبيدالله .

وقال : أبعثُ إليك بخيرٍ منها ، فتأخّر عنه ذلك ، فلقيه . فقال : ماخبرُك ؟ فقال : بخيرٍ ، يامَنْ أبوه يحمل وهو يُرْجل . فقال : أنا أُنْفِذُ إليك بَغْلاً فارها بغير تأَخُّر ؛ فتأخّر عنه ثم لقيه . فقال : كيف حالُك ياأبا عبد الله ؟ قال : راجل أصلحك الله ! فضحك وأَنْفَذ إليه بَغْلاً زعم أبو العيناء أنه غيرُ فارِه ، فكتب إلى أبيه : أُعلم الوزيرَ أعزّه الله ! أن أبا على محمداً أراد أن يبرّنى فعقّنى ، وأن يُرْكِبَنى فأَرْجَلَنى ، أمر لى بدابّة تقف للنثرة[(١)] ، وتَعثر بالبَعْرة ، كالقضيب اليابس عَجَفا[(٢)] ، والعاشق المجهود دَنَفاً[(٣)] ؛ قدأذكرت الرواة عروةالعذرى ، والمجنون العامرى ، مساعد أعلاه لأسفله ، حُبَاقُه مقرونٍ . بسُعَاله[(٤)] ؛ فلوأمسكَ لترجيت ، ولوأفرد لتعزّيت ، ولكنه يجمعهما علىّ فى الطريق المعمور ، والمجلسِ المشهور ، كأنه خطيبٌ مُرْشِدٌ ، أو شاعر مُنْشِد تضحك من فعله النسوان ، ويتناغَى من أَجله الصبيان ، فمن صائح يصيح داوه[(٥)] بالطباشير ، وقائل يقول نقُّوا[(٦)] له الشعير ، قد حفِظَ الأشعارَ ، وروَى الأخبار ، ولحق العلماء بالأمصار[(٧)] ؛ فلو أُعِينَ بنطق ، لروَى بحقّ وصدق ، عن جابر الجُعفى ، وعامر الشعبى ؛ وإنما أُتِيتُ من كاتبه الأعور ، الذى إن اختارَ لنفسه أطابَ وأَكْثَرَ ، وإن اختار لغيره أَخْبَث وأَنْزَر ، فإن رأى الوزير أن يُبَدِّلنى عنه ، ويُريحنى منه ، بمركوب يُضْحِكُنى كما ضَحِك منى ، يَمْحُو بحسْنِه وفراهته ماسطرّه العَيْبُ بقُبحِه ودَمَامته ؛ ولست أَذْكر أَمْرَ سَرْجِه ولجامه ؛ لأنّ الوزيرَ أَكرمُ من أن يسلب مايهديه ، أو يَنْقض مايُمْضِيه .

فوجّه إليه عبيدُ الله ببرذون من براذينه بسَرْجِه ولجامه ؛ ثم اجتمع مع[(٨)] عبيد الله عند ابنه . فقال عبيد الله : شكوت دابّة محمد وقد أخبرنى أنه يشتريه الآنَ منك

---

(١) فى زهر الآداب : للنبرة : وهى الصيحة. (٢) العجف : ذهاب السمن .

(٣) الدنف : المرض الملازم . (٤) فى ط : حباقة مقرورة سبعالة ، والتصحيح من زهر الآداب . (٥) فى ط : داؤه ، وهذا من زهر الآداب . (٦) فى زهر الآداب : نوله .

(٧) فى زهر الآداب : فى الأمصار . (٨) فى زهر الآداب : مع محمد بن عبيد الله عند أبيه .

بمائة دينار ، وما كان هذا ثمنه لا يُشْتَــكى !

فقال : أعزَّ الله الوزير لو لم أ كذب مستزيداً ، لم أنصرف مستفيداً ، وإنى وإيَّاه لـكما قالت امرأةُ العزيز : الآن حَصْحَصَ الحقّ أنا راوَدْتُه عن نفسه وإنه لمن الصادقين .

فضحك عبيد الله ؛ وقال : يا أبا عبد الله ؛ حجَّتُك الداحضة بملاحتك وظَرْفك أبلغُ من حُجَّةِ غيرك البالغة .

[وصف حمل مُهْدى]

ويشبه هذه رسالة لأبى الخطاب الصابى ، أجاب بها عن أبى العباس بن سابور إلى الحسين بن صبرة[١] ، عن رقعة وصلت منه فى صفة حَمَل أهداه ، كتبتها على اختصار[٢] :

وأبو الخطاب هذا هو عمُّ أبى إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى :

وصلت رسالتُك ففضَضْتُها عن خطٍّ مُشْرِق ، ولفظ مُونِق ، وعبارة مصيبة ، ومعانٍ غريبة ، واتساع فى البلاغة يعجز عنها عبد الحميد فى كتابته ، وسَحْبان فى خطابته ، وتصرّف بين جدٍّ أَمْضَى من القضاء والقدَرِ ، وهَزْلٍ أرقَّ من نسيم السحَر ، وتقلُّب فى وجوهِ الخطاب ، الجامع لفنون الصواب ، إلا أنّ الفعلَ قصر عن القول ؛ لأنك ذكرت حَمَلاً جعلته بصفتك جَملا ، وكان كالمُعَيْدِىّ تسمَعُ به لا أَنْ تراه ، وحضر فرأيت كَبْشاً متقادِمَ الميلاد ، من نِتَاج قوم عاد ، قد أَفْنَتْه الدهور ، وتعاقبَتْ عليه العصور ، فظننته أحدَ الزوجين اللذين حملهما نوحٌ فى سفينته ، وحفِظَ بهما جِنْسَ الغنم لذريته ، صَغُر عن الـكبر ، ولطف عن القِدَم ، فبانَتْ دَمَامَتُه ، وتقاصرت قامَتُه ، وعاد ناحلا ضئيلا ، بالياً هزيلا ، بادِىَ السقام ، عارِىَ العظام ، جامعا للمعايب ، مشتملا على المثالب ، يعجب العاقلُ من حلولِ الحياة به ، وتأتِّى الحركة له ؛ لأنه عَظْمٌ مجلّد ، وصوف ملبّد ، لا تجد فوقَ عظامه سَلَبا[٣] ، ولا تلقى

---

(١) فى ط : المستخرج أبا الخير بن سبرة ، وهذا من نهاية الأرب . (٢) النويرى : ١٠ـ١٢٨ ؛ زهر الآداب : ٧ : ٥٤ . (٣) السلب : ما على الرجل من اللباس ، ويريد هنا اللحم .

يدك منه إلا خشَباً ، لو أُلْقى للسبع لأَباه ، ولو طُرِح للذئب لعافَه وقَلَاه ، وقد طال للكلأ فَقْدُه ، وبَعُدَ بالمرعى عَهْدُه ، لم يَرَ القتّ[١] إلاّ نائما ، ولا عرف الشعيرَ إلاّ حالما .

وقد خيَّرْتَني بين أن أَقتنِيَه فيكون فيه غِنَى الدهر ، أو أَذبحه فيكون فيه خِصْبُ الرَّحْل ؛ فملْتُ إلى استبقائه لما تعرفه من محبتى للتوفير ، ورغبتى فى التثمير[٢] ، وجَمْعى للولد ، وادِّخَارى للغد ؛ فلم أجد فيه مستمتَعا لبقاء ، ولا مدفعا لفناء ؛ لأنه ليس بأُنْثى تحمل ، ولا بفتى ينسُل ، ولا بصحيح يَرْعَى ، ولا بسليم يَبْقَى ؛ فملْتُ إلى الثانى من رأييك ، وعملت على الأخير من قولَيْك ، وقلت : أذبحه فيكون وظيفةً للعيال ، وأقيمه رَطْباً مقام قديدِ الغزال ؛ فأنشدنى ـ وقد أُضرِمَت النار ، وحُدَّت الشفار ، وشَمَّر الجزار[٣] :

أُعيذُها نظرات منك صادقة أَنْ تحسبَ الشحْمَ فيمن شَحْمُه ورَمُ

وما الفائدةُ لك فى ذَبحى ، وأنا لم يبقَ فىّ إلاّ نَفَسٌ خَافِتٌ ، ومُقْلَةٌ إنسانُها باهت ؛ ولستُ بذى لَحْمٍ فأصلح للأكل ؛ لأن الدهرَ قد أَكل لحمى ، ولا جلدى للدباغ يصلح ؛ لأن الأيام قد مزَّقَتْ أديمى ، ولا صوفى يصلُح للغَزْلِ ؛ لأنّ الحوادث قد حصَّت[٤] وبَرِى ، فإن أردتنى للوقود فكفٌّ حطَبٍ[٥] أَبقَى من نارى ، ولا تفى حرارةُ جمرى بريح قُتَارِى ، فلم يبقَ إلاّ أن تطالبنى بذَحْلٍ ، أو بينى وبينك دم .

فوجدتُه صادقا فى مقالَته ، ناصحاً فى مَشُورته ؛ فلم أعلم من أى أمرَيْهِ أعجب ؛ من مماطلته الدهر بالبقاء ، أم صبره على الضُّرِّ والبلاء ، أم قدرتك عليه مع إعواز[٦] مثله ، أم تأهيلك الصديق به مع خساسة قَدْرِه ؟ ويا ليت شعرى إذ كُنت والى الغنم ، وأمرك ينفُذُ فى الضأن والمعز ، وكلٌّ كَبْشٍ سمين وحَمَلٍ بَطين مجلوبٌ إليك ، مقصور عليك ، تقول فلا تُرَدّ ، وتُريد فلا تُصَدّ ، وكانت هديتك هـذا الذى كأنه

---

(١) القت : نبات تعلفه الدواب . (٢) فى ط : التشمير، وهذا من ت ، وزهر الآداب .

(٣) البيت للمتنبى فى ديوانه : ٣ـ٣٦٦ . (٤) حصت : حلقت وأذهبت .

(٥) فى زهر الآداب : فكف بعر . (٦) فى ط : مع إعوازى .

ناشرٌ[1] من القبور ، وقائمٌ[1] عند النَّفْخِ فى الصور ؛ فما كنتَ مُهْديا لو كنت رجلا من عُرْض الكتّاب ، كأبى على وأبى الخطاب ، ما كنت تهدى إلا كلباً أجْرَب ، أو قرداً أَحْدَب .

[الحمدونى يصفِ أضحية]

وقال الحمدونى فى أضحية أهداها إليه سعيد بن أحمد بن جوسبنداد[2] :

أَسعيدُ قد أهديتَنِى[3] أضْحِيّةً — مكثتْ زماناً عندكم ماتُطْعَمُ
نضْواً[4] تغامزَت الكلابُ بها وقد — شدّوا عليها كى تموت فيُولِموا
فإذا الملاَ ضَحِكُوا بها قالَتْ لهم — لاتهزءوا بى وارحمونى تُرْحَمُوا
مرّتْ على عَلَفٍ فقامت لم تَرِمْ — عنه وغنَّتْ والمدامعُ سُجَّمُ[5]
وقف الهوَى بى حيثُ أنت فليس لى — مُتأخرٌ عنه ولا مُتقدَّمُ

وقال[6] :

أبا سعيد لنا فى شاتِك العِبَرُ — جاءت وليس لها بَوْلٌ ولا بعرُ
وكيف تَبْعَرُ شاةٌ عندكم مكثَتْ — طعامُها الأبيضان الشمسُ والقمرُ
لو أنها أبصرَتْ فى نومها عَلَفاً — غنَّتْ له ودموعُ العينِ تَنْحَدِرُ
يامانعى لذّةَ الدنيا بما رحُبت[7] — إنى لَيمتعنى من وجهك النَّظَرُ

وقال[8] :

شاةُ سعيدٍ فى أمرِها عِبَرُ — لما أتتنا قد مسَّها الضرَرُ
وهى تُغَنِّى لسوءِ حالتِها — حَسْبى بما قد لَقِيت ياعُمَرُ
مرَّتْ بقطف خضر ينشرُها — قومٌ فظنّت بأنّها خضر

---

(١) فى نهاية الأرب : أنشر ... أقيم (٢) زهر الآداب : ٥٤٩ ، الفوات : ١-١٨ .
(٣) فى زهر الآداب : أعطيتنى . (٤) فى ط : نضا تعاقرت الكلاب بها وقد نبذوا ، والتصحيح من زهر الآداب ، والفوات .
(٥) فى زهر الآداب والفوات : تسجم .
(٦) زهر الآداب : ٥٤٩ ، النويرى : ١٠-١٣١ ، الفوات : ١-١٨ .
(٧) فى زهر الآداب والفوات : بأجمعها . (٨) زهر الآداب : ٥٤٩ .

فأقبلَتْ نحوها لتأْكُلَها ... حتى إذا ماتبيّن الخبرُ
وأبدلتها الظّنون من طَمع ... يَأْساً تغنّتْ والدمعُ ينحدرُ
كانوا بعيداً وكنتُ آملهُم[1] ... حتى إذا ماتقرَّبُوا هجرُوا

وقال[2] :

لسعيدٍ شُوَيْهَةٌ ... سَلَّهَا الضُّرّ والعَجَفْ
قد تغنّتْ وأبصرَتْ ... رجلا حاملاً عَلَفْ
بأبى من بكفّه ... بُرْءمابى[3] من الدَّنَفْ
فأتاها مطمّعا ... فأتته لتَمْتَلِفْ[4]
فتولّى فأقبلَتْ ... تتغنّى من الأَسَفْ
ليته لم يكُنْ وَقَفْ ... عذّبَ القلبَ وانصرَفْ

[فى حكاية اللص للحاتمى]

ومن الظريف فى هذا الباب ماأنشده أبو على الحاتمى فى حكاية اللص :

يُعْجِبُنى أنّك لاتربط من ... خَيْل ولا تَرْكَبُ إلاَّ النُّجُبَا
لمّا رأيت الشُّقْر خَيْلاً سُبَّقاً ... ملكْت منها أشقراً محنّبَا[5]
به سِماتٌ من قُرونٍ سَلَفَتْ ... يعرف من أقْرَبها المهلّبَا
فللكلابِ حوله تَهاوُش[6] ... لمّا دعاهُمْ أَجَلٌ قد قربَا
لا تَيْأَسَنْ ماعِشْتَ فى تشييعه ... مُستعملا فيه العَزَا والعقبا
خِلْنَاه تحت الجلِّ إذْ جَلّلته ... قرونَ ضَأْنٍ جُعِلَتْ مِلْءَ العبَا
فى كلّ رِجْلٍ وَيَدٍ زَائِدَةٍ ... وهْو على جُرْذَانه قد شطبا

---

(١) فى زهر الآداب : أمهلهم . (٢) زهر الآداب : ٥٤٩ . (٣) فى ط ، ت : بأبى من نكبة برودآنى . وهو تحريف، والتصحيح من زهر الآداب . (٤) فى ط : فأتاه لتعتلف ، وهذه رواية زهر الآداب . (٥) التحنيب : احديداب فى وظيفى الفرس وصلبها . وبالجيم فى الرجلين . أو بعد مابين الرجلين بلا فجج . أو اعوجاج من الساقين ، وهو محنب .
(٦) تهاوشوا وعليه : اجتمعوا .

كم مرةً رأيته فى جرمه[1] | نخلته يربطُ طنًّا حطبا
وخاف أَنْ يسقُطَ من ضَعْفٍ به | فشدّ بالحائطِ منه القبقبا[2]
تحيَّرَ البيطارُ لمّا أَنْ رأى | فى رأسه مرقما[3] معتصبا
مقيَّرا مُوَصَّلا كأنما | قد رم منه زَوْرقا أو زبزبا[4]
فهْوَ لنارٍ شُعْلةٌ لو لُصِقَت | طاقة كبريت به لالتَهبا
كم فيه من فائدةٍ قد صحَّحت | كتب التباريخ لمن تَطبَّبا
قد خلق اللهُ لنا من برّه | ومن نبات البحر خَلْقاً عجبا
يمشى إلى الإسراج مشى القهقرى | لكن إلى المعلف يَنْزُو خببا[5]
من كثرة القردانِ فى صهوتِه | تحسبه مجدَّرا محصَّبا
لو أن سلطانا رأى راكبه | لم يأْلُ أن عذَّره وأدبا
أقام طول الصيف فى الماء إلى | أن أنبت الماء عليه الطحْلبا
ظننته والشمس لم تبيض من | شمس الضحى ولم تحل الغيهبا
من بعض أكواخ النواطير سرى | بالريح إذ هبت له ريح الصبا
بالغ فيه الجوعُ حتى أنه | إذا رأى القتَّ بكى وانتحبا
وجاذب المقود مجهودا وما | كاد له المقود أَن ينجذبا
حَمْحَمَ لِلقَتِّ وقد مرَّ به | ثم تغنَّى طَرَباً وأَطْرَبا
يأيها الباخِلُ بالوَصْلِ أما | ترْحَمُ صبًّا كلفا معذبا

[أمانٌ من الغداء]

دخل أبو العيناء على بعض الرؤساء بكرة ، فاستسقى ماء ؛ فقال له الرجل : أفى هذا الوقت تعطش ؟ قال : أصلحَكَ الله ، هذا أمانٌ لك من الغداء .

---

(١) فى الأصلين بجرمه ولم نهتد إليه . (٢) القبقب : البطن . (٣) هكذا فى ط ، وفى ت : موقعا . (٤) الزبزب : ضرب من السفن . (٥) فى ط . جنبا ، وهذه روايه ت .

[أبو عباد وزير المأمون وضيق صدره]

وكان أبو عباد وزير المأمون ضَيِّقا جدا ، قيل له : إنّ لقمان قال : ما شيء أشد من حَمْلِ الغَضَب . فقال : ولـكنّه عندى أخفُّ من الريشة . قيل له : إنما عنى لقمان أن احتمالَ الغضَبِ ثقيل. فقال : والله ما يَقْوَى على الغضب أحدٌ من الناس إلاّ الجمل.

وغضب يوما على بعض أصحابه ، فشجَّه بدَواةٍ كانت بين يديه . فقال : صدق اللهُ حيثُ يقول : والذين إذا ما غضبوا هم يغفرون ، فبلغ ذلك المأمون فضحك . فقال : ويلك ! لا تُحْسِن تقرأ آية من كتاب الله تعالى . قال : ياأمير المؤمنين ؛ والله إنى لأحسن أقرأ من سورة واحدة ألف آية . فضحك المأمون وأمر بإخراجه . ولم يكُنْ جاهلا ، وإنما كان يجرى عليه الغلَط لفَرْطِ غيظه .

وقال المأمون لأحمد بن أبى خالد : صِفْ لى ثابت بن يحيى — يُريد أبا عباد . فقال: هو والله أَحَدُّ من سَيْفِ سعيد بن العاص . فقال: والله ما أتبيّن من هذا شيئا ؟ فقال : إن حرَّكْتَه تبينَ لك الأمر .

فعرض أبو عباد يوماً عليه كتاباً وخرج ، فلما قرب من الباب أمر المأمونُ بردِّه؛ فرجع وقد تغيّر، فخاطبه وتركه ينصرف. فلما كاد يركب أمر بردِّه . فلما عرف الرسول تناول الدّواة من غلامه ، وقال : الساعة والله أَضرِبُ بها وجهك يابْنَ الخبيثة ، كان ينبغى لك أن تقول قد ذهب إلى النار. ورجع، فقال له المأمون : اعْرِضْ فيما تعرض علىّ حوائج الهاشميين . قال : نعم ! وقُلْ كلما تريد فلستُ أَرْجِعُ إليك اليوم بعد هذا ، ولو قمت أنت بنفسك ! فضحك المأمون ، وقال : قاتل الله دعبلا — يُريد قوله :

أَوْلَى الأمورِ بضَيْعَةٍ وفسادِ ... أمرٌ يدبِّرُه أبو عبّاد
وكأنه مِن دَيْر هِرْقَلَ خارِجٌ ... حَرِجاً يجرُّ سلاسِلَ الأَقْياد[1]

وقيل للمأمون : إنّ دعبلا هجاك فقال :

أيسومُنى المأمونُ خطَّةَ ظالمٍ ... أو ما رأى بالأمس رَأْسَ محمد

(١) جمع قيد .

يربى على رَأْسِ الخلائقِ مثلما ... تُربى الجبالُ على رءوسِ القردد
إنى من القوم الذين همُ همُ ... قتلوا أخاكَ وشرّفوك بمقعد
شادُوا بذِكْرِكَ بعد طولِ خُمولهِ ... واستنقذوك من الحضيض الأَوْهَدِ

فقال : هــو يهجو أبا عبّاد ولا يهجونى ــ يريد أبا عباد حَرِج حديد ، والمأمون حليم متساهل .

وقال المأمون ــ لما سمع هذا الشعر : مافى الدنيا أصفقُ وجهاً من دعبل ولا أَبهت ، كيف يستنقذنى هو وقومه من الحضيض الأوهد ، وأنا فى حِجْرِ الخلافة رُبِّيت ، وبدَرِّها غُذِّيت ، وإنما قال هذا دعبل : لأن طاهر بن الحسين قتل أخاه ، وطاهرٌ مولى خزاعة قوم دعبل .

أنشد شاعر أبا عباد قصيدة طويلة ، فضاق ضِيقاً عظيما ؛ ثم تجمّل معه فى استماعها حتى أتمَّها ؛ فقام رجلٌ من أصحابه يعرف بالغالبى ؛ فأنشد قصيدة أخرى فسمعها ، وقد بلغ الضيق به منتهاه ؛ فقال فيها :

ثبتت رحى ملك الإمام بثابت ... وأفاض فينا العَدْلَ والإحسانا
يقرى الوفودَ طلاقةً وبشاشةً ... والنا كثين مهنّدًا وسِنَانا

فقال أبو عباد : مَهْلا مَهْلا ، إنما أنا كاتب ليست هذه صفتى ، هذه صفة حميد الطوسى . فضحك الحاضرون وزاد ضيق أبا عباد لضحكهم وخجل الرجل . فقال : ما زلت للعافين غَيْثًا مُمْرِعاً متخرقا فى جوده .... وأُنْسِى من الدَّهشِ من غيظ أبى عباد باقى البيت، فأقبل يردّد متخرقا فى جُودِهِ. فقال: قل قرنانا صفعانا، ودعنا نستريح. فقال : يا سيدى ــ معوانا ، وخرج مولّيا ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

قال إبراهيم بن العباس الصولى : لو وزنت كلمات النبى صلى الله عليه وسلم « إنــكم لن تسَعُوا الناسَ بأموالــكم فسعوهم بأخلاقــكم » بكلام أهل الأرض لرجحت ، هــذا أَبو عباد لم يكن فى زمانه أكْرَمُ منهُ ، وما يكاد يرى له شاكراً لسُوء خُلقه .

كان أبو عباد يقول : ماجلس أحدٌ بين يدىّ، إلاَّ ظننتُ أنى سأجلس بين يديه.

[ضجر سليمان الأعمش]

وكان سليمان الأعمش من الضَّجَرِ بحيث اشتهر وانتشر ؛ قال له الإمام أبو حنيفة النعمان : لولا أنى أخاف أن أشقّ عليك لأكثرْتُ زيارتك . فقال : لا تفعل ! فأنت تشقّ علىّ والله وأنتَ فى دارك . وقيل له : عمّن أخذت الحدّة ؟ قال: عن يحيى بن وثاب.

وسأله رجلٌ عن إسناد حديث ، فقام وأخذ بحلقه وأسنده إلى الحائط يخنقه . وقال : هذا سنده .

وأتى الأعمش رجلٌ من أصحابه يدعوه إلى طعام صنعه له ، فأدخله الحمام قبل ذلك، وأتاه بماء حارّ فسكبه عليه . فقال : أحرقتنى أحرقك الله ! والله لا أدخل إليك ، ولا آكلُ طعامك اليوم ؛ ثم صنع له طعاماً بعد ذلك ومضى يقودُه ، فوقعت إبهام رجله فى مُسْدَاة[1] فى الدار يلعَبُ فيها الصبيان بالبندق . فقال : أردت أن تَقْلِبَنى فى بئر ، لله علىّ إن أقمت عندك أو أكلت طعامك .

وسلَّم عليه رجلٌ من أصحابه وقد وجد عِلَّةً ؛ فقال : كيف بتّ يا أبا محمد ؟ فرد عليه ؛ ثم قال له آخر : كيف بتّ، فأخرج مضربته ومخدّته فوضع رأسه عليها؛ وقال: كذا بتّ !

[شهادة طريفة]

نازع بعضُ التميميين رجلا من بنى عمّه فى حائطٍ بينه وبينه ، فبعث إلى قوم ليُشهِدهم ، فأتاه جماعةٌ من القبائل ، فوقف بهم عليه . وقال: أشهدكم جميعاً أن نِصْفَ هذا الحائط لى !

[يثبت الإنكار]

وقدم رجل آخر إلى القاضى فى شىء يدَّعيه عليه فأنكر. فقال للقاضى : اكتُبْ لى أَصلحك الله إنكارَه . قال : ذلك فى يدك متى شئت .

---

(١) أسداه : أهمله .

[من طرائف المحاورة]

قال عبد الله بن المبارك : كان عندنا رجل يكنى أبا خارجة . فقلت له : لم كَنوك أبا خارجة ؟ قال : لأنى وُلِدْتُ يوم دخل سليمان بن على البصرة .

قال الأصمعى : حدثنى إبراهيم بن القعقاع قال : رأيت أَشْعَب بسوق المدينة ومعه قَطيفة[1] يبيعها ، وهو يقول : من يشترى منى الوصيدة[2] ؟ فأتاه رجلٌ يساومه . فقال : أبرأ إليك من عَيْبٍ فيها . قال : وما هو ؟ قال : أخافُ أن تخرق إن لبستها. فضحك ، واشتريت بثمنٍ جديدة .

[من طرف الأكلة]

دعا رجل ابن أحمد ، فلما صار إلى منزله قال الرجل لغلامه : امْضِ فاشتر لى لحما بدانقين ، وبدانقين خبزاً ؛ فإنه ليس من صديقنا ابن أحمد حِشْمة . فقال ابن أحمد : يابن أم ولا كلّ هذا الاستئناس بمرّة .

وقال رجلٌ لصديق له : صِرْ إلىَّ نأكل خُبْزاً ومِلْحاً ؛ فقام معه وهو يظنُّ هذا الكلام على مجازِ ما يقولُ الناس ، فقدَّم إليه خبزاً وملْحاً . ووقف سائل بالباب ، فقال له : بُورِكَ فيك ، فألحَّ السائلُ بالمسألة . فقال له : والله لئن قمت إليك لأوجعنّك ضرباً. فقال له الضيف : اذهب فوالله لو علمتَ من صِدْقِ إيعاده ماعلمتُ أنا من صِدْقِ وعده لم تَقِفْ ساعة .

اشترى مزبد رأسين فوضعهما بين يدى امرأته . وقال : اقعدى نأكل ، فأخذت رأساً فوضعَتْه خلفها . وقالت : هذا لأمّى ، فأخذ مزبد الرأس الآخر ووضعه خَلْفَه . وقال : هذا لأبى . قالت : فماذا نأكل ؟ قال : ضَعِى رأس أمك وأضع رَأْسَ أبى .

دخل أَشْعَب على بعض الولاة وكان بخيلا ، وذلك فى أول ليلةٍ من شهر رمضان

(١) القطيفة : دثار مخمل . (٢) الوصيدة : بيت يتخذ من الحجارة للمال فى الجبال . وربما كانت الكلمة محرفة عن القطيفة .

فأفطر عنده ، فقدم جَدْى ، فأَمْعَن فيه أشعب وضاق الوالى . فقال : يا أشعب ، إنَّ أهلَ السجن سألونى أن أوجِّه إليهم مَنْ يُصَلِّى بهم فى هذا الشهر ؛ فامْضِ وصَلِّ بهم واغنم ثوابَهم . فقال: أيهاالأمير؛ أو خلّة أخرى ؟ قال: وما هى ؟ قال : أحلف بالطلاق والعتاق ألّا آكل جَدْياً ما عشت أبداً . فضحك منه وأعفاه .

وهذا كما ذكروا أن بعض الملوك أتته سلل خبيص فظنّها فاكهة ، فبعث إلى مساكين المسجد فحضروا ، ثم فتح السّلل فوجد فيها خبيصا ، فندِم وبقى متحيّرًا ، ثم أمر بهم إلى السجن . فقالوا : ما ذَنْبُنَا ؟ فقال : بلغنى أنكم تنامون فى المسجد ثم تقامُ الصلاة فتصلُّون على غير وُضوء . فقالوا : خلّ سبيلَنا ، فوالله لا أكلنا خبيصاً أبدا ، فضحك وعلم أنهم علموا بأمره ، فأمر لهم بدراهم وخَلَّى سبيلهم .

[قرشى والحمد لله]

قال رجلٌ لآخر : ممَّن تكون ؟ قال: قرشى والحمد لله ! قال : بأبى أنت! التحميد هاهنا ريبة .

[من ظريف ما قيل فى الأدعياء]

ومن ظريف ما قيل فى الأدعياء قول مخلد بن بكار الموصلى فى أهل بلده :

هُم قعدوا فابتغوا لهم نسَباً ... يجوز بعد العشاء فى العرب
حتى إذا ما الصباحُ لَاحَ لهم ... مينِّ سُتُّوقهم[1] من الذهب
والناسُ قد أصبحوا صيارفةً ... أعرف شىء ببهْرَجِ النَّسَبِ

وقال فى أبى تمام الطائى :

أنتَ عندى عربىٌّ الْـ ... أَصْلِ ما فيك كلامُ
شَعَرُ ساقَيْك وفخذَيْـ ... ـك خُزَامى وثُمَام[2]

---

(١) ستوق ــ كتنور وقدوس : زيف بهرج ملبس بالفضة . والثمام ــ كغراب : نبت .

(٢) فى ط : وتمام .

وضلوع السلو من صَدْ | رِكَ نَبْعٌ وبشام[١]
وقَذَى عينيك صَمْغٌ | ونواصيك ثغَامُ
وظِباءٌ خاضِبَاتٌ | ويرابيعٌ عِظَامُ
أنا ما ذَنْبى إذا كـ | ـانَ بنى فيكَ الأنامُ
وبَدَت منك سجَايَا | نبطِيَّاتٌ لِئَامُ
وقفا يخلف ما إن | عرفَتْ فيه الكِرامُ
كَذَبوا ما أنت إلاَّ | عربىٌّ ما تُرَامُ
بَيْتُه فى وسط سَلْمَى | وحوالَيْهِ سلامُ
عَرَبىٌّ عَرَبىٌّ | عرَبىٌّ والسَّلامُ

وقال فى محمد بن البعيث :

لمحمدٍ بيْتٌ بناهُ بسَيْفِهِ | أطنابُ حُجْرَتِه النّجومُ الكُنّس
جعل السبيلَ إلى العلاءِ محمدٌ | بيضا تسيلُ على ظُبَاهَا الأنفُس
إيماضها هندية ونجومُها | خزرية منها المنيَّةُ تَفْرِسُ
تَلْقى الأمانَ على حِيَاضِ محمد | ثولاءُ مُخْرِفَةٌ وذئبٌ أطلسُ[٢]
لا ذى[٣] تخافُ ولا لذلك جُرأةٌ | تهدى الرّعيّة ما استقام الريّس
قد شذّب الأعداءَ عن عرصاته | سيفٌ يمجُّ دماً وعزٌّ أقْعَسُ
وإذا تناضلَتِ الملوكُ بفَخْرِها | فسِهَامُ فخرك كلهن مقرطِسُ[٤]
وإذا صرَفْتَ الطَّرْفَ عن ذى نخْوَةٍ | فالموتُ فى قسماته يتفرَّسُ
متملّق القيباح يمنَعُ هاربا | فى البُعْدِ منك ولا الثناءُ الأشرسُ[٥]

---

(١) فى ط : وثمام: والبشام ــ كسحاب : شجر عطر الرائحة . (٢) اللسان ثول ــ وهو للكميت مما يشكك فى نسبة هذه الأبيات إلى مخلد . الثولاء : النعجة التى بها ثول ــ وهو جنون يصيب الشاة فلا تتبع الغنم وتستدير فى مرتعها . والمخرفة : التى معها خروف يتبعها . (٣) فى ط ، ت : لا ذا يخاف . (٤) كل أديم ينصب للنضال فاسمه قرطاس ، فإذا أصابه الرامى قيل قرطس . أى أصاب القرطاس . والرمية التى تصيب مقرطسة . (٥) هذا البيت فيه تحريف لم نهتد إلى وجه الصواب فيه .

طهَّرْتُ أشعاري بِعِرْضِك بعد ما ... كانت بأشعارِ اللئام تُدَنَّس

[من شعر مخلد بن بكار]

وهو القائل(١) :

يطلع النَّجْمُ على صَعْدَتِهِ ... فإذا واجَهَ بدراً أَفَلَا
معشرٌ إن ظَمِئَت أرماحُهم ... أوردُوهُنَّ مُجاجَاتِ الطُّلَى(٢)
تحسُنُ الألوانُ منهم في الوَغَى ... حين يُستنكر للرُّعبِ الحُلَى
سخطُ عبدالله يُدنى الأَجلا ... ورضاه يتعدّى الأملا
يُعشِبُ الصَّلْدُ إذا سالمَه ... وإذا حارب(٣) روضاً أمْحَلا
حطَّ رحْلى فى ذَراه جُودُه ... وتمشَّى فى نَداهُ الخَيزَلَى(٤)

وقال فى الرقيق :

أقولُ لنِضْوٍ أنفد السيرُ نيَّها ... فلم يَبْقَ منها غيرُ عَظْمٍ مجلَّدِ(٥)
خدى(٦) لى ابتلاكِ اللهُ بالشوق والهوى ... وشاقك تحنانُ(٧) الحمام المغرّدِ
فمرت سريعاً خَوْفَ دعوةِ عاشق ... تَشقُّ بها الموْماة فى كلِّ فَدْفدِ(٨)
فلما وَنَتْ بالسير ثنَّيت دعوتى ... فكانت لها سَوْطاً إلى ضَحْوَةِ الغَدِ

[مسرع !]

وبعثَتْ عائشةُ بنت سعد بن أبى وقّاص مولاها فنداً يأتيها بنارٍ وهى بالمدينة ؛ فمضى إلى مصر فأقام بها سنةً ، ثم جاء بنارٍ وهو يعدو مسرعا ، فعثر فبدّد الجمر فقال : تعست العجلة !

---

(١) زهر الآداب : ٥١١ . (٢) فى ط : الـكلى . وهذا من زهر الآداب ، والطلى : الأعناق أو أصولها . أو هى الطلا ـ بالفتح : الدم . (٣) فى ط : خاذل .
(٤) الخيزلى : مشية التثاقل . (٥) النضو : المهزول من الإبل . والني : الشحم .
(٦) خدى : أسرعى . (٧) فى ط : وساقك تجتاز ، وهو تحريف . (٨) الفدفد : الفلاة .

مارأينا لغرابٍ مثلاً إذْ بعثْنَاهُ يجى بالمشمله
غير فند أرسلوه قابساً فثوىحَوْلاً وسَبَّ العَجَلهْ

[الذنب للجبل والقمر]

صعد ابن زهير الخُزَاعى جَبلا ، فأعيا وسقَط كالمغشىّ عليه . فقال : ياجبل ؛ ماأَصْنَعُ بك ؟ أأضربك ؟ لايوجعك ، أأشتمك ؟ لاتُبَالى ، يكفيك يوم تكونُ الجبال كالعِهْنِ المنفوش .

وهذا ضِدُّ قولِ أعرابى آخر سرى فى قمر ، فلما غاب ضَلَّ الطريق . فقال يخاطب بعيره :

اسق ما أسأرته الأكما أن عسينا أَنْ نَرى عَلما
كيف لاتغوى هدايةُ مَنْ عادَ طِفْلاً بَعْدَ ماهرما

يقول له : أسرع بى حتى تعرق فتسقى الأكم بسُؤْرِ عرقك ، وهو بقيته ـ لعلنا نرى عَلَماً نهتدى به . ويريد بقوله : عاد طفلا بعد ماهر ما ـ يريد القمر ؛ لأنه فى أوّل الشهر يكون كالطفل ينشأُ حتى يتكامل ، ثم يدخله النَّقْص حتى يُمْحِق[1] ، ثم يعودُ كأوّلِ نشأته ؛ يذمُّه بذلك .

[وصف الشمس]

ومن عجيب ما فى هذا المعنى قولُ رجلٍ من بنى الحارث بن كعب يصف الشمس[2] :

مخبأة أمّا إذا الليلُ جَنَّها فتَخْفَى وأَمَّا بالنهار فتَظْهَر
إذاانشقّ عنها ساطِعُ الفَجْرِ وانجلَى دُجَا الليلِ وانجاب الحِجَابُ المستَّرُ
وألبس عرض الأرضِ لوناً كأنّه على الأفق الغربىّ ثوبٌ مُعَصْفَرُ

---

(١) أمحق : هلك . (٢) زهر الآداب : ٧٦٥ .

تجلَّتْ وفيهـا حين يَبْدُو شعاعُها ... ولم يَعلُ للعين البصيرة مَنْظَرُ
عليها كَرَدْعِ الزعفرانِ يشبُّه ... شُعَاعٌ تَلالَا فهو أبيضُ أصفرُ[1]
فلمّا علَتْ وابيضَّ منها اصفرارُها ... وجالَتْ كما جال المنيحُ[2] المشهَّرُ
وجلَّلت الآفاقَ ضوءاً وأسعرت ... بحرّ لها منه الضُّحَى يتسعَّرُ
ترى الظلَّ يُطوَى حين تبدو ، وتارةً ... تراه إذا زالَتْ عن الأرض يُنْشَر
كما بدأَتْ إذ أشرقت فى مَغيبِها ... تعودُ كما عاد الـكبير المعمّر
وتدنفُ[3] حتى ما يكادُ شعاعُها ... يَبِين إذَا ولَّتْ لمَنْ يتبصرُ
وأفنَتْ قروناً وهى فى ذاك لم تزَلْ ... تموت وتُحْيي كلَّ يوم وتَنْشُر

[بلادة كيسان]

وكان كيسان[4] مُسْتَملى أبى عبيدة ، موصوفاً بالبلادَةِ . قال الجاحظ : كان يكتبُ غيرَ ما يسمع ، ويقولُ غير ما يكتب ، ويستملى غير ما يَقْرَأ ، ويملى غير ما يستملى ، أمليت عليه يوماً :

قلت لمعشر عدلوا ... بمعتمر أبا عمرو

فـكتب أبا بشر ، وقرأ أبا حفص ، واستملى أبا زيد ، وأملى أبا نصر .

وذكر[5] أبو عبيدة كيسان فى شيء ، فقال : والله مافهم ، ولو فهم لوهم .

[نوادر تحكى عن غير الناس]

نوادر تُحْـكَى عن غير الناس : قيل لإبليس لعنه الله : ماذا لقيت من المتعلمين ؟ قال : التعلم ينسيهم وهم يَلعنونى .

---

(١) فى ط : كردغ . . يشبيه . . . فوق أبيض . وهذا من زهر الآداب .
(٢) فى ط : النسيج ، وهذهرواية زهرالآداب . والمنيح : قدح بلانصيب وقدح يستعار تيمنا بفوزه . (٣) دنفت الشمس : مالت للغروب . (٤) زهر الآداب : ١٥٤ .
(٥) هذه العبارة مضطربة فى ط : حققناها من زهر الآداب : ١٥٤ .

قيل للعقرب : لم لا تشمسين فى الشتاء مع الناس ؟ قالت : من كَثْرَةِ إحسانى إليهم فى الصيف .

كانت أَفْعَى نائمة على حُزْمَةِ شَوْكٍ فحملها السيل ، والأفعى عليها ، إذ نظر إليها ثعلب . فقال : مثل هذا الملاّح يصلح لهذه السفينة .

أراد ثَعْلب أن يصعد حائطا ، فتعلَّق بعَوْسَجَة[1] فعُقِرَتْ يده. فقال: أنا أخطأت، لأنى تعلَّقت بما يتعلّق بكلّ شىء .

وقف جَدْى على مكان فمرّ به ذِئب فشتمه . فقال له : لَمْ تشتمنى ؛ إنما شتَمنى المكان الذى أنت فيه .

قالت الخنفساء لأمها : مامررتُ بأحدٍ إلاّ بصقَ علىّ. قالت : يابنية ، لحسنك تُعَوِّذين .

نظر كلبٌ إلى رغيف ، فقال له : إلى أين ؟ قال : إلى النهروان . قال : فإن تركتك فابلغ إلى مرو .

وقف كلبٌ على قصَّابٍ فآذاه ، فقال له القصاب : والله لئن قمت إليك لأرمينّك بهذا الكرش ، فلم يبرح ؛ فتغافل عنه القصّاب ، فلما طال وقوفُ الكلب قال للقصاب : ترمينا بالكرش أو ننصرف .

قيل للبغل : من أبوك ؟ قال: خالى الفرس . وهذا كقول القائل :

سأَلْتُه مَنْ أبوه ؟ فقال خالى شعيب
وما كنى عن أبيه إلاّ وثَمّ سُبَيْبْ

قال مؤلفه : هذا آخرُ الكتاب والله أعلم بالصواب وبالله المستعان ونعوذ بالله من الزيادة والنقصان .

قد أتممت أكرمك الله لهذا الكتاب جميع شروطه ، ولم أُخلّ بتحريره وضبطه ، وجعلته كالمسامر الذكىّ ، والمنادر اللوْذَعىّ ، الذى إذا هزل عزف ، وإذا جد رمز ،

(١) العوسجة : شوك .

فأمضى بك فى العجائب المُضْحِكة ، والغرائب المونقة ، ثم أصلها ولا أفصلها ، من تعلّق بأخبار ظريفة ، وأشعارٍ شريفة ، وقد خِفْتُ أن أكلفك نَصَباً ، وأحملك تعباً ، فقطعت إذ الزيادة فى الحدود نقصان فى المحدود ، وربّ رِبْحٍ أدّى إلى خسران ، وزيادة أَفْضَتْ إلى نقصان ؛ فنعوذُ بالله ونستغفره مما جرى به اللسان ، ونصلى على سيدنا محمد سيد ولد عدنان ، وعلى آله وأصحابه السادة الأخيار والأعيان ، صلاة دائمة بدوام الأزمان ، آمين .

تم الكتاب ويليه الفهارس

فهارس الكتاب

١ — فهرس الموضوعات

٢ — « الأعلام

٣ — « القوافى والشعر

٤ — « الكتب

فهرس الموضوعات

ثانيا — فهرس الأعلام

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

ثالثا — فهرس القوافى والشعراء

رابعا — فهرس الكتب

الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى
(طبعة دار الكتب المصرية)
الأمالى لأبى على القالى
(طبعة دار الكتب المصرية)
أمالى الزجاجى
(مطبعة السعادة ١٣٢٤ هـ)
إنباه الرواة (طبعة دار الكتب) بتحقيق
الأستاذ أبى الفضل إبراهيم
أيام العرب فى الجاهلية
للأستاذين على البجاوى ومحمد أبى الفضل
إبراهيم
البخلاء للجاحظ (طبعة وزارة المعارف)
البيان والتبيين للجاحظ
(مطبعة الفتوح ١٣٣٢ هـ)
تاريخ الطبرى (مطبعة الحسينية)
التبيان (انظر ديوان المتنبى)
ديوان إبراهيم بن العباس
(لجنة التأليف ١٩٣٧ م)
ديوان ابن المعتز (المحروسة ١٨٩١ م)
ديوان ابن الرومى
(التوفيق الأدبية ١٩٢٤)
ديوان أبى تمام (الخياط)
ديوان أبى نواس (القاهرة)
ديوان امرئ القيس
(مطبعة هندية ١٣٤٧ هـ)
ديوان البحترى
(الجوائب ١٣٠٠هـ والقاهرة ١٩١١م)
ديوان حسان (الرحمانية ١٣٤٧ هـ)
ديوان الحماسة شرح التبريزى
(التجارية ١٣٥٧ هـ)
ديوان زهير (دار الكتب ١٣٦٣ هـ)
ديوان الشماخ (مطبعة السعادة ١٣٢٧هـ)
ديوان عمر بن أبى ربيعة
(القاهرة ١٣١١ هـ)
ديوان عنترة (المطبعة الغربية)
ديوان كشاجم
ديوان المتنبى (مطبعة الحلبى ١٩٣٦ م)
ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى
(القدسى ١٣٥٢ هـ)
ديوان النابغة (مجموعة خمسة دواوين)
ديوان الهذليين (دار الكتب ١٩٤٥م)
رسائل البديع
رسائل الخوارزمى
زهر الآداب (طبعة الحلبى ١٩٥٢ م)
بتحقيق الأستاذ على البجاوى
سمط اللآلئ (لجنة التأليف ١٩٣٦ م)
شرح المعلقات للتبريزى (السلفية ١٣٤٣هـ)
الشعر والشعراء (طبعة الحلبى ١٣٧٠ هـ)
بتحقيق الأستاذ أحمد شاكر
الصناعتين (طبعة الحلبى ١٣٧٢ هـ)
بتحقيق الأستاذين على البجاوى وأبى الفضل
إبراهيم
العقد الفريد لابن عبد ربه
(لجنة التأليف ١٣٧٠ هـ)
عيون الأخبار لابن قتيبة
(دار الكتب ١٩٢٥ م)
فوات الوفيات (الطبعة الأميرية ١٢٨٣هـ)
القاموس المحيط للفيروزابادى
(الحسينية ١٣٣٠هـ)
الكامل للمبرد (التجارية ١٣٥٥ هـ)
لسان العرب لابن منظور
(بولاق ١٣٠٠هـ)

مجمع الأمثال للميدانى (البهية ١٣٤٢ هـ)

المحاسن والمساوى (طبع ليبزج)

المختار من شعر بشار (الاعتماد ١٣٥٣هـ)

المخصص لابن سيده
(المطبعة الأميرية ١٣١٦هـ)

مروج الذهب للمسعودى

المزهر للسيوطى (طبعة الحلبى)
بتحقيق الأساتذة جاد المولى، والبجاوى،
وأبى الفضل إبراهيم

المستطرف من كل فن مستظرف

معاهد التنصيص (السعادة ١٣٦٧هـ)

معجم الأدباء لياقوت
(دار المأمون ١٣٥٥ هـ)

معجم البلدان لياقوت
(مطبعة السعادة ١٣٢٣ هـ)

معجم ما استعجم للبكرى
(التأليف ١٣٧١ هـ)

مقامات البديع
(المكتبة الأزهرية ١٩٢٣ م)

مهذب الأغانى للمرحوم الشيخ الخضرى

الموشح للمرزبانى (السلفية ١٣٤٣ هـ)

نهاية الأرب للنويرى
(دار الكتب ١٣٤٢ هـ)

وفيات الأعيان لابن خلكان (١٢٩٩هـ)

يتيمة الدهر للثعالبى (الصاوى ١٣٥٢ هـ)